

بمحققين وشيوخ
عبد الله محمد طه

مكتبة الجاهل
أبي عثمان عمرو بن بحر الجاهل
٢٥٥ - ١٥٠

الكتاب الثاني

البيان والبيان

الجزء الثاني

الناشر مكتبة النخعي بالقاهرة

صف هذا الكتاب بطريقة الجمع التصويري

مكتبة الخانجي

للطباعة والنشر والتوزيع

ص . ب ١٣٧٥ القاهرة

الطبعة السابعة

١٤١٨ هـ = ١٩٩٨ م

الْبَيْتُ وَالنَّبِيُّ

تأليف

أبي عثمان عمرو بن محمد بن الجاحظ

الجزء الثاني

بمحقق وشرح

عبد السلام محمد هارون

وهذا أول الجزء الثاني من تجزئة المصنف (١)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ، وصلى الله على محمد خاصة ، وعلى أنبيائه عامة .

- ٥ أرذنا - أبقاك الله - أن نبتدىء صدر هذا الجزء من البيان والتبيين (٢)
- بالرد على الشعوبية في طعنهم على خطباء العرب وملوكهم (٣)؛ إذ وصلوا أيمانهم بالخاص ، واعتمدوا على وجه الأرض بأطراف القسي والعصى ، وأشاروا عند ذلك بالقضبان والقننى (٤) . وفي كل ذلك قد روينا الشاهد الصادق ، والمثل السائر . ولكننا أحببنا أن نُصير صدر هذا الباب كلاماً (٥) من كلام رسول رب العالمين ، والسلف المتقدمين ، والجلّة من التابعين ، الذين كانوا مصايح الظلام ، وقادة هذا الأنام ، وملح الأرض (٦) ، وحلّى الدنيا ، والتجوّم التى لا يضلّ معها السارى ، والمنار الذى يرجع إليه الباغي ، والحزب الذى كثر الله به القليل ، وأعزّ به الدليل ، وزاد الكثير في عدده ، والعزير في ارتفاع قدره . وهم الذين جَلَوْا بكلامهم الأبصار الكليّة (٧) ، وشَحَذُوا بمنطقهم الأذهان العليّة (٨) ، فَنَبَّهُوا القلوب من رَقَدَتها ، ونقلوها عن سوء عاداتها ، وشفّوها (٩) من داء القسوة،
- ١٥

(١) بدل هذه العبارة في هـ ، ب ، ج : « أول الثلث الثاني » ، كما أن بعدها في ب ، ح : « قال أبو عثمان الجاحظ » .

(٢) ما عدل - هـ : « والتبيين » .

(٣) وملوكهم ، ليست في هـ .

(٤) القنى : جمع قناة ، وهو الرمح . ل : « والقسى » .

(٥) فيما عدل : « أن نصدر هذا الجزء بكلام » . ٢٠

(٦) الملح ، بالكسر : البركة .

(٧) فيما عدل : « العليّة » .

(٨) فيما عدل : « الكليّة » .

(٩) ل : « وشفّوها » .

- وغباوة الغفلة ، وداوؤوا من العيِّ الفاضح ، ونهَجُوا [لنا] الطريقَ الواضح . ولولا
الذى أَمَلْتُ في تقديم ذلك وتعجيله ، من العملِ بالصواب ، وجزيلِ الثواب ، لقد
كنتُ بدأتُ بالردِّ عليهم ، وبكشفِ قناعِ دعواهم ^(١) . على أَنَّا سنقول في ذلك
بعد الفراغ ممَّا هو أولى بنا ، وأوجبُّ علينا . والله الموفق ، وهو المستعان .
- وعلى أَن خطباء السِّلَف الطيِّب ، وأهل البيان من التابعين بإحسان ،
ما زالوا يسمُّون الخطبة التي لم تبتدأ بالتحميد ، وتُستفتح بالتمجيد ^(٢) :
« البتراء » . ويسمُّون التي لم توشَّح بالقرآن ، وترتَّن بالصلاة على النبي ﷺ :
« الشَّوْهَاء » .
- وقال عمران بن حِطَّان ^(٣) : خطبتُ عند زيادٍ خطبةً ظننتُ أنَّي لم أقصِّرَ
فيها عن غاية ، ولم أدعُ لطاعنٍ ^(٤) علةً ، فمررتُ ببعض المجالسِ فسمعتُ شيخاً
يقول : هذا الفتى أخطبُ العربِ لو كان في خطبته شيء من القرآن .
- وخطب أعرابيٌّ فلما أعجله بعضُ الأمر عن التَّصدير بالتحميد ،
والاستفتاح بالتمجيد ، قال : « أما بعد ، بغير ملالةٍ ^(٥) لذكر الله ولا إثارةٍ غيره
عليه ، فإنَّا ^(٦) نقول كذا ، ونسأل كذا » ؛ فراراً من أن تكون خطبته بتراءً
أو شوهاء .
- وقال شبيب بن شيبه : « الحمد لله ، وصلى الله على رسول الله . أمَّا
بعد فإنَّا نسأل كذا ، ونبذل كذا » .
- وبنا - حفظك الله - أعظمُ الحاجة إلى أن يسلم كتابنا هذا من النَّبز القبيح ^(٧)

(١) فيما عدل : « دعاويهم » .

(٢) فيما عدل : « لم يبتدئ صاحبها بالتحميد ، ويستفتح كلامه بالتمجيد .

(٣) ترجم في (١ : ٤٠٤) .

(٤) في حواشي هـ عن نسخة : « لجادب » . والجادب : العائب .

(٥) فيما عدل ، هـ : « ملال » . وقد سبق الخبر في البيان (١ : ٤٠٤) .

(٦) هذه الكلمة ساقطة من هـ .

(٧) النبز بالتحريك : اللقب . فيما عدل : « البتر » .

والشَّوْهَ الْمَشِينِ^(١)، واللقب السَّمَج المَعِيب^(٢)، بل قد يَجِب^(٣) أن نزيد في بهائه ونستميل القلوب إلى اجتنابه، إذ كان الأمل فيه بعيداً، وكان معناه شريفاً ثميناً.

ثم اعلم بعد ذلك أن جميع حُطَبِ العرب، من أهل المَدَر والوَبَر، والبدو والحَضَر، على ضربين: منها الطُّوال، ومنها القصار، ولكل ذلك مكانٌ يليق به، وموضعٌ يحسُن فيه. ومن الطُّوال ما يكون مستوياً في الجودة، ومتشاكلاً في استواء الصَّنعة، ومنها ذوات الفَقَر الحسان، والتَّتَف الجياد. وليس فيها بعد ذلك شيء يستحق الحفظ، وإنما حظُّه^(٤) التخليد في بطون الصُّحُف. ووجدنا عدد القصار أكثر، ورواة العلم إلى حفظها أسرع. وقد أعطينا كلَّ شكل من ذلك قسطه من الاختيار، ووفَّيناه حظُّه من التمييز، ونرجو ألا نكون قصّرنا في ذلك. والله الموفق.

٢٤٠ هذا سوى ما رسمنا^(٥) في كتابنا هذا من مقطّعات كلام العرب الفصحاء وجُمِل كلام الأعراب الخُلص، وأهل اللِّسَن من رجالات قريش والعرب، وأهل الخطابة من أهل الحجاز، وتُتِف من كلام التُّسَاك، ومواعظ من كلام الزَّهاد، مع قلة كلامهم، وشِدَّة توقُّعهم. وربُّ قليل يُغنى عن الكثير، كما أن ربَّ كثير لا يتعلَّق به صاحب القليل. بل ربَّ كلمة تُغنى عن خطبة، وتنب عن رسالة. بل ربَّ كناية تربي على إفصاح، ولحظ يدلُّ على ضمير، وإن كان ذلك الضمير بعيد الغاية، قائماً على النِّهاية. ومتى شاكل أبقاك الله ذلك اللفظ معناه؛ وأعرب عن فحواه^(٦)، وكان لتلك الحال وفقاً، ولذلك القدر لِفَقاً، وخرَج

(١) الشَّوْه: القبح. وهاتان الكلمتان من ل فقط.

(٢) فيما عدل، هـ: «السميح». والسميح: القبيح.

(٣) فيما عدل: «نحب».

(٤) فيما عدل: «حظها».

(٥) فيما عدل: «رسمناه».

(٦) هذه الجملة ساقطة من هـ.

من سماجة الاستكراه ، وسليم من فساد التكلف ، كان قميناً ^(١) بحسن الموقع ،
وبانتفاع المستمع ، وأجدر أن يمنع جانبَه من تناول الطَّاعنين ، ويحمي عرضه من
اعتراضي العائنين ^(٢) ، وألاً تزال القلوب به معمورة ، والصُّدُور مأهولة . ومتى كان
اللفظ أيضاً كريماً في نفسه ، متخيراً من جنسه ^(٣) ، وكان سليماً من الفضول ،
بريئاً من التعقيد ، حُبِّب إلى النفوس ، وأتَّصل بالأذهان ، والتَّحَمَّ بالعقول ،
وهشَّت إليه الأسماع ، وارتاحت له القلوب ، وخَفَّ على ألسُن الرُّواة ، وشاع في
الآفاق ذِكْرُه ، وعظُم في الناس خَطَرُه ، وصار ذلك مادَّةً للعالم الرئيس ، ورياضة
للمتعلِّم الرِّيض . فإن أراد صاحبُ الكلام صلاحَ شأنِ العامَّة ، ومصلحةَ حالِ
الخاصَّة ، وكان ممَّنْ يُعْمُّ ولا يُخْصَّ ، وينصح ولا يُعْشَّ ، وكان مشغولاً بأهل
الجماعة ، شَيْفاً لأهل الاختلاف والفرقة ^(٤) ، جُمعت له الحظوظ من أقطارها ،
وسِيقت إليه القلوب بأزمتها ، وجُمعت النفوس المختلفة الأهواء على محبَّتِه ،
وجُلبت على تصويب إرادته . ومَن أعاره الله من مَعُونته ^(٥) نصيباً ، وأَفَرَّغَ
عليه من محبَّتِه ذُنُوباً ^(٦) ، جُلبت ^(٧) إليه المعاني ، وسَلِسَ له النِّظام ^(٨) ،
وكان قد أُغْفِيَ المستمع من كَدِّ التكلف ، وأراح قارئَ الكتاب من علاجِ
النَّفْثِ . ولم أجد في خطب السِّلَفِ الطَّيِّبِ والأعراب الأقحاح ، ألفاظاً ٢٤١
مسخوطة ، ولا معاني مدخولة ، ولا طبعاً رديئاً ، ولا قولاً مستكراً . وأكثر

(١) هـ : « قمتنا » وفتح الميم وكسرهما معا . وكلها بمعنى جدير وخليق .

(٢) هـ : « العيائين » .

(٣) فيما عدل ، هـ : « في جنسه » .

(٤) يقال شَفِه ، أبغضه ، فهو شَف .

(٥) فيما عدل : « معرفته » .

(٦) الذنوب ، بالفتح : الدلو المملأ .

(٧) فيما عدل : « حنت » بدل : « جلبت » .

(٨) فيما عدل : « نظام اللفظ » .

ما نجد ^(١) ذلك في خطب المولدين ، وفي خطب البلديين المتكلمين ^(٢) ، ومن أهل الصناعة المتأدين ، وسواء كان ذلك منهم على جهة الارتجال والاقتضاب ، أو كان من نتاج التعبير والتفكير ^(٣) .

ومن شعراء العرب من كان يدع القصيدة تمكث عنده حولاً كريماً ^(٤) ، وزمناً طويلاً ، يردد فيها نظره ، ويحيل فيها عقله ^(٥) ، ويقلب فيها رأيه ، أتهاماً لعقله ، وتتبعاً على نفسه ، فيجعل عقله ^(٦) ، زمناً على رأيه ، ورأيه عياراً على شعره ؛ إشفاقاً على أدبه ، وإحرازاً لما خوله الله تعالى من نعمته . وكانوا يسمون تلك القصائد : الحوليات ، والمقلدات ، والمنقحات ، والمحكمات ؛ ليصير قائلها فحلاً خنديداً ، وشاعراً مقلقاً .

وفي بيوت الشعر الأمثال والأواید ، ومنها الشواهد ، ومنها الشوارد .
والشعراء عندهم أربع طبقات . فأولهم : الفحل الخنديز . والخنديز هو التام . قال الأصمعي : قال رؤبة : « الفحولة هم الرواة » ^(٧) . ودون الفحل الخنديز الشاعر المقلق ، ودون ذلك الشاعر فقط ، والرابع الشعور . ولذلك قال الأول في هجاء بعض الشعراء :

يا رابع الشعراء كيف هجوتني وزعمت أني مُفحَم لا أنطق ^(٨)
فجعله سَكِيئاً مُخْلَفاً ^(٩) ، ومسبوقاً مؤخراً .

(١) فيما عدل : « نجد » بالنون .

(٢) كلمة : « في » من ل فقط . وكلمة « خطب » الثانية ساقطة من هـ .

(٣) التعبير : التحسين . ما عدل هـ : « أم كان » . وما عدل ل ، هـ : « التخير والتفكير » .

(٤) حول كريت : كامل تام .

(٥) هذه الجملة من ل فقط .

(٦) ل : « فجعل » .

(٧) فيما عدل ل ، هـ : « هم الفحولة الرواة » وفي حواشي هـ : « يريد الذين يرون شعر غيرهم

فيكثر تصرفهم في الشعر ويقوون على القول » .

(٨) وكذا رواية العمدة (١ : ٧٣) . فيما عدل ل : « فم هجوتني » .

(٩) السكيت : آخر خيل الحلبة ؛ وقد تخفف الكاف . ل : « خلفا » .

وسمعتُ بعض العلماء يقول : طبقات الشعراء ثلاث : شاعر ، وشويعر ، وشُعْرور . قال : والشويعر مثل محمد بن حُمران بن أَى حُمران ^(١) ، سمّاه بذلك امرؤ القيس بن حُجر .

ومنهم من بنى ضبّة ^(٢) : المَقُوف ، شاعر بنى حُميس ^(٣) ، وهو الشويعر ، ولذلك قال العبدى ^(٤) :

ألا تَنْهَى سَرَاةَ بنى حُميس شُويعِرَها فُوَيْلِيَةَ الأَفَاعِي
قَبِيلَةَ تَرَدَّدَ حيث شاءت كزائِدَةُ التَّعامَةِ في الكُراعِ
فُوَيْلِيَةَ الأَفَاعِي : دَوِيَّةٌ سوداء فوق الحُنْفَساء .

٢٤٢

والشويعر أيضاً : صفوان بن عبد ^(٥) يالِيل ، من بنى سَعْد بن ليث ، ويقال إنَّ اسمَه ربيعة بن عثمان ^(٦) . وهو الذى يقول :

فَسائِلُ جَعْفراً وبنى أبيها بنى البَزْرى بِطِخْفَةِ والمِلاح ^(٧)

(١) ذكره الأمدى فى المؤلف ١٤١ وقال : « وهو ابن أخى الأسعر الجعفى ، ومن سَمى محمداً فى الجاهلية ، وهو قديم . وكان امرؤ القيس بن حجر أرسل إليه فى فرس يبتاعها منه فمنعه ، فقال امرؤ القيس : أبلغا عني الشويعر أنى عمد عين نكبتين حزيماً

فسمى بهذا البيت الشويعر » . وانظر لمن سَمى بمحمد فى الجاهلية الخزاعة (٢ : ٢٣ - ٢٥) .

(٢) فيما عدل : « ومنهم ثم من بنى ضبّة » وكلمة « ثم » مقحمة .

(٣) بنو حميس ، بضم الحاء ، من قبائل جهينة . الاشتقاق ٣٢١ .

(٤) انظر العمدة (١ : ٧٤) .

(٥) هنا ينتهى سقط التيمورية ، الذى سبق التنبيه عليه فى الجزء الأول ص ٣٩١ س ٢٣ .

(٦) نقل هذا النص فى العمدة (١ : ٧٤) عن الجاحظ . أما ياقوت فى معجم البلدان (٨ :

١٤٤) فقال : « قال الشويعر الكنانى ، واسمه ربيعة بن عثمان » .

(٧) البزرى ، كجزمى : لقب لبني بكر بن كلاب . وتبرز الرجل ، إذا انتمى إليهم . ل ، هـ :

« البرزى » ، صوابه بتقديم الزاى كما صحح فى ح . وفى ب والتيمورية : « البراز » تحريف . وطخفة ، بالكسر ويروى بالفتح : جبل لبني كلاب ، ولهم عنده يوم . والملاح ، بالكسر : موضع .

وأفلتنا أبو ليل طَفِيلٌ صحيحَ الجلدِ من أثرِ السَّلاحِ^(١)
وقد زعم ناسٌ أنَّ الخنذيدَ من الخيل هو الحَصَى . وكيف يكون ذلك كذلك مع
قول الشاعر :

يا ليلتي بالحَبِّ لم أرَ مثلَها أمرٌ قَرَى منها وأكثرَ باكِيا^(٢)
وأكثرَ خنذيذاً يجرُّ عنانَهُ إلى الماء لم يتركْ له السَّيفُ ساقيا^(٣)
وقال بشر بن أبى خازم^(٤) :
وخنذيدٌ ترى العُرمُولَ منه كطَى الرِّقِّ علَّقَهُ التَّجارُ^(٥)
وأبينُ من ذلك قول البرجُميَّ^(٦) :

* وخناذيدٌ خصيةٌ وفُحولاً^(٧) *

ويدلُّ على ما قلنا قول القيسيَّ^(٨) :

١٠

(١) أفلته الشيء : انفلت منه . وأنشد ياقوت بين هذا البيت وسابقه :
غداة أتهمُ حمر المنايا يسقن الموت بالأجل المتاح
(٢) الحب : بلد دون الجزيرة : فيما عدل : « يا ليلتي يا ليت » ، تحريف .
(٣) هـ : « له الموت » . ويشبه هذا بيت مالك بن الريب في الخزانة (١ : ٣١٨) والأماي
(٣ : ١٣٧) :

١٥

وأشقر محبوباً يجر عنانه إلى الماء لم يترك له الموت ساقيا
(٤) هو بشر بن أبى خازم الأسدي ، شاعر فارس فحل جاهلي قديم . الخزانة (٢ : ٢٦٢ -
٢٦٤) والشعر والشعراء .

(٥) البيت من قصيدة في المفضليات (٢ : ١٣٨ - ١٤٥) .
(٦) نسب في الحيوان (١ : ١٣٣) إلى خفاف بن ندبة وندبة : أمه ، واسم أبيه عمير بن الحارث .
وهو شاعر مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام ، وشهد حنيناً والطائف ، وبقي إلى زمان عمر . الخزانة (٢ :
٤٧٢ - ٤٧٣) والإصابة ٣٢٦٩ ، والمؤتلف ١٠٨ . والصواب أن ينسب إلى خفاف بن عبد قيس
البرجمي ، كما في اللسان (خنذد) . ونسب فيه أيضاً إلى النابغة الذبياني ، وليس في ديوانه .

(٧) صدره في اللسان : * وبراذين كاييات وأتنا *
(٨) فيما عدل : « العبي » تحريف . وفي الحيوان (١ : ١٣٤) : « قول بعض القيسيين من

٢٥

قيس بن ثعلبة » .

دَعَوْتُ بَنِي سَعِيدٍ إِلَى فُشْمَرْتُ خَنَاذِيدُ مِنْ سَعِيدٍ طَوَالَ السَّوَاعِدِ

وَكَانَ زُهَيْرُ بْنُ أُنَى سُلَمَى يَسْمَى كِبَارَ قَصَائِدِهِ : الْحَوَالِيَاتُ .

وَقَدْ فَسَّرَ سُؤيدُ بْنُ كُرَاعٍ الْعُكْلِيَّ ^(١) مَا قُلْنَا ، فِي قَوْلِهِ :

٥. أَيْبْتُ بِأَبْوَابِ الْقَوَافِي كَأَنَّمَا أَصَادِي بِهَا سِرْبًا مِنَ الْوَحْشِ نَزْعًا ^(٢)
 أَكَلْتُهَا حَتَّى أَعْرَسَ بَعْدَ مَا يَكُونُ سُحِيرًا أَوْ بُعِيدًا فَأَهْجَعًا ^(٣)
 عَوَاصِي إِلَّا مَا جَعَلْتُ أَمَامَهَا عَصَا مِرْيَدٍ تَغْشَى نَحْوًا وَأَذْرَعًا ^(٤)
 أَهْبْتُ بَعْرَ الْآبِدَاتِ فَرَا جَعْتُ طَرِيقًا أَمَلْتُهُ الْقَصَائِدُ مَهْبَعًا ^(٥)
 بَعِيدَةً شَاوٍ ، لَا يَكَادُ يَرُدُّهَا لَهَا طَالِبٌ حَتَّى يَكِلَّ وَيُظْلَعَا ^(٦)
 إِذَا خِفْتُ أَنْ تُرَوَّى عَلَيَّ رَدْدُهَا وَرَاءَ التَّرَاقِي خَشِيَّةٌ أَنْ تَطْلَعَا ^(٧)
 وَجَشَمْنِي خَوْفُ ابْنِ عَفَّانٍ رَدَّهَا فَتَقَفْتُهَا حَوْلًا حَرِيدًا وَمَرْبَعًا ^(٨) ١٠

(١) سُؤيدُ بْنُ كُرَاعٍ الْعُكْلِيّ ، شَاعِرُ فَارِسٍ مِنْ شُعْرَاءِ الدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ ، وَكَانَ فِي آخِرِ أَيَّامِ جَرِيرٍ وَالفَرَزْدَقِ . الْأَغَانِي (١١ : ١٢١ - ١٢٥) وَالشَّعْرُ وَالشُّعْرَاءُ .

(٢) كَانَ مِنْ سَبَبِ هَذَا الشَّعْرِ أَنَّهُ هَجَا بَنِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ دَارِمٍ ، فَاسْتَعَلُّوا عَلَيْهِ سَعِيدُ بْنُ عَثْمَانَ بْنِ عَفَّانٍ ، فَظَلِمَهُ لِيُضْرِبَهُ وَيَجْبِسَهُ ، فَهَرَبَ وَلَمْ يَزَلْ مُتَوَارِيًا حَتَّى كَلِمَ فِيهِ . قَامَنَهُ عَلَى أَلَا يَعَاوُدُ . الْأَغَانِي (١١ : ١٢٣) . وَالْمَصَادَاةُ : الْمَدَاجَاةُ ، وَالْمُخَاثَلَةُ . وَالنَّزْعُ ، كَرَكْعٌ : جَمْعُ نَازِعٍ ، وَهُوَ الْغَرِيبُ . ١٥

(٣) أَكَلْتُهَا : أَرَايْتُهَا . وَالتَّعْرِيسُ : النَّزُولُ فِي وَجْهِ السَّحَرِ . هـ عَنْ نَسْخَةٍ : « أَوْ بُعِيدٌ » .
 (٤) الْمِرْيَدُ ، كَمَنْبَرٍ : مَحْبَسُ الْإِبِلِ . أَرَادَ عَصَا مَعْتَرِضَةً عَلَى بَابِ الْمِرْيَدِ . وَانْظُرِ اللَّسَانَ وَالْمُقَاسِيْسَ (رِبْدٌ) . وَقَدْ وَرَدَ فِي الْأَوَّلِ بَدَلُونَ نَسْبَةٍ . وَفِيهِمَا وَكَذَا فِي الشَّعْرِ وَالشُّعْرَاءِ : « جَعَلْتُ وَرَاءَهَا » . وَمَا هُنَا أَوْثَقُ وَأَلْيَقُ .

(٥) أَهَابَ بِهَا : دَعَاَهَا . الْآبِدَاتُ : الْمُتَوَحِّشَاتُ ، عَنِ بَهَا الْقَوَافِي الشَّرْدِ . أَمَلْتُ : سَلَكْتُهَ ؛ طَرِيقُ مَلٍ : مَسْلُوكٌ مَعْلُومٌ . وَالْمَهْبِيعُ : الْوَاسِعُ الْمُنْبَسِطُ . ٢٠

(٦) أَيْ لَا يَكَادُ يَرُدُّهَا طَالِبٌ لَهَا ، هِيَ مُنْطَلِقَةٌ لَا يَسْتَطَاعُ رَدُّهَا إِلَّا بِالْجَهْدِ .

(٧) تُرَوَّى عَلَى : أَيْ تُرَوَّى عَنْهُ . فِيمَا عَدَالٍ : « تَرْدَى جَلِي » . وَقَدْ صَحَّحَتْ فِي حَدِّ فُجِعِلَتْ : « تُرَوَّى عَلَى » . وَالتَّرْقُوتُ : مُقَدِّمُ الْخَلْقِ فِي أَعْلَى الصَّدْرِ حَيْثُا يَتَرَقَّى النَّفْسُ .

(٨) فِي الْأَغَانِي : « خَوْفُ بَنِي عَثْمَانَ » . الْحَرِيدُ : التَّامُ الْكَامِلُ . ٢٥

وقد كان في نفسى عليها زيادة فلم أر إلا أن أطيع وأسمعاً

* * *

ولا حاجة بنا مع هذه الفقرة إلى الزيادة ^(١) في الدليل على ما قلنا ، ولذلك قال الخطيئة : « خير الشعر الحولِيُّ المُحَكَّكُ » . وقال الأصمعي ^(٢) : « زهير ابن أبى سُلَمَى ، والخطيئة وأشباههما ، عبيد الشعر » . وكذلك كلُّ من جَوَّد في جميع شعره ، ووقف ^(٣) عند كل بيت قاله ، وأعاد فيه النَّظْرَ حتى يُخْرِجَ أبيات القصيدة كلها مستوية في الجودة . وكان يُقال ^(٤) : لولا أنَّ الشعر قد كان استعبدهم واستفرغ مجهودهم حتَّى أدخلهم في باب التكلف وأصحاب الصنعة ، ومن يلتبس قَهْرُ الكلام ^(٥) ، واغتصاب الألفاظ ، لذهبوا مذهب المطبوعين ، الذين تأتبه المعاني سهواً ورهوا ^(٦) ، وتنثال عليهم الألفاظ انثيالاً ^(٧) . وإنما الشعر المحمود كشعر النابغة الجعدي ورؤية . ولذلك قالوا في شعره : مُطَرَفٌ بآلاف وخمارٌ بؤاف ^(٨) . وقد كان يخالف في ذلك جميع الرواة والشعراء . وكان أبو عبيدة يقول ويحكى ذلك عن يونس ^(٩) .

ومن تكسَّب بشعره واتمس به صلات الأشراف والقادة ، وجوائز الملوك والسادة ، في قصائد السَّمَّاطِينَ ، وبالطُّوال التي تُنشَد يوم الحفل ، لم يجد بداً ٢٤٤ من صنيع زهير والخطيئة وأشباههما ، فإذا قالوا في غير ذلك أخذوا عفوَ الكلام

(١) ل : « مع هذه الفقرة إلى زيادة » .

(٢) فيما عدل : « وكان الأصمعي يقول » .

(٣) فيما عدل : « كل من يجود في جميع شعره ويقف » .

(٤) ل : « يقول » .

(٥) فيما عدل : « قهر الكلام » ، تحريف .

(٦) السهو : السهل اللين . والرهو : السهل الدمث . ل : « سهوا رهوا » .

(٧) انثالت : اجتمعت وانصبت من كل وجه .

(٨) انظر ما سبق في (١ : ٢٠٦) .

(٩) مضت ترجمته في (١ : ١٧٤) . فيما عدل : « يقوله » بدل : « يقول » .

وتركوا المجهود ، ولم نرهم مع ذلك يستعملون مثل تدييرهم في طوال القصائد في صنعة
طوال الخطب ، بل كان الكلام البائت عندهم كالمقتضب ^(١) ، اقتداراً عليه ، وثقة
بحسن عادة الله عندهم فيه . وكانوا مع ذلك إذا احتاجوا إلى الرأي في معاليم التدبير
ومهمات الأمور ، ميثوه في صلورهم ^(٢) ، وقيدوه على أنفسهم ، فإذا قومه الثفاف
وأدخل الكير ، وقام على الخلاص ^(٣) ، أبرزوه مُحَكَّكاً منقحاً ، ومُصَفَّى من
الأدناس مُهذَّباً . قال الربيع بن أبي الحقيق ^(٤) لأبي ياسر النَّضِيرِي ^(٥) :

فلا تُكثِرِ التَّجَوَّى وَأَنْتَ مُحَارِبٌ تُؤَامِرُ فِيهَا كُلَّ نِكْسٍ مُقَصِّرٍ

وقال عبد الله بن وهب الراسبي ^(٦) : « إِيَايَ وَالرَّأْيَ الْفَطِيرَ » .
وكان يستعيز بالله من الرأي الدَّبري ^(٧) ، الذي يكون من غير روية ،
وكذلك الجواب الدَّبري .

وقال سحبان وائل : « شَرُّ خَلِيطِكَ السُّؤْمُ الْحَزْمُ » ؛ لَأَنَّ السُّؤْمَ لَا يَصْبِرُ ،
وإنما التفاضل في الصبر . والحزْمُ صَعْبٌ لَا يُعْرَفُ مَا يُرَادُ مِنْهُ ، وليس الحزم
إِلَّا بالتجارب ، وبأن يكون عقل الغريزة سُلماً ^(٨) إلى عقل التجربة . ولذلك قال
على بن أبي طالب رضى الله عنه : « رَأَى الشَّيْخُ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنْ جَلْدِ الشَّابِّ » ^(٩) .

(١) اقتضاب الكلام : ارتجاله ؛ اقتضب : تكلم من غير تمهية له أو إعداد .

(٢) ميثوه : ذلله ولينه . فيما عدل : « يئوه » صواب هذه « يئوه » كما وردت في هـ . وما أثبت من ل أعلى .

(٣) الخلاص ، بكسر الخاء كما في هـ . وهو الثفل الذي يكون أسفل .

(٤) ترجم في (١ : ٢١٣) .

(٥) هو أبو ياسر بن أخطب ، أخو يحيى بن أخطب ، كلاهما كان يهوديا من أعداء المسلمين .

وكان من العلماء بالتوراة . وفيه وفي عبد الله بن سوريا ووهب بن يهودا ، نزل قوله تعالى : (ومن الذين

هادوا سماعون للكذب) . انظر السيرة ٣٥١ ، ٣٥٤ ، ٣٧٧ ، ٣٩٤ .

(٦) سبقت ترجمته في (١ : ٢٠٥) . فيما عدل : « وكان عبد الله بن وهب الراسبي يقول » .

والكلمة هناك برواية أخرى .

(٧) سائر هذه الفقرة من ل فقط .

(٨) فيما عدل : « ولأن عقل الغريزة مسلم » : لكن في هـ : « سلم » .

(٩) فيما عدل : « أحب إلى » . وفي أمثال الميداني ١ : ٢٦٧ : « رأى الشيخ خير من مشهد

الغلام » . والجلد ، بالتحريك : القوة والشدة .

ولذلك كرهوا ركوب الصَّعب حتى يَذَلَّ ، والمُهرِ الأرنِ إلا بعد رياضة ^(١) . ولم يَحُولُوا المَعَانِقِ هَمَالِجَ إلا بعد طول التَّخْلِيع ^(٢) ، ولم يَحْلُبُوا الزَّبُونِ إلا بعد الإِبْسَاسِ ^(٣) .

* * *

- ٥ وسنذكر من كلام رسول الله ﷺ ، مما لم يسبقه إليه عرني ، ولا شاركه فيه أعجمي ^(٤) ، ولم يَدْعَ لأحدٍ ولا ادَّعاه أحد ، مما صار مستعملاً ومثلاً سائراً .
- فمن ذلك قوله : « يا خَيْلَ اللَّهِ اركبِي » ، وقوله ^(٥) : « مَاتَ حَتَفَ أَنْفِهِ » ، وقوله : « لَا تَنْتَطِحْ فِيهِ عَثْرَان » . وقوله : « الْآنَ حِمَى الْوَطِيسِ » .
- ولمَّا قَالَ عَدِيُّ بْنُ حَاتِمٍ ^(٦) فِي قَتْلِ عَثْمَانَ رَحِمَهُ اللَّهُ : « لَا تَحْبِقُ فِيهِ عَنَاقٌ » ^(٧) قَالَ لَهُ مَعَاوِيَةُ بْنُ أَبِي سَفْيَانَ بَعْدَ أَنْ فُقِّقَتْ عَيْنُهُ وَقُتِلَ ابْنُهُ : يَا أَبَا طَرِيفَ ، هَلْ حَبَقْتَ فِي قَتْلِ عَثْمَانَ عَنَاقٌ ؟ قَالَ : إِي وَاللَّهِ ، وَالتَّيْسَ الْكَبِيرَ ^(٨) ! فَلَمْ يَصِرْ

(١) الأرن والأرون : النشيط . فيما عدل : « بعد طول الرياضة » .

(٢) المعانيق : جمع معناق ، وهي السريعة السير . والمهملاج : الحسن السير في سرعة وبخبرة . والتخليع : مثني فيه تفكك .

(٣) الزبون : التي تضرب حالها وتدفعه . والإبسّاس : صويت للراعي تسكن به الناقة عند الحلب .

(٤) فيما عدل : « ولم يشاركه فيه عجمي » .

(٥) ما عدل : « ومن ذلك قوله » في هذا الموضع وتاليه . وانظر الحيوان ١ : ٣٣٥ و ٤ : ٤٢٤ .

(٦) هو أبو طريف عدي بن حاتم الطائي الجواد المشهور ، أسلم سنة تسع أو عشر ، وكان نصرانياً قبل ذلك ، وشهد فتوح العراق وسكن الكوفة ، وشهد صفين مع علي . ومات بعد الستين بعد أن بلغ ١٢٠ سنة . وذكر أبو حاتم السجستاني أنه عمر ١٨٠ سنة الإصابة ٥٤٦٧ والمعمرين ٣٦ . وفي المعارف ١٣٦ أنه شهد الجمل ففقت عينه وقتل ابنه محمد .

(٧) حبق من باب ضرب : ضرب . والعناق ، كسحاب : الأنثى من أولاد المعز . يضرب المثل في الأمر لا يعأ به ، والثأر لا يدرك . ولفظه عند الميداني : « لا تحبق في هذا الأمر عناق حوئية » . والحوئية : التي أتى عليها الحول .

(٨) فيما عدل : « الأضخم » . وعند الميداني : « الأعظم » .

كلامه مثلاً ، وصار كلام رسول الله ﷺ مثلاً (١) .

ومن ذلك قوله لأبي سفيان بن حرب : « كل الصيد في جوف الفراء » (٢) .

ومن ذلك قوله : « هذنة على دخن ، وجماعة على أقذاء » (٣) ، ومن ذلك

قوله : « لا يُلَسع المؤمن من جُحر مرتين » (٤) .

ألا ترى أن الحارث بن حُذان (٥) ، حين أمر بالكلام عند مقتل يزيد بن

المهلب ، قال : « أيها الناس ، اتقوا الفتنة ؛ فإنها تُقْبِلُ بشبهة ، وتُذْهِبُ ببيان ،

وإن المؤمن لا يُلَسع من جُحر مرتين » ، فضرب بكلام رسول الله ﷺ المثل ، ثم

قال : « اتقوا عُصْباً تأتيكم من الشام ، كأنها دلاء قد انقطع وذمها » (٦) .

وقال ابن الأشعث (٧) لأصحابه ، وهو على المنبر : « قد علمنا إن كُنَّا

نُعلم ، وفهمنا إن كُنَّا نفهم ، إن المؤمن لا يُلَسع من جُحر مرتين ، وقد والله

لُسِعت بكم من جُحر ثلاث مرّات ، وأنا أستغفر الله من كل ما خالف الإيمان ،

وأعتصم به من كل ما قارب الكفر » .

* * *

وأنا ذاكرٌ بعد هذا فنّا آخر من كلامه ﷺ ، وهو الكلام

(١) يعنى قوله : « لا تنتطح فيه عنزان » .

(٢) قاله حين استأذن أبو سفيان عليه فُحِجَ قليلاً ثم أذن له ، فلما دخل عليه قال : « ما كدت تأذن لى حتى تأذن لحجارة الجلهتين » . فقال ﷺ هذا القول يتألفه على الإسلام . والجلهة : ناحية الوادى . وانظر الخيران ١ : ٣٣٥ .

(٣) يضرب لمن يعضم أذى ويظهر صفاء . والدخن ، بالتحريك : الحقد .

(٤) ويروى : « لا يلدغ » . قاله لأبي عزة الشاعر ، وكان قد أسره يوم بدر ثم من عليه ، وأتاه يوم أحد فأسره ، فقال : من على . فقال عليه السلام هذا القول .

(٥) فيما عدل ، هـ : « بن حُذان » ، تحريف .

(٦) اللوذم : جمع وذمة ، وهو السير الذى بين آذان الدلو وعراقها .

(٧) هو عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث ، المترجم فى (١ : ٣٢٩) .

- الذى قلَّ عدد حروفه وكثر عدد معانيه ^(١) ، وجَلَّ عن الصَّنعة ، ونَزَّه عن التكلف ، وكان كما قال الله تبارك وتعالى : قل يا محمد : ﴿ وما أنا مِنَ المتكلفين ﴾ ^(٢) . فكيف وقد عاب التشديق ، وجانب أصحاب التعقيب ^(٣) ، واستعمل المبسوط في موضع البسط ، والمقصور في موضع القصر ، وهَجَرَ الغريب الوحشي ، ورَغِبَ عن المهجين السوقي ، فلم ينطقْ إلا عن ميراثِ حكمة ، ولم يتكلَّم إلا بكلامٍ قد حُفَّ بالعصمة ، وشُيِّد بالتأييد ^(٤) ، ويُسرَّ بالتوفيق . وهو ^(٥) الكلام الذى ألقى الله عليه المحبة ، وغشَّاه بالقبول ، وجمع له بين المهابة والحلاوة ، وبَيَّنَّ حُسْنَ الإفهام ، وقَلَّه عدد الكلام ، مع استغنائه عن إعادته ، وقَلَّه حاجة السامع إلى معاودته . لم تسقط له كلمة ، ولا زَلَّتْ به قَدَمٌ ^(٦) ، ولا بَارَتْ له حُجَّةٌ ، ولم يَقُمْ له حَصَمٌ ، ولا أَفحَمَه خطيبٌ ، بل يَبْدُ الحُطْبُ الطَّوَالُ بالكَلِمِ ٢٤٦
- القِصار ^(٧) ولا يَلْتَمِسُ إسكَاتَ الحَصَمِ إلا بما يعرفه الخصم ، ولا يَحْتَجُّ إلا بالصدِّق ولا يطلب الفلج إلا بالحق ^(٨) ، ولا يستعين بالخلابة ، ولا يستعمل المواربة ، ولا يهجر ولا يَلْمِز ^(٩) ، ولا يَبْطِئُ ولا يَعْجَلُ ، ولا يُسْهِبُ ولا يَخْصِرُ ^(١٠) . ثم لم يَسْمَعْ الناسُ بكلامٍ قَطَّ أَعَمَّ نفعاً ، ولا أَقْصَدَ لفظاً ، ولا أَعْدَلَ وزناً ، ولا أَجْمَلَ

١٥

(١) ل : « وكثرت معانيه » .

(٢) الآية ٨٦ من سورة ص ، وتلاوتها : « قل ما أسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين » .

(٣) التعقيب كالتغير ، وهو أن يتكلم بأقصى قمر فمه . انظر ما سبق في (١ : ١٣) . ح :

« التغير » وبذلك بدلت في ب .

(٤) هـ عن نسخة : « وسدد بالتأييد » .

٢٠

(٥) فيما عدا ل : « وهذا » .

(٦) فيما عدا ل : « له قدم » .

(٧) فيما عدا ل : « بالكلام القصير » .

(٨) الفلج ، بالفتح وبالتحريك أيضاً : الفوز والظفر ، كما في اللسان .

(٩) الهمز : العيب في الغيبة ؛ واللمز : العيب في الحضرة .

٢٥

(١٠) حصر يحصر حصراً ، من باب تعب : عى في كلامه .

مذهباً ، ولا أكرم مطلباً ، ولا أحسن موقعاً ، ولا أسهل مخرجاً ، ولا أفصح معنى ، ولا أبين في فحوى ^(١) ، من كلامه ﷺ كثيراً .

قال : ولم أرهم يذمون المتكلف للبلاغة فقط ، بل كذلك يرون المتظرف والمتكلف للغناء . ولا يكادون يضعون اسم المتكلف إلا في المواضع التي يذمونها . قال قيس بن الخطيم :

فما المأل والأخلاق إلا مُعارة فما استطعت من معروفها فتزود ^(٢)
وإني لأغنى الناس عن متكلف يرى الناس ضللاً وليس بمهتد
وقال ابن قميئة ^(٣) :

وحُمّال أثقال إذا هي أعرضت عن الأضل لا يستطيعها المتكلف

قال محمد بن سلام : قال يونس بن حبيب : « ما جاءنا عن أحد من روائع الكلام ما جاءنا عن رسول الله ﷺ ^(٤) » .

وقد جمع لك في هذا الكتاب ^(٥) جُملاً التقطناها من أفواه أصحاب الأخبار . ولعل بعض من يتسبع في العلم ، ولم يعرف مقادير الكلم ، يظن أنا قد تكلفنا له من الامتداح والتشريف ، ومن التزيين والتجويد ما ليس عنده ، ولا يبلغه قدره . كلاً والذي حرّم التزيّد على العلماء ، وقبّح التكلف عند الحكماء ، وبهرج الكذابين عند الفقهاء ، لا يظن ^(٦) هذا إلا من ضلّ سعيه !

(١) فيما عدل : « أفصح من معناه ولا أين في فحواه » . والفحوى : المعنى .

(٢) الببتان من قصيدة لقيس في ديوانه ٢٠ - ٢٢ .

(٣) هو عمرو بن قميئة بن ذريح بن سعد بن مالك بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة ، أحد شعراء الجاهلية ، دخل مع امرئ القيس بلاد الروم فهلك فقيل له : « عمرو الضائع » . المؤلف ١٦٨ والخزانة (٢ : ٢٤٩ - ٢٥٠) والأغاني (١٦ : ١٥٨ - ١٦٠) والمعمرين ٨٩ . وفيه يقول امرؤ القيس (ابن سلام ٥٩) .

بكي صاحبي لما رأى الرب دونه وأيقن أنا لاحقان بقيصرا

(٤) انظر الاستدراكات الملحقه بالجزء الرابع .

(٥) فيما عدل : « وقد جمعنا في هذا الكتاب .

(٦) ل : « ما يظن » .

فمن كلامه ﷺ حين ذكر الأنصار فقال : أَمَا وَاللَّهِ مَا عَلِمْتُكُمْ إِلَّا لَتَقْلُونَ عِنْدَ الطَّمْعِ ، وَتَكْثُرُونَ عِنْدَ الْفَزَعِ » . وقال : « النَّاسُ كُلُّهُمْ سِوَاءٌ كَأَسْنَانِ الْمُشْطِ » ، و « الْمَرْءُ كَثِيرٌ بِأَخِيهِ » ، و « لَا خَيْرَ فِي صَحْبَةٍ مِنْ لَا يَرَى لَكَ مِثْلَ مَا تَرَى لَهُ » ^(١) . وقال الشاعر ^(٢) :

سِوَاءٌ كَأَسْنَانِ الْحِمَارِ فَلَا تَرَى لِيَذَى شَيْبَةٍ مِنْهُمْ عَلَى نَاشِئٍ فَضْلاً ^(٣)
وقال آخر :

شِبَابُهُمْ وَشَيْبُهُمْ سِوَاءٌ فَهُمْ فِي اللَّوْمِ أَسْنَانُ الْحِمَارِ ^(٤)
وإذا حصّلت تشبيه الشاعر وحقيقته ، وتشبيه النبي ﷺ وحقيقته ، عرفت فصل ما بين الكلامين .

وقال ﷺ : « الْمُسْلِمُونَ تَتَكَافَأُ دِمَاؤُهُمْ ، وَيَسْعَى بِذِمَّتِهِمْ أَدْنَاهُمْ » ^(٥) ، ويردُّ عليهم أقصاهم ، وهم يدُّ على مَنْ سِوَاهُمْ ^(٦) .
فتفهّم، رحمك الله ، قلة حروفه ، وكثرة معانيه .

وقال عليه السلام : « الْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى ، وَابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ » .
وقال : « لَا تَحْنِ يَمِينُكَ عَلَى شِمَالِكَ » . وذَكَرَ الْخَيْلَ فَقَالَ : « بِطَوْنِهَا كُنْزٌ ، وَظُهُورُهَا حِرْزٌ » ، وقال : « خَيْرُ الْمَالِ سِكَّةٌ مَأْبُورَةٌ ، وَفَرَسٌ مَأْمُورَةٌ » ^(٧) .

(١) فيما عدل : « مَنْ لَا يَرَى لَكَ مَا يَرَى لِنَفْسِهِ » .

(٢) هو كثير عزة ، كما في تهذيب الألفاظ ١٩٨ واللسان (سور) والميلاني (١ : ٣٠١) .
ونسب في ثمار القلوب ٢٩٧ إلى ابن أحرر .

(٣) الرواية المشهورة ، وهي رواية الحيوان (٦ : ١٥٧) : « سِوَاءٌ » ، وهما بمعنى .

(٤) أنشد البيت في اللسان (سوى) وثمار القلوب ٢٩٧ .

(٥) في اللسان : « أَبُو عُبَيْد : الذِّمَّةُ الْأَمَانُ فِي قَوْلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ : وَيَسْعَى بِذِمَّتِهِمْ أَدْنَاهُمْ » .

(٦) أى كلمتهم واحدة وأمرهم مجتمع ، لا يسمعهم التخاذل . والجملة قبلها ساقطة من هـ .

(٧) فيما عدل : « مَهْرَةٌ مَأْمُورَةٌ ، وَسِكَّةٌ مَأْبُورَةٌ » . السكة : السطر المصطف من النخل .

المأبورة : المصلحة الملقحة . والمأمورة : الكثيرة النتاج والنسل ؛ من قولهم : أمر الله ماله وأمره ، أى كثّره

وبارك فيه . انظر مقاييس اللغة (١ : ١٣٨) .

وقال : « خير المال عينٌ ساهرة ، لعين نائمة ^(١) » . وقال : « نعمت العمّة لكم النخلة ، تُغرس في أرضٍ خَوّارة ، وتشرب من عينٍ خَرّارة ^(٢) » . وقال : « المطاعم في المَحَل ، الراسخات في الوَحْل » . وقال : « الحُمى في أصول النخل » . وذكر الخيل فقال : « أعرافها دِفَاؤُها ^(٣) ، وأذنانها مَذَابُها » ، و « الخيلُ معقودٌ في نواصيها الخيرُ إلى يوم القيامة » . وقال : « ليس مِنّا مَنْ حَلَقَ أو صَلَقَ ^(٤) أو شَقَّ » .

وقال : « نهيتكم عن عُقوق الأمهات ، ووَادِ البنات ، ومنع وهات ^(٥) » .

وقال : « الناس كالإبلِ المائة لا تجدُ فيها راحلة ^(٦) » .

وقال : « ما أُمْلَقُ تاجرٌ صدوق » .

وجاء في الحديث : « ما قَلَّ وَكَفَى خَيْرٌ مِمَّا كَثُرَ وألهي » .

وقال : « يحْمِلُ هذا العِلْمُ من كُلِّ خَلِيفٍ عُدُولَهُ ، يَنْفُونَ عنه تحريفَ ٢٤٨

الغالينَ ، وانتحالَ المُبْطِلينَ ، وتأويلَ الجاهلين » .

وقال عليُّ بنُ أبي طالبٍ رضي الله عنه : قال رسول الله ﷺ : « الخيرُ في

السَّيْفِ ، والخيرُ مع السيفِ ، والخيرُ بالسيفِ » . وقال « لا يُورِدَنَّ مُجْرِبٌ على

مُصْبِحٍ ^(٧) » . وقال : « لا تَزَالُ أَمَتِي صَالِحاً أَمْرُها ما لم تر الأمانةَ مَغْنَمًا وَالصَّدَقَةَ ١٥

مَغْرَمًا » . وقال : « رأسُ العقلِ بعد الإيمان بالله مَدَارَةُ الناس ^(٨) » ، و « لن

يَهْلِكَ امرؤٌ بعد مَشُورَةٍ » . وقال : « المستشارُ مُؤْتَمِنٌ » . وقال : « المستشار

(١) عين ساهرة ، أى عين ماء تجري ليلاً ونهاراً وصاحبها نائم .

(٢) أرض خَوّارة : لينة سهلة . عين خَرّارة : جارية لمائها خريز .

(٣) الدفاء ، بالكسر : ما يدفأ به . فيما عدل : « أدفاؤها » جمع دفاء .

(٤) يعنى حلق الشعر عند المصيبة . والصلق : رفع الصوت في المصائب . وسلق ، بالسين لغة

فيه . والشق : شق الثياب لذلك .

(٥) فسره في اللسان (منع) بقوله : « أى منع ما عليه إعطاؤه ، وطلب ما ليس له » .

(٦) المائة صفة للإبل . ويروى : « كالإبل مائة » . والراحلة من الإبل : البعير النجيب القوى على

الأسفار ، التام الخلق ، الحسن المنظر .

(٧) المجرب : صاحب الإبل الجَرَنِي . والمصح : من إبله صحيحة .

(٨) مداراة الناس : ملايتهم وحسن صحبتهم واحتمالهم لثلاث ينفروا .

بالخيار ، إن شاء قال وإن شاء أَمْسَكَ » ، وقال : « رحم الله عبداً قال خيراً فَعَنِمَ
أو سكت فسلِم » . وقال : « افصلوا بين حديثكم بالاستغفار » . وقال :
« استعينوا على طول المشى بالسَّعى » .

- وقال للختانة ^(١) : « يا أُمَّ عَطِيَّة ، أَشْمِيهِ وَلَا تَنْهَكِيهِ ؛ فَإِنَّهُ أُسْرَى
لِلوَجْهِ ، وَأَحْظَى عِنْدَ الزَّوْجِ ^(٢) » . وقال : « لَا تَجْلِسُوا عَلَى ظَهْرِ الطَّرِيقِ ، فَإِنْ
أَبَيْتُمْ فَعَضُّوا الْأَبْصَارَ وَرُدُّوا السَّلَامَ ، وَاهْلُؤُوا الضَّأْلَ ، وَأَعِينُوا الضَّعِيفَ » . وقال :
« إِنَّ اللَّهَ يَرْضَى لَكُمْ ثَلَاثًا وَيَكْرَهُ لَكُمْ ثَلَاثًا : يَرْضَى لَكُمْ أَنْ تَعْبُدُوهُ وَلَا تَشْرِكُوا بِهِ
شَيْئاً ، وَأَنْ تَعْتَصِمُوا بِحَبْلِهِ جَمِيعاً وَلَا تَفْرُقُوا ، وَأَنْ تُنَاصِحُوا مَنْ وَلَّاهُ اللَّهُ أَمْرَكُمْ .
ويَكْرَهُ لَكُمْ قِيلَ وَقَالَ ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ ، وَإِضَاعَةَ الْمَالِ » . وقال : « يَقُولُ ابْنُ آدَمَ :
مَالِي مَالِي . وَإِنَّمَا لَكَ مِنْ مَالِكَ مَا أَكَلْتَ فَأَقْنَيْتِ ، أَوْ لَيْسَتْ فَأَبْلَيْتِ ،
أَوْ وَهَبْتَ فَأَمْضَيْتِ » . وقال : « لَوْ أَنَّ لَابْنَ آدَمَ وَادِيَيْنِ مِنْ ذَهَبٍ لَسَأَلَ إِلَيْهِمَا
ثَالِثًا » . و « لَا يَمْلَأُ جَوْفَ ابْنِ آدَمَ إِلَّا التُّرَابُ ، وَيَتَوَبُّ اللَّهُ عَلَى مَنْ تَابَ » .
وقال : « إِنَّ الدُّنْيَا حُلُوةٌ خَضِرَةٌ ، وَإِنَّ اللَّهَ مُسْتَعْمِلُكُمْ فِيهَا ، فَنَظَرُ كَيْفَ تَعْمَلُونَ » .
وقال : « إِنَّ أَحَبَّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبَكُمْ مِنِّي مَجْلِساً ^(٣) يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، أَحَاسِنُكُمْ أَخْلَاقاً ،
الْمَوْطِنُونَ أَكْنَافاً ، الَّذِينَ يَأْلَفُونَ وَيُؤْلَفُونَ . وَإِنْ أَبْغَضَكُمْ إِلَيَّ وَأَبْعَدَكُمْ مِنِّي مَجْلِساً
يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، الثَّرَاوُونَ الْمُتَشَدِّقُونَ الْمُتَفَيِّهُونَ » . وقال : « إِيَّائِيَ وَالتَّشَادُقَ » ، وقال :
« إِيَّاكُمْ وَالْفَرَجَ فِي الصَّلَاةِ » ، وقال : « لَا يُؤْمِنُ ذُو سُلْطَانٍ فِي سُلْطَانِهِ
وَلَا يُجْلِسُ عَلَى فِرَاشٍ تَكْرِمَتُهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ^(٤) » . وقال : « إِيَّاكُمْ وَالْمَشَارَةَ ، فَإِنَّهَا

(١) فيما عدل : « للختانة » . والحديث في الحيوان (٧ : ٢٨) .

(٢) الإشمام . أن تأخذ منه قليلاً . أسرى : أجلي .

(٣) يروى : « مجالس » في الموضعين .

(٤) لا يؤمن ، أى لا يجعلن مأموماً ؛ من قولهم أم الإمام الناس في الصلاة : كان إمامهم . فيما
عدل : « يأمن ، تحريف . وعنى بفراش التكرمة ما يعد من الفرش والسرر لإكرام للرُّجل .

تمت العرة ، وتحبى العرة ^(١) . وقال : « لا ينبغي لصديق أن يكون لعانا » .
 وكان يقول : « أعوذ بالله من الأيهمين ، ويوار الأييم ^(٢) » . وكان يقول : « أعوذ
 بالله من دعاء لا يُسمع ، ومن قلب لا يخشع ، ومن علم لا ينفع ^(٣) » .

وقال له رجل : يا رسول الله ، أوصيني بشيء ينفعني الله به . قال : « أكثر
 ذكر الموت يُسلك عن الدنيا ، وعليك بالشكر ؛ فإنه يزيد في النعمة ^(٤) ،
 وأكثر الدعاء ؛ فإنك لا تدري متى يُستجاب لك ، وإياك والبغى ؛ فإن الله قد
 قضى أنه من بُغى عليه لينصرته الله ^(٥) » ، وقال : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَعَيْكُمْ عَلَى
 أَنْفُسِكُمْ ﴾ . وإياك والمكر ؛ فإن الله قد قضى ألا يحق المكر السيئ إلا بأهله » .
 وقيل : يا رسول الله ، أئى الأعمال أفضل ؟ فقال : « اجتناب المحارم ،
 وألا يزال فوق رطباً من ذكر الله » .

وقيل له : أئى الأصحاب أفضل ؟ قال : الذى إذا ذكرت أعانك ، وإذا
 نسيت ذكرك » .

وقيل : أئى الناس شر ؟ قال : « العلماء إذا فسدوا » .
 وقال : « دب إليكم ^(٦) داء الأمم من قبلكم : الحسد والبغضاء . والبغضاء
 هى الخالقة ، حالقة الدين لا أقول حالقة الشعر ^(٧) » . والذى نفس محمد بيده
 لا تؤمنون حتى تحابوا . ألا أنبئكم بأمر إذا فعلتموه تحاببتم ؟ » ، فقالوا : بلى يا رسول الله .

(١) المشاة : المعادة والمخاضة ، مفاعلة من الشر . والعة : القدر ، استعيرت العرة والعة للمحاسن والمثالب .

(٢) الأيهمان : الأعميان ، وهما السيل والحريق ، أو البعير المغتلم الهائج والسيل ، لأنه لا يهتدى

فيهما كيف العمل . والأيم : التى لا زوج لها ، بكرا كانت أو ثيبا ، أو هى التى مات عنها الزوج . ل :
 « من الأعميين » . وأشير فى حواشيها إلى هذه الرواية .

(٣) فيما عدل : « وقلب لا يخشع وعلم لا ينفع » .

(٤) فيما عدل : « فإن الشكر » .

(٥) موضع الكلام من « وإياك » إلى هنا ، فيما عدل ، بعد كلمة « أنفسكم » التالية ، وبذا
 يضطرب الكلام .

(٦) هـ « دب فيكم » .

(٧) ما عدل : « لا حالقة الشعر » .

قال (١) : « أَفْشُوا السَّلَامَ (٢) ، وَصَلُوا الْأَرْحَامَ » .

وقال : « تَهَادَوْا تَحَابُّوا » .

وعن الحسن قال : قال رسول الله ﷺ : « أَوْصَانِي رَبِّي بِتَسْعَ : أَوْصَانِي بِالْإِخْلَاصِ فِي السِّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ ، وَبِالْعَدْلِ فِي الرِّضَا وَالْغَضَبِ ، وَبِالْقَصْدِ فِي الْغِنَى وَالْفَقْرِ ، وَأَنْ أَعْفُو عَمَّنْ ظَلَمَنِي ، وَأُعْطِيَ مَنْ حَرَمَنِي ، وَأَصِلَ مَنْ قَطَعَنِي ، وَأَنْ يَكُونَ صَمْتِي فِكْرًا ، وَنَطْقِي ذِكْرًا ، وَنَظْرِي عِبْرًا » .

وثلث كلمات رُوِيَتْ مُرسَلَةً ، وقد رُوِيَتْ لأَقْوَامٍ شَتَّى ، وقد يجوز أن يكونوا حَكَّوْهَا وَلَمْ يُسَيِّلُوْهَا (٣) . منها قوله : « لَوْ تَكَاشَفْتُمْ لَمَّا تَدَاغْتُمْ (٤) » .

ومنها قوله : « النَّاسُ بِأَرْحَامِهِمْ ، أَشْبَهُ مِنْهُمْ بِآبَائِهِمْ » . ومنها قوله : « مَا هَلَكَ أَمْرٌ عَرَفَ قَدْرَهُ » .

وقد ذكر إسماعيل بن عِيَّاش (٥) ، عن عبد الله بن دينار (٦) قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِنَّ اللَّهَ كَرِهَ لَكُمْ الْعَبَثَ فِي الصَّلَاةِ ، وَالرَّفَثَ فِي

(١) الكلام بعد « تحاببتم » إلى هنا من ل فقط .

(٢) فيما عدل : « السلام بينكم » .

(٣) فيما عدل : « أن يكون إنما حكوها ولم يندوها » .

(٤) رواء في اللسان (دفن) ، وفسر التدافن بالتكاثم . وقال : « أي لو تكشف عيب بعضكم لبعض » . ورواه في (كشف) وقال : « ابن الأثير : أي لو علم بعضكم سريرة بعض لاستغل تشيع جنازته ودفنه » . وانظر ما سيأتي في (٢ : ١٣٢ — ١٣٤) .

(٥) ما عدل : « وقال إسماعيل بن عيَّاش » وهو أبو عتبة إسماعيل بن عيَّاش بن سلم العنسي الحمصي ، حافظ ثقة . قيل كان أهل حمص يتنقصون على بن أبي طالب ، حتى نشأ فيهم إسماعيل بن عيَّاش فحدثهم بفضائله فكفوا . وكان قد وفد على المنصور ، فولاه خزانة الثياب . تذكرة الحفاظ (١ : ٢٣٣) وتهذيب التهذيب ، وتاريخ بغداد ٣٢٧٦ .

(٦) هو أبو عبد الرحمن عبد الله بن دينار العدوي المدني ، كان من صالحى التابعين كثير الحديث . توفي سنة ١٢٧ . تهذيب التهذيب وتذكرة الحفاظ (١ : ١١٨) .

الصَّيَّامَ ، وَالضَّحِكَ عِنْدَ الْمَقَابِرِ ^(١) . » . وقال : « إِذَا أُذُنْتُ فَرُسَلْتُ ، وَإِذَا أُقْمَتْتُ فَاحْذَرِي ^(٢) » .

وَحَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ عَيَّاشٍ الْجَمَصِيُّ ، عَنْ الْحَسَنِ بْنِ دِينَارٍ ^(٣) عَنْ الْخَصِيبِ بْنِ جَحْدَرٍ ^(٤) ، عَنْ رَجُلٍ ، عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ ^(٥) قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « لَيْسَ مِنْ أَخْلَاقِ الْمُؤْمِنِ الْمَلَقُ إِلَّا فِي طَلَبِ الْعِلْمِ » .
وَمِنْ حَدِيثِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : « قِيدُوا الْعِلْمَ بِالْكِتَابِ » . وَقَالَ : يَقُولُ اللَّهُ : لَوْلَا رَجَالٌ تُخْشَعُ ، وَصِيْبَانِ رُضِعَ ، وَبِهَاتِمُ رُتِعَ ، لَصَبَّيْتُ عَلَيْكُمْ الْعَذَابَ صَبًّا ^(٦) .

وَمِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْمُبَارَكِ ^(٧) يَرْفَعُهُ قَالَ : « إِذَا سَادَ الْقَبِيلَ فَاسْقُهُمْ ، وَكَانَ زَعِيمَ الْقَوْمِ أَرْدَلَهُمْ ، وَأَكْرَمَ الرَّجُلُ أَثْقَاءَ شَرِّهِ ، فَلْيَنْتَظِرُوا الْبَلَاءَ » .

(١) انظر ما سيأتي في (٣ : ١٦٨) .

(٢) حذم في القراءة وغيرها : أسرع . وهذا ما في هـ . وفي ل . « فأخذه » . وسائر النسخ : « فاجزم » ، تحريف .

(٣) هو أبو سعيد الحسن بن دينار البصري . نسب إلى زوج أمه دينار ، واسم أبيه واصل . روى عن الحسن وابن سيرين وعبد الله بن دينار ، وروى عنه الثوري وأبو يوسف القاضي ، وكان يرى رأى القدري . لسان الميزان (٢ : ٢٠٣) وتهذيب التهذيب .

(٤) الخصيب بن جحدر ، ترجم له في لسان الميزان (٢ : ٣٩٨) ، وذكر أنه يروى عن عمرو ابن دينار وأبي صالح السمان . توفي سنة ١٤٦ .

(٥) فيما عدل : « وهو من حديث معاذ بن جبل » . ومعاذ بن جبل صحابي جليل ، وهو أحد من جمع القرآن على عهد الرسول ، شهد بدرًا وهو ابن إحدى وعشرين ، وأمره الرسول على اليمن وكتب إلى أهل اليمن « إني بعثت لكم خير أهل » . وقدم من اليمن في خلافة أبي بكر . وتوفي بالطاعون في الشام سنة ١٧ .
(٦) انظر ما سيأتي في (٣ : ١٥٣) .

(٧) هو أبو عبد الرحمن عبد الله بن المبارك الحنظلي القمي المروزي مولاهم ، كان أبوه تركيا وأمه خوارزمية ، كان من كبار الحفاظ ، بلغت كتيبه التي حدث بها نحو عشرين ألفاً . جمع العلم والفقه والأدب ، والنحو واللغة ، والشعر والفصاحة ، والزهد والورع والانصات ، وقيام الليل والعبادة ، والحج ، والغزو والغزوة والشجاعة والشدة في بدنه ، وترك الكلام فيما لا يعنيه ، وقلة الخلاف على أصحابه . ولد سنة ١١٨ وتوفي سنة ١٨١ . تهذيب التهذيب ، وصفة الصفوة . (٤ : ٢٠٩) وتذكرة الحفاظ (١ : ٣٥٣) وتاريخ بغداد ٥٣٠٦ .

ومن أحاديث ابن أبي ذئب ^(١) عن المَقْبُرِي ^(٢) ، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « سَتَحْرِصُونَ عَلَى الْإِمَارَةِ ، فَتَعْمَتِ الْمَرْضِعُ ، وَتُسْتِ الْفَاطِمَةُ ^(٣) » .

ومن حديث عبد الملك بن عمير ^(٤) ، عن عبد الرحمن بن أبي بكر ^(٥) ، عن أبيه قال : قال رسول الله ﷺ : « لَا يَحْكُمُ الْحَاكِمُ بَيْنَ اثْنَيْنِ وَهُوَ غَضَبَانِ » .
ومن حديث عبد الله بن المبارك ، قال : كان رسول الله ﷺ يقول : « إِنْ قَوْمًا رَكَبُوا سَفِينَةً فِي الْبَحْرِ فَاقْتَسَمُوا ، فَصَارَ لِكُلِّ رَجُلٍ مَوْضِعٌ ، فَتَقَرَّرَ رَجُلٌ مَوْضِعَهُ بِفَأْسٍ فَقَالُوا : مَا تَصْنَعُ ؟ قَالَ : هُوَ مَكَانٌ أَصْنَعُ بِهِ مَا شِئْتُ . فَإِنْ أَخَذْنَا عَلَى يَدَيْهِ نَجَا وَنَجَوَا ، وَإِنْ تَرَكُوهُ هَلَكَ وَهَلَكَوَا » .

-
- ١٠ (١) ابن أبي ذئب ، هو محمد بن عبد الرحمن بن المغيرة بن الحارث بن أبي ذئب - واسمه هشام - ابن شعبة بن عبد الله بن قيس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤي القرشي المدني . كان من أوثق المحدثين وأورعهم وأقومهم بالحق . وهو الذي قال للمنصور : « الظلم فاش ببابك » . وقيل إن المهدي حج فدخل المسجد فلم يبق إلا من قام ، إلا ابن ذئب ، فقيل له : قُمْ فهذا أمير المؤمنين ! فقال : إنما يقوم الناس لرب العالمين ! وكان يرى القدر ومالك يهجره من أجله . ولد عام الجحاف سنة ٨٠ وتوفي سنة ١٥٨ . تهذيب التهذيب ، وتذكرة الحفاظ (١ : ١٧٩) وتاريخ بغداد ٧٨٧ وصفة الصفة (٢ : ٩٨) والمعارف ٢١٢ .

- (٢) فيما عدل : « عن المغيرة » تحريف . والمقبري ، هو أبو سعد سعيد بن أبي سعيد - واسمه كيسان - المقبري ، نسبة إلى مقبرة بالمدينة كان مجاوراً لها . روى عن أبي هريرة وعائشة ومعاوية وأنس ، وعنه : مالك ، وابن أبي ذئب ، والليث بن سعد ، وقال ابن معين : أثبت الناس في سعيد ابن أبي ذئب . توفي سنة ١٢٣ . السمعاني ٥٣٩ ، وتذكرة الحفاظ (١ : ١١) وتاريخ دمشق لابن عساكر ، وتهذيب التهذيب .
(٣) فيما عدل - وهو يطابق مافي اللسان (رضع) - « فتعمت المرضعة » . فمن أدخل الهاء جعله نعتاً : أي المرضعة ، ومن حذفها أراد الاسم .
(٤) ترجمة عبد الملك بن عمير في (١ : ٥٧) .

- (٥) هو أبو بحر عبد الرحمن بن أبي بكر نفع بن الحارث الثقفي البصري ، وهو أول مولود ولد في الإسلام بالبصرة ، فأطعم أبوه أهل البصرة جزوراً فكفّتهم . تابعي ثقة ، ولاه عليّ بيت المال ، ثم ولاه ذلك زياد ولد سنة ١٤ وتوفي سنة ٩٦ تهذيب التهذيب . وقد سبقت ترجمة أبيه نفع في (١ : ١٧٣ ، ٣٢٧) .

وقال : « عَلَّقَ سَوَطُكَ حَيْثُ يَرَاهُ أَهْلُكَ » .

ودخل السائب بن صيفى ^(١) ، على النبي ﷺ فقال : يا رسول الله ،
أتعرفنى ؟ فقال : « كيف لا أعرف شريكى الذى كان لا يُشارينى ٢٥١
ولا يُمارينى ^(٢) » .

وقال رسول الله ﷺ : « يُؤْتَى بِالْوَالِىِّ الَّذِى يَجْلِدُ فَوْقَ مَا أَمَرَهُ اللَّهُ ٥
تعالى ^(٣) فيقول له الربُّ تعالى : أَيْ عَبْدِى ، لِمَ جَلَدْتَ فَوْقَ مَا أَمَرْتُكَ بِهِ ؟
فيقول : رَبِّ غَضِبْتُ لَغَضَبِكَ . فيقول : أَكَانَ يَنْبَغِى لَغَضَبِكَ أَنْ يَكُونَ أَشَدَّ مِنْ
غَضَبِى ؟! ثُمَّ يُؤْتَى بِالْمَقْصُرِّ فيقول : عَبْدِى ، لِمَ قَصَّرْتَ عَمَّا أَمَرْتُكَ بِهِ ؟ فيقول :
رَبِّ ، رَحِمْتُهُ . فيقول : أَكَانَ يَنْبَغِى لِرَحْمَتِكَ أَنْ تَكُونَ أَوْسَعَ مِنْ رَحْمَتِى ؟!
قال : فَيَأْمُرُ فِيهِمَا بِشَيْءٍ قَدْ ذَكَرَهُ لَا أَعْرِفُهُ ^(٤) ، إِلَّا أَنَّهُ قَالَ : صَيَّرَهُمَا إِلَى النَّارِ . ١٠
وكيع ^(٥) قال : حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ عُمَرَ ^(٦) ، عَنْ قَزَعَةَ ^(٧) قَالَ : قَالَ
لِ ابْنِ عُمَرَ ^(٨) : أَوَدَّعَكَ كَمَا وَدَّعَنِى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « أُسْتَوْدَعُ

(١) السائب بن صيفى بن عائذ بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، من جلة الصحابة ، كان شريك
النبي ﷺ فى الجاهلية ، وكان فى قتال أهل الردة ، وأدرك زمان معاوية . الإصابة ٣٠٥٩ .

(٢) لا يشارى ، من الشر ، على إبدال إحدى الرأىين ياء . لا يمارى : لا يخاصم فى شئ ليست
له منفعة . ١٥

(٣) فيما عدل : « ما أمر الله به » .

(٤) هـ عن نسخة : « لا أحفظه » .

(٥) هو أبو سفيان وكيع بن الجراح بن مليح الرؤاسى الكوفى الحافظ العابد . أراد الرشيد أن يوليه
قضاء الكوفة فامتنع . ولد سنة ١٢٨ وتوفى سنة ١٩٦ . تذكرة الحفاظ (١ : ٢٨٢) وتهذيب التهذيب
وصفة الصفوة (٣ : ١٠٢) . ٢٠

(٦) هو عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز ، المترجم فى (١ : ٢٧٧) .

(٧) هو أبو الغادية قزعة بن يحيى البصرى ، مولى زياد بن أبى سفيان ، روى عن ابن عمر وابن
عمرو بن العاص وأبى هريرة ، وعنه قتادة ومجاهد وعمرو بن دينار وغيرهم . تابعى ثقة . تهذيب التهذيب .

(٨) هو الصحابى الجليل عبد الله بن عمر بن الخطاب . كان كثير الحديث شديد الورع . ولد
سنة ثلاث من البعثة ، وتوفى سنة ٧٣ من الهجرة . ويقال إن الحجاج دس له السم . الإصابة ٤٨٢٥
وصفة الصفوة (١ : ٢٢٨) ووفيات الأعيان والمعارف ٨٠ . ٢٥

الله دينك وأمانتك وخواتم عملك (١) .

وقال : « كل أرض بسمائها » .

- وروى سعيد بن عفير (٢) عن ابن لهيعة (٣) ، عن أشياخه ، أن النبي ﷺ كتب إلى وائل بن حجر الحضرمي ولقومه : « من محمد رسول الله ﷺ إلى الأقبال العباهلة من أهل حضرموت ، بإقام الصلاة وإيتاء الزكاة : على التبعة شاة ، والتبعة لصاحبها (٤) ، وفي السيوب الخمس (٥) . لا خياط ، ولا وراط (٦) ، ولا شينق ولا شيعار (٧) . فمن أجبي فقد أرى (٨) . وكل مسكر حرام » .

- ومن حديث راشد بن سعيد أن رسول الله ﷺ قال : « لا تغالوا بالنساء (٩) فإنما هن سقيا الله » . وقال : « خير نساء ركن الإبل صوالح

(١) فيما عدل : « خواتم » ، وكلاهما صحيح .

(٢) هو سعيد بن كثير بن عفير الأنصاري المصري ، قال في تهذيب التهذيب : وقد ينسب إلى جده ، روى عن الليث ومالك وابن لهيعة ، وعنه : البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي . وكان من أعلم الناس بالأنساب والأخبار والمناقب والمثالب . وقال الحاكم : يقال إن مصر لم تخرج أجمع للعلوم منه ، ولد سنة ١٤٧ وتوفي سنة ٢٢٦ . انظر التهذيب وتذكر الحفاظ (٢ : ١٥) .

(٣) هو عبد الله بن لهيعة المترجم في (١ : ٣٦٢) .

(٤) التبعة ، بالكسر : الأربعون من الغنم . والتبعة ، بالكسر : الشاة الزائدة على الأربعين .

(٥) السيوب : جمع سيب ، يراد به المال المدفون في الجاهلية .

(٦) الخياط : أن يخلط رجل إبله بإبل غيره أو يقره أو غنمه ، لينع حق الله منها . والوراط :

الخدعية والغش .

(٧) الشناق : ما بين الفريضتين من الإبل والغنم ، فما زاد على الفريضة لا يؤخذ منه شيء حتى تتم الفريضة الثانية . والشغار : أن يزوج الرجل الرجل حريمته على أن يزوجه الآخر حريمته ، ويكون مهر كل واحدة منهما بضع الأخرى ، وقد كان ذلك في الجاهلية .

(٨) الإجابة : بيع الزرع قبل إدراكه . والإرباء من الربا .

(٩) فيما عدل : « في النساء » وفي اللسان . « لا تغالوا صدقات النساء ، وفي رواية : لا تغالوا

صدق النساء » .

نساءٍ قريش ، أحنأه على وليد في صغره . وأرعاه على يعمل في ذات يده ^(١) .
مُجَالِدٌ عن الشَّعْبِيِّ قال : قال رسول الله ﷺ : « اللهم أذهبْ مُلْكُ
غَسَّانَ ، وضعْ مهوَر كِنْدَةَ ^(٢) » .

والذى يدلُّك على أنَّ الله عزَّ وجلَّ قد خصَّه بالإيجاز وقلة عدد اللفظ ،
مع كثرة المعاني ، قوله ﷺ : « نُصِرْتُ بالصَّبَا ، وأُعْطِيتُ جوامِعَ الكلم ^(٣) » .
ومما رَوَوْا عنه ﷺ من استعماله الأخلاقَ الكريمة ^(٤) ، والأفعالَ الشريفة ، وكثرة
الأمر بها ، والنهي عما خالف عنها ، قوله : « مَنْ لم يقَبَلْ من متَنَصِّلْ عُذْرًا ، ٢٥٢
صَادِقًا كَانَ أَوْ كَاذِبًا ، لم يَرُدْ عَلَى الْحَوْضِ ^(٥) » . وقال في آخر وصيته : « اتقوا
الله في الضعيفين » .

وكلَّمته جارية من السَّبْيِ ^(٦) فقال لها : مَنْ أَنْتِ ؟ فقالت : أنا بنت الرجل
الجواد حاتم ^(٧) . فقال ﷺ : « ارحموا عزيزاً ذلَّ ، ارحموا عالمًا ضاع بين جُهَّال » .
وقال : « سرعة المشي تذهبُ بيهاء المؤمن » .

وعن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الأحاديث ستكثر عني
بعدي كما كثرت عن الأنبياء ^(٨) مِنْ قَبْلِي ، فما جاءكم عني فاعرضوه على كتاب
الله ، فما وافق كتاب الله ، فهو عني ، فلتُّه أو لم أَقُلْهُ » .
وسئلت عائشة رضي الله عنها عن خُلُقِ رسول الله ﷺ فقالت : « خُلُقُ
القرآن » ، وتلَّتْ قولَ الله تبارك وتعالى : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ .

(١) قال ابن الأثير : إنما وَحَد الضمير ذهاباً إلى المعنى ، تقديره أحنى من وجد أو خلق .

(٢) سيأتي في (٣ : ٢٨٩) .

(٣) انظر (٤ : ٢٩) .

(٤) ل : « الجميلة » .

(٥) المتنصل : المعتذر المتبرئ من ذنبه .

(٦) فيما عدا ل : « في السَّبْيِ » .

(٧) ل : « بنت حاتم الجواد » .

(٨) ل : « ستكثر بعدي كما كثرت على الأنبياء » .

وقال محمد بن علي^(١) أَذَبَ اللَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ بأحسن الآداب ، فقال : ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ ، فلما وعى قال : ﴿ مَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ ﴾ .

حدثنا علي بن مجاهد ، عن هشام بن عروة^(٢) ، قال : سَمِعَ عمر بن الخطاب رحمه الله رجلاً ينشد :

متى تأتبه تعشوا إلى ضوءِ ناره
تجد خير ناري عندها خير موقد^(٣)
فقال عمر : ذاك رسول الله ﷺ .

وقد كان الناس يستحسنون قول الأعشى :

تُشَبُّ لِمَقْرُورَيْنِ يَصْطَلِيَانِهَا
وبأت على النار التدى والمُحَلَّقُ^(٤)

فلما قال الحطيئة البيت الذي كتبناه قبل هذا سقط بيت الأعشى .

وقال رسول الله ﷺ : « لا يزال المسروق منه في تُهْمَةٍ مَنْ هو برىء ، حتى يكون أعظم جُرمًا من السَّارق » .

وقال أبو الحسن : أجزى رسول الله ﷺ الخيل وسبق بينها^(٥) ، فجاء فرس له أذهم سابقاً ، فجثا رسول الله ﷺ على ركبتيه وقال : « ما هو إلا بحر » .

فقال^(٦) عمر بن الخطاب : كَذَبَ الحُطَيْئَةُ حيث يقول :

وإنَّ جِيَادَ الخيل لا تستفزنا
ولا جاعلاتُ العاج فوق المعاصم

(١) هو محمد بن علي بن عبد الله بن عباس ، والد السفاح والمنصور ، وأول من نطق بالدعوة بالعباسية . توفي سنة ١٢٥ . تهذيب التهذيب .

(٢) ترجم علي في (١ : ٣٠١) وهشام في (١ : ٢٥٢) .

(٣) البيت للحطيئة في ديوانه ٢٥ . والخبر برواية أخرى في الأغاني (٢ : ٥٩) .

(٤) المحلق هذا : رجل من بني بكر بن كلاب . وضبط في اللسان بكسر اللام .

(٥) فيما عدل : « وسابق بينها » . وأشير في هـ إلى رواية « سبق » .

(٦) فيما عدل : « وقال » .

وقد زعم ناسٌ من العلماء أنه لم يستفزه سبقُ فرسه ، ولكنه أراد إظهارَ حُبِّ الخيل وتعظيم شأنها .

وكان رسولُ الله ﷺ يأكلُ على الأرض ، ويجلس على الأرض ^(١) ويلبس العباء ، ويجالس المساكين ، ويمشي في الأسواق ، ويتوسدُ يده ^(٢) ، ويُقصُّ من نفسه ، ويلطعُ أصابعه ، ولا يأكل متكئاً ، ولم ير قطُّ ضاحكاً ملء فيه . وكان يقول : « إنا أنا عبدٌ آكلٌ كما يأكل العبد ، وأشرب كما يشرب العبد ، ولو دُعيت إلى ذراعٍ لأجبت ، ولو أُهْدِيَّ إِلَى كُرَاعٍ لقبلت » . ولم يأكل قطُّ وحده ، ولا ضربَ عبده ، ولا ضربَ أحداً بيده إلا في سبيل ربِّه . ولو لم يكن من كرم عَفْوهِ وَثَّانَةً جِلْمُهُ ^(٣) ، إلا ما كان منه يومَ فتح مكة ، لقد كان ذلك من أكمل الكمال ، وأوضح البرهان ^(٤) . وذلك أنه حين دخل مكة عَنُوةً وقد قتلوا أعمامه وبنى أعمامه ، وأولياءه وأنصاره ^(٥) ، بعد أن حَصَرُوهُ فِي الشَّعَاب ، وعذبوا أصحابه بأنواع العذاب ، وجرحوه في بَدَنِهِ ^(٦) ، وآذَوْهُ فِي نَفْسِهِ ، وسَفِهُوا عَلَيْهِ ، وأجمعوا على كيدِهِ . فلَمَّا دخلها بغيرِ حمدِهِمْ ، وظَهَرَ عَلَيْهَا عَلَى صُغُرِ مِنْهُمْ ^(٧) ، قام خطيباً فيهم ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : « أَقُولُ كَمَا قَالَ أَخِي يُوسُفُ : لَا تُثْرِبْ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَعْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ » .

وإنما نقول في كل بابٍ بالجملة من ذلك المذهب ، وإذا عرفتم أول كل باب كنتم خُلُقَاء أن تعرفوا الأواخر بالأوائل ، والمصادر بالموارد .

(١) فيما عدل ، هـ : « يجلس على الأرض ويأكل على الأرض » .

(٢) فيما عدل ، هـ : « يده الشريفة » .

(٣) قالوا : رجلٌ نخين : حلیم رزین ثقیل فی مجلسه . فيما عدل : « رجاحة » .

(٤) وأوضح البرهان ، من ل فقط .

(٥) فيما عدل : « وقادة أنصاره » .

(٦) ل : « يديه » والصواب ما أثبت من سائر النسخ .

(٧) أى غلب على مكة وهم في ذلة . فيما عدل : « وظهر عليهم » .

خطبة النبي ﷺ في الوداع ^(١)

قال ﷺ ^(٢) : الحمد لله ، نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ ، وَنَسْتَغْفِرُهُ وَنَتُوبُ إِلَيْهِ ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا ، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا . مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ ، وَمَنْ يُضِلِّ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ . وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ . أَوْصِيَكُمْ عِبَادَ اللَّهِ بِتَقْوَى اللَّهِ ، وَأَحْسَنُكُمْ عَلَى طَاعَتِهِ ، وَأَسْتَفْتِيْهُ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ . أَمَّا بَعْدُ ، أَيُّهَا النَّاسُ اسْمَعُوا مِنِّي أَيُّنَّ لَكُمْ ، فَإِنِّي لَا أَدْرِي ، لَعَلِّي لَا أَلْقَاكُمْ بَعْدَ عَامِي هَذَا فِي مَوْقِفِي هَذَا . أَيُّهَا النَّاسُ : إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ حَرَامٌ عَلَيْكُمْ ^(٣) إِلَى أَنْ تَلْقَوْا رَبَّكُمْ ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا فِي بَلَدِكُمْ هَذَا .

ألا هل بَلَّغْتَ ؟ اللَّهُمَّ اشْهَدْ ^(٤) .

فَمَنْ كَانَتْ عِنْدَهُ أَمَانَةٌ فَلْيُؤَدِّهَا إِلَى الَّذِي ائْتَمَنَتْ عَلَيْهَا . وَإِنَّ رِيَا الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعٌ ^(٥) ، وَإِنَّ أَوَّلَ رِيَا أُبْدِيَ بِهِ رِيَا عَمِّي الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ . وَإِنَّ دِمَاءَ الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعَةٌ ، وَإِنَّ أَوَّلَ دِمٍ نَبْدِيَ بِهِ دِمُ عَامِرِ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ . وَإِنَّ مَآثِرَ الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعَةٌ ، غَيْرَ السِّدَانَةِ ^(٦) وَالسَّقَايَةِ .

(١) فيما عدا ل : « ومن خطبه صلى الله تعالى وسلم خطبة الوداع وهي » .

(٢) هذه العبارة من ل فقط . والخطبة في الطبرى (٣ : ١٦٨) وابن الأثير (٢ : ١٤٦) ،

وابن ألى الحديد (١ : ٣١) ، والعقد ، وإعجاز القرآن ، وسيرة ابن هشام ٩٦٨ وسائر كتب السير .

(٣) ل : « عليكم حرام » .

(٤) فيما عدا ل ، هـ : « فاشهد » في هذا الموضع وسائر المواضع .

(٥) يقال وضعت عنه الدين والجزية ونحوهما ، إذا أسقطته .

(٦) السدانة : خدمة الكعبة . وهي بفتح السين وكسرها ، كما في اللسان . وضبطت في القاموس

بالفتح ، وفي المصباح بالكسر . وكانت السدانة واللواء لبنى عبد الدار في الجاهلية ، فأقرها الرسول لهم في الإسلام ، والسقاية : ما كانت قريش تسقيه الحجاج من الزبيب المنبوذ في الماء .

وَالْعَمْدُ قَوْدٌ ^(١) ، وَشِبْهُ الْعَمْدِ : مَا قُتِلَ بِالْعَصَا وَالْحَجَرِ ، وَفِيهِ مِائَةٌ بَعِيرٌ ، فَمَنْ زَادَ فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ .

أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ يَمْسُ أَنْ يُعَبِّدَ فِي أَرْضِكُمْ هَذِهِ ، وَلَكِنَّهُ قَدْ رَضِيَ أَنْ يُطَاعَ فِيمَا سِوَى ذَلِكَ مِمَّا تُحَقِّقُونَ مِنْ أَعْمَالِكُمْ .

أَيُّهَا النَّاسُ : إِنَّ التَّسْيَّ ^(٢) زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضِلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحْلَوْنَ عَاماً وَيُحَرِّمُونَهُ عَاماً لِيُؤَاطِفُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ ^(٣) فَيَحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ . إِنَّ الزَّمَانَ قَدْ اسْتَدَارَ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ . وَإِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ ، مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ :

ثَلَاثَةٌ مَتَوَالِيَاتٍ وَوَاحِدٌ فَرْدٌ : ذُو الْقَعْدَةِ وَذُو الْحِجَّةِ وَالْمَحْرَمِ ، وَرَجَبُ ٢٥٥
الَّذِي بَيْنَ جُمَادَى وَشَعْبَانَ .

أَلَا هَلْ بَلَغْتَ ؟ اللَّهُمَّ اشْهَد !

أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ لِنَسَائِكُمْ عَلَيْكُمْ حَقًّا ، وَلَكُمْ عَلَيْهِنَّ حَقٌّ . لَكُمْ عَلَيْهِنَّ
أَلَّا يُؤْطِفْنَ فُرْشَكُمْ غَيْرَكُمْ ، وَلَا يُدْخِلْنَ أَحَدًا تَكْرَهُنَّ بِيُوتِكُمْ إِلَّا بِإِذْنِكُمْ ،
وَلَا يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبِينَةٍ . فَإِنْ فَعَلْنَ فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ أَذِنَ لَكُمْ أَنْ تَعْضُلُوهُنَّ وَتَهْجُرُوهُنَّ
فِي الْمَضَاجِعِ ، وَتَضْرِبُوهُنَّ ضَرْبًا غَيْرَ مَبْرَحٍ ، فَإِنْ انْتَهَيْنَ وَأَطَعْتِكُمْ فَعَلَيْكُمْ رِزْقُهُنَّ
وَكُسُوتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ . وَإِنَّمَا النَّسَاءُ عِنْدَكُمْ عَوَانٍ لَا يَمْلِكْنَ أَنْفُسَهُنَّ شَيْئاً ^(٤) ،
أَخَذْتُمُوهُنَّ بِأَمَانَةِ اللَّهِ ، وَاسْتَحْلَلْتُمْ فُرُوجَهُنَّ بِكَلِمَةِ اللَّهِ . فَاتَّقُوا اللَّهَ فِي النَّسَاءِ
وَاسْتَوْصُوا بِهِنَّ خَيْرًا .

أَلَا هَلْ بَلَغْتَ ؟ اللَّهُمَّ اشْهَد !

(١) أَى فِي الْقَتْلِ الْمَتَعَمَّدِ الْقَوْدُ . وَهُوَ بِالتَّحْرِيكِ : قَتْلُ الْقَاتِلِ بِالْقَتْلِ .

(٢) كَذَا وَرَدَ فِي جَمِيعِ النُّسخِ . وَنَصَ الْآيَةُ : (إِنَّمَا النَّسَاءُ) .

(٣) سَائِرُ الْآيَةِ مِنْ لَفْظٍ فَقَطْ . وَفِي هـ : « يُضِلُّ بِهِ » ، وَهِيَ قِرَاءَةٌ يَعْقُوبُ وَالْحَسَنُ .

(٤) الْعَوَانُ : جَمْعُ عَانِيَةٍ ، وَهِيَ الْأَسِيرَةُ ، أَى هُنَّ عِنْدَكُمْ بِمَنْزِلَةِ الْأَسْرَى .

أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ، وَلَا يَحِلُّ لِمَرِيءٍ مُسْلِمٍ ^(١) مَالُ أَخِيهِ إِلَّا عَنْ طَيِّبِ نَفْسٍ مِنْهُ .

أَلَا هَلْ بَلَغْتُ ؟ اللَّهُمَّ اشْهَد !

فَلَا تَرْجِعُنَّ بَعْدِي كُفَّارًا يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ ، فَإِنِّي قَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا إِنِ اخَذْتُمْ بِهِ لَمْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ : كِتَابُ اللَّهِ .

أَلَا هَلْ بَلَغْتُ ؟ اللَّهُمَّ اشْهَد !

أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ ؛ وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ ؛ كَلَّكُمْ لَادِمٌ وَآدَمُ مِنْ تَرَابٍ . أَكْرَمُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ، إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ^(٢) . وَلَيْسَ لِعَرَبٍ عَلَى عَجَمِي فَضْلٌ إِلَّا بِالتَّقْوَى .

أَلَا هَلْ بَلَغْتُ ؟ اللَّهُمَّ اشْهَد !

قَالُوا : نَعَمْ . قَالَ : فَلْيَبْلُغِ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ .

أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّ اللَّهَ قَسَمَ لِكُلِّ وَارِثٍ نَصِيبَهُ مِنَ الْمِيرَاثِ ، فَلَا تَجُوزُ لَوَارِثٍ وَصِيَّةٌ ، وَلَا تَجُوزُ وَصِيَّةٌ فِي أَكْثَرِ مِنَ الثَّلَاثِ . وَالْوَلَدُ لِلْفِرَاشِ ، وَلِلْعَاهِرِ الْحَجَرُ . مَنْ أَدْعَى إِلَى غَيْرِ أَبِيهِ ، أَوْ تَوَلَّى غَيْرَ مُوَالِيهِ فَعَلِيهِ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ، لَا يُقْبَلُ مِنْهُ صَرْفٌ وَلَا عَدْلٌ ^(٣) . وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ .

* * *

وَعَنِ الْحَسَنِ قَالَ : جَاءَ قَيْسُ بْنُ عَاصِمٍ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَلَمَّا رَأَاهُ ^(٤) قَالَ : هَذَا سَيِّدُ أَهْلِ الْوَبَرِ . فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، خَبِّرْنِي عَنِ الْمَالِ الَّذِي لَا تَكُونُ

(١) هذه الكلمة من ل فقط . وكلمة « منه » التالية ساقطة من هـ .

(٢) هذه الجملة ليست في هـ .

(٣) أى لا يُقْبَلُ مِنْهُمْ شَيْءٌ . وَأَصْلُ الْعَدْلِ أَنْ يَقْتُلَ الرَّجُلُ بِالرَّجُلِ . وَالصَّرْفُ : أَنْ يَنْصَرِفَ عَنِ الدَّمِ إِلَى أَخْذِ الدِّيَةِ .

(٤) فِيمَا عَدَا لَ : « نَظَرَ إِلَيْهِ » .

على فيه تَبِعَةٌ ^(١) من ضيف ضافني ، أو عيال كَثُرُوا على . قال : « نعم المال الأربعون ، والأكثر الستون ، وويل لأصحاب اليمين ^(٢) إلا مَنْ أعطى في رِسْلِهَا ٥٦ وَنَجَدْتَهَا ^(٣) ، وأطرقَ فَحَلَّهَا ^(٤) ، وأفقرَ ظَهَرَهَا ^(٥) ، ونَحَرَ سَمِيْنَهَا ، وأطعم القانع والمُعْتَرَّ ^(٦) » . قال : يا رسول الله ، ما لُكْرَمَ هذه الأخلاق وأحسنها ، وما يَحُلُّ بالوادي الذي أكون فيه أَكْثَرُ من إبل . قال : فكيف تصنع بالطَّروقة ؟ قال : تغدو الإبل ويغدو الناس ، فمن شاء أخذ برأسٍ بعيرٍ فذهب به . قال : فكيف تصنع في الإفقار ^(٧) ؟ قال : إني لأفقر البكر الضرع ^(٨) ، والثَّابِ المسنة . قال : فكيف تصنع بالمنيحة ^(٩) ؟ قال : إني لأمنحُ في كلِّ سنةِ مائة . قال : فأىُّ المال أحبُّ إليك ، أمالك أم مالُ مولاك ؟ قال : بل مالي . قال : « فما لك من مالك إلا ما أكلت فأفريت ، أو لبست فأبليت ، أو أعطيت فأمضيت . وما سوى ذلك للوارث » .

وذكر أبو المقدام هشام بن زياد ^(١٠) ، عن محمد بن كعب القرظي ^(١١) قال :

(١) التبعة : ما يتبع المال من نوائب الحقوق . ل : « تبع » .

(٢) ل : « الثمانين » .

(٣) في رسلها ، أى بطيب نفس منه . وفي نجدتها : ألا تطيب نفسه بإعطائها ويشد عليه . وقيل ١٥ الرسل : الخصب . والنجدة : الشدة .

(٤) أطرق فحلها : أعاره غيره ليضرب في إبله .

(٥) أفقر ظهرها : أعاره للركوب .

(٦) القانع : الذي يسأل . والمعتر : الذي يطيب بك يطلب ما عندك ، سألَكَ أو سكت عن السؤال .

(٧) الإفقار فسر قريبا . ل : « بالإفقار » . ٢٠

(٨) البكر : الفتى من الإبل بمنزلة الشاب من الناس . والضرع ، بالتحريك : الضعيف .

(٩) المنيحة : أن يجعل الرجل لبن شاته أو ناقته لآخر ، سنة .

(١٠) أبو المقدام هشام بن زياد بن أبي يزيد القرظي المدني ، ضعيف لا يحتج بحديثه . تهذيب التهذيب .

(١١) هو أبو حمزة محمد بن كعب بن سليم بن أسد القرظي المدني ، كان أبوه من سبي قريظة ،

كان محمد ثقة عالما كثير الحديث ورعا . توفي سنة ١١٧ . تهذيب التهذيب والسمعي ٢٤٨ وصفة ٢٥

الصفحة (٢ : ٧٥) .

- دخلت على عمر بن عبد العزيز في مرضه الذي مات فيه ، فجعلت أجد النظر إليه ، فقال لي : يا ابن كعب ، ما لك تُجد النظر إلى ؟ قلت : لِمَا نَحَلَ مِنْ جِسْمِكَ ، وَتَغَيَّرَ مِنْ لَوْنِكَ . قال : فكيف لو رأيته بعد ثلثة في قبري ، وقد سألت حدقته على وجنتي ، وابتدر فمي وأنفي صديداً ودوداً ؛ كنت والله أشد نكرة لي ^(١) . أعذ علي حديثاً ^(٢) كنت حدثتني عن عبد الله بن عباس .
- قال : سمعت ابن عباس يقول : كان رسول الله ﷺ يقول : « إن لكل شيء شرفاً ، وإن أشرف المجالس ما استقبل به القبلة ، ومن أحب أن يكون أعز الناس فليتنق الله . ومن أحب أن يكون أقوى الناس فليتوكل على الله . ومن أحب أن يكون أغنى الناس فليكن بما في يدي الله أوثق منه بما في يديه ^(٣) » ؛ ثم قال :
- « ألا أنبئكم بشرار الناس ؟ » قالوا : بلى يا رسول الله . قال : « من نزل وحده ، ومنع رفده ، وجلد عبده » . ثم قال : « ألا أنبئكم بشر من ذلك ؟ » . قالوا : بلى يا رسول الله . قال : « من لا يقبل عثرة ، ولا يقبل معذرة ، ولا يغفر ذنباً » . ثم قال : « ألا أنبئكم بشر من ذلك ؟ » قالوا : بلى يا رسول الله . قال :
- « من يغيض الناس ويغيضونه . إن عيسى بن مريم عليه السلام قام خطيباً في بني إسرائيل فقال : يا بني إسرائيل ، لا تكلموا بالحكمة عند الجهال فتظلموها ، ولا تمنعوها أهلها فتظلموهم ، ولا تظلموا ولا تكافؤوا ظالماً فيبطل فضلكم . يا بني إسرائيل ، الأمور ثلاثة : أمر تبين رشده فاتبعوه ، وأمر تبين غيه فاجتنبوه ، وأمر اختلف فيه فإلى الله فردوه ^(٤) » .

وقال النبي ﷺ : « كل قوم على زينة من أمرهم ، ومفلة »

(١) النكرة ، بالتحريك : اسم من الإنكار ، كالنقمة من الإنفاق . هـ : « كنت إلى أشد نكرة » . ٢٠

(٢) فيما عدل ، هـ : « أعدته على حديثاً » مع سقوط كلمة « لي » قبلها .

(٣) فيما عدل : « في يد الله » و « في يده » .

(٤) ل : « فردوه إلى الله » .

في أنفسهم^(١) ، يُزْرُونَ عَلَى مَنْ سِوَاهُمْ . وَتَبَيَّنَ^(٢) الْحَقُّ فِي ذَلِكَ بِالْمَقَايِصَةِ بِالْعَدْلِ عِنْدَ أُولَى الْأَبَابِ مِنَ النَّاسِ .

وقال ﷺ « مَنْ رَضِيَ رَقِيقَهُ فَلْيُمْسِكْهُ ، وَمَنْ لَمْ يَرْضَ فَلْيَبْعِهِ ، فَلَا تَعَذِّبُوا خَلْقَ اللَّهِ » .

وقال في آخِرِ مَا أَوْصَى بِهِ : « اتَّقُوا اللَّهَ فِي الضَّعِيفِينَ »^(٣) .

قال ابن ثوبان^(٤) عن أبيه ، عن مكحول^(٥) ، عن جُبَيْرِ بْنِ نُفَيْرٍ^(٦) ، عن مالك بن يَخَامَرٍ^(٧) عن مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ ، قال : قال رسول الله ﷺ « عُمُرَانِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ خَرَابٌ يَثْرِبُ ، وَخَرَابٌ يَثْرِبُ خُرُوجُ الْمَلْحَمَةِ »^(٨) ، وَخُرُوجُ الْمَلْحَمَةِ فَتْحُ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ ، وَفَتْحُ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ خُرُوجُ الدَّجَالِ »^(٩) . ثُمَّ ضَرَبَ

١٠ (١) مفلحة : مفعلة من الفلاح . قال الخطابي : معناه أنهم راضون بعلمهم يفتنون به عند أنفسهم .

(٢) ل : « وبين » .

(٣) الحديث بتمامه : « اتَّقُوا اللَّهَ فِي الضَّعِيفِينَ : الْمَمْلُوكِ وَالْمَرْأَةِ » . وذكر السيوطي في الجامع الصغير (١ : ٢١) أنه حديث ضعيف .

(٤) هو أبو عبد الله عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان العنسي الدمشقي الزاهد ، روى عن أبيه وعن الزهري وعمرو بن دينار وطائفة ، وعنه : الوليد بن مسلم ، وعلى بن ثابت الجزري ، وعلى بن الجعد وآخرون . ولد سنة ٧٥ وتوفي سنة ١٦٥ . تاريخ بغداد ٥٣٥٦ وتهذيب التهذيب .

(٥) هو مكحول الشامي الفقيه ، أعجمي ، يقال كان اسم أبيه : سهراب . تابعي ثقة ، كان يرى القدر . توفي سنة ١١٣ . تهذيب التهذيب .

(٦) جبیر بن نفیر ، بالتصغير فيها ، بن مالك بن عامر الحضرمي الحمصي ، أدرك الجاهلية وزمان الرسول ، وأسلم في خلافة أبي بكر ، ومات سنة ٧٠ . الإصابة ١٢٧١ وتهذيب التهذيب .

(٧) مالك بن يخامر السكسكي الألحاني الحمصي ، يقال له صحبة . وذكره ابن حبان في ثقات التابعين . توفي سنة ٧٢ . الإصابة ٧٦٩٥ وتهذيب التهذيب . ويخامر بفتح التحتانية والمعجمة وكسر الميم ، كما في تقريب التهذيب . وفي الإصابة أن الياء قد تبدل همزة .

(٨) الملحمة : الواقعة العظيمة في الفتنة .

(٩) فيما عدل ، هـ : « قسطنطينية » بإسقاط اللام .

بيده على فخذ الذى حدثه أو منكبه ، ثم قال : « إِنَّ هَذَا لَحَقٌّ كَمَا أَنْتَ هَاهُنَا » ، أو « كَمَا أَنْتَ قَاعِدٌ » ، يعنى مُعَاذًا .

صالح المُرِّي عن الحسن البصرى ، قال : قال رسول الله ﷺ : حَصِّنُوا أَمْوَالَكُمْ بِالزَّكَاةِ وَدَاوُوا مَرْضَاكُمْ بِالصَّدَقَةِ ، وَاسْتَقْبِلُوا الْبَلَاءَ بِالْذُّعَاءِ .

كثير بن هشام ^(١) ، عن عيسى بن إبراهيم ^(٢) ، عن الضحَّاك ^(٣) ، عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : « الْجُمُعَةُ حَجٌّ الْمَسَاكِينِ » .

قال عوف ^(٤) ، عن الحسن ، أن النبى ﷺ قال : « اتَّقُوا اللَّهَ فِي النِّسَاءِ فَإِنَّهُنَّ عِنْدَكُمْ عَوَانٍ ^(٥) ، وَإِنَّمَا أَخَذْتُمُوهُنَّ بِأَمَانَةِ اللَّهِ ، وَاسْتَحْلَلْتُمْ فُرُوجَهُنَّ بِكَلِمَةِ اللَّهِ » . ٢٥٨

الواقدي ^(٦) ، عن موسى بن محمد بن إبراهيم التيمي ^(٧) عن أبيه قال : قال رسول الله ﷺ : « إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْجَوَادَ مِنْ خَلْقِهِ » . ١٠

أبو عبد الرحمن الأشجعي ^(٨) ، عن يحيى بن عبيد الله ^(٩) ، عن أبيه عن

(١) هو أبو سهل كثير بن هشام الكلاني الرقي ، من ثقات المحدثين ، خرج إلى الحسن بن سهل وهو بقم الصلح ، فمات هناك سنة ٢٠٧ . تهذيب التهذيب ، وتاريخ بغداد ٦٩٥٥ .

(٢) هو عيسى بن إبراهيم بن سيار الشعيري البركي البصري ، روى عنه أبو داود والبخارى . ١٥
توفى ٢٢٨ . تهذيب التهذيب .

(٣) هو أبو القاسم الضحَّاك بن مزاحم الهلالي . وقد سبقت ترجمته في (١ : ٢٥١) .
(٤) هو عوف بن أبي جميلة العبدى الهجرى البصرى . واسم أبى جميلة بندويه ، ويقال بل بندويه اسم أمه واسم أبيه رزينة . ثقة ثبت ، وكان شيعيا قدريا . توفى سنة ١٤٧ تهذيب التهذيب .
(٥) انظر ما سبق في ص ٣٦ ص ٥ .

(٦) هو محمد بن عمر بن واقد ، المترجم في (١ : ٣٧) . ٢٠
(٧) هو أبو محمد موسى بن محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي المدني ، كان فقيها محدثا ، وكان الأئمة ينكرون عليه حديثه . توفى سنة ١٥١ . تهذيب التهذيب .

(٨) هو أبو عبد الرحمن عبيد الله بن عبد الرحمن الكوفي ، الحافظ الثبت ، لزم سفيان الثوري مدة فكان يقول : سمعت من سفيان ثلاثين ألف حديث . ولما مات الثوري جلس موضعه ، ثم تحول بعد ذلك إلى بغداد . توفى سنة ١٨٢ . تذكرة الحفاظ (١ : ٢٨٦) وتاريخ بغداد ٥٤٥٩ والسمعاني ٣٩ . ٢٥
(٩) هو يحيى بن عبيد الله بن عبد الله بن موهب التيمي المدني ، روى عن أبيه ، وعنه : عبد الله بن =

أبى هريرة ، قال : قال رسول الله ﷺ : « ما خلا يهودي بمسلم قط إلا هَمَّ بقتله » ، ويقال : « حَدَّثَ نَفْسَهُ بِقَتْلِهِ » .

أبو عاصم النبيل ^(١) ، قال : حدثنا عبيد الله بن أبى زياد ^(٢) ، عن شهر ابن حوشب ^(٣) ، عن أسماء بنت يزيد ^(٤) قالت : قال رسول الله ﷺ وسلم : « مَنْ ذَبَّ عَنْ لَحْمِ أَخِيهِ بَطَّهَرَ الْغَيْبَ كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يَحْرِمَ لَحْمَهُ عَلَى النَّارِ » .

إسماعيل بن عياش ، عن الحسن بن دينار ، عن الخنصيص بن جحدر ، عن رجل ، عن معاذ ^(٥) بن جبل ، عن النبي ﷺ قال : « لَيْسَ مِنَ اخْلَاقِ الْمُؤْمِنِ الْمَلَقُ إِلَّا فِي طَلَبِ الْعِلْمِ » .

١٠ = المبارك ، والفضيل بن عياض ، ويحيى القطان وآخرون ، ولم يكن بثقة في الحديث . تهذيب التهذيب . فيما عدل : « يحيى بن عبد الله » .

(١) أبو عاصم النبيل ، هو الضحاك بن مخلد الشيباني البصري ، كان فقيها ثقة ، كثير الحديث ، وكان فيه مزاج . ولد سنة ١٢٢ وتوفي سنة ٢١٣ . تهذيب التهذيب وتذكرة الحفاظ (١ : ٣٣٣) .
(٢) هو عبيد الله بن أبى زياد القداح ، أبو الحصين المكي . اختلف في توثيقه . توفي سنة ١٥٠ . تهذيب التهذيب . ١٥

(٣) هو أبو سعيد شهر بن حوشب الأشعري الشامي مولى أسماء بنت يزيد بن السكن ، روى عنها وعن جمع من الصحابة ، وكان من القراء . وكان على بيت المال فيزعمون أنه أخذ منه خريطة فيها دراهم ، فقال فيه القطامي الكلبي ، أو سنان بن مكمل التميمي . كما في تاريخ الطبري (٨ : ١٢٢) :
لقد باع شهر دينه بخريطة فمن يأمن القراء بعدك يا شهر

٢٠ وقيل إن نحو هذا الخبر لا يصح . توفي سنة ١١٢ . تهذيب التهذيب وثمار القلوب للثعالبي ١٣٣ .

(٤) هي الصحابية الجليلة أسماء بنت يزيد بن السكن الأنصارية الأوسية ، وهي بنت عم معاذ بن جبل ، وكان يقال لها « خطيبة النساء » . شهدت اليرموك وقُتلت يومئذ تسعة من الروم بعمود فسقاطها ، وعاشت بعد ذلك دهرأ . الإصابة ٥٩ من قسم النساء وتهذيب التهذيب .

(٥) إسماعيل بن عياش سبقت ترجمته في ص ٢٣ . كما سبقت ترجمة الحسن بن دينار والخنصيص ابن جحدر في ص ٢٤ . وهذا الإسناد إلى هذه الكلمة ثابت في ل أيضاً ، مع قرنه بلفظ مكرر . أما باقي الإسناد والحديث فهو مما عدل . ٢٥

وعن عبيد ربه بن أعين ، عن عبد الله بن ثمامة بن أنس ^(١) ، عن أبيه عن جده قال : قال رسول الله ﷺ : « قِيلُوا الْعِلْمَ بِالْكِتَابِ » . وقال : « فَضُلْ جَاهِكْ تَعُودُ به على أخيك الذى لا جَاهَ له صدقةً منك عليه ، وَفَضُلْ لِسَانِكْ تَعَبَّرْ به عن أخيك الذى لا لِسَانَ له صدقةً منك عليه ، وَفَضُلْ عِلْمَكْ تَعُودُ به على أخيك الذى لا عِلْمَ عنده صدقةً منك عليه ^(٢) ، وَفَضُلْ قُوَّتُكَ تَرُدُّه ^(٣) » .
على أخيك الذى لا قُوَّةَ له صدقةً منك عليه ، وَإِمَاطَتُكَ الْأَذَى عن الطَّرِيقِ صدقةً منك على أهله .

وإنما مدار الأمور والغاية التى يُجْرَى إليها : الفهم ثم الإفهام ، والطلب ثم التثبيت .

وقال عمرو بن العاص : « ثَلَاثَةٌ لَا أَمَلُ لَهُمْ : جَلِيسِي مَا فَهِمَ عَنِّي ، وَثَوْنِي مَا سَتَرَنِي ^(٤) ، وَدَابَّتِي مَا حَمَلَتْ رَجْلِي » .

وذكر الشَّعْبِيُّ نَاساً فَقَالَ : « مَا رَأَيْتُ مِثْلَهُمْ أَشَدَّ تَنَابُذاً فِي مَجْلَسٍ ^(٥) ، وَلَا أَحْسَنَ تَفْهَمًا عَنْ مُحَدِّثٍ » .

ووصف سهل بن هارون رجلاً فَقَالَ : « لَمْ أَرِ أَحْسَنَ مِنْهُ فَهَمًا لَجَلِيلٍ ، وَلَا أَحْسَنَ تَفْهَمًا لَدَقِيقٍ » .

١٥

(١) سبقت ترجمة والده ثمامة في (١ : ٢٥٨) . والوجه في السند السابق فيما اتضح لنا بعد : « عبد الله بن ثمامة بن عبد الله بن أنس » . ويبدو أنه دأب على نسبة ثمامة إلى جده أنس .

(٢) جاءت هذه الجملة فيما عدل ، هـ بعد الجملة التالية .

(٣) فيما عدل : « تعود بها » .

(٤) جاءت عبارة « وثونى ما سترنى » فيما عدل آخر الكلام . والخبر في عيون الأخبار (١ : ٣٠٧) هـ : « ما ستر عورتي » .

(٥) وكذا ورد النص في أصل عيون الأخبار (١ : ٣٠٨) . ولم أجد هذا اللفظ إلا في أساس البلاغة : « ونبذ إلى العدو : رمى إليه بالمهد ونقضه ، ونابذه منابذةً وتنابذوا » . يصفهم بانعدام الوفاء . وفي العقد (١ : ٢٥٩) : « أشد تناوبا » .

- وقال سعيد بن سلم^(١) لأمير المؤمنين المأمون : « لو لم أشكر الله إلا على حسن ما أبلاني في أمير المؤمنين ، من قصده إلى بحديثه ، وإشارته إلى بطرفه ، لقد كان ٢٥٩ ذلك من أعظم ما تفرضه الشريعة ، وتوجهه الحرية » . فقال المأمون : « لأن أمير المؤمنين يجد عندك من حسن الإفهام إذا حدثت ، وحسن التفهم إذا حدثت ، ما لم يجد عند أحد فيمن مضى ، ولا يظن أنه يجده فيمن بقي » .
- وقال له مرة أخرى : « والله إنك لتستقي حديثي^(٢) ، وتقف عند مقاطع كلامي ، وتخير عنه بما كنت قد أغفلته » .
- وقال أبو الحسن : قالت امرأة لزوجها^(٣) : مالك إذا خرجت إلى أصحابك تطلعت وتحدثت ، وإذا كنت عندي تعقدت وأطرقت ؟ قال : « لأنني أجل عن دقيقك ، وتدين عن جليلي^(٤) » . ١٠
- وقال أبو مسهر^(٥) : « ما حدثت رجلاً قط إلا أعجبني حسن إصغائه^(٦) ، حفظ عني أم ضيع » .
- وقال أبو عقيل بن دُرُسْت : « نشاط القائل على قدر فهم المستمع » .
- وقال أبو عباد كاتب أحمد بن أبي خالد : « للقائل على السامع ثلاث : جمع البال ، والكتمان ، وبسط العذر » . ١٥

(١) هو سعيد بن سلم بن قتيبة بن مسلم الباهلي ، ولاء السلطان بعض الأعمال بمرور ، وقدم بغداد وحدث بها ، فروى عنه محمد بن زياد بن الأعرابي . وكان سعيد عالماً بالحديث والعربية ، لكنه كان لا يبذل نفسه للناس . انظر تاريخ بغداد ٤٦٥٨ .

(٢) الاستقفاء : أن يقفو أثر الشيء .

(٣) هو نوفل بن مساحق وامرأته . وقد سبق الخبر في (١ : ٣٠٥) .

(٤) انظر ما مضى في (١ : ٣٠٥) . ل : « لأنني أدق عن جليلك ، وتجلين عن دقيقتي » .

(٥) أبو مسهر هو عبد الأعلى بن مسهر ، وقد ترجم في (١ : ٢٦٤) . وفيما عدل : « أبو

مسهر بن المبارك » وفيه إقحام .

(٦) هـ : « إلا أعجبني إصغائه » ، مع إشارة إلى الرواية الأخرى .

وقال أبو عبيد : « إذا أنكر القائل عني المستمع ^(١) فليستفه منه عن منتهى حديثه ، وعن السبب الذي أجرى ذلك القول له ، فإن وجده قد أخلص له الاستماع أتم له الحديث ، وإن كان لاهياً عنه حرمة حسن الحديث ونفع الموانسة ، وعرفه بفسولة الاستماع ^(٢) ، والتقصير في حق الحديث » .

وأبو عبيد هذا هو الذي قال : « ما جلس بين يدي رجل قط إلا تمثّل لي أنني سأجلس بين يديه ^(٣) » .

وذكر رجل من القرشيين عبد الملك بن مروان ، وعبد الملك يومئذ غلام فقال : « إنه لاخذ بأربع ، وتارك لأربع : آخذ بأحسن الحديث إذا حدث ، وبأحسن الاستماع إذا حدث ، وبأسر المؤنة إذا خولف ، وبأحسن البشر إذا لقي . وتارك لمحادثة اللئيم ، ومنازعة اللجوج ، ومماراة السفه ، ومصاحبة المأفون » .

وذم بعض الحكماء رجلاً فقال : « يحزم قبل أن يعلم ، ويغضب قبل أن يفهم » .

وقال عمر بن الخطاب رحمه الله في بعض رسائله إلى قضاته ^(٤) : « الفهم الفهم فيما يتلجلج ^(٥) في صدرك » .

ولا يمكن تمام الفهم إلا مع تمام فراغ البال . ٢٦٠
وقال مجنون بنى عامر :

(١) ل : « على عي السامع » ، صوابه في سائر النسخ .

(٢) الفسولة : الضعف والحق . فيما عدا ل ، هـ : « بنسولة » تحريف .

(٣) ل : « إلا مثل لي أني جالس بين يديه » . وما أثبت من سائر النسخ يطابق ما سلف في (١) : ٢٠

(١٣ س ٤٨) .

(٤) هي رسالته إلى أنى موسى الأشعري . وسيذكر الجاحظ نصها في ص ٤٨ - ٥٠ .

(٥) هـ : « يتخلج » مع الإشارة إلى الرواية الأخرى .

- أتانى هواها قبل أن أعرف الهوى فصادف قلبى فارغاً فتمكنا (١)
- وكتب مالك بن أسماء بن خارجة إلى أخيه عيينة بن أسماء بن خارجة :
- أُعِينَن هَلَّا إِذْ شَغِفَتْ بِهَا كُنْتُ اسْتَعْنَتْ بِفَارِغِ الْعَقْلِ
أَقْبَلْتُ تَرْجُو الْعَوْتَ مِنْ قَبْلِ الْمُسْتَغَاثِ إِلَيْهِ فِي شُغْلِ
- وقال صالح المُرِّي : « سوء الاستماع نفاق » . وقد لا يفهم المستمع
إلا بالتفهّم ، وقد يتفهّم أيضاً مَنْ لا يفهم . وقال الحارث بن حِلْزَة :
- وَحَبَسْتُ فِيهَا الرِّكْبَ أَحَدِسَ فِي كُلِّ الْأُمُورِ وَكُنْتُ ذَا حَدْسٍ (٢)
- وقال النابغة الجعدي :
- أَبَى لِي الْبَلَاءُ وَأَنَّى امْرُؤٌ إِذَا مَا تَبَيَّنْتُ لَمْ أُزُبْ (٣)
- وقال آخر (٤) :
- تَحْلُمُ عَنِ الْأَدْنَيْنِ وَدَّهَمُ وَلَنْ تَسْتَطِيعَ الْحِلْمَ حَتَّى تَحْلُمَا
وَالْمَثَلُ السَّائِرُ عَلَى وَجْهِ الدَّهْرِ قَوْلُهُمْ : « الْعِلْمُ بِالتَّعَلُّمِ » .
- وإذا كانت البهيمة إذا أَحَسَّتْ شيئاً (٥) من أسباب القانص ، أَحَدَّتْ
نَظَرَهَا ، وَاسْتَفْرَغَتْ قَوَاهَا فِي الْاِسْتِرَاحِ ، وَجَمَعَتْ بِهَا لِلتَّسْمُعِ - كَانَ الْإِنْسَانُ
الْعَاقِلُ أَوَّلَى بِالتَّثَبُّتِ ، وَأَحَقُّ بِالتَّعَرُّفِ . ١٥
- ولمَّا أَنَّهُمْ قُتِيْبَةُ بِنِ مَسْلَم (٦) ، أَبَا مَجْلَزٍ لَاحِقَ بِنِ حُمَيْدٍ ، بِيَعُضِ الْأَمْرِ ، قَالَ لَهُ

(١) روايته في الحيوان (١ : ١٦٩ / ٤ : ١٦٧) : « قلباً خالياً » .

(٢) الحدس : الظن ، وروايته في المفضليات (١ : ١٣١) : « فحسنت » .

(٣) سبق البيت والكلام عليه في (١ : ١٠٠) .

(٤) هو حاتم الطائي . انظر ديوانه ١٠٨ من مجموع خمسة دواوين . وهو في اللسان (حلم)

بدون نسبة .

(٥) فيما عدل : « أَحَسَّتْ بشيء » .

(٦) هو قتيبة بن مسلم بن عمرو بن الحصين الباهلي ، أمير خراسان زمن عبد الملك بن مروان من

قبل الحجاج بن يوسف . وابنه سلم بن قتيبة بن مسلم المترجم في (١ : ١٧٤) . وحفيده سعيد بن سلم

ابن قتيبة . ولد قتيبة سنة ٤٩ و قتل سنة ٧٩ . وفيات الأعيان .

أبو مجلَز (١) : « أَيُّهَا الْأَمِيرُ تَثَبَّتْ ، فَإِنَّ التَّثَبُّتَ نِصْفُ الْعَفْوِ » .

وقال الأحنف : « تَعَلَّمْتُ الْحِلْمَ مِنْ قَيْسِ بْنِ عَاصِمٍ (٢) » .

وقال فيروز حُصَيْن (٣) : « كُنْتُ أَخْتَلِفُ إِلَى دَارِ الْأَسْتِخْرَاجِ أَتَعَلَّمُ الصَّبْرَ (٤) » .

وقال سهل بن هارون : « بِلَاغَةُ اللِّسَانِ رِفْقٌ ، وَالْعِيُّ خُرْقٌ » .

٢٦١

وكان كثيراً ما ينشد قول شَتِّيمِ بْنِ حُوَيْلِدٍ (٥) :

وَلَا يَشْعَبُونَ الصَّدْعَ بَعْدَ تَفَاقُمٍ وَفِي رِفْقٍ أَيْدِيكُمْ لِذِي الصَّدْعِ شَاعِبٌ (٦)

وقال إبراهيم الأنصاري ، وهو إبراهيم بن محمد المفلوج ، من ولد أُمَيِّ زَيْدِ

الْقَارِيءِ : الْخُلَفَاءُ وَالْأُئِمَّةُ وَأُمَرَاءُ الْمُؤْمِنِينَ مُلُوكٌ . وَلَيْسَ كُلُّ مُلْكٍ يَكُونُ خَلِيفَةُ

وإماماً ، وَلِذَلِكَ فَصَّلَ بَيْنَهُمْ أَبُو بَكْرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي خُطْبَتِهِ ، فَإِنَّهُ لَمَّا فَرَّغَ مِنَ الْحَمْدِ

وَالصَّلَاةِ عَلَى النَّبِيِّ قَالَ : « أَلَا إِنَّ أَشْقَى النَّاسِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ الْمُلُوكُ ! » . فَرَفَعَ ١٠

النَّاسَ رِعَوسَهُمْ ، فَقَالَ : « مَا لَكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّكُمْ لَطَعَانُونَ عَجِلُونَ . إِنْ مِنْ

الْمُلُوكِ مَنْ إِذَا مَلَكَ (٧) زَهَّدَهُ اللَّهُ فِيمَا فِي يَدَيْهِ (٨) ، وَرَغَّبَهُ فِيمَا فِي يَدَيْ غَيْرِهِ ،

وَانْتَقَصَهُ شَطْرَ أَجَلِهِ ، وَأَشْرَبَ قَلْبَهُ الْإِسْفَاقَ ، فَهُوَ يَحْسُدُ عَلَى الْقَلِيلِ ، وَيَتَسَخَّطُ

(١) هو أبو مجلَز لاحق بن حميد بن سعيد السدوسي البصري ، وكان ممن قدم خراسان ، وولى بعض الأمر .

وكان عمر بن عبد العزيز يستشيه فيمن يتولى خراسان . توفي سنة ١٠٩ . تاريخ الطبري (٨ : ١٣٤ ، ١٣٥) . ١٥

(٢) انظر بقية الخبر مع تفصيل في عيون الأخبار (٣ : ٢٨٦) .

(٣) فيروز حُصَيْن بالإضافة ، مولى حُصَيْنِ بْنِ مَالِكِ بْنِ الْخَشْخَاشِ الْعَنْبَرِيِّ . قال ابن قتيبة في

المعارف ١٤٧ : « وَمِنْ مَوَالِي آلِ الْخَشْخَاشِ فِيروز ، أعظم مولى بالعراق قدراً : وَقَدْ ولى الْوَلَايَاتِ ،

وَخَرَجَ مَعَ ابْنِ الْأَشْعَثِ ، فَقَالَ الْحِجَاجُ : مِنْ جَاءَنِي بِرَأْسِ فِيروز فَلَهُ عَشْرَةُ آلَافِ دِرْهَمٍ ! فَقَالَ فِيروز : مِنْ

جَاءَنِي بِرَأْسِ الْحِجَاجِ فَلَهُ مِائَةُ آلَافِ دِرْهَمٍ ! فَلَمَّا هَزَمَ ابْنُ الْأَشْعَثِ هَرَبَ إِلَى خِرَاسَانَ ، فَأَخَذَهُ يَزِيدُ بْنُ الْمُهَلَّبِ ٢٠

فَبَعَثَ بِهِ إِلَى الْحِجَاجِ . وَقَدْ نَكَلَ بِهِ الْحِجَاجُ تَنْكِيلًا شَدِيدًا وَقَتْلَهُ . هـ : « فِيروز بن حُصَيْن » .

(٤) في حواشي هـ : « دَارُ الْأَسْتِخْرَاجِ هِيَ دَارُ الْعَذَابِ الَّتِي كَانَ الْعَمَالُ يَعَذِّبُونَ فِيهَا » .

(٥) سبقت ترجمته في (١ : ٤ ، ١٨١) . وقد أنشد البيت في الموضع الأول .

(٦) ل : « أَلَا تَتَعَبُونَ الصَّدْعَ قَبْلَ تَفَاقُمٍ » محرف .

(٧) ل : « إِنْ الْمُلْكُ إِذَا مَاتَ » ، صوابه مِنْ سَائِرِ النُّسخِ . ٢٥

(٨) فِيمَا عِنْدَهُ .

الكثير ، ويسأم الرِّخاء ، وتنقطع عنه لذَّة الباءة ^(١) ، ولا يستعمل العبرة ، ولا يسكن إلى الثقة . فهو كالدرهم القسِّي ^(٢) ، والسَّراب الخادع ، جَذِلُّ الظاهر ، حزينُ الباطن ؛ فإذا وجِبَتْ نفسه ، ونَضَبَ عُمره ، وضَحَا ظِلُّه ^(٣) ، حاسبَه اللهُ فأشدَّ حِسَابَه ، وأقلَّ عَفْوَه ، إلَّا مَنْ آمَنَ بالله ، وحكَمَ بكتابه وسُنَّه نبيه ﷺ .

ألا إن الفقراء هم المرحومون ^(٤) ألا وإنكم اليوم على خلافة النبوة ، ومُفرق المَحَجَّة ^(٥) . وإنكم سترَوْنَ بعدى مُلكا عضُوضاً ، ومُلكاً عُنوداً ^(٦) ، وأُمَّة شُعاعاً ، ودماً مُفاحاً ^(٧) . فإن كانت للباطل نزوة ، ولأهل الحقِّ جولة ، يعفو لها الأثر ، ويموت لها البشرُ ، وتحيا بها الفتنُ ، وتموت لها السننُ ^(٨) فالزموا المساجد ، واستشيروا القرآن ، واعتصموا بالطاعة ^(٩) ، ولا تفارقوا الجماعة . وليكن الإبرام بعد المشاورة ^(١٠) ، والصَّفقة بعد طول التناظر . أئى بلادِكُم خَرشَنَة ^(١١) ؟ فإنكم

(١) الباءة : النكاح . ل ، هـ والتيمورية : « الباء » صوابه ما أثبت من حـ ، وبه صحح ما في ب ، إذ بها أثر تغير .

(٢) في القاموس (قس) : « ودرهم قسِّي وتخفف سينه : رديء » . وفي اللسان (قسا) : « ودرهم قسِّي : رديء ، والجمع قسيان ، مثل صبي وصبيان . قال الأصمعي : كأنه إعراب قاشي . وقيل درهم قسِّي : ضرب من الزيوف . أى فضته صلبة رديئة ليست بلبنة » . وانظر المغرب ٢٥٧ . وأنشد لمزرد بن ضرار :

وما زودوني غير سحق عمامة وخمس مئة منها قسِّي وزائف

(٣) ضحا ظله : برز للشمس ، أراد أن ظله قد تقلص ، عبارة عن الموت .

(٤) جاءت هذه الجملة فيما عدا ل بعد كلمة « عفو » السابقة .

(٥) المحجة : الطريق .

(٦) عضوض : شديد فيه عسف وعنف . والعنود : الطاغى العاقى المتجبر . يقال : عنود ، وعنيد ، وعاند .

(٧) الشعاع ، كسحاب : المتفرقة . والمفاح : السائل المهرق .

(٨) ما بعد كلمة « البشر » من ل فقط .

(٩) فيما عدا ل : « والزموا الطاعة » .

(١٠) فيما عدا ل : « التشاور » .

(١١) خَرشَنَة : بلد قرب ملطية من بلاد الروم . والمراد بها بلاد الروم . وفي الأصول :

« خرسنة » تحريف .

سَيُفْتَحُ عَلَيْكُمْ أَقْصَاهَا كَمَا فُتِحَ عَلَيْكُمْ أَدْنَاهَا (١) .

كلام أبي بكر الصديق رضى الله عنه لعمر رحمه الله حين استخلفه

عند موته

- إِنِّى مُسْتَخْلَفُكَ مِنْ بَعْدِى ، وَمُوصِيكَ بِتَقْوَى اللَّهِ . إِنَّ اللَّهَ عَمَلًا بِاللَّيْلِ
 لَا يَقْبَلُهُ بِالنَّهَارِ ، وَعَمَلًا بِالنَّهَارِ لَا يَقْبَلُهُ بِاللَّيْلِ ، وَإِنَّهُ لَا يَقْبَلُ نَافِلَةً (٢) حَتَّى تُؤَدَّى
 الْفَرِيضَةُ . وَإِنَّمَا ثَقُلْتَ مَوَازِينُ مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِاتِّبَاعِهِمُ الْحَقَّ فِي
 الدُّنْيَا ، وَثِقَلَهُ عَلَيْهِمْ ؛ وَحَقُّ الْمِيزَانِ لَا يُوَضَّعُ فِيهِ إِلَّا الْحَقُّ أَنْ يَكُونَ ثَقِيلًا . وَإِنَّمَا
 خَفَّتْ مَوَازِينُ مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِاتِّبَاعِهِمُ الْبَاطِلَ وَخَفَّتْ عَلَيْهِمْ فِي
 الدُّنْيَا (٣) ؛ وَحَقُّ الْمِيزَانِ لَا يُوَضَّعُ فِيهِ إِلَّا الْبَاطِلُ أَنْ يَكُونَ خَفِيفًا . إِنَّ اللَّهَ ذَكَرَ أَهْلَ
 الْجَنَّةِ فَذَكَرَهُمْ بِأَحْسَنِ أَعْمَالِهِمْ ، وَالتَّجَاوَزَ (٤) عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ ، فَإِذَا ذَكَرْتَهُمْ
 قُلْتُ : إِنِّى أَخَافُ أَلَّا أَكُونَ مِنْ هَؤُلَاءِ . وَذَكَرَ أَهْلَ النَّارِ فَذَكَرَهُمْ بِأَسْوَأِ أَعْمَالِهِمْ ، وَلَمْ
 يَذْكُرْ حَسَنَاتِهِمْ ، فَإِذَا ذَكَرْتَهُمْ قُلْتُ : إِنِّى لَأَرْجُو أَلَّا أَكُونَ مِنْ هَؤُلَاءِ . وَذَكَرَ آيَةَ
 الرَّحْمَةِ مَعَ آيَةِ الْعَذَابِ ، لِيَكُونَ الْعَبْدُ رَاهِبًا ، وَلَا يَتَمَنَّى عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ ،
 وَلَا يُلْقَى بِيَدِهِ إِلَى التَّهْلُكَةِ . فَإِذَا حَفِظْتَ وَصِيَّتِى (٥) فَلَا يَكُونَنَّ غَائِبٌ أَحَبُّ
 إِلَيْكَ مِنَ الْمَوْتِ ؛ وَهُوَ آتِيكَ . وَإِنْ ضَيَّعْتَ وَصِيَّتِى ، فَلَا يَكُونَنَّ غَائِبٌ أَبْغَضُ
 إِلَيْكَ مِنَ الْمَوْتِ ؛ وَلَسْتُ بِمُعْجِزِ اللَّهِ (٦) .

(١) انظر الخطبة أو بعضها في عيون الأخبار (٢ : ٢٢٣) وصبح الأعشى (١ : ٢١٣) وزهر الآداب (١ : ٣١) والعقد في سرد خطب أبي بكر . هـ : « إن الله سيفتح » .

(٢) فيما عدا ل : « تقبل نافلة » .

(٣) كلمة « في الدنيا » من ل ، وهى ساقطة من سائر النسخ .

(٤) فيما عدا ل : « وتجاوز » .

(٥) ل : « أحببت وصييتى » ، صوابه في سائر النسخ .

(٦) انظر الوصية في كامل ابن الأثير عند ذكر استخلاف عمر .

وأوصى عمر الخليفة من بعده فقال :

- أوصيك بتقوى الله لا شريك له ، وأوصيك بالمهاجرين الأولين خيراً :
 أن تعرف لهم سابقتهم . وأوصيك بالأنصار خيراً ؛ فاقبل من مُحْسِنِهِمْ ، وتجاوز
 عن مُسِيئِهِمْ . وأوصيك بأهل الأمصار خيراً ؛ فإنهم رذء العدو ، وجبابة الأموال
 والفقى^(٢) لا تحمل فيهم إلا عن فضل منهم . وأوصيك بأهل البادية خيراً ؛ ٢٦٣
 فإنهم أصل العرب ، ومادة الإسلام : أن تأخذ من حواشي أموال أغنيائهم^(٣) ،
 فترد على فقرائهم . وأوصيك بأهل الذمة خيراً : أن تقابل من ورائهم ،
 ولا تكلفهم فوق طاقتهم ، إذا أدوا ما عليهم للمؤمنين طوعاً أو عن يدٍ وهم
 صاغرون^(٤) . وأوصيك بتقوى الله وشدة الحذر منه ، وخافة مَقْتِهِ ؛ أن يطلع
 منك على ريبة . وأوصيك أن تخشى الله في الناس ولا تخشى الناس في الله . وأوصيك
 بالعدل في الرعية ، والتفرغ لحوائجهم وثغورهم^(٥) . ولا تؤثر غنيهم على فقيرهم ،
 فإن ذلك - بإذن الله - سلامة لقلبك ، وخط لوزرك ، وخير في عاقبة أمرك ،
 حتى تُقضى من ذلك إلى من يعرف سريرتك ، ويحول بينك وبين قلبك . وأمرك
 أن تشتد في أمر الله^(٦) ، وفي حدوده ومعاصيه ، على قريب الناس وبعيدهم ، ثم
 لا تأخذك في أحد الرأفة حتى تنتهك منه مثل ما انتهك من حُرْمِهِ^(٧) . واجعل ١٥
 الناس سواءً عندك ، لا تبالى على من وجب الحق ، ولا تأخذك^(٨) في

(١) الردء : المعين ، أراد أنهم يعينون على العدو . وفي اللسان (ردأ) : « فإنهم رذء الإسلام ، وجبابة المال » .

(٢) الفقى : الغنيمة والخراج . فيما عدل : « وجبابة الفقى » .

(٣) الحواشي : صغار الإبل كابل المخاض وابن اللبون ، واحداها حاشية .

(٤) عن يد : عن ذل واعتراف للمسلمين بأن أيديهم فوق أيديهم .

(٥) الثغور : جمع ثغر ، وهو الفرجة : والمراد بها الخلعة والحاجة .

(٦) ل : « أمور الله » .

(٧) فيما عدل : « من حرم الله » .

(٨) فيما عدل : « ثم لا تأخذك » .

الله لومة لائم . وإياك والأثرة والمحابة ، فيما وَلَّاكَ الله مما أفاء الله على المؤمنين ، فتَجَوَّرَ وَظَلِمَ ، وَتَحَرَّمَ نَفْسَكَ مِنْ ذَلِكَ مَا قَدْ وَسَّعَهُ اللهُ عَلَيْكَ .

- وقد أصبحت بمنزلة من منازل الدنيا والآخرة ، فإن اقترفت (١) لذنباك عدلا وعفة عما بسط الله لك ؛ اقترفت به إيمانا ورضوانا ، وإن غلبك عليه الهوى ومالت بك شهوة (٢) ، اقترفت به سُخْطَ الله ومعاصيه (٣) . وأوصيك
 ٥ ألا ترخص لنفسك ولا لغيرك في ظلم أهل الذمة . وقد أوصيتك وحضضتك (٤) ، ونصحت لك (٥) ، أبتغي بذلك (٦) وجه الله والدار الآخرة . واخترت من دلائلك ما كنت دالا عليه نفسي ووُلدي ، فإن عملت بالذي وعظمتك ، وانتهيت إلى الذي أمرتك ، أخذت به نصيبا وافيا ، وحظا وافرا (٧) . وإن لم تقبل ذلك ولم يَهْمَكَ ، ولم تُنزل معازم الأمور (٨) عند الذي يرضى الله به عنك ، يكن ذلك بك
 ١٠ انتقاصا ، ورأيك فيه مدخولا (٩) ؛ لأن الأهواء مشتركة . ورأس كل خطيئة ، والداعى إلى كل هلكة إبليس (١٠) ؛ وقد أضل القرون السالفة قبلك فأوردتهم النار ، ولبس الثمن أن يكون حظ امرئ موالاة لعدو الله (١١) ، والداعى إلى معاصيه ! ثم اركب الحق وخض إليه العمرات ، وكن واعظا لنفسك ، وأنشدك الله لما ترحمت على

(١) الاقتراف : الاكتساب والاقتناء .

(٢) بدلا فيما عدل ، هـ : « وإن غلبك الهوى » بسقوط الجملة الأخيرة . وفي هـ : « فيه الهوى » .

(٣) هذه الكلمة من ل فقط .

(٤) ل : « وخصصتك » . وأثبت ما في سائر النسخ .

(٥) فيما عدل : « ونصحتك » .

(٦) فيما عدل : « فابتغ » تحريف .

(٧) فيما عدل : « نصيبا وافرا وحظا وافيا » .

(٨) أعظم الأمر : صار عظيما ، فهو معظم . ل : « ولم تترك معظمات الأمور » .

(٩) المدخول : ذو الدخَل ، وهو العيب والفساد .

(١٠) فيما عدل : « ورأس كل خطيئة إبليس ، وهو داع إلى كل هلكة » .

(١١) فيما عدل : « موالاة عدو الله » .

جماعة المسلمين ^(١) فأجللت كبيرهم ، ورجمت صغيرهم ، ووقرت عالمهم .
ولا تضربهم فيذلوا ، ولا تستأثر عليهم بالفى فتغضبهم ، ولا تحرمهم عطاياهم
عند محلها فتفقرهم ^(٢) ، ولا تجمرهم فى البعث فتقطع نسلهم ^(٣) ، ولا تجعل
المال دولة بين الأغنياء منهم ^(٤) ، ولا تغلق بابك دونهم فياكل قوتهم ضعيفهم .
هذه وصيتى إياك ، وأشهد الله عليك ، وأقرأ عليك السلام .

رسالة عمر رضى الله عنه إلى أبى موسى الأشعرى رحمه الله ^(٥)

رواها ابن عيينة ^(٦) ، وأبو بكر الهذلى ^(٧) ومسلمة بن محارب ^(٨) ؛ وروها عن قتادة ^(٩) .
ورواها أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم ^(١٠) ، عن عبيد الله بن أبى حميد
الهذلى ^(١١) عن أبى المليح أسامة الهذلى ^(١٢) . أن عمر بن الخطاب كتب إلى
أبى موسى الأشعرى :

(١) يقال نشدتك الله وبالله ، وناشدتك الله وبالله ، أى سألتك وأقسمت عليك . و « لا » هنا
بمعنى إلا فى لغة هذيل . وفى الكتاب : « إن كل نفس لما عليها حافظ » .
(٢) أى عند حلول وقتها .

(٣) تجمر الجند : أن يحبسهم فى أرض العدو ويحسبهم عن العود إلى أهلهم .

(٤) دولة بين الأغنياء ، أى متداولاً بينهم ، لهذا مرة ولذلك أخرى .

(٥) انظر (١ : ٢/٢٣٧ : ٤١) والكامل ٩ ليسك .

(٦) ابن عيينة هو أبو محمد سفيان بن عيينة بن أبى عمران ميمون الهلالى الكوفى ، كان من الحفاظ
المتقنين ، وأهل الورع والدين . ولد سنة ١٠٧ وتوفى سنة ١٩٨ بمكة . تهذيب التهذيب وتاريخ بغداد
٤٧٦٤ وتذكرة الحفاظ (١ : ٢٥٢) وصفة الصفوة (٢ : ١٣٠) .

(٧) سبقت ترجمته فى (١ : ٣٥٧) .

(٨) هو مسلمة بن عبد الله بن محارب الفهرى البصرى النحوى المقرئ ، ترجم له فى لسان الميزان

(٦ : ٣٤) وقال : « كان صاحب فصاحة » .

(٩) هو قتادة بن دعامة المترجم فى (١ : ٤٢) .

(١٠) هو أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم بن سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف الزهرى المدنى ،

نزىل بغداد . محدث ثقة كثير الرواية لحديث الزهرى . توفى سنة ٢٠٨ . تهذيب التهذيب وتاريخ بغداد ٧٥٦٢ .

(١١) فى الأصول : « بن حميد » صوابه من تهذيب التهذيب وهو أبو الخطاب عبد الله ابن أبى حميد غالب

الهذلى البصرى ، روى عن أبى المليح الهذلى ، وعنه : عيسى بن يونس ووكيع . وذكر أنه كان ضعيف الحديث منكره .

(١٢) سبقت ترجمة أسامة فى (١ : ٣٥٧) .

- بسم الله الرحمن الرحيم . أما بعد فإن القضاء فريضة محكمة ، وسنة متبعة . فافهم إذا أدلى إليك ^(١) ، فإنه لا ينفع تكلم بحق لا نفاذ له . آس بين الناس في مجلسك ووجهك ^(٢) ، حتى لا يطمع شريف في خيفك ، ولا يخاف ضعيف من جورك . البيئة على من ادعى واليمين على من أنكر ، والصُلح جائز بين المسلمين إلا صلحاً حرم حلالاً أو أحل حراماً . ولا يمنعك قضاء قضيته بالأمس فراجعت فيه نفسك ، وهُديت فيه لرشدك ، أن ترجع عنه إلى الحق ^(٣) فإن الحق قديم ، ومراجعة الحق خير من التماذى في الباطل . الفهم الفهم عندما يتلجلج في صدرك ، مما لم يبلغك في كتاب الله ولا في سنة النبي ﷺ . اعرف الأمثال والأشباه ، وقس الأمور عند ذلك ، ثم اعمد إلى أحبها إلى الله ، وأشبهها بالحق فيما ترى . واجعل للمدعى حقاً غائباً أو بيئة ، أمدأ ينتهي إليه ، فإن أحضر بيئته أخذت له بحقه ، وإلا وجهت عليه القضاء ، فإن ذلك أنفى للشك ، وأجلى للعمى ، وأبلغ في العذر . المسلمون عدول بعضهم على بعض ، إلا مجلوداً في حد ، أو مجرباً عليه شهادة زور ، أو ظنياً في ولاية أو قرابة ، فإن الله قد تولى منكم السرائر ودرأ عنكم بالشبهات ^(٤) . ثم إياك والقلق والضجر ، والتأذى بالناس ، والتنكر للخصوم في مواطن الحق ، التي يوجب الله بها الأجر ، وتحسين بها الذخر ؛ فإنه من يخلص نيته فيما بينه وبين الله تبارك وتعالى ، ولو على نفسه ، يكفه الله ما بينه وبين الناس ، ومن تزين للناس بما يعلم الله منه خلاف ذلك ^(٥) هتك الله ستره ، وأبدى فعله . فما ظنك بثواب

(١) أدل فلان بحجته ، إذا أرسلها وأتى بها على صحة . وانظر رسائل الجاحظ (٢ : ٣١) .

(٢) آس بينهم ، أى سو بينهم ، واجعل كل واحد منهم إسوة خصمه .

(٣) كلمة « إلى الحق » من ل والكامل ٩ ليسك .

(٤) ل : « بالبينات والأيمان » .

(٥) فيما عدا ل : « بما يعلم الله خلافه منه » .

غير الله في عاجل رزقه ، وخزائن رحمته ^(١) . والسلام عليك .

خطبة لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه ^(٢)

قال أبو عبيدة معمر بن المثنى : أول خطبة خطبها على بن أبي طالب رحمه الله ^(٣) أنه قال بعد أن حمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه ^(٤) :

أما بعد فلا يُرْعَيْنَ مُرْجَ إِلَّا عَلَى نَفْسِهِ ^(٥) ؛ فَإِنَّ مَنْ أَرْعَى عَلَى غَيْرِ نَفْسِهِ
شُغِلَ عَنِ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ أَمَامَهُ ^(٦) . سَاعٍ مَجْتَهِدٍ يَنْجُو ^(٧) ، وَطَالِبٍ يَرْجُو ، وَمَقْصُرٍ
فِي النَّارِ . ثَلَاثَةٌ . وَاثْنَانِ : مَلَكٌ طَارَ بِجَنَاحَيْهِ ، وَنَبِيٌّ أَخَذَ اللَّهُ بِيَدَيْهِ ،
وَلَا سَادِسَ ^(٨) . هَلَكَ مَنْ ادَّعَى ، وَرَدَى مَنْ اقْتَحَمَ ؛ فَإِنَّ الْيَمِينَ وَالشَّامَالَ مَضَلَّةٌ ،
وَالْوَسْطَى الْجَادَّةُ ^(٩) ، مِنْهَجٌ عَلَيْهِ بَاقِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ ، وَآثَارُ النَّبَوَةِ . إِنَّ اللَّهَ ٢٦٦
دَاوَى هَذِهِ الْأُمَّةَ بِلِوَاءَيْنِ : السَّيْفِ وَالسُّوْطِ ^(١٠) ، فَلَا هَوَادَةَ عِنْدَ الْإِمَامِ فِيهِمَا ،
اسْتَتَرُوا بِبَيُوتِكُمْ وَأَصْلَحُوا فِيمَا بَيْنَكُمْ ^(١١) ، وَالتَّوْبَةُ ^(١٢) مِنْ وِرَائِكُمْ . مَنْ أَبْدَى
صَفْحَتَهُ لِلْحَقِّ هَلَكَ . قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُمُورٌ مِلْتَمٌ عَلَى فِيهَا مَيْلَةٌ لَمْ تَكُونُوا

(١) الكلام بعد كلمة « فعله » إلى هنا من ل فقط .

(٢) هذا العنوان في ل ، هـ فقط . وفي هـ : « أول خطبة خطبها على بن أبي طالب رضي الله عنه » .

(٣) في العقد : « أول خطبة خطبها في المدينة » . وفي شرح ابن أبي الحديد (١ : ٩٠) « ومن خطبة له عليه السلام لما يبيع بالمدينة » . وانظر عيون الأخبار (٢ : ٢٣٦) .

(٤) بدل هذه العبارة فيما عدل : « حمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه ﷺ ثم قال » .

(٥) الإرعاء : المراعاة والملاحظة والإبقاء والحفاظة .

(٦) الكلام قبل « شغل » في البيان فقط . ورواية ابن أبي الحديد وابن قتيبة : « شغل من الجنة

والنار أمامه » . وانظر تفسير ابن أبي الحديد

(٧) كلمة « ينجو » من ل فقط . وعند ابن أبي الحديد : « ساع سريع نجا ، وطالب بطيء رجا ،

ومقصر في النار هوى » . وانظر مثيل هذا الأسلوب في (٣ : ١٣٦ س ١٨) .

(٨) فيما عدل : « بيده ولا سادس » .

(٩) جادة الطريق : مسلكه وما وضع منه .

(١٠) في العقد وما عدل : « السوط والسيف » .

(١١) فيما عدل : « وأصلحو ذات بينكم » . ابن أبي الحديد (١ : ٩٢) حيث صرح بنقله عن البيان

للجاحظ : « وأصلحو ذات بينكم » .

(١٢) العقد : « فالموت » .

عندى فيها بمحمودين^(١) ولا مصيبين^(٢) . أما إني لو أشاء لقلت عفا الله عما سلف . سبق الرجلان وقام الثالث^(٣) ، كالغراب همته بطنه^(٤) ، ياويحه ، لو قص جناحاه وقطع رأسه لكان خيراً له^(٥) . انظروا فإن أنكرتم فأنكروا ، وإن عرفتُم فآزروا^(٦) . حق وباطل ، ولكل أهل ؛ ولئن أمر الباطل لقدماً ففعل^(٧) ، ولئن قل الحق لرُبما ولعل^(٨) . ما أدبر شيء فأقبل^(٩) . ولئن رجعت عليكم أموركم إنكم لسعداء^(١٠) ، وإني لأخشى أن تكونوا في فترة^(١١) . وما علينا إلا الاجتهاد .

قال أبو عبيدة : وروى فيها جعفر بن محمد :

- (١) عند ابن أبي الحديد وما عدل : « قد كانت أمور لم تكونوا عندى فيها محمودين » . قال ابن أبي الحديد : « مراده أمر عثمان وتقديمه في الخلافة عليه » .
 (٢) هاتان الكلمتان في ل فقط .
 (٣) معنى عثمان . وورد في بعض خطب على : « إلى أن قام ثالث القوم نافجا حضنيه » . انظر ابن أبي الحديد (١ : ٦٦) .
 (٤) ل فقط : « هم بطنه » .
 (٥) ابن أبي الحديد : « يريد لو كان قتل أو مات قبل أن يتلبس بالخلافة لكان خيراً له من أن يعيش ويدخل فيها » .
 (٦) المؤازرة : المعاونة . أى إن كان منكراً فأنكروه ، وإن كان حقاً فأعينوا عليه . فيما عدل ، هـ : « بارزوا » ، تحريف .
 (٧) ابن أبي الحديد : « أمر الباطل : كثر . وقوله لقدماً فعل ، أى لقدماً فعل الباطل ذلك . ونسب الفعل إلى الباطل مجازاً . ويجوز أن يكون فعل بمعنى انفعل ، كقوله :
 (٨) قد جبر الدين الإله فجبر » .
 (٩) أى انجبر » .

- (٨) أى لئن كان الحق قليلاً فرميا كثر ، ولعله ينتصر أهله . عن ابن أبي الحديد .
 (٩) عند ابن الحديد : « وقلما أدبر شيء فأقبل . استبعد أن تقوم دولة قوم بعد زوالها عنهم » .
 (١٠) ابن أبي الحديد : « أى إن ساعدنى الوقت وتمكنت من أن أحكم فيكم بحكم الله ورسوله ، وعادت إليكم أيام شبيهة بأيام رسول الله ﷺ وآله ، وسيرة مماثلة لسيرته في أصحابه ، إنكم لسعداء » .
 (١١) المراد بالفترة : الأزمنة التى بين الأنبياء ، كأنه توقع أن يطرأ عليهم ما طرأ على تلك الأمم من الاضطراب وفقدان الرشيد .

أَلَا إِنَّ أَبْرَارَ عَتْرَقِي ، وَأَطَالِيْبَ أُرُومَتِي ، أَحْلَمَ النَّاسَ صِبْغَارًا ، وَأَعْلَمَ النَّاسَ كِبَارًا^(١). أَلَا وَإِنَّا أَهْلُ بَيْتٍ مِنْ عِلْمِ اللَّهِ عَلِمْنَا ، وَبِحُكْمِ اللَّهِ حَكَمْنَا ، وَمِنْ قَوْلِ صَادِقٍ سَمِعْنَا . وَإِنْ تَتَّبِعُوا آثَارَنَا تَهْتَدُوا بِيَصَائِرُنَا ، وَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا يُهْلِكُكُمْ اللَّهُ بِأَيْدِينَا . مَعْنَا رَايَةُ الْحَقِّ ، مَنْ تَبِعَهَا لَحِقَ ، وَمَنْ تَأَخَّرَ عَنْهَا غَرِقَ . أَلَا وَإِنَّا بَنَّا تُرْدُ دَبْرَةَ كُلِّ مُؤْمِنٍ^(٢) ، وَبَنَّا تُخْلَعُ رِبْقَةُ الذَّلِّ مِنْ أَعْنَاقِكُمْ^(٣) ، وَبَنَّا غُنِمٍ^(٤) ، وَبَنَّا فَتَحَ اللَّهُ لَا بِكُمْ^(٥) ، وَبَنَّا يُخْتَمُ لَا بِكُمْ^(٦) .

وخطبة لعلی بن أبی طالب أيضا رضى الله عنه^(٧)

أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ الدُّنْيَا قَدْ أَدْبَرَتْ وَأَذْنَتْ بِوَدَاعٍ ، وَإِنَّ الْآخِرَةَ قَدْ أَقْبَلَتْ وَأَشْرَفَتْ بِاطِّلَاعٍ . وَإِنَّ الْمَضْمَارَ الْيَوْمَ وَالسَّبَّاقَ غَدًا^(٨) . أَلَا وَإِنَّكُمْ فِي أَيَّامٍ أَمِلَ مِنْ وَرَائِهِ أَجَلٌ ، فَمَنْ أَخْلَصَ فِي أَيَّامٍ أَمَلَهُ قَبْلَ حُضُورِ أَجَلِهِ [فَقَدْ] نَفَعَهُ عَمَلُهُ^(٩) وَلَمْ يَضُرَّهُ أَمَلُهُ^(١٠) ، وَمَنْ قَصَرَ فِي أَيَّامٍ أَمَلَهُ قَبْلَ حُضُورِ أَجَلِهِ ، فَقَدْ

(١) وكذا عند ابن أبي الحديد . وفيما عدل : « وأعلمهم كبارا » .

(٢) الدبرة ، بالفتح : الهزيمة . هـ : « ترد ترة كل مؤمن » ، ابن أبي الحديد : « تدرك ترة كل مؤمن » . والثرة : الثأر والوتر .

(٣) الربقة ، بالكسر : الخيل يجعل في عنق الشاة .

(٤) هذه الجملة في ل فقط .

(٥) فيما عدل : « وبنا فتح » فقط . ابن أبي الحديد : « فتح لا بكم » .

(٦) فيما عدل ، هـ : « وبنا ختم لا بكم » . قال ابن أبي الحديد : « إشارة إلى المهدي الذي يظهر في آخر الزمان . وأكثر المحدثين على أنه من ولد فاطمة عليها السلام . وأصحابنا المعتزلة لا ينكرونه ، وقد صرحوا بذكره في كتبهم » .

(٧) موضع هذه الخطبة فيما عدل ، هـ ، في ص ٥٦ قبل خطبة ابن مسعود .

(٨) المضمار : الزمان الذي تضمّر فيه الخيل للسباق ، والموضع مضمار كذلك . وكلمة « اليوم »

تكملة من نهج البلاغة وإعجاز القرآن للباقلاني ١٢١ وعيون الأخبار (٢ : ٢٣٥) .

(٩) التكملة من نهج البلاغة وما عدل .

(١٠) وكذا في نهج البلاغة . وفيما عدل ، هـ : « ولم يضره أمله » ، وهما وجهان جائزان في

العربية ، الفك والإدغام .

٢٦٨ خسر عمله ، وضّره أمله . ألا فاعملوا لله في الرغبة ، كما تعملون له في الرهبة .
 ألا وإني لم أر كالجنة نام طائبها ، ولا كالنار نام هاربها ^(١) . ألا وإني لم ينفعه
 الحق يضوه الباطل ، ومن لم يستقم به الهدى يجز به الضلال ^(٢) . ألا وإني قد
 أمرتم بالظن ، ودلّتم على الزاد ، وإن أخوف ما أخاف عليكم اتباع الهوى وطول
 الأمل .

ومن خطب على أيضا رضى الله عنه

قالوا : أغار سُفيان بن عوف الأزديّ ثم الغامديّ على الأنبار ، زمانَ عليّ
 ابن أبي طالب رضى الله عنه ، وعليها حسان - أو ابن حسان - البكرى ^(٣)
 فقتله ، وأزال تلك الخيل عن مسالحتها ، فخرج على بن أبي طالب رضى الله عنه
 حتّى جلس على باب السدة ^(٤) ، فحمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه ثم قال :
 ١٠ أمّا بعد ، فإنّ الجهاد بابٌ من أبواب الجنة ^(٥) . فمن تركه رغبةً عنه
 ألبسه الله ثوبَ الدّلّ ، وشمله البلاء ، ولزّمه الصّعار ، وسيم الحسف ، ومُنِع
 النَّصَف ^(٦) . ألا وإني قد دعوتكم إلى قتال هؤلاء القوم ليلاً ونهاراً ، سراً
 وإعلانا ، وقلت لكم : اغزّوهم قبل أن يغزّوكم ؛ فوالله ما غزّى قوم قط في

-
- ١٥ (١) ابن أبي الحديد (١ : ١٤٧) : « يقول : إن من أعجب العجائب من يوقن بالنار كيف
 لا يهرب منها وينام . أى لا ينبغي أن ينام طالب هذه ولا الهارب من هذه » .
 (٢) يجر ، من الجور ، وهو الميل عن القصد . ل : « يجره » محرف .
 (٣) في كامل المبرد ١٤ ليسك وابن أبي الحديد (١ : ١٤١) حيث نقل عن الكامل « حسان
 ابن حسان » . وفيما عدل : « وعليها ابن حسان أو حسان البكرى » . وذكر ابن أبي الحديد (١ :
 ١٤٥) أن ابن حسان هو أشرس بن حسان البكرى .
 ٢٠ (٤) السدة : كالصفة تكون بين يدى البيت . وسدة المسجد : ما حوله من الرواق . الكامل
 وابن أبي الحديد : « حتى أتى النخيلة وأتبعه الناس ، فرق رباوة من الأرض » .
 (٥) بعده في نهج البلاغة : « فتحه الله لخاصة أوليائه ، وهو لباس التقوى ، ودرع الله الحصينة ،
 وجنته الوثيقة » .
 ٢٥ (٦) النصف ، بالتحريك ، وكذا النصفة : الإنصاف . ويقال النصف أيضاً مثلث النون .

عُقِرَ دارهم إلا ذُلُّوا ^(١) فتواكلتم وتخاذلتم ، وثَقُلَ عليكم قولي واتخذتموه وراءكم
 ظهرًا ، حتى شُنَّتْ عليكم الغارات . هذا أخو غامد قد وردت خيلُه الأنبار ،
 وقتل حسان - أو ابن حسان - البكرى ^(٢) ، وأزال خيلكم عن مَسالِحها ^(٣) ،
 وقتل منكم رجالا صالحين ^(٤) ، ولقد بلغني أَنَّ الرَّجُلَ منهم كان يدخُل على
 المسلمة والأخرى المعاهدة ، فينزِع جِجلها وقُلْبها ورِعاثها ^(٥) ثم انصرفوا وإفرين ،
 ما كُلِمَ رَجُلٌ منهم كَلِمًا ، فلو أَنَّ أَمْرًا مسلما مات من بعد هذا ^(٦) أَسَفًا ،
 ما كان عِنْدِي به ملوما ، بل كان به عِنْدِي جَدِيرًا ^(٧) . فيا عجبًا من جِدِّ هؤلاء
 القوم في باطلهم ، وفَشَلِكُم عن حَقِّكم . فَقَبِّحُوا لَكُم وَتَرَحَّأُ ^(٨) ، حين صِرْتُم
 هدفًا يُرْمَى ^(٩) ، وَفَيْئًا يُنْتَهَب ، يُعَارُ عليكم ولا تُغَيَّرُونَ ، وَتُغَزَّوْنَ ولا تُغَزَّوْنَ ،
 وَيُعَصَّى اللهُ وَتَرْضَوْنَ ؛ فإذا أَمَرْتُكم بالسَّيْرِ إليهم في أَيَّامِ الْحَرِّ قَلْتُم : حَمَارَةٌ
 الْقَيْظِ ^(١٠) ، أَمَهَلْنَا يَنْسَلِخُ عَنَّا الْحَرُّ ^(١١) . وإذا أَمَرْتُكم بالسَّيْرِ في الْبَرْدِ ^(١٢) قَلْتُم :
 أَمَهَلْنَا يَنْسَلِخُ عَنَّا الْقُرُّ . كُلُّ ذَا فِرَارًا مِنَ الْحَرِّ وَالْقُرِّ . فإذا كُنْتُم مِنَ الْحَرِّ
 وَالْقُرِّ تَفْرُّونَ ، فَأَنْتُم وَاللَّهِ مِنَ السَّيْفِ أَقَرُّ . يا أَشْبَاهَ الرِّجَالِ ولا رِجَال ، ويا أَحْلَامَ
 الْأَطْفَالِ وعُقُولَ رَبَّاتِ الْحِجَالِ ، وَدِدْتُ أَنَّ اللَّهَ قد أَخْرَجَنِي مِنْ بَيْنِ ظَهْرَائِكُم

(١) عقر القوم ، بالضم والفتح : محلتهم بين الدار والحوض .

(٢) نهج البلاغة والكمال : « حسان بن حسان » .

(٣) ل فقط : « خيلهم » .

(٤) هذه الجملة لم ترد في غير البيان .

(٥) الججل : الخللخال . والقلب ، بالضم : السوار . والرعات : جمع رعث ، بالفتح ، ورعثة

بالضم والتحريك ، وهو القرط . فيما عدل : « فيتنزع أحجالها وقلبها ورعتها » .

(٦) فيما عدل : « من بعدها » .

(٧) هـ . « بها » موضع « به » في الموضعين .

(٨) قبحه الله قبحاً : أقصاه وباعده من كل خير . يقولون قبحاً له وشقحاً ، بفتح أولهما وضمه .

(٩) الكامل ونهج البلاغة وعيون الأخبار (٢ : ٢٣٦) وما عدل : « غرضاً يرمى » .

(١٠) حمارة القَيْظِ بتخفيف الميم وتشديد الراء : شدة حره . هـ : « في الحر » .

(١١) وكذا في نهج البلاغة . فيما عدل : « حتى ينسلخ عنا الحر » . الكامل : « أنظرنا ينصرم عنا الحر » .

(١٢) هـ : « بالسَّيْرِ إليهم في الشتاء » .

وَقَبَضَنِي إِلَى رَحْمَتِهِ مِنْ بَيْنِكُمْ . وَاللَّهُ لَوَدِدْتُ أَنِّي لَمْ أُرْكُمُ ، وَلَمْ أَعْرِفْكُمْ . مَعْرِفَةُ
وَاللَّهُ جَرَّتْ نَدْمًا . قَدْ وَرِثْتُمْ صَدْرِي غِيظًا ^(١) ، وَجَرَّعْتُمُونِي الْمَوْتَ أَنْفَاسًا ^(٢) ،
وَأَفْسَدْتُمْ عَلَيَّ رَأْيِي بِالْعَصِيانِ وَالْخِذْلَانِ ، حَتَّى قَالَتْ قَرِيشُ : ابْنُ أُنَى طَالِبٍ
شَجَاعٌ وَلَكِنْ لَا عِلْمَ لَهُ بِالْحَرْبِ . اللَّهُ أَبَوْهُمْ ، وَهَلْ مِنْهُمْ أَحَدٌ أَشَدُّ لَهَا مِرَاسًا
أَوْ أَطْوَلُ لَهَا تَجَرِبَةً مَنِي ؟ لَقَدْ مَارَسْتُهَا وَمَا بَلَغْتُ الْعَشْرِينَ ^(٣) ، فَهَأُنَذَا قَدْ نَيْفَتْ
عَلَى السِّتِينَ ^(٤) وَلَكِنْ لَا رَأْيَ لِمَنْ لَا يُطَاعُ .

قال : فقام له رجلٌ من الأزد يقال له فلان بن عفيف ^(٥) ، ثُمَّ أَخَذَ يَدَ
ابْنِ أَخِي لَهُ فَقَالَ : هَأُنَذَا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَابْنَ أَخِي ^(٦) فَأَمَرْنَا
بَأَمْرِكَ ^(٧) فَوَاللَّهِ لَنَمُضِينَ لَهُ وَلَوْ حَالَ دُونَ أَمْرِكَ شَوْكُ ^(٨) الْهَرَّاسِ ^(٩) ، وَجَمَرُ
الْعُضَى . فَقَالَ لَهَا عَلِيٌّ : وَأَيْنَ تَبْلُغَانِ مَا أُرِيدُ ، رَحِمَكُمَا اللَّهُ .

وخطبة له أخرى بهذا الإسناد في شبهه بهذا المعنى

قام فيهم خطيباً فقال ^(١٠) :

(١) يقال وري القيق جوفه يريه وريراً : أكله . فيما عدل : « وورثتم صدري غيظاً » . نهج
البلاغة : « وشحنم صدري غيظاً » .

(٢) أنفاساً : جمع نفس ، بالتحريك ، وهو الجرعة من الماء ونحوه .

(٣) فيما عدل ، هـ : « العشرين فيها » .

(٤) نهج البلاغة : « قد ذرفت على الستين » .

(٥) هـ : « غضيف » .

(٦) فيما عدل : « أنا وأخي كما قال الله : رب إني لا أملك إلا نفسي وأخي » .

(٧) فيما عدل : « فمرنا بأمرك » .

(٨) فيما عدل : « لنضربن دونك وإن حال دونك جمر الفضى » .

(٩) الهراس ، بالفتح : شجر كثير الشوك . ب ، حـ : « وشوك القتاد » . وبعد هذه الكلمة فيما

عدل : « قال : فأثنى عليهما وقال لهما خيراً وقال : أين تقعان مما أريد . ثم نزل » .

(١٠) ابن أبي الحديد (١ : ١٥٢) : « وهذه الخطبة خطب بها أمير المؤمنين في غارة للضحاك

ابن قيس » ، وذلك بعد الحكمين ، وقبل قتال النهروان .

أيها الناسُ المجتمعَةُ أبدانهم ، المختلفة أهواؤكم ^(١) ، كلامكم يُوهي الصُّمَّ الصَّلَاب ، وفعلكم يُطمع فيكم عُذُوكم . تقولون في المجالس كَيْتٌ وكَيْتٌ ، فإذا جاء القتال قلتُم : حَيْدِي حَيَادٍ ^(٢) . ما عَزَّتْ دعوةٌ مِنْ دعاكم ، ولا استراح قلبٌ من قاساكم ، أعاليلُ بأضاليل ^(٣) . سأتموّنِي التأخيرَ دِفَاعَ ذِي الدَّيْنِ المَطْوِلِ ^(٤) .

هيهات لا يمنع الضَّيْمَ الدَّلِيلُ ، ولا يُدْرِكُ الحَقُّ إلا بِالجِدِّ . أَيْ دَارٍ بعد دَارِكِ ٢٦٩

تَمْنَعُونَ ؟ أم مع أَيْ إِمَامٍ بعدى تقاتلون . المغرورُ والله مِنْ غَرَرْتُمُوهُ ، وَمَنْ فاز بكم فاز بالسهم الأَخِيبَ . أَصْبَحْتُ والله لا أَصْدُقُ قولكم ، ولا أَطْمَعُ في نصركم . فَرَّقَ اللهُ بيني وبينكم ، وأَعْقَبَنِي بكم مَنْ هو خَيْرٌ لِي منكم . كَوَدِدْتُ أَنْ لِي بِكُلِّ عَشْرَةٍ مِنْكُمْ رجلاً مِنْ بَنِي فِرَاسٍ بنِ غَنَمٍ ، صَرَفَ الدِّينَارَ بالدَّرْهَمِ .

خطبة عبد الله بن مسعود رحمه الله

١٠

أَصْدَقُ الحديث كتابُ اللهِ ، وأوثقُ العُرَى كلمةُ التَّقْوَى ، وخيرُ المِلَلِ مِلَّةُ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وأحسنُ السَّنَنِ سَنَةُ مُحَمَّدٍ ﷺ ^(٥) ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا ، وخيرُ الْأُمُورِ عَزَائِمُهَا ؛ مَا قَلَّ وَكَفَى خَيْرٌ مِمَّا كَثُرَ وَأَلْهَى . نَفْسٌ تُنْجِيهَا خَيْرٌ مِنْ إِمَارَةٍ لَا تُحْصِيهَا ^(٦) ؛ خَيْرُ الْغِنَى غِنَى النَّفْسِ . خَيْرُ مَا أُلْقِيَ فِي

(١) هذا على الالتفات . نهج البلاغة : « أهواؤهم » .

١٥

(٢) حيدى حياذ : كلمة يقولها الهارب الفار . مِنْ حَادٍ عن الشيء ، أَيْ انْغَرَفَ . وَحِيَادٌ كَقِطَاعٍ .

(٣) ابن أبي الحديد : « الباء في قوله بأضاليل متعلقة بأعاليل نفسها ، أَيْ يتعللون بالأضاليل التي

لا جدوى لها » .

(٤) المطول من المَطْل ، وهو التسويف والمدافعة بالوعد .

(٥) وسلم ، ليست في هـ . وبعدها في إعجاز القرآن ١٢٢ : « خير الأمور أوساطها » .

٢٠

(٦) في هامش التيمورية : « معناه أن يحكم الإنسان نفسه فيردها عن الشهوة والظلم لينجها

بذلك ، خير له من أن يكون أميراً على جماعة لا يقلدر أن يعدل فيوبق نفسه » .

- القلب اليقين . الحمر جماع الآثام ^(١) . النساء جبالة الشيطان . الشباب شعبة من الجنون . حب الكفاية مفتاح المعجزة ^(٢) . من الناس من لا يأتي الجماعة إلا ذبراً ^(٣) ، ولا يذكر الله إلا نزرأً ^(٤) . أعظم الخطايا اللسان الكنوب . سباب المؤمن فسق ^(٥) ، وقتاله كفر ، وأكل لحمة معصية . من يتأل على الله يُكذبه ^(٦) ومن يغفر يُغفر له . مكتوب في ديوان المحسنين : من عفا عني عنه . الشقى من شقى في بطن أمه . السعيد من وعظ بغيه . الأمور بعواقبها . ملاك الأمر خواتمه ^(٧) . أحسن الهدى هدى الأنبياء . أقبح الضلالة الضلالة بعد الهدى . أشرف الموت الشهادة . من يعرف البلاء يصبر عليه . من لا يعرف البلاء يُنكره .

خطبة عتبة بن غزوان السلمي بعد فتح الأبلّة

- ٢٧٠ . حَمِدَ اللهُ وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَصَلَّى عَلَى النَّبِيِّ ﷺ ثُمَّ قَالَ :
أما بعد فإن الدنيا قد تولت حذاء مذبرة ^(٨) ، وقد آذنت أهلها بصُرم ، وإنما بقي منها صُبابَة كصُبابَة الإناء يصطبها صاحبها ^(٩) . ألا وإنكم منقولون

- (١) جماع الشئ : مجموعه ومظنته ، كما في اللسان (جمع ٤٠٥) . والآثام : جمع إثم . وفي إعجاز القرآن : « جماع الإثم » .
١٥ (٢) المعجزة : بالفتح : مصدر ميمي من عجز ، وفي هامش التيمورية : « يريد الكفاية من العبادة : أن يستغنى الإنسان بالقليل منها عن الكثير فيؤدي ذلك إلى العجز » .
(٣) الدبر ، بالفتح والضم ، أى آخر الوقت . وفي الحديث في علامة المنافقين : « ولا يأتون الصلاة إلا ذبراً » . اللسان (٥ : ٣٥٤) .
(٤) فيما عدل وكذا في إعجاز القرآن ، والعقد : (٤ : ١٣٩) طبع لجنة التأليف : « إلا هجرا » .
٢٠ وفي هامش التيمورية : « أى لا يذكره إلا إذا حلف بيمين حاشا » .
(٥) وكذا في إعجاز القرآن . فيما عدل : « فسوق » .
(٦) أى من حكم عليه وحلف ، كقولك : والله ليدخلن الله فلانا النار ، ولننجحن الله سعى فلان . انظر اللسان (١٨ : ٤٣) .
(٧) فيما عدل وكذا في إعجاز القرآن : « ملاك العمل خواتيمه » .
٢٥ (٨) حذاء : سرعة الإديار . والحذاء : السرعة والخفة . وكلمة « حذاء مذبرة » ليست في العقد (٤ : ١٣٠) .
(٩) يقال : اصطب الصبابة وتصبها ، أى شربها . والصبابة ، بالضم : بقية الماء واللبن ونحوهما في الإناء والسقاء .

منها إلى دارٍ لا زوال لها ، فانتقلوا منها بخير ما يحضركم ^(١) ؛ فإنه قد ذُكر لنا ^(٢) أن الحجر يُلقى في النار من شفيرها ^(٣) فيهبى فيها سبعين عاما ^(٤) لا يدرك لها قعرا . والله لثُمَّلَان . أفعجيتم ولقد ذكر لنا أن بين مصراعين من الجنة مسيرة أربعين سنة ^(٥) ، وليأتينَّ عليه وقت ^(٦) وهو كظيظ بالزحام . ولقد رأيته سابع سبعة مع رسول الله ﷺ ^(٧) وما لنا طعامٌ إلا ورق الشجر ^(٨) حتى قرحت أشداقنا ، فالتقطت بُردةً فشققتها بيني وبين سعد بن مالك ^(٩) فانتزرتُ بنصفها وانتزعتُ بنصفها ، فما أصبح اليوم أحدٌ منا حياً إلا أصبح أميراً على مصر من الأمصار ^(١٠) . وإني أعوذ بالله من أن أكون في نفسي عظيماً ، وعند الله صغيراً ^(١١) وإنها لم تكن نبوة قط إلا تناسخت حتى يكون عاقبتها مُلكاً ^(١٢) . وستخبرون الأمراء بعدى فتعرفون وتُنكرون ^(١٣) .

(١) في العقد وما عدل : ألا وإنكم مفارقوها لا محالة ، ففارقوها بأحسن ما يحضركم .
(٢) بدله في العقد وما عدل : « ألا وإن من العجب أني سمعت رسول الله ﷺ يقول » .
(٣) فيما عدل : « إن الحجر الضخم يلقى في النار » . العقد : « إن الحجر الضخم يرمى به في شفير جهنم » .

(٤) في العقد وما عدل : « خريفاً » . والكلام بعدها إلى « أفعجيتم » من ل فقط .
(٥) بدل هذه العبارة فيما عدل والعقد : « ولجهنم سبعة أبواب ما بين البابين مسيرة خمسمائة سنة » ، لكن في العقد : « بين كل باين منها مسيرة خمسمائة عام » .
(٦) فيما عدل : « ولتأتين عليه ساعة » . العقد : « ولتأتين عليها ساعة ولها كظيظ بالزحام » .
(٧) في العقد وما عدل : « ولقد كنت مع رسول الله ﷺ سابع سبعة » .
(٨) في العقد وما عدل « البشام » وهو كسحاب : شجر عطرى الرائحة يستاك به .
(٩) في العقد وما عدل : « فوجدت أنا وسعد بن مالك غمرة فشققتها بيني وبينه » .
(١٠) العقد وما عدل : « وما منا أحد اليوم إلا وهو أمير على مصر » .
(١١) ما عدل : « وفي أعين الناس صغيراً » .

(١٢) بدل هذه العبارة فيما عدل : « وإنه لم تكن نبوة قط تناسختها جبرية » .
(١٣) هذه العبارة ساقطة من العقد . وفيما عدل : « وستجربون » بدل « وستخبرون » .

خطبة من خطب معاوية رحمه الله (١)

- رواها شعيب بن صفوان (٢) ، وزاد فيها البقَطَرِي (٣) وغيره ، قالوا : لما حضرت معاوية الوفاة قال مولى له : من الباب ؟ قال (٤) : نفر من قريش يتباشرون بموتك . فقال : ويحك ، ولم ؟ قال : لا أدري ، قال : فوالله ما لهم بعدى إلا الذى يسوؤهم . وأذن للناس فدخلوا ، فحمد الله وأثنى عليه وأوجز ثم قال :
- أيها الناس ، إنا قد أصبحنا فى دهر عنود (٥) ، وزمن شديد ، يُعَدُّ فيه المحسنُ مسيئاً . ويزداد فيه الظالم عُتُوًّا ، ولا ننتفع بما عَلِمناه ، ولا نَسألُ عما جهلناه ، ولا نتخوفُ قارعة حتى تحل بنا . فالناس على أربعة أصناف : منهم من لا يمنع الفساد فى الأرض إلا مهانة نفسه ، وكلال حده ، ونضيض وفره (٦) . ومنهم المصلي لسيفه ، المُجلب بخيله ورجله ، والمعلن بسره ؛ قد أشرط لذلك نفسه (٧) ، وأوتق دينه ، لحطاط ينتهزه ، أو مقنّب يقوده ، أو منبر يفرّعه (٨) . وليس المتجر أن تراها (٩) لنفسك ثمنًا ، ومِمَّا لك (١٠) عند الله عوضا . ومنهم من

- (١) فيما عدل : « معاوية بن أبى سفيان رضى الله تعالى عنهما » .
- (٢) هو أبو يحيى شعيب بن صفوان بن الربيع الثقفى الكوفى الكاتب ، ذكره ابن حبان فى الثقات سكن بغداد ومات بها أيام الرشيد . تاريخ بغداد ٤٨١٣ وعهذيب التهذيب .
- (٣) كذا فى ل مع ضبط الطاء بالفتح . وفيما عدل : « البقَطَرِي » .
- (٤) ل : « قال لموال له من الباب ؟ قالوا » . وسائر العبارة فى ل بجمع الضمائر للموال . وأثبت ما فى سائر النسخ والعقد (٤ : ٨٨) وإعجاز القرآن ١٢٣ وعيون الأخبار (٣ : ٢٣٧) وابن أبى الحديد (١ : ١٧٢) حيث نسبت الخطبة فى الأخير إلى على بن أبى طالب .
- (٥) العنود : الجائر الطاغى . ل « عنود » ، تحريف .
- (٦) التضيض : القليل . والوفر : المال .
- (٧) أشرط نفسه للأمر : أعدها وهياها . والإشرط : الإعلام بعلامة .
- (٨) يفرعه : يعلوه .
- (٩) فى الأصول والعقد وعيون الأخبار : « تراها » ، صوابها من إعجاز القرآن . وفى نهج البلاغة : « أن ترى الدنيا لنفسك » .
- (١٠) هـ : « ولما لك » .

يطلب الدنيا بعمل الآخرة ، ولا يطلب الآخرة بعمل الدنيا ، قد طامن من شخصه ، وقارب من خطوه ^(١) وشتر من ثوبه ، وزخرف نفسه للأمانة ^(٢) ، واتخذ ستر الله ذريعة إلى المعصية ^(٣) . ومنهم من أقعده عن طلب الملك ضؤولة نفسه ، وانقطاع من سببه ^(٤) ، فقصرت به الحال عن أمله . فتحلى باسم القناعة ، وتزين بلباس الزهادة ^(٥) وليس من ذلك في مراح ولا مغدى . وبقي رجال غص أبصارهم ذكر المرجع ، وأراق دموعهم خوف المحشر ^(٦) ، فهم بين شريد ناد ^(٧) ، وخائف منقيع ، وساكت مكعوم ^(٨) ، وداع مخلص ، وموجع ثكلان ، قد أمحلتهم التقيّة ، وشملتهم الذلّة ، فهم في بحر أجاج ، أفواهم ضامرة ^(٩) ، وقلوبهم فريحة ، قد وعظوا حتى ملوا ، وقهروا حتى ذلوا ، وقتلوا حتى قتلوا . فلتكن الدنيا في عيونكم ^(١٠) أصغر من حثالة القرظ ^(١١) ، وقراضة الجلمين ^(١٢) ، واتعظوا

(١) ل : « في خطوه » . وأثبت ما في سائر النسخ والمصادر المتقدمة .

(٢) في العقد : « بالأمانة » .

(٣) فيما عدل : « للمعصية » .

(٤) إعجاز القرآن والعقد وما عدل : « وانقطاع سببه » .

(٥) العقد : « وتزينا » . العيون والإعجاز وما عدل : « الزهاد » . وفي نهج البلاغة : « بلباس أهل الزهادة » .

(٦) العقد : « خوف المضجع » .

(٧) الناد : النافر الذاهب على وجهه . فيما عدل : « نافر » ، وأشير في هـ إلى « ناد » .

(٨) المكعوم : المشدود بالكعام ، وهو ككتاب : شئ يجعل على فم البعير . ل فقط : « مكعوم » تحريف .

(٩) ضامرة : ساكنة ؛ من قولهم : ضمير البعير : أمسك جرتة في فيه . العقد والعيون : « ضامرة » بالراء ، تحريف صوابه في نهج البلاغة . وفي إعجاز القرآن : « دامية » .

(١٠) وكذا في الإعجاز . وفي العقد والعيون وما عدل : « أعينكم » .

(١١) ل : « القرظ » محرف ، صوابه في هـ والعقد والعيون والإعجاز والنهج . وفي سائر النسخ : « القرظة » . والقرظة : واحدة القرظ .

(١٢) الجلمان : المقص يجر به أوبار الإبل . والقراضة : ما يقع من القرض والقطع . العقد : « قرادة الحلم » ، تحريف . وفي سائر المصادر : « قراضة الجلم » .

بِمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ ، قَبْلَ أَنْ يَتَّعِظَ بِكُمْ مَنْ يَأْتِي بَعْدَكُمْ . فَارْفُضُوهَا ذَمِيمَةً ؛ فَإِنَّهَا رَفَضَتْ مَنْ كَانَ أَشْعَفَ بِهَا مِنْكُمْ .

* * *

- وفي هذه الخطبة أبقاك الله ضروباً من العجب : منها أَنَّ الكلام لا يشبه السبب الذي من أجله دعاهم معاوية ، ومنها أَنَّ هذا المذهب في تصنيف الناس ، وفي الإخبار عما هم عليه من القهر والإذلال ، ومن الثقيّة والخوف . أشبه بكلام على رضى الله عنه ومعانيه وحالِه منه ^(١) بحال معاوية . ومنها أَنَّا لم نَجِدْ معاوية في حالٍ من الحالات يسلك في كلامه مسلك الزهاد ، ولا يذهب مذاهب العباد . وإنما نكتب لكم ونخبر بما سمعناه ، والله أعلم بأصحاب الأخبار ، وبكثير منهم ^(٢) .

١٠

خطبة زياد بالبصرة

٢٧٢

وهي التي تدعى البتراء ^(٣)

قال أبو الحسن المدائني ^(٤) ، وغيره ؛ ذكر ذلك عن مسلمة بن محارب ، وعن أمي بكر الهذليّ قالا : قدم زيادُ البصرة واليا لمعاوية بن أبي سفيان ، [وضمَّ إليه

(١) فيما عدل : « و بمعانيه و بحاله منه » .

(٢) وكذا قال الرضى في نهج البلاغة معقبا على هذه الخطبة وقد نسبها إلى على ، قال : « وهذه الخطبة ربما نسبها من لا علم له إلى معاوية ، وهي من كلام أمير المؤمنين عليه السلام الذي لا يشك فيه ، وأين الذهب من الرغام ، والعذب من الأجاج ، وقد دل على ذلك الدليل الخريت ، ونقده الناقد البصير : عمرو بن بحر الجاحظ ، فإنه ذكر هذه الخطبة في كتاب البيان والتبيين ، وذكر من نسبها إلى معاوية ثم قال : هي بكلام على أشبه ... » إلى آخر كلامه .

(٣) انظر سبب تسميتها بالبتراء في أوائل هذا الجزء ص ٦ س ٦ . وأوردها ابن قتيبة في عيون الأخبار (٢ : ٢٤١ ، ٢٤٣) برواية أخرى وجعلها خطبتين . ونحو رواية ابن قتيبة في نوادر القالي ١٨٥ . أما صاحب العقد فقد أوردها من رواية المدائني موافقة ما في البيان . وجاء بها الطبري في حوادث سنة ٤٥ مقارنة لذلك .

(٤) بعدها في ل : « وغيره » . وهي مقحمة فيما أرى ، وليست في العقد .

خراسان وسجستان ، والفسق بالبصرة كثير فأش ظاهر ^(١)] .

قالا : فخطب خطبة بتراء ، لم يَحْمَد الله فيها ، ولم يصلّ على النبي .

وقال غيره : بل قال :

الحمد لله على إفضاله وإحسانه ، ونسأله المزيد من نِعَمه وإكرامه . اللهم
كما زدتنا نِعَمًا فألْهِمْنَا شُكْرًا .

أما بعد فَإِنَّ الجَهْلَةَ الجَهْلَاءَ ، والضَّلَّالَةَ العَمِيَاءَ ، والْعَيَّ المَوْفَى بأهله على
النار ، ما فيه سفهاؤكم ويشتمل عليه حلماؤكم ، من الأمور العظام يَنْبُتُ فيها الصغير ،
ولا يَنْحَاشُ عنها الكبير ^(٢) ، كَأَنْكُمْ لم تَقْرَءُوا كِتَابَ اللَّهِ ، ولم تَسْمَعُوا مَا أَعَدَّ اللَّهُ مِنَ
الثَّوَابِ الْكَرِيمِ لِأَهْلِ طَاعَتِهِ ، والعَذَابِ الْأَلِيمِ لِأَهْلِ مَعْصِيَتِهِ ، فِي الزَّمَنِ السَّرْمَدِ ^(٣)
الَّذِي لَا يَزُول ، أَتَكُونُونَ كَمَنْ طَرَفَتْ عَيْنُهُ الدُّنْيَا ، وَسَدَّتْ مَسَامِعُهُ الشَّهَوَاتُ ،
وَاخْتَارَ الْفَانِيَةَ عَلَى الْبَاقِيَةِ ، وَلَا تَذْكُرُونَ أَنْكُمْ أَحْدَثْتُمْ فِي الْإِسْلَامِ الْحَدَّثَ الَّذِي لَمْ
تُسَبِّقُوا إِلَيْهِ : مِنْ تَرْكِكُمْ ^(٤) الضَّعِيفَ يُقْهَرُ وَيُؤْخَذُ مَالُهُ ، وَهَذِهِ الْمَوَاخِيرُ
الْمَنْصُوبَةُ ^(٥) ، وَالضَّعِيفَةُ الْمَسْلُوبَةُ فِي النَّهَارِ الْمُبْصِرِ ، وَالْعَدُدُ غَيْرُ قَلِيلٍ . أَلَمْ تَكُنْ
مَنْكُمْ نُهَاءً تَمْنَعُ الْعَوَاةَ عَنْ دَلَجِ اللَّيْلِ وَغَارَةِ النَّهَارِ ؟ قَرِيبُكُمْ الْقَرَابَةُ ، وَبَاعَدْتُمُ الدِّينَ ،
تَعْتَدِرُونَ بِغَيْرِ الْعُدْرِ ، وَتُقْضُونَ عَلَى الْخِتْلَسِ ^(٦) . أَلَيْسَ ^(٧) كُلُّ أَمْرٍ مِنْكُمْ يَذُبُّ
عَنْ سَفِيهِهِ ، صُنْعَ ^(٨) مَنْ لَا يَخَافُ عَاقِبَةَ وَلَا يَرْجُو مَعَادًا . مَا أَنْتُمْ بِالْحُلَمَاءِ ،

(١) التكملة من العقد وما عدل .

(٢) انحاش عن الأمر : نفر منه . العقد والطبرى : « ولا يتحاشى » ، ولست أحققها .

(٣) العقد : « السرمدي » .

(٤ - ٥) العقد والطبرى : « من ترككم هذه المواخير المنصوبة » .

(٥) ل : « على الذم » وأثبت ما في سائر النسخ والعقد . وفي الطبرى : « وتغطون على الختلس » .

(٦) كلمة « أليس » في ل فقط .

(٧) في الطبرى والعقد وما عدل ، هـ : « صنيع » . وأشير في هـ إلى رواية صنيع .

- ولقد اتبعتم السفهاء ، فلم يزل بكم ما ترون ^(١) من قيامكم دونهم حتى انتهكوا حرم الإسلام ، ثم أطرقوا وراءكم كنوسا في مكائس الرّيب . حرام على الطّعام والشراب حتى أسوأها بالأرض ، هذماً وإحراقاً . إني رأيت آخر هذا الأمر لا يصلح إلا بما صلح به أوّله : لين في غير ضعف ، وشدة في غير عنف ^(٢) .
- ٢٧٣ وإني أقسم بالله ، لأخذنّ الولي بالولي ^(٣) ، والمقيم بالطّاعن ، والمقبل بالمذبر ، والمطيع بالعاصي ، والصّحيح منكم في نفسه بالسقيم ، حتى يلقي الرّجل منكم أخاه فيقول : انج سعد فقد هلك سعيّد ، أو تستقيم لي قنائكم . إن كذبته المنبر بقاء مشهورة ^(٤) ، فإذا تعلّقتم على بكذبة فقد حلّت لكم معصيتي ، وإذا سمعتموها متي فاعتزموها في ^(٥) واعلموا أن عندي أمثالها . من نكب منكم عليه فأنا ضامن لما ذهب منه ^(٦) . فإياي ودلج الليل ؛ فإني لا أوتئ بمُدج إلا سفكت دمه . وقد أجلتكم في ذلك بمقدار ^(٧) ما يأتي الخبر الكوفة ويرجع إليكم . وإياي ودعوة الجاهلية ^(٨) ؛ فإني لا آخذ داعياً بها ^(٩) إلا قطعّت لسانه . وقد أحدثتم أحداثاً لم تكن ، وقد أحدثنا لكلّ ذنب عقوبة : فمن غرق قوماً غرقناه ، ومن أحرق قوماً أحرقناه ، ومن نكب بيتاً نقبنا عن قلبه ، ومن نبش قبراً دفناه فيه حياً . فكفّوا عنّي أيديكم وألسنتكم ، أكفّف عنكم يدي ولساني . ولا تظّهروا على
- ١٥

(١) وكذا في العقد . وفي ل : « فلم يزل بهم ما ترون » .

(٢) الطبري : « في غير جبرية وعنّف » .

(٣) العقد فقط : « الولي بالمولي » .

(٤) الطبري : « تبقى مشهورة » .

(٥) اغتمر الشيء : استضعفه . ل : « فاعتبروها في » . النوادر : « فاعتبروها في » .

(٦) ل : « له » .

(٧) ل : « بقدر » .

(٨) العقد والطبري والعيون : « ودعوى الجاهلية » . وفي الحديث ما بال دعوى

الجاهلية . هو قولهم يا فلان . كانوا يدعون بعضهم بعضاً عند الأمر الحادث الشديد . ومنه حديث زيد بن أرقم : فقال قوم : يا لأنصار . وقال قوم : يا للمهاجرين ! فقال عليه السلام : دعوها فإنها منتنة .

(٩) هـ : « لا أجد أحداً دعا بها » .

أَحَدٍ مِنْكُمْ رِيَّةً بِخِلَافِ مَا عَلَيْهِ عَامَتُكُمْ إِلَّا ضَرَبْتُ عَنْقَهُ . وَقَدْ كَانَتْ بَيْنِي وَبَيْنَ أَقْوَامٍ إِحْنٌ فَجَعَلْتُ ذَلِكَ دَبْرَ أُذُنِي ^(١) وَتَحْتَ قَدَمِي ، فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مُحْسِنًا فَلْيَزِدْ إِحْسَانًا ، وَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مُسِيئًا فَلْيَنْزِعْ عَنْ إِسَاءَتِهِ . إِنِّي وَاللَّهِ لَوْ عَلِمْتُ أَنَّ أَحَدَكُمْ قَدْ قَتَلَ السِّلَّ مِنْ بُغْضِي لَمْ أَكْشِفْ لَهُ قِنَاعًا ، وَلَمْ أَهْتِكْ لَهُ سِتْرًا ، حَتَّى يُبَيِّدَ لَهُ صَفْحَتَهُ ، فَإِذَا فَعَلَ ذَلِكَ لَمْ أَنَاظِرْهُ . فَاسْتَأْنِفُوا أُمُورَكُمْ ، وَأَرْغُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ ^(٢) ، قَرَبٌ مَسْئُوءٍ بِقَدُومِنَا سَنَسْرُهُ ^(٣) وَمَسْرُورٍ بِقَدُومِنَا سَنَسْوُهُ ^(٤) .

أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّا أَصْبَحْنَا لَكُمْ سَادَةً ، وَعَنْكُمْ ذَادَةً ، نَسُوسُكُمْ بِسُلْطَانِ اللَّهِ الَّذِي أَعْطَانَا ، وَنَدُوذُ عَنْكُمْ بِفِعْلِ اللَّهِ الَّذِي حَوَّلَنَا . فَلَنَا عَلَيْكُمْ السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ فِيمَا أَحْبَبْنَا ، وَلَكُمْ عَلَيْنَا الْعَدْلُ وَالْإِنْصَافُ فِيمَا وُلِّينَا . فَاسْتَوْجِبُوا عَدْلَنَا وَفَيْقَنَا بِمَنَاصِحَتِكُمْ لَنَا ، وَاعْلَمُوا أَنِّي مَهْمَا قَصَّرْتُ عَنْهُ فَلَنْ أَقْصُرَ عَنْ ثَلَاثٍ :

لَسْتُ مُحْتَجِبًا عَنْ طَالِبِ حَاجَةٍ مِنْكُمْ وَلَوْ أَتَانِي طَارِقًا بَلِيلٍ ، وَلَا حَاسِبًا عَطَاءَ ٢٧٣ وَلَا رِزْقًا عَنْ إِيَّانِهِ ، وَلَا مَجْمَرًا لَكُمْ بَعْنَا ^(٥) . فَادْعُوا اللَّهَ بِالصَّلَاحِ لِأُتْمَتِكُمْ ؛ فَإِنَّهُمْ سَاسَتُكُمُ الْمُؤَدَّبُونَ ^(٦) ، وَكَهْفُكُمْ الَّذِي إِلَيْهِ تَأْوُونَ ، وَمَتَى يَصْلُحُوا تَصْلُحُوا . وَلَا تُشْرِبُوا قُلُوبَكُمْ بُغْضَهُمْ فَيَشْتَدَّ لَذَلِكَ غِيظُكُمْ ، وَيَطُولَ لَهُ حُزْنُكُمْ ، وَلَا تُذَرِّكُوا بِهِ حَاجَتَكُمْ ، مَعَ أَنَّهُ لَوْ اسْتَحْجَبَ لَكُمْ فِيهِمْ لَكَانَ شَرًّا لَكُمْ . ١٥ أَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يُعَيِّنَ كَلًّا عَلَى كُلِّ . وَإِذَا رَأَيْتُمُونِي أُفِذْ فَيَكُمُ الْأَمْرَ فَأُفِذْهُ عَلَى

(١) ل : جعلتها دبر أذني .

(٢) الإرعاء : الإبقاء والرفق . الطبرى والعقد وما عدا ل : وأعينوا على أنفسكم .

(٣) الطبرى والعقد وما عدا ل : غرب مبشش بقدمونا سير .

(٤) الطبرى والعقد وما عدا ل : سبيشس .

(٥) انظر ما سبق في ص ٤٨ ص ٣ .

(٦) ل : ساساتكم . وساسات : جمع ساسة ، كسادات جمع سادة .

أذلاله (١) وأيم الله إن لي فيكم لصرعى كثيرة ، فليحذر كل امرئ منكم أن يكون من صرعى .

قال : فقام إليه عبد الله بن الأهم (٢) فقال : أشهد أيها الأمير ، لقد أوتيت الحكمة وفصل الخطاب . فقال له : كذبت ، ذلك نبي الله داود صلى الله عليه .

فقام الأحنف بن قيس فقال (٣) : أيها الأمير ، إنما المرء بجده ، والجواد بشده ، وقد بلّغك جدك أيها الأمير ما ترى ، وإنما (٤) الثناء بعد البلاء ، والحمد بعد العطاء ، وإنا لن نثنى حتى نبتلى . فقال زياد : صدقت .

فقال إليه أبو بلال مرداس بن أدية (٥) ، وهو يهمس ويقول : أنبأنا الله بغير ما قلت ، فقال (٦) : ﴿ وإبراهيم الذي وقى . ألا تزرُ وازرةٌ وزر أخرى . ﴾

وأن ليس للإنسان إلا ما سعى ﴿ . وأنت ترعُم أنك تأخذ البرى بالسقيم ، والمطيع بالعاصي ، والمقبل بالمدبر . فسمعه زياد (٧) فقال : إنا لا نبلغ ما نريد فيك وفي أصحابك حتى نخوض إليكم الباطل خوضاً .

وقال الشعبي (٨) : ما سمعتُ متكلماً على منبرٍ قط تكلم فأحسنَ إلا أحببتُ

(١) على أذلاله : على طريقه ووجهه ، واحده ذل ، بكسر الذال ، وهو ما مهد وذلل من الطريق .

(٢) في نوادر القال ١٨٥ : « صفوان بن الأهم » .

(٣) الكلام بعده إلى نهاية « ما ترى » من ل فقط ، وفي النوادر : « إن الجواد بشده ، وإن السيف بجده ، وإن المرء بجده » . ونحوه في عيون الأخبار . ولم يذكر في العقد والطبرى .

(٤) الواو ساقطة مما عدل ، لأنها فيها أول كلام الأحنف .

(٥) هو أبو بلال مرداس بن أدية - بهيئة التصغير - أحد الخوارج ، خرج في أيام يزيد بن معاوية

(٦) بناحية البصرة على عبيد الله بن زياد ، فبعث إليه زرعة بن مسلم العامري ، فهزم زرعة ثم وجه إليه عباد بن علقمة - ويقال له أيضاً عباد بن أخضر - فهزمه وقتله سنة ٦١ ، وهى سنة مقتل الحسين . وقد أنشد الجاحظ له شعراً في الحيوان (٥ : ٢٥) . وانظر الطبرى (٦ : ٢٧١) ولسان الميزان (٦ : ١٤) وجمهرة ابن حزم ٢١١ .

(٦) فيما عدل : « قال الله » .

(٧) فيما عدل : « فسمعه زياد » .

(٨) بدله فيما عدل : « خلاد بن يزيد الأرقط قال : سمعت من يخبر أن الشعبي قال » .

أن يسكت خوفاً أن يسيء ، إلا زياداً ؛ فإنه كان كلما أكثر كان أجودَ كلاماً .
أبو الحسن المدائني قال : قال الحسن : أوعدَ عمرُ فعوفى ، وأوعدَ زيادُ
فابتلى (١) .

قال : وقال الحسن : تشبه زيادُ بعمر فافرط ، وتشبه الحجاجُ بزيادٍ فأهلك
الناس .

قال أبو عثمان : قد ذكرنا من كلام رسول الله ﷺ وخطبه صدرًا ، ٢٧٥
وذكرنا من خطب السلف رحمهم الله جملاً ، وسندكر من مقطعات الكلام ،
وتجاوب البلغاء (٢) ، ومواعظ الثسك ، ونقصيد من ذلك إلى القصار دون
الطوال ؛ ليكون ذلك أخف على القارئ ، وأبعد من السامة والمَلَل (٣) . ثم نعود
بعد ذلك إلى الخطب المنسوبة إلى أهلها إن شاء الله . ولا قوة إلا بالله .

قال أبو الحسن المدائني : قدم عبد الرحمن بن سليم الكلبي ، على المهلب
ابن أبي صفرة ، في بعض أيامه مع الأزارقة ، فرأى بنيهِ قد ركبوا عن آخرهم
فقال : « شدَّ الله الإسلامَ بتلاحقكم (٤) » ، فوالله لئن لم تكونوا أسباطَ بُيُوتِ إناكم
لأسباط مَلَحَمَة » . ١٥

وقال أبو الحسن : دخل الهذيل بن زُفر الكلابي ، على يزيد بن المهلب في
حمالات لزمته (٥) ، ونوائب نابتة ، فقال له : « أصلحك الله ، إته قد عظم شأنك ،

(١) ذاك أنه أصيب بالطاعون فقتل عليه . وقال عبد الله بن عمر حين بلغه مصرعه : اذهب إليك ابن
سمية ، فلا الدنيا بقيت لك ، ولا الآخرة أدركت . انظر الطبري (٦ : ١٦٢) في حوادث سنة ٥٣ .

(٢) ما عدا هـ . « وتجاوب البلغاء » .

(٣) فيما عدل : « والملال » .

(٤) فيما عدل : « أنس الله » .

(٥) الحمالة ، كسحابة : الدية يحملها قوم عن قوم .

وَارْتَفَعَ قَدْرُكَ أَنْ يُسْتَعَانَ بِكَ ، أَوْ يُسْتَعَانَ عَلَيْكَ ^(١) وَلَسْتَ تَفْعَلُ شَيْئًا مِنَ الْمَعْرُوفِ إِلَّا وَأَنْتَ أَكْبَرُ مِنْهُ ^(٢) . وَلَيْسَ الْعَجَبُ مِنْ أَنْ تَفْعَلَ ، وَلَكِنَّ الْعَجَبَ مِنْ أَنْ لَا تَفْعَلَ » . قَالَ يَزِيدُ : حَاجَتُكَ . فَذَكَرَهَا ، فَأَمَرَ لَهُ بِهَا ، وَأَمَرَ لَهُ بِمِائَةِ أَلْفٍ . فَقَالَ : أَمَّا الْحِمَالَاتُ فَقَدْ قَبِلْتَهَا ، وَأَمَّا الْمَالُ فَلَيْسَ هَذَا مَوْضَعُهُ .

- ٥ عِيسَى بْنُ يَزِيدَ بْنِ دَأْبٍ ^(٣) ، عَمَّنْ حَدَّثَهُ عَنْ رَجُلٍ كَانَ يَجَالِسُ ابْنَ عَبَّاسٍ قَالَ : قَالَ عُمَانُ بْنُ أَبِي الْعَاصِي الثَّقَفِيُّ لَبْنِيهِ ^(٤) : « يَا بَنِيَّ ، إِنِّي قَدْ أَمَجَّدْتُكُمْ فِي أَمَهَاتِكُمْ ^(٥) ، وَأَحْسَنْتُ فِي مَهْنَةِ أَمْوَالِكُمْ ^(٦) ، وَإِنِّي مَا جَلَسْتُ فِي ظِلِّ رَجُلٍ مِنْ ثَقِيفٍ أَشْتَمَ عِرْضَهُ . وَالتَّائَكُحَ مُغْتَرِسٌ ، فَلْيَنْظُرِ أَمْرًا مِنْكُمْ حَيْثُ يَضَعُ غَرَسَهُ . وَالْعِرْقُ السَّوُّءُ قَلَمًا يُنْجِبُ ^(٧) وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ » . قَالَ : فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : « يَا غُلَامُ ، اكْتُبْ لَنَا هَذَا الْحَدِيثَ » .

١٠ قَالَ : وَلَمَّا هَمَّتْ ثَقِيفٌ بِالْإِرْتِدَادِ قَالَ لَهُمْ عُمَانُ : « مَعَاشِرَ ثَقِيفٍ ، لَا تَكُونُوا آخِرَ الْعَرَبِ لِإِسْلَامَا ، وَأَوَّلَهُمْ إِرْتِدَادًا » .

قَالَ : وَسَمِعْتُ أَعْرَابِيًّا ذَكَرَ يَوْمًا قُرَيْشًا ، فَقَالَ : « كَفَى بِقُرَيْشٍ شَرَفًا أَنَّهُمْ أَقْرَبُ النَّاسِ نَسَبًا بِرَسُولِ اللَّهِ ^(٨) ﷺ ، وَأَقْرَبُهُمْ بَيْتًا مِنْ بَيْتِ اللَّهِ » .

(١) فِيمَا عَدَلَ ، هـ : « قَدْ عَظُمَ شَأْنُكَ عَنْ أَنْ يُسْتَعَانَ عَلَيْكَ » .

(٢) فِيمَا عَدَلَ : « وَلَسْتَ تَصْنَعُ » .

(٣) سَبَقَتْ تَرْجُمَتُهُ فِي (١ : ٣٢٤) .

(٤) فِي الْأَغَانِي (١٢ : ٤٥) ، أَنَّ الْوَصِيَّةَ لِقِيلَانَ بْنِ سَلَمَةَ .

(٥) هُوَ مِنْ قَوْلِهِمْ أَمَجَّدَ فَلَانًا ، إِذَا أَعْطَاهُ مَا كَفَى وَفَضَلَ . أَرَادَ قَدْ اخْتَرْتَ لَكُمْ نَسَبًا كَرِيمًا .

(٦) الْمَهْنَةُ ، بِالْفَتْحِ ، وَالْكَسْرِ ، وَالتَّحْرِيكِ ، وَبِفَتْحِ فَكْسَرٍ : الْخِدْمَةُ . ل : « وَأَحْسَنْتُ مَهْنَةَ أَمْوَالِكُمْ » .

(٧) هـ : « وَالْعِرْقُ السَّيِّئُ مِمَّا يُنْجِبُ السَّوْءَ » .

(٨) ل : « مِنْ رَسُولِ اللَّهِ » .

الأصمعيّ قال : قيل لعقيل بن عُلفة : أتتهجو قومك ^(١) ؟ قال : العنم إذا ٢٧٦
لم يُصنّف بها لم تُشرب ^(٢) .

قال : وقيل لعقيل : لم لا تُطيل الهجاء ؟ قال : « يكفيك من القِلادة ما أحاط بالعُنق » .

قال : وسأل عمرُ بن الخطاب رضى الله عنه عمرو بن معد يكرب ، عن
سعد ^(٣) قال : كيف أميركم ؟ قال : « خيرُ أمير ، نبطي » ^(٤) في حُبوتيه ، عَرَى في
نِمرته ^(٥) ، أسدٌ في تأمورته ^(٦) ، يعدل في القضية ، ويقسم بالسوية ، ويتفر في
السرية ^(٧) ، وينقل إلينا حقنا كما تنقل الدرة . فقال عمر : لشد ما تقارضتا الثناء .
قال : ولما تورّد الحارثُ بن قيس الجَهضميّ بعبيد الله بن زياد ^(٨) ، منزل
مسعود بن عمرو العتكيّ ^(٩) ، عن غير إذن ، فأراد مسعود إخراجه من منزله ،
قال عبيد الله : قد أجازتني ابنة عمك عليك ^(١٠) ، وعقدّها العقد الذي يلزمك ،

(١) فيما عدل : « لم تهجو قومك » .

(٢) ما عدل ، هـ : « لم يصفر لها » .

(٣) هو سعد بن أبي وقاص مضت ترجمته في (١ : ٢٦١) . ولى لكوفة لعمر ، وهو الذى
بناها . والخبر فى الأغاني (١٤ : ٣١) والشعر والشعراء ٣٣٣ .

(٤) وكذا فى الشعراء . وفى اللسان (نبط) . « أعرأى فى حوته ، نبطى فى حوته » ، وقال :
« أراد أنه فى جباية الخراج وعمارة الأرضين كالنبط ، حذقا بها » .

(٥) فى اللسان (٧ : ٩٤) . « أعرأى فى نمرته » . والتمر : بردة من صوف يلبسها الأعراب .

(٦) التامورة : العرين ، وهو بيت الأسد .

(٧) كذا ، وفى اللسان (١٩ : ١٠٥) : « وفى حديث سعد : لا يسير بالسرية ، أى لا يخرج
مع السرية فى الغزو » . والسرية : قطعة من الجيش نحو الأربعمائة ، سميت بذلك لأنها تسرى ليلا فى
خفية ، لئلا يندر بهم العدو فيحذروا ويمتنعوا » . والجملة ساقطة من هـ .

(٨) أى مع عبيد الله بن زياد . وتورد بمعنى ورد . وفى الاشتقاق ٢٩٤ : « والحارث بن قيس بن
صهبان هذا ، هو الذى ذهب بعبيد الله بن زياد إلى مسعود حتى أجاره » .

(٩) فى الاشتقاق ٢٩٤ : « ومن رجالهم مسعود بن عمرو بن عدى بن محارب بن صميم بن مليح
ابن شيطان بن معن بن مالك ، الذى يقال له : قمر العراق . قتله بنو نعيم . كان سيد الأزد ، وهو الذى
أجار عبيد الله بن زياد أيام الفتنة . أخو المهلب بن أبى صفرة لأمه » .

(١٠) هى أم بسطام امرأة مسعود ، وهى بنت عمه . الطبرى (٧ : ٢٣) . وكان قد استجار بها
فى فتنة البصرة وأعطاه مائة ألف درهم .

وهذا ثوبها على ، وطعامها في مذاخيرى ^(١) ، وقد التفت على منزلك . وشهد له الحارث بذلك .

قال : مرّ الشّعبي بناسي من الموالى يتذاكرون النحو فقال : لعن أصلحتموه إنكم لأوّل من أفسده .

قال : وتكلّم عبد الملك بن عُمير ^(٢) ، وأعرانيّ حاضر ، فقيل له : كيف ترى هذا الكلام ؟ فقال : لو كان كلام يؤتدّم به لكان هذا الكلام ممّا يؤتدّم به ^(٣) .

وقال جرير ^(٤) « العذرة طَرفٌ من البُخل ^(٥) » .

وقال جرير ^(٦) : « الحَرَس خير من الخِلاّبة » .

وقال أبو عَمَر الضّرير ^(٧) : « البَكْمُ خير من البَداءِ » .

١٠ [قال : وقديم الهيثم بن الأسود بن العُريان على عبد الملك بن مروان فقال : كيف تجدك ؟ قال : أجِدني قد ابيضّ مني ما كنت أحبّ أن يسودّ ، واسودّ مني ما كنت أحبّ أن يبيض ، واشتدّ مني ما كنت أحبّ أن يلين ، ولأنّ مني ما كنت أحبّ أن يشتدّ . ثم أنشد :

١٥ اسْمَعْ أَنْبُكَ بآيَاتِ الْكِبَرِ نَوْمُ الْعِشَاءِ وَسُعَالٌ بِالسَّخَرِ
وَقِلَّةُ النَّوْمِ إِذَا اللَّيْلُ اعْتَكَرَ وَقِلَّةُ الطَّعْمِ إِذَا الزَّادُ حَضَرَ
وَسُرْعَةُ الطَّرْفِ وَتَحْمِيحُ النَّظَرِ وَتَرْكِي الْحَسَنَاءِ فِي قَبْلِ الطُّهْرِ

(١) الطبرى : « وهذا ثوبك على ، وطعامك في بطني » . والمذاخير : الأعفاج والمصارين ، جمع مذخر ، والكوفيون يزيدون الياء في مثل هذا الجمع . فيما عدل : « مذاخرى » .

(٢) سبق ترجمته في (١ : ٥٦) .

(٣) فيما عدل : « لو كان الكلام يؤتدّم به لكان هذا » ، فقط . وفي هـ : « كلام » .

(٤) فيما عدل ، هـ : « وقال » فقط .

(٥) العذرة ، بالكسر : الاعتذار .

(٦) فيما عدل : « وقال أيضاً » .

(٧) ل : « أبو عمرو الضرير » .

وحذراً أزدأده إلى حذرٍ والناسُ يَلَوْنُ كما يَنْلِي الشَّجَرُ^(١)]
وقال أكنثم بن صَيْفَى : الكرمُ حُسنُ الفِطْنةِ وحُسْنُ التغافل ، واللؤمُ سوءُ
الفِطْنةِ وسُوءُ التغافل^(٢) .

وقال أكنثم بن صَيْفَى : تَبَاعَدُوا فِي الدِّيارِ تَقَارَبُوا فِي المَوَدَّةِ .
وقال آخرُ لبنيه : تَبَاذَلُوا تَحَابُّوا .

قال : ودخل عيسى بن طلحة بن عُبيد الله ، على عُروة بن الزبير وقد
قُطِعَتْ رجله ، فقال له عيسى : والله ما كنا نُعِدُّكَ للصَّراع ، ولقد أَبْقَى الله لنا
أَكْثَرَكَ : أَبْقَى لنا سَمْعَكَ وبَصَرَكَ ، ولسانَكَ وعَقْلَكَ ، ويَدَيْكَ وإحدى رِجْلَيْكَ .
فقال له عُروة : والله يا عيسى ما عَزَّانِي أَحَدٌ بِمِثْلِ ما عَزَّيْتَنِي بِهِ .

وكتب الحسنُ إلى عمرَ بن عبد العزيز رحمه الله : « أَمَا بعد فكأُتْكَ بالدُّنيا ٢٧٧
لم تكن ، وبالأخرة لم تَزَلْ » .

قال : وقال عمر بن الخطاب رحمه الله : « اقْرءُوا القرآنَ تُعْرِفُوا بِهِ ، واعْمَلُوا
بِهِ تَكُونُوا مِنْ أَهْلِهِ ، وَلَنْ يَبْلُغَ حَقَّ ذِي حَقٍّ أَنْ يُطَاعَ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ ، وَلَنْ يَقْرَبَ
مِنْ أَجَلٍ ، وَلَنْ يُبَاعِدَ مِنْ رِزْقٍ ، أَنْ يَقُومَ رَجُلٌ بِحَقِّي ، أَوْ يُدَكِّرَ بَعْظِمٍ » .

وقال أعرابِيٌّ لهشام بن عبد الملك : أَتَتْ عَلَيْنَا ثَلَاثَةُ أَعوامٍ . فَعَامٌ أَكَلَّ
الشَّحْمَ ، وَعَامٌ أَكَلَّ اللَّحْمَ ، وَعَامٌ انْتَقَى العَظْمُ^(٣) . وَعِنْدَكُمْ أَمْوَالٌ ، فَإِنْ كَانَتْ
لِلَّهِ فَادْفَعُوهَا إِلَى عِبَادِ اللَّهِ ، وَإِنْ كَانَتْ لِعِبَادِ اللَّهِ فَادْفَعُوهَا إِلَيْهِمْ ، وَإِنْ كَانَتْ لَكُمْ
فَتَصَدَّقُوا ، فَإِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ . قال : فهل^(٤) مِنْ حَاجةٍ غَيْرِ ذَلِكَ ؟

(١) هذه التكملة التي أثبتتها مما عدل قد سبقت في (١ : ٣٩٩) .

(٢) حسن التغافل ، وسوء التغافل ، ساقطتان مما عدل .

(٣) انتقى العظم : استخرج نقيه . والنقى ، بالكسر والتحريك : المخ . وأنشد :

ولا يسرق الكلب السرو نعالنا ولا ينتقى المخ الذي في الجماجم

(٤) ل : « فقال : هل » .

قال : ما ضَرَبْتُ إِلَيْكَ أَكْبَادَ الْإِبِلِ أَدْرِعَ الْهَجِيرَ ، وَأَخْوِضَ الدُّجَى لَخَاصِي دُونَ عَامٍ .
 قال شَدَادُ الْحَارِثِيُّ ، وَيَكْنَى أَبَا عُبَيْدِ اللَّهِ ^(١) : قُلْتُ لِأُمَّةٍ سَوْدَاءَ بِالْبَادِيَةِ :
 لَعَنَ أَنْتِ يَا سَوْدَاءُ ؟ قَالَتْ : لَسَيِّدُ الْحَضَرِ يَا أَصْلَحَ . قَالَ : قُلْتُ لَهَا : أَوَ لَسْتَ
 بِسَوْدَاءَ ! قَالَتْ : أَوَ لَسْتُ بِأَصْلَحَ ؟ قُلْتُ : مَا أَغْضَبَكَ مِنَ الْحَقِّ ؟ قَالَتْ : الْحَقُّ
 أَغْضَبَكَ ! لَا تَسُبُّ حَتَّى تُرْهَبَ ، وَلَأَنْ تَتْرَكَ أُمُثْلَ .

وَقَالَ الْأَصْمَعِيُّ : قَالَ عَيْسَى بْنُ عُمَرَ : قَالَ ذُو الرِّمَّةِ : قَاتَلَ اللَّهُ أُمَّةَ آلِ
 فُلَانٍ مَا كَانَ أَفْصَحَهَا ^(٢) ! سَأَلْتُهَا كَيْفَ الْمَطَرُ عِنْدَكُمْ ؟ فَقَالَتْ : غِثْنَا مَا شِئْنَا .

وَأَنَا رَأَيْتُ عَبْدًا أَسْوَدَ لَبْنَى أُسَيْدٍ ^(٣) ، قَدِمَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْقِ الْيَمَامَةِ ، فَبِعَثُوهُ
 نَاطُورًا ، وَكَانَ وَحْشِيًّا مَحْرَمًا ^(٤) ؛ لَطُولَ تَعْزُبِهِ كَانَ فِي الْإِبِلِ ^(٥) ، وَكَانَ لَا يَلْقَى
 إِلَّا الْأَكْرَةَ ، فَكَانَ لَا يَفْهَمُ عَنْهُمْ ، وَلَا يَسْتَطِيعُ إِفْهَامَهُمْ ؛ فَلَمَّا رَأَى سَكَنَ إِلَى ،
 وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ : لَعَنَ اللَّهُ بِلَادًا لَيْسَ فِيهَا عَرَبٌ . قَاتَلَ اللَّهُ الشَّاعِرَ حَيْثُ يَقُولُ :
 * حُرُّ التَّرَى مُسْتَعْرِبُ التَّرَابِ *

٢٧٨ أَبَا عَثْمَانَ ، إِنَّ هَذِهِ الْعَرَبَ فِي جَمِيعِ النَّاسِ كَمَقْدَارِ الْقُرْحَةِ فِي جَمِيعِ جِلْدِ
 الْفَرَسِ ^(٦) ، فَلَوْلَا أَنَّ اللَّهَ رَقَّى عَلَيْهِمْ فَجَعَلَهُمْ فِي حَاشِيَةٍ لَطَمَسَتْ هَذِهِ الْعُجْمَانُ
 آثَارَهُمْ ^(٧) ؛ أَتَرَى الْأَعْيَارَ إِذَا رَأَتْ الْعِتَاقَ لَا تَرَى لَهَا فَضْلًا ، وَاللَّهُ مَا أَمَرَ

(١) ل : « أَبَا عَبْدِ اللَّهِ » . وَقَدْ ذَكَرَ الْجَاهِظُ : « شَدَادًا » هَذَا فِي مِكَتَابِ فَخْرِ السُّودَانِ ٥٤ سَاسِي
 وَقَالَ : « وَكَانَ خَطِيبًا عَالِمًا » . ثُمَّ سَاقَ الْخَبَرَ التَّالِيَ .

(٢) فِي فَخْرِ السُّودَانِ : « مَا كَانَ أَفْصَحَهَا وَأَبْلَغَهَا » . وَانْظُرْ مَجَالِسَ ثَعْلَبِ ٣٤٨ .

(٣) ل : « لَبْنَى أَسَدَ » . وَمِثْلُهُ فِي أَصْلِ الْحَنِينِ إِلَى الْأَوْطَانِ .

(٤) مَحْرَمٌ ، مِنْ قَوْلِهِمْ نَاقَةٌ مَحْرَمَةٌ : لَمْ تَرْضَ وَلَمْ تَذَلِّلْ . وَفِي حَوَاشِي هـ : « الْمَحْرَمُ الَّذِي لَمْ يَلْنِ وَلَمْ
 يَرْضَ بِسَكْنَى الْحَاضِرَةِ » . وَالنَّاطُورُ : حَافِظُ الْكُرْمِ وَالزَّرْعِ . وَرَسَمَتْ فِي هـ لِتَقْرَأَ بِالطَّاءِ وَالظَّاءِ مَعًا .
 وَهِيَ لَفْتَانٌ ، كَمَا فِي اللِّسَانِ .

(٥) التَّعْزُبُ : أَنْ يَبْعَدَ بِلِيلِهِ فِي الْمَرْعَى بَعِيدًا عَنِ الْأَهْلِ .

(٦) الْقُرْحَةُ : بِالضَّمِّ : الْغَرَّةُ الصَّغِيرَةُ فِي وَجْهِ الْفَرَسِ .

(٧) لَمْ أَرْ كَلِمَةَ « الْعُجْمَانُ » بِمَعْنَى الْأَعَاجِمِ فِي مَرْجِعِ لِقَوَى ، وَفِي رِسَالَةِ الْحَنِينِ : « الْعَجَمُ » .

- اللهُ نبيّه بقتلهم إلا لِيُصْنَه بهم ^(١) ، ولا تَرَكَ قَبُولَ الْجِزْيَةِ مِنْهُمْ إِلَّا تَنْزِيها لَهُمْ .
 وقال الأحنف بن قيس : أَسْرَعُ النَّاسِ إِلَى الْفِتْنَةِ أَقْلُهُمْ حَيَاءً مِنَ الْفِرَارِ .
 قال : ولما مات أسماء بن خارجة ^(٢) ، فبلغ الحجاج موته ، قال : هل سمعتم بالذي عاش ماشاء ، ثم مات حين شاء .
 وقال سَلْمٌ بن قُتَيْبَةَ : رَبُّ الْمَعْرُوفِ أَشَدُّ مِنْ ابْتِدَائِهِ ^(٣) .
 أبو هلال ^(٤) ، عن قتادة قال : قال أبو الأسود : إذا أردت أن تُكْذِبَ صَاحِبَكَ فَلَقْنَهُ .
 وقال أبو الأسود : إذا أردت أن تُعْظِمَ فَمُتْ ، وإذا أردت أن تُفْجِمَ عالماً فَأَحْضِرْهُ جَاهِلاً .
 قال : وقيل لأعرابي : ما يدعوك إلى نومة الضُّحَى ؟ فقال : مَبْرَدَةٌ فِي الصَّيْفِ ، مَسْخَنَةٌ فِي الشِّتَاءِ .
 وقال أعرابي : نومة الضُّحَى مَجْعَرَةٌ مَجْفَرَةٌ مَبْحَرَةٌ ^(٥) .
 وجاء في الحديث : « الْوَلَدُ مَبْخَلَةٌ مَجْبَنَةٌ » .

- (١) فيما عدل ، هـ : « لِيُصْنَه بِهِمْ » .
 (٢) هو أسماء بن خارجة بن حصن بن حذيفة الفزاري ، وكان من سادات العرب وأشرف أهل الكوفة ، فارساً شجاعاً كريماً . مدحه أعشى همدان وعبد الله بن الزبير الأسدي . وكان الشيعة تعدّه في قتلة الحسين ، وخطب المختار بن أبي عبيد فقال : لتنزّلن من السماء ، تسوقها ريح حالكة دماء ، حتى تحرق دار أسماء وآل أسماء . فبلغ أسماء قول المختار فيه فقال : أوقد سجع أبي إسحاق ؟ لا قرار على زار من الأسد . وهرب إلى الشام ، فأمر المختار بطلبه ففاته ، فأمر بهدم داره فما أقدم عليها مضرى ؛ لموضع أسماء وجلالة قدره في قيس ، فتولت ربيعة وابن هدمها . انظر الأغاني (١٣ : ٣٥) .
 (٣) رَبُّ الْمَعْرُوفِ : ثَمَّه وَزَادَهُ وَأَتَمَّهُ وَأَصْلَحَهُ .
 (٤) هو أبو هلال محمد بن سليم الراسي البصري . روى عن الحسن وابن سيرين وقاتدة ، وعنه ابن مهدي ووکیع وغيرهما . توفي في خلافة المهدي سنة تسع وستين . تهذيب التهذيب .
 (٥) مجعرة ، يريد ييس الطبيعة ، والجعر : ما خرج يابساً . مجفرة : مقطعة للنكاح منقصة للماء . مبخرة : من بخر الفم وتغير رائحته . والحديث روى في اللسان « بخر ، جعر ، جفر » ، منسوباً إلى عمر أو علي .

قال : ونظر أعرابي إلى قوم يلتمسون هلال رمضان ، فقال : أما والله لئن أترُتموه تَمْسِكُنَّ منه بذنابي عيش أغبر .

وقال أسماء بن خارجة : إذا قَدِمَتِ المصيبة تُرِكَتِ التعزية .

وقال : إذا قَدِمَ الإحياء سَمَجُ الثَّناء ^(١) .

وقال إسحاق بن حَسَّان : لا تُشَمِّتِ ^(٢) الأمراء ولا الأصحاب القدماء .

وسئل أعرابي عن راعٍ له فقال : هو السَّارح الآخِر ، والرَّائح الباكر ، والحالب العاصر ، والحاذف الكاسر ^(٣) .

قال : وقال عُتْبَةُ بن أُمِّ سَفِيان لعبد الصَّمَد مؤدَّب ولده :

- ليكن أوَّل ما تبدأ به من إصلاحك بَنَى إِصْلَاحُكَ نَفْسَكَ ؛ فَإِنَّ أَعْيُنَهُمْ
 ١٠ معقودة بعينك ، فالحسن عندهم ما استحسنت ، والقبيح عندهم ما استقبحت .
 علَّمَهُم كتابَ الله ، ولا تُكْرِهُهُمْ عليه فَيَمْلُوه ، ولا تَتْرُكْهُمْ منه فَيُهْجَرُوهُ ، ثم رَوْهُمْ من
 الشَّعْر أَعْفَهُ ^(٤) ، ومن الحديث أَشْرَفُهُ ، ولا تُخْرِجْهُمْ من عِلْمٍ إلى غيره حتَّى
 يُخَكِّمُوهُ ، فَإِنَّ ازْدِحَامَ الكلام في السَّمْع مَضَلَّةٌ للفهم ^(٥) . وعَلَّمَهُمْ سِيَرَ الحكماء
 وأَخْلَقَ الأدباء ، وجَنَّبَهُمْ مُحَادَثَةَ النساء ، وتَهَدَّدَهُمْ بى وأَدَبَهُمْ دُونى ، وكن لهم
 ١٥ كالطَّيِّب الذى لا يَعَجَلُ باللَّوَاء حتَّى يعرف الداء ^(٦) ، ولا تُتَكَلَّ على عُذْرى ،

(١) فيما عدل ل : « قبح الثناء » .

(٢) تشميت العاطس : الدعاء له بالخير . وخرجه ابن سيده بقوله : « دعا له أن لا يكون في حال يشمت به فيها » .

(٣) سقطت الواوَات مما عدل ل . والحاذف : الذى يحذف بالعصا : يرمى بها . وفى اللسان :
 ٢٠ « الأزهرى : وقد رأيت رعيان العرب يحذفون الأرانب بعصيم إذا عدت ودرمت بين أيديهم ، فرميا
 أصابت العصا قوائمها فيصيدونها ويذبحونها » . فيما عدل ل : « الحاذق » تحريف .

(٤) فيما عدل ل ، هـ : « عفه » .

(٥) بعد هذه الكلمة فيما عدل ل : « وتهددهم بى ، وأدبهم دُونى ، وكن لهم كالطبيب الذى
 لا يعجل بالدواء قبل معرفة الداء ، وجنبهم محادثة النساء ، وروهم سير الحكماء ، واستزدنى بزيادتهم إياك
 أزدك ، وإياك أن تتكل على عذر منى لك فقد اتكلت على كفاية منك » .

(٦) هـ : « قبل معرفة الداء » .

فإني قد أَتَكَلْتُ على كفايتك ^(١) ، وزد في تأديبهم أزدك في برِّي إن شاء الله .

* * *

محمد بن حرب الهلالي قال : كتب إبراهيم بن أبي يحيى الأسلمى ، إلى المهديّ يعزيه على ابنته ^(٢) : أما بَعْدُ فَإِنَّ أَحَقَّ مَنْ عَرَفَ حَقَّ الله عليه فيما أَخَذَ منه ، مَنْ عَظَّمَ حَقَّ الله عليه فيما أَبْقَى له . واعلم أَنَّ الماضَى قبلك هو الباقي لك ، وَأَنَّ الباقي بعدك هو المَاجُورُ فيك ، وَأَنَّ أَجر الصابرين فيما يصابون به ، أعظمُ من النعمة عليهم فيما يُعَافُونَ منه ^(٣) .

* * *

قال : وقال سهل بن هارون : التهئة على آجلِ الثَّوابِ أُولَى من التعزية على عاجلِ المصيبة ^(٤) . ١٠

وقال صالح بن عبد القدوس :

إِنْ يَكُنْ ما به أُصِبتَ جليلاً فَذَهَابَ العزاء فيه أَجَلٌ ^(٥)
كل آتٍ لا شَكَّ آتٍ ، وذو الجَهْدِ لِي مُعْتَى ، والهَمُّ والحُزنُ فَضْلٌ ^(٦)
وقال لقمان لابنه : يا بُنَيَّ إياك والكسل والضَّجَرُ ؛ فَإِنَّكَ إِذَا كَسَلْتَ لم تَوَدُّ حقاً ، وَإِذَا ضَجَرْتَ لم تصبر على حقٍّ . ١٥
قال : وكان يقال : أربع لا ينبغي لأحد أن يأنفَ منهنَّ وإن كان شريفاً

(١) إلى هنا ينتهي تخالف العبارات .

(٢) ل : « عن ابنه » ، تحريف . وابنة المهدي هذه هي « البانوقة » وكانت سمراء حسنة فلما ماتت وذلك ببغداد ، أظهر عليها المهدي جزعاً لم يسمع بمثله ، فجلس للناس يعزونه وأمر ألا يحجب عنه أحد ، فأكثر الناس في التعازي . واجتهدوا في البلاغة . انظر الطبري (١٠ : ٢١) في حوادث ١٦٩ . وقد سبق في (١ : ٦٥) لنحو هذا التعبير :

هل معين على البكا والعويل أم معز (على) المصاب الجليل
(٣) انظر هذا الخبر أيضاً في عيون الأخبار (٣ : ٥٢) .

(٤) هذا الخبر في عيون الأخبار (٣ : ٥٢) .

(٥) في عيون الأخبار : « فلفقد العزاء » . وانظر الحيوان (٥ : ٥٠٥) . ٢٥

(٦) فضل ، فاضل زائد . والبيت ساقط من هـ .

أو أميراً : قيامه عن محله لأبيه ، وخدمته لضييفه ، وقيامه على فرسه ، وخدمته للعالم ^(١) .

وقال بعض الحكماء : إذا رغبت في المكارم ، فاجتنب المحارم .

وكان يقال : لا تغتر بمودة الأمير ، إذا غشك الوزير .

وكتب بعضهم : أما بعد فقد كنت لنا كلُّك ، فاجعل لنا بعضك ،
ولا ترض إلا بالكلِّ مِنَّا لك .

ووصف بعض البلغاء اللسان فقال : اللسان أداة يظهر بها حُسن البيان ،
وظاهرٌ يُخبر عن ضمير ، وشاهدٌ ينبئك عن غائب ، وحاكمٌ يفصل به الخطاب
وناطقٌ يُردُّ به الجواب ، وشافعٌ تُدرك به الحاجة ، وواصفٌ تُعرف به الحقائق ،
ومُعزٍّ يُنقى به الحزن ، ومؤنسٌ تذهب به الوحشة ^(٢) ، وواعظٌ ينهى عن
القبیح ، ومُزِنٌ يدعو إلى الحسَن ، وزارعٌ يحرث المودة ، وحاصدٌ يستأصل
الضَّغينة ، ومُلمِّه ^(٣) يُورقُ الأسماع . ٢٨٠

وقال بعض الأوائل : إنَّما الناسُ أحاديثٌ ، فإن استطعت أن تكون
أحسنهم ^(٤) حديثاً فافعل .

ولما وصل عبد العزيز بن زُرَّارة ^(٥) إلى معاوية قال : يا أمير المؤمنين ، لم أزل

(١) ل : « العالم » .

(٢) ل : « يذهب بالوحشة » .

(٣) فيما عدل ، هـ : « وملهم » ، تحريف .

(٤) ل : « أحسن الأحاديث » ، صوابه في سائر النسخ .

(٥) ل : « عمر بن عبد العزيز بن زُرَّارة » تحريف . وعبد العزيز هذا أحد أشراف العرب
وشعرائهم ، روى له الجاحظ شعراً في الجزء الثالث وكذا في الحيوان (٣ : ٨٤) . ومدحه بعض الشعراء .
الحيوان (٦ : ٣٢٩) . وذكر أبو الفرج في الأغاني (١٠ : ٦٨) أنه هو الذي تكفل يدفن توبة بن
الحمير . وفي جمهرة ابن حزم ٢٨٣ أنه توفي في عهد معاوية . والخبر رواه في عيون الأخبار (١ : ٨٢) .

أُستدُلُّ بالمعروف عليك ، وأمتطى النهارَ إليك ^(١) ؛ فإذا ألوى بى الليل ^(٢) ،
فقبِضَ البَصَرُ وعَفِيَ الأثرُ ، أقام بدنى وسافر أُملى ، والنفسُ تَلُومُ ^(٣) ، والاجتهادُ
يَعْدِرُ ^(٤) فإذا قد بلغتكَ فقطبى .

قال : قال لقمان لابنه : ثلاثة لا يُعرفون إلا فى ثلاثة مواطن : لا يُعرف
الحليم إلا عند الغضب ، ولا الشجاع إلا فى الحرب ، ولا تعرفُ أخاك إلا عند
الحاجة إليه ^(٥) .

وقال أبو العتاهية :

أنت ما استغنيت عن صا حيك الدهر أخوه
فإذا احتجت إليه ساعةً معك فوه

وقال على بن الحسين لابنه : يا بنى ، اصبر على النائية ، ولا تتعرض
للحقوق ، ولا تُجب أخاك إلى شئٍ مضرته ^(٦) عليك أعظم من منفعة له .
وقال الأحنف : مَنْ لم يصبر على كلمةٍ سمع كلمات .
وقال : رَبِّ غيظٍ تجرّعه مخافة ما هو أشدُّ منه .

وقالوا : من كثر كلامه كثر سقطه ، ومن طال صمته كثرت سلامته .
قال : وقال عمر بن عبد العزيز : من جعل دينه غرضاً للخصومات أكثر
التنقل ^(٧) .

(١) فى عيون الأخبار : « أمتطى الليل بعد النهار ، وأسمُ المجاهل بالآثار » .

(٢) يقال ألوى بالشئ : ذهب به ؛ عبارة عن شدة الليل .

(٣) تلوم ، أى تلوم بحذف إحدى التاءين . والتلوم : الانتظار والتلبث . وفى عيون الأخبار :

« والنفس مستبطة » . ٢٠

(٤) عيون الأخبار : « والاجتهاد عاذر » .

(٥) فيما عدا ل : « عند حاجتك إليه » .

(٦) المضرة : الضرر . فيما عدا ل : « ضرره » .

(٧) فيما عدا ل ، هـ : « النقل » : جمع نقلة .

- محمد بن حرب الهلالي ، عن أبي الوليد الليثي قال : خطب صعصعة بن معاوية إلى عامر بن الظرب العدواني ابنته « عَمْرَة » ، وهي أم عامر بن صعصعة ٢٨١ فقال عامر بن الظرب : يا صعصعة ، إنك قد أتيتني تشتري مني كبدى ، وأزحمت ولدى عندي ، غير أنني ، أطلبُكَ أو رددتك ^(١) ، فالحسيب كُفء الحسيب ، والزَّوج الصالح أبٌ بعد أب ^(٢) . وقد أنكحتك مخافة ^(٣) ألا أجد مثلك أقر من السرِّ إلى العلانية . أنصحُ ابناً ، وأودعُ ضَعيفاً قوياً . يا معشر عدوان : خرَّجت من بين أظهركم كريميكم من غير رغبة ولا رهبة . أقسم لولا قَسَمُ الحظوظ على قدر المجدود ، لما ترك الأول للآخر شيئاً يعيش به ^(٤) .
- وقال على بن أبي طالب رضي الله عنه : « أوصيكم بأربع ^(٥) لو ضربتم إليها آباط الإبل لكنَّ لها أهلاً : لا يرجون أحدٌ منكم إلا ربَّه ؛ ولا يخافنَّ إلا ذنبه ؛ ولا يستخين أحدٌ إذا سُئل عما لا يعلم أن يقول : لا أعلم . ولا إذا لم يَعْلَم الشيء أن يتعلَّمه . وإنَّ الصَّبر ^(٦) من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد ، فإذا قُطع الرأس ذهب الجسد ، وكذلك إذا ذهب الإيمان .
- قال : ومدح علي بن أبي طالب رجلاً فأفرط ^(٧) فقال علي - وكان يتهمه - : أنا دون ما تقول ، وفوق ما في نفسك » . ١٥
- وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : قيمة كلِّ امرئٍ ما يحسن ^(٨) .

(١) « غير أني » من ل فقط . هـ : « بعثك أو رددتك » ، وفيما عداها : « أبغيتك أو زودتك » . والكلمة الأخيرة في هذه محرفة . أطلبُكَ : أعطيتك ما تطلب .

(٢) أي أب ثان .

(٣) فيما عدا ل : « خشية » . ٢٠

(٤) انظر الحديث في المعمرين للسجستاني ٤٩ - ٥٠ . هـ : « لو قسم الحظوظ ما ترك الأول

للآخر ما يعيش به » .

(٥) فيما عدا ل : « بخمس » تحريف .

(٦) فيما عدا ل : « واعلموا أن الصبر » .

(٧) فيما عدا ل : « وقال الأصمعي : أثنى رجل على علي بن أبي طالب فأفرط » . ٢٥

(٨) فيما عدا ل : « كل إنسان » .

وقال له مالك الأشتر ^(١) : كيف وجدَ أمير المؤمنين أهله ^(٢) ؟ فقال :
كخير امرأة ^(٣) ، قَبَاءَ جَبَاءَ ^(٤) ! قال : وهل يريد الرجال من النساء غير ذلك
يا أمير المؤمنين ؟ قال : لا ، حتى تُدْفَى الضَّجِيعَ ، وتُروى الرُّضِيعَ .

قال : ووقف رجل على عامر الشعبي فلم يدع قبيحاً إلا رماه به ، فقال له
عامر : إن كنت كاذباً فغفر الله لك ، وإن كنت صادقاً فغفر الله لي .

وقال إبراهيم النخعي لسليمان الأعمش - وأراد أن يماشيَه - : إن الناس
إذا رأونا معاً قالوا : أعمش وأعمور ! قال : وما عليك أن يأتحموا وتؤجر ؟ قال :
وما علينا أن يسلموا ونسلم !

قال أبو الحسن : كان هشام بن حسان إذا ذكر يزيد بن المهلب ^(٥) ،
قال : إن كانت السفن لتتجرى في جوده .

وقال : مكتوبٌ في الحكمة : التوفيق خير قائد ، وحسن الخلق خير
قرين ، والوَحْدَةُ خير من جَلِيسِ السَّوْءِ ^(٦) .

(١) هو المعروف بالأشتر النخعي ، واسمه مالك بن الحارث بن عبد يغوث بن مسلمة ابن ربيعة
النخعي الكوفي . أدرك الجاهلية ، وكان من أصحاب علي ، شهد معه الجمل وصفين وغيرهما ، وكان ممن
ألب على عثمان وشهد حصره . وولاه على مصر بعد صرف قيس بن عباد عنها ، فلما وصل إلى القلزم
شرب شربة عسل فمات سنة ٣٨ . ولقب بالأشتر لأن رجلاً ضربه في يوم اليرموك على رأسه فسالت
الجراحة قيحا إلى عينه فشترتها . الإصابة ٨٣٣٥ ، وتهذيب التهذيب ، ومعجم المرزباني ٣٦٢ .
(٢) فيما عدل : « امرأته » .

(٣) ب والتميمورية واللسان (٢ : ٢٤٢) : « كالخير من امرأة » . ح : « كالخير من النساء
إلا أنها » .

(٤) في ل : « خبا جباء » والكلمة الأولى محرفة ، صوابها من سائر النسخ واللسان ، كما أن الكلمة
الأخيرة من ل واللسان فقط ، أما القَبَاءُ فهي الدقيقة الخصر . وقد ورد في التميمورية بعد كلمة « قباء » :
« دقيقة الخصر » . والجباء : الصغيرة الثديين .

(٥) ترجمة هشام في (١ : ٢٩١) ويزيد في (١ : ٣٨٧ ، ٤١٠) .

(٦) فيما عدل : « قرين السوء » .

وقال : وكان مالك بن دينار يقول : ما أشدَّ فِطام الكبير . وكان ^(١) ينشد قول الشاعر :

وَتَرَوْضَ عِرْسَكَ بعدما هَرِمْتَ ومن العناء رياضة الهَرِمِ ^(٢)
وقال صالح المري : كنَّ إلى الاستماع أسرع منك إلى القول ، ومن خَطَاء
الكلام أشدَّ حذراً من خَطَاء السكوت .

وقال الحسن بن هانئ :

خَلَّ جنبيك لرامٍ وامضي عنه بسلام
مُتْ بداء الصمت خير لك من داء الكلام
إنما السالم من آل جَمَ فاهُ بلجام
رَبِّما استفتحت بالمرز ج مغاليق الحمام

أبو عبيدة وأبو الحسن : تكلم جماعة من الخطباء عند مسلمة بن عبد الملك ، فأسهوا في القول ، ثم اقترح المنطق منهم ^(٣) رجل من أخريات الناس ، فجعل لا يخرج من حسن إلا إلى أحسن منه . فقال مسلمة : ما شَبَّهْتُ كلامَ هذا بعقب كلام هؤلاء إلا بسحابة كَبَدَتْ عَجاجةً ^(٤) .

وقال أبو الحسن : علَّم أعرابيُّ بنيه الخِراءة : فقال : ابْتَغُوا الحَلا ، وابْغُذُوا
عن المَلَا ^(٥) ، واعْلُوا الضَّرَا ^(٦) ، واستقبلوا الرِّيح ، وأفجُوا إفجاج النِّعامة ^(٧) ،
وامتنسحوا بأشْمُلِكُم .

وروى عن الحسن أنه قال : لما حضرت قيس بن عاصم الوفاة دعا بنيه فقال : يا بنيَّ

(١) هذه الكلمة في ل فقط .

(٢) سبق الشعر والخير في (١ : ١٢٠) .

(٣) هذه الكلمة من ل فقط . اقترح الكلام : ارتجله . فيما عدل « افترع » ، وفي هـ : « افترع »

بالفاء والقاف معا .

(٤) العجاجة : واحدة العجاج ، وهو الغبار .

(٥) الحلا : مقصور الحلاء ، وهو المتوضأ . والملا : الفلاة . وانظر عيون الأخبار (١ : ١٣٦) .

(٦) الضراء ، كسحاب : الأرض المستوية ، والفضاء .

(٧) الإفجاج : أن يفتح رجله ويواعد ما بينهما ، والنعماء تفج إذا ذرقت .

احفظوا عني ، فلا أحد أنصح لكم مني . إذا مت فسودوا كباركم ، ولا تسودوا صغاركم فيسفة الناس كباركم وتهنوا عليهم . وعليكم بإصلاح المال ^(١) فإنه منبهة للكريم ، ويستغنى به عن اللئيم . وإياكم ومسألة الناس ، فإنها شر كسب المرء ^(٢) .

سئل دغفل التسمية عن بنى عامر بن صعصعة ، فقال : أعناق طباء ، وأعجاز نساء . قيل : فتميم ؟ قال : حجر أحسن ، إن دنوت منه آذاك ، وإن تركته خلأك ^(٣) . قيل : فاليمن ؟ قال : سيد وأثوك .

وكانوا يقولون : لا تستشيروا معلماً ، ولا راعى غنم ، ولا كثير القعود مع النساء ^(٤) .

عقال بن شبة ^(٥) قال : كنت رديفاً لأبي ^(٦) ، فلقية جرير على بغل ، فحياه أبي وألفقه ، فقلت له : أبعد ما قال ؟ قال : يا بني ، أفأوسع جرحي ؟ ٢٨٣

قال : ودعا جرير رجلاً من شعراء بنى كلاب إلى مهاجاته ، فقال الكلاني : إن نسائي يأمتهن ، ولم تدع الشعراء في نسائك مترقعا ^(٧) .

وقال جرير : أنا لا أبتدى ولكن أعتدى .

وكان الحسن في جنازة فيها نوائح ومعه رجل ، فهم الرجل بالرجوع فقال الحسن : إن كنت كلما رأيت قبيحاً تركت له حسناً ، أسترع ذلك في دينك . ١٥

(١) فيما عدل : « باستصلاح المال » . وفي أمالي الزجاجي ٢٩ : « بحفظ المال » .

(٢) ب : « آخرة كسب المرء » . التيمورية : « أخرى » . ح : « أخرد » بحرفة .

(٣) فيما عدل : « أعفأك » .

(٤) تقدم الخبر في (١ : ٢٤٨) .

(٥) فيما عدل ، هـ : « عفان بن شبة » ، محرف .

(٦) فيما عدل : « كنت رديف أبي » .

(٧) الإمامة ، بالكسر : الحال والشأن والطريقة . والمترفع : موضع الشتم ، قال :

وما ترك الهاجون لي في أديكم مصحاً ولكني أرى مترقعا

قال أبو عبيدة : لقي الخبيل القريعي ^(١) الزبرقان بن بدر فقال : كيف كنت بعدى أبا شذرة ؟ فقال : كما يسرك مُجِلاً مُجْرباً ^(٢) .

قال : وكان عبد الملك بن مروان يقول : جمع أبو زُرعة - يعنى رُوح بن زنباع - طاعة أهل الشام ، وذهاء أهل العراق ، وفقه أهل الحجاز .

وذكر لعمر بن الخطاب إتلاف شباب من قريش أموالهم فقال : حرفة ٥ أحدهم أشدُّ على من غيلته ^(٣) .

وقال عمر بن الخطاب : حرفة يُعاشُ بها ^(٤) خير من مسألة الناس .

وقال زياد : لو أن لي ألف ألف درهم ولي بغير أجر لقمْتُ عليه قيام من لا يملك غيره . ولو أن عندى عشرة دراهم لا أملك غيرها ولزمنى حق لوضعها فيه .

وقال عمرو بن العاص : البطنة تُذهب الفطنة .

وقال معاوية : ما رأيت رجلاً يُستهتر بالبائة ^(٥) إلا تبينْتُ ذلك في مُنته ^(٦) .

قال الأصمعي : وقال أبو سليمان الفقْعسي لأعرابي من طيٍّ ^(٧) : أبا مرأتك

(١) الخبيل لقب له ، واسمه ربيع بن ربيعة بن أعوف بن قتال بن أنف الناقة القريعي السعدي ، شاعر فحل مخضرم ، وكان بينه وبين الزبرقان مهاجرة ، مات في خلافة عمر أو عثمان وهو شيخ كبير .
الأغاني (١٢ : ٣٨ — ٤٣) والخزانة (٢ : ٥٣٥) والإصابة ٢٥٧٢ والمؤتلف ١٧٧ . ١٥

(٢) أحال الرجل : حالت إبله فلم تحمل . وأجرب : جربت إبله .

(٣) العيلة ، بالفتح : الفقر ، أراد أعدم حرفة أحدهم والافتقار لذلك ، أشد على من فقره . انظر اللسان (١٠ : ٣٨٩) .

(٤) ل : « فيها » .

(٥) البائة : شهوة النكاح . يستهتر : يولع . فيما عدل ، « مستهتراً » . ٢٠

(٦) المنة ، بالضم : القوة . وانظر الحيوان (١ : ٨١) والبيغال ٣٠٤ .

(٧) موضع كلمة « من طيٍّ » بياض في الأصل ، وإثباتها مما عدل ل .

حَمَلٌ . قال : لا وذو بيته في السماء ، ما أدري ، والله ما لها ذَنْبٌ تشتال به ، وما آتيا إلّا وهي ضَبِيعَةٌ ^(١) .

قال أبو الحسن المدائني : اتخذ يزيد بن المهلب بستاناً في داره بخراسان ، فلما وَلِيَ قُتَيْبَةُ بن مسلم خراسان جعل ذلك لِإِبله ؛ فقال له مَرْزُبان مروان : هذا كان بستاناً ليزيد ، اتَّخَذْتَهُ لِإِبلِكَ ! فقال قُتَيْبَةُ : إِنَّ أُمِّي كان أَشْتَرِبان ^(٢) (يريد جمّالاً) ، وأبو يزيد كان بُستان بان ^(٣) .

وقال الحجاج بن يوسف لعبد الملك بن مروان : لو كان رجلٌ من ذهبٍ لكنّته . قال : وكيف ذلك ؟ قال : لم تلدني أُمّةٌ بيني وبين آدمَ ما خلا هاجر . ٢٨٤ قال : لولا هاجرٌ لكنّت كلباً من الكلاب .

قال : ومات ابنٌ لعبيد الله بن الحسن ^(٤) ، فعزّاه صالحُ المُرِّي فقال : إن كانت مصيبتُك في ابنك أحدثت لك عظةً في نفسك فمصيبتك في نفسك أعظم من مصيبتك في مِيتِكَ ^(٥) .

قال : وعزّى عمرو بن عبيد أخاه في ابنٍ مات له ^(٦) ، فقال : ذهب أبوك

١٥ (١) ذو ، بمعنى الذي في لغة طي . وتشتال به : أراد ترفعه ، يقال شالت الناقة بذنبها واشتالته . واشتالته ، أى رفعته ليعلم أنها لاقح . وسمع « اشتال » بمعنى شال في قول الراجز :
« حتى إذا اشتال سهيل في السحر » .

فقى اللسان (١٣ : ٣٩٩) : « اشتال هنا بمعنى شال » . على أن النص روى في اللسان (١٠ : ٨٥) : « فتشول به » . والضبعة : الشديد الشهوة . وانظر البغال ٣١٦ .

٢٠ (٢) أشتربان : كلمة فارسية مكونة من كلمتين : « أشتر » بمعنى جمّل ، ومثله « شتر » بضمّتين ، و « بان » بمعنى القائد والضابط والحارس . فيما عدل : « يعنى رئيس الجمالين » ، وهو خطأ . (٣) بستان بان ، أى بستانى ، بالفارسية . وفي حواشي هـ : « بستان بان رئيس الأكرة ، وهم الحراثون ، وقال هذا قُتَيْبَةُ لأن يذم يزيد ؛ لأن أصحاب الجمال هم العرب ، وأهل البساتين هم العرب » . (٤) سبقت ترجمته في (١ : ١٢٠) . فيما عدل ، هـ : « الحسين » ، محرف .

(٥) ل : « في نفسك » .

(٦) فيما عدل : « على ابن » . وانظر ما سبق في ص ٧٤ س ٣ ، ٧ .

وهو أصلك ، وذهب ابئك وهو فرُعك ، فما حال الباقي بعد ذهاب أصله وفرعه
قال : وكان يزيد بن عمر بن هبيرة يقول : احذُّوا الحديث كما يحذفه سلم
ابن قتيبة ^(١) .

قال : وقال رجلٌ من بنى تميم لصاحب له : اصحب من يتناسى معروفه
عندك ، ويتذكر إحسانك إليه ، وحقوقك عليه ^(٢) .

وعَدَل عاذِلُ شُعَيْبَ بن زيادٍ على شرب النبيذ ، فقال : لا أتركه حتى يكون شرَّ عملي .
وقال المأمون : اشر به ما استبشعته ، فإذا سُهِّل عليك فاتركه ^(٣) .

وقال رسول الله ﷺ : « إذا كتب أحدكم كتاباً فليترِّبه ^(٤) فإنَّ الترابَ
مبارك ، وهو أنجَحُ للحاجة » .

ونظر ﷺ إلى رجل في الشمس ، فقال : « تحوّل إلى الظلِّ فإنه مبارك » .
وقال المغيرة بن شعبه : لا يزالُ الناس بخير ما تعجَّبوا من العجَب .
وكان يقال : ترك الضحك من العجَب ، أعجب من الضحك بغير
عجب ^(٥) .

قال : قدم سعيد بن العاصي على معاوية فقال : كيف تركت أبا عبد الملك ^(٦) ؟

(١) مضى الخبر وترجمة سلم في (١ : ١٧٤) . ما عدا هـ : « مسلم بن قتيبة » تحريف .

(٢) فيما عدل : « ويتذكر حقوقك عليه » .

(٣) فيما عدل : « حتى إذا سهل » .

(٤) فيما عدل : « إذا كتب أحدكم فليترب كتابه » .

(٥) هـ : « من غير العجب » .

(٦) أبو عبد الملك ، هو مروان بن الحكم بن أبي العاص القرشي الأموي ، وهو ابن عم عثمان
وكتابه في خلافته ، وقد كان من أسباب قتل عثمان ، وشهد الجمل مع عائشة ، وصفين مع معاوية ثم ولى
إمرة المدينة لمعاوية ، ولم يزل بها إلى أن أخرجهم ابن الزبير في أوائل إمرة يزيد بن معاوية ، وكان ذلك من
أسباب وقعة الحرة ، وبقي بالشام إلى أن مات معاوية بن يزيد بن معاوية ، فبايعه أهل الشام ، ثم كانت
الوقعة بينه وبين الضحاك بن قيس أحد أمراء ابن الزبير ، فانتصر مروان وقتل الضحاك واستوثق له ملك
الشام . انظر الإصابة ٨٣١٢ والتواريخ .

فقال : منقذاً لأمرِك ، ضابطاً لعملِك . فقال له معاوية : إنَّما هو كصاحب الخُبْرة كَفَيْ إِنْصَاجَها فَأَكَلْها . فقال سعيد : كلا إنَّه بينَ قومٍ يتهادون فيما بينهم كلاماً كوقع النَّبْلِ ، سهماً لك وسهماً عليك . قال : فما باعدَ بينه وبينك ؟ فقال : خِفْتُه على شَرَفِي ، وخافني على مثله . قال : فأىُّ شيء كان له عندك في ذلك ؟ فقال : أسوؤه حاضراً وأسرُّه غائباً قال : يا أبا عثمان ، تركتُنا في هذه الحروب . قال : نعم : ٢٨٥ تحملتُ الثَّقْلَ وكَفَيْتُ الحَزْمَ ، وكنتُ قريباً لو دُعيتُ لأجبت ، ولو أُمِرْتُ لأطعت . قال معاوية : يا أهل الشام : هؤلاء قومي وهذا كلامهم .

قال : وكان الحجاج يستثقل زيادَ بن عمرو العَتَكِيَّ^(١) ، فلما أثنى الوفد على الحجاج عند عبد الملك^(٢) ، والحجاجُ حاضرٌ ، قال زيادٌ : « يا أمير المؤمنين ، إنَّ الحجاج سيفك الذي لا ينبو ، وسهمك الذي لا يطيش ، وخادملك الذي لا تأخذُه فيك لومة لائم » . فلم يكن بعد ذلك أحدٌ أخفَّ على قلبه منه^(٣) .

وقال شبيب بن شيبه لسلم بن قتيبة^(٤) : والله ما أدري أىُّ يوميك أشرفُ : أيُّومُ ظفرك أم يوم عفوك . قال : وقال غلامٌ لأبيه - وقد قال له : لستَ لى ابناً - : والله لأنا أشبه بك منك بأبيك ، ولأنت أشدُّ تحصيئاً لأُمِّي من أبيك لأُمِّك . ١٥ وكتب عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر ذى الجناحين إلى رجل من إخوانه :

(١) هو زياد بن عمرو بن الأشرف العتكى الأزدي ، قال ابن دريد في الاشتقاق ٢٨٤ : « ومنهم زياد بن عمرو ، رأس الأسد بعد مسعود » . والأسد ، يسكون السين لغة في الأزدي . والخبر رواه المبرد في الكامل ٥٢٣ .

(٢) ل : « فلما أتى عبد الملك في الوفد » ، صوابه في سائر النسخ . وفي الكامل : « فلما أثنى الوفود على الحجاج عند الوليد بن عبد الملك » .

(٣) ل : « أخف عليه منه » .

(٤) ما عدا هـ : « لسلم بن قتيبة » ، تحريف . وانظر ص ١٧٤ من الجزء الأول .

أما بعد فقد عاقني الشك في أمرك عن عزيمة الرأي فيك . ابتدأتني بلطف عن غير خبرة ، ثم أعقبتني جفاءً عن غير ذنب ^(١) ، فأطمعني أولك في إخائك ، وأياسني آخرك من وفائك ؛ فلا أنا في اليوم مُجمِع لك أطراحا ، ولا أنا في غدٍ وانتظاره منك على ثقة . فسبحان من لو شاء كشف بإيضاح الرأي في أمرك عن عزيمة الشك فيك ^(٢) ، فأقمنا على ائتلاف ، أو افترقنا على اختلاف . والسلام .

* * *

وكتب إلى أبي مسلم صاحب الدعوة أيضاً ، من الحبس ^(٣) :
 « من الأسير في يديه ، بلا ذنبٍ إليه ، ولا خلافٍ عليه . أما بعد فاتاك الله حفظ الوصية ، ومنحك نصيحة الرعية ، وأهلك عدل القضية ، فإنك مستودع ودائع ، ومولى صنائع ، فاحفظ ودائعك بحسن صنائعك ، فالودائع عارية والصنائع مرعية ، وما التعم عليك وعلينا فيك بمنزور نداها ^(٤) ، ولا بملوغ مداها . فنبه للتفكر ^(٥) قلبك ، واثق ربك ، وأعط من نفسك لمن هو تحتك ما تحب أن يعطيك من هو فوقك : من العدل والرفقة ، والأمن من المخافة ؛ فقد أنعم الله عليك بأن قوض أمرنا إليك . فاعرف لنا لين شكر المودة ، واغتفر ٢٨٦

(١) فيما عدل ، هـ : « من » بدل « عن » في الموضعين .

(٢) ل : « عن عزيمة فيك » .

(٣) كان عبد الله بن معاوية قد خرج بالكوفة في أيام مروان بن محمد ، ثم انتقل عنها إلى نواحي الجبل ثم إلى خراسان ، وكان يطمع في نصرة أبي مسلم ، فأخذه أبو مسلم وحسبه وجعل عليه عينا يرفع إليه أخباره ، فرفع إليه أنه يقول : ليس في الأرض أحق منكم بأهل خراسان ، في طاعتكم هذا الرجل وتسليمكم إليه مقاليد أموركم ، من غير أن تراجعوه في شيء ، أو تسألوه عنه . والله ما رضيت الملائكة الكرام من الله تعالى بهذا حتى راجعته في أمر آدم عليه السلام . ثم كتب إليه عبد الله هذه الرسالة المشهورة ، فلما قرأ كتابه رمى به ثم قال : قد أفسد علينا أصحابنا وأهل طاعتنا وهو محبوس في أيدينا ، فلو خرج وملك لأهلكنا . ثم أمضى تديرة في قتله ، ووجه برأسه إلى ابن ضبارة ، فحمله إلى مروان . الأغاني (١١ : ٦٨ ، ٧١) حيث ورد في الموضع الأخير بعض هذه الرسالة . ٢٥

(٤) المنزور : القليل . والندى : الخير .

(٥) فيما عدل : « للتفكير » .

مسّ الشدّة ، والرّضا بما رضيت ، والقناعة بما هويت ، فإنّ علينا من سهك الحديد وثقله ^(١) أذى شديداً ، مع معالجة الأغلال ، وقلة رحمة العّمّال ، الذين تسهيلهم الغلظة ، وتيسيرهم الفظاظة ، وإيرادهم علينا الغموم ، وتوجيههم إلينا الهموم ؛ زيارتهم الحراسة ، وبشارتهم الإياسة ^(٢) . فإليك بعد الله نرفع كربة الشكوى ، ونشكو شدة البلوى ، فمتى تُملّ إلينا طرفاً ، وتولنا منك عطفاً ، تجدّ عندنا نصحاً صريحاً ، ووذاً صحيحاً ، لا يُضيع مثلك مثله ، ولا ينفى مثلك أهله . فازع حُرمة من أدركت بحرمته ، واعرف حُجة من فلجّت بحجته ؛ فإنّ الناس من حوضك رواء ، ونحن منه ظماء . يمشون في الأبراد ، ونحن نرسف في الأقياد ^(٣) ، بعد الخير والسّعة ، والخفض والدّعة . والله المستعان ، وعليه التّكلان ، صريح الأخبار ^(٤) ، ومُنجى الأبرار . النَّاسُ من دولتك ^(٥) في رخاء ، ونحن منها في بلاء ، حين أمِنَ الخائفون ، ورجع الهاربون . رزقنا الله منك التّحنُّن ، وظاهر علينا منك التّمنُّن ؛ فإنّك أمينٌ مستودع ، ورائدٌ مصطنع . والسّلامُ ورحمة الله ^(٦) .

* * *

قال هشامُ بن الكلبيّ ، قال : حدّثنى خالد بن سعيد ، عن أبيه قال : ١٥

(١) السّهك : رائحة الصّدأ . فيما عدل ، هـ : « سمك الحديد وثقله » .

(٢) لم أجد سنداً لهذه الكلمة إلا هذه الرسالة ، ومفهومها اليأس . والمذكور في المعاجم « الياسة » . وما هو جدير بالذكر أن هذه المادة كثيراً ما تتعرض للقلب ، يقال يئس وأيس .

(٣) الأقياد : جمع قيد . فيما عدل : « ونحن نحجل » .

(٤) الصريح : الغيث ، وهو أيضاً المستغيث ، من الأضداد . ٢٠

(٥) فيما عدل : « من دولتنا » تحريف .

(٦) لم يذكر في هذه العبارة كلمة « عليك » . والجملة ساقطة من هـ .

شَكَتْ بَنُو تَغْلِبَ السُّنَّةَ إِلَى معاوية ، فقال : كيف تشكون الحاجةَ مع ارتجاع
البِكَارَةِ ، واجتلابِ المِهْارَةِ ^(١) !؟

* * *

ابن الكلبي قال : كتب معاوية إلى قيس بن سعد ^(٢) ، وهو وإلى مصرَ
لعلي بن أبي طالب رضى الله عنه :

أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّمَا أَنْتَ يَهُودِيٌّ بَنُ يَهُودِيٍّ ^(٣) . إِنْ ظَفِرَ أَحَبُّ الْفَرِيقَيْنِ إِلَيْكَ
عَزَلْكَ وَاسْتَبْدَلْ بِكَ ، وَإِنْ ظَفِرَ أَبْغَضُهُمَا إِلَيْكَ قَتَلْكَ وَنَكَّلْ بِكَ . وَقَدْ كَانَ أَبُوكَ
وَتَرَّ قَوْسُهُ وَرَمَى غَيْرَ غَرَضِهِ ^(٤) ، فَأَكْثَرَ الْحَزَّ وَأَخْطَأَ الْمَفْصِلَ ، فَحَذَلَهُ قَوْمُهُ ،
وَأَدْرَكَهُ يَوْمُهُ ، ثُمَّ مَاتَ طَرِيداً بِحَوْرَانَ ^(٥) . وَالسَّلَامُ .

فكتب إليه قيس بن سعد :

أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّكَ وَثْنٌ بَيْنَ وَثْنٍ ^(٦) ، دَخَلْتَ فِي الْإِسْلَامِ كَرَّهَا ، وَخَرَجْتَ
مِنْهُ طَوْعاً ، لَمْ يَقْدَمْ إِيْمَانُكَ وَلَمْ يَحْدُثْ نِفَاقُكَ . وَقَدْ كَانَ أُمِّي رَحِمَهُ اللَّهُ وَتَرَّ قَوْسُهُ
وَرَمَى غَرَضَهُ ، فَشَغَبَ عَلَيْهِ مَنْ لَمْ يَبْلُغْ كَعْبَهُ ، وَلَمْ يَشُقَّ غِبَارَهُ . وَنَحْنُ بِحَمْدِ اللَّهِ
أَنْصَارُ الدِّينِ الَّذِي خَرَجْتَ مِنْهُ ، وَأَعْدَاءُ الدِّينِ الَّذِي دَخَلْتَ فِيهِ . وَالسَّلَامُ .

* * *

وقال أبو عبيدة ، وأبو اليقظان ، وأبو الحسن : قَدِمَ وَفْدُ الْعِرَاقِ عَلَى معاوية ،

(١) البِكَارَةُ ، بالكسر : جمع بكر بالفتح ، وهو الفتى من الإبل بمنزلة الغلام من الناس .
والمِهْارَةُ ، بالكسر : جمع مهر بالضم ، وهو أول ما ينتج من الخيل . والخير في اللسان (٩ : ٤٧٦) .
والارتجاع : أن يقدم الرجل المصير بإبله فيبيعها ثم يشتري بثمنها مثلها أو غيرها . أى تجلبون أولاد الخيل
فتبيعونها وترتجعون بأثمانها البِكَارَةَ للفتية . في النسخ جميعها : « واختلاف المِهْارَةِ » صوابه من اللسان .

(٢) سبقت ترجمته في (١ : ٢٥١) .

(٣) في حواشى هـ : « كانت الأوس والخزرج ، وهم الأنصار ، قد حالفت كل قبيلة منها طائفة
من اليهود . وسعد بن عباد من الخزرج » .

(٤) ل : « عن غرضه » ، صوابه في سائر النسخ .

(٥) حوران ، بالفتح : كورة واسعة من أعمال دمشق .

(٦) فيما عدا ل : « فإنما أنت » . وانظر عيون الأخبار (٢ : ٢١٣) والكمال ٢٩٨ .

وفيهم الأحنف ، فخرج الآذن فقال : إن أمير المؤمنين يعزم عليكم ألا يتكلم أحد إلا لنفسه . فلما وصلوا إليه قال الأحنف : لولا عزيمة أمير المؤمنين لأخبرته أن دافّة دفت^(١) ، ونازلة نزلت ، ونائبة نابت^(٢) ، ونابئة نبئت^(٣) كلّهم به حاجة^(٤) إلى معروف أمير المؤمنين وبرّه .

قال : حسبك يا أبا بحر ، قد كفيت الشاهد والغائب .

وقال غيلان بن خرشة للأحنف : ما بقاء ما فيه العرب ؟ قال : إذا تقلّدوا السيوف ، وشدّوا العمام ، وركبوا الخيل ، ولم تأخذهم حميّة الأوغاد . قال غيلان : وما حمية الأوغاد ؟ قال : أن يعدّوا التّواهب فيما بينهم ضيّما^(٥) .

وقال عمر : العمام تيجان العرب .

وقال : وقيل لأعرابي : مالك لا تضعُ العمامة عن رأسك^(٦) ؟ قال : إن شيئا فيه السمع والبصر لحقيق بالصّون .

وقال عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه : جمال الرجل في عِمّته^(٧) ، وجمال المرأة في خُفّها .

وقال الأحنف : استجيدوا النّعال فإنّها خلاخيل الرّجال .

قال : وقد جرى ذكرُ رجلٍ عند الأحنف فاغتابوه فقال : ما لكم وماله ؟ يأكل رزقه ، ويكفي قرّنه ، وتحمل الأرض ثقله .

(١) يقال : دفت دافّة ، أى أتى قوم من أهل البادية قد أقحمتهم السنة .

(٢) النائبة : الأضياف ينوبون القوم وينزلون بهم .

(٣) أى نشأ فيهم صغار لحقوا بالكبار وصاروا زيادة في العدد . اللسان (٢ : ٤٠٢) حيث ورد

النص . وانظر أيضاً (دفت) .

(٤) فيما عدل : « بهم حاجة » . الأفراد للفظ ، والجمع للمعنى .

(٥) في حواشي هـ : « التواهب : هو أن يترك الرجل من حقه لصاحبه عند الحاكم على وجه المروءة

ومكارم الأخلاق . فإذا رأى أن ترك ذلك ذلة فترك حمية الأوغاد » . وانظر ما سيأتى في (٣ : ٩٨) .

(٦) ل : « من رأسك » . وانظر عيون الأخبار (١ : ١٣) .

(٧) فيما عدل : « كمنته » . والكمة ، بالضم : القلنسوة .

مسلمة بن محارب قال : قال زياد لحُرقة بنت النعمان ^(١) : ما كانت لذة أيلك ؟ قالت : إدمانُ الشراب ، ومحاذنة الرجال .

قال : وقال سليمان بن عبد الملك : قد ركبنا الفاره ، وتبطنا الحسنة ، ولبسنا اللين حتى استخشنا ، وأكلنا الطيب حتى أجمناه ^(٢) . فما أنا اليوم إلى شيء أحوج مني إلى جليسٍ يضع عني مئونة التحفظ .

وأشاروا على عبيد الله بن زياد بالحقنة ، فتفحشها ، فقالوا : إنما يتولاها منك الطبيب . فقال : أنا بالصاحب آنس .

وقال معاوية بن أبي سفيان للتخار بن أوس العذري : ابغني محدثاً . فقال :

٢٨٨ أو معي يا أمير المؤمنين ؟! قال : نعم أستريح منك إليه ، ومنه إليك ^(٣) .

١٠ وقال عمر بن الخطاب رحمه الله لأبي مريم الحنفي : والله لا أحبك حتى تحب الأرض الدّم المسفوح . قال : فتمنعني لذلك حقاً ؟ قال : لا . قال : فلا ضير ، إنما يأسف على الحب النساء ^(٤) .

وقال عمر لرجل همّ بطلاق امرأته ، فقال له : لم تطلقها ؟ قال : لا أحبها . فقال عمر : أو كل البيوت بُنيت على الحب ؟ فأين الرعاية والتدبّر .

١٥ قال : وأتى عبد الملك بن مروان برجل فقال : زيرى عميرى ، والله لا يحبك قلبى أبداً . قال : يا أمير المؤمنين ، إنما ييكى على الحب المرأة ، ولكن عدل وإنصاف ^(٥) .

(١) حرقة ، بضم الحاء المهملة وفتح الراء ، كما ضبطت في اللسان والقاموس . وانظر ترجمتها في المؤلف ١٠٣ ، ل : « لحرقة » تحريف والخير في العقد (٦ : ٢٢١) ورسائل الجاحظ بتحقيقنا (١ : ٣٧٢) . ولها مقطوعة في الحماسة ١٢٠٣ بشرح المروزقي .

(٢) أجم الطعام وغيره يأجمه : كرهه ومله . وبابه ضرب وتعب .

(٣) سبق الخير في (١ : ٣٣٣) .

(٤) انظر الخير وتخريجه في (١ : ٣٧٦) . وما بعد كلمة « ضير » ساقط من هـ .

(٥) انظر (١ : ٣٧٦) والحيوان (٤ : ٢٠١) وعيون الأخبار (٣ : ١١) .

عبد الله بن المبارك ، عن هشام بن عروة ، قال : نازع مروان ، ابن الزبير عند معاوية ، فرأى ابن الزبير أن ضلَّع معاوية ^(١) مع مروان ، فقال ابن الزبير : يا أمير المؤمنين : إن لك علينا حقاً وطاعة ، وإن لك سيطرة ^(٢) وحُرمةً فينا ، فأطع الله نُطْعَكَ ، فإنه لا طاعة لك علينا إلا في حقِّ الله . ولا تُطْرُقُ إطراق الأفعوان في أصول السَّخْبَرِ ^(٣) .

أبو عبيدة ، قال : قيل لشيخ مرّة : ما بقى منك ؟ قال : يسبقني من بين يديّ ، ويلحقني من خلفي ، وأنسى الحديث ، وأذكر القديم ، وأنعس في الملاء وأسهر في الخلاء ، وإذا قمتُ قُرِبت الأرضُ مني ، وإذا قعدتُ تباعدتُ عني . الأصمعي قال : قلت لأعرابي معه ضاحجةٌ من شاء ^(٤) : لمن هذه ؟ قال : هي لله عندي .

ولما قتل عبدُ الملك بن مروانَ مُصْعَباً ودخل الكوفة ، قال : للهيثم بن الأسود التَّخْمِي : كيف رأيتَ الله صَنَعَ ؟ قال : قد صَنَعَ خيراً ، فخَفِيفَ الوِطْأَةِ ، وأَقْلَ التَّثْرِيبِ ^(٥) .

وقال ابن عباس : إذا تَرَكَ العالم قولَ لا أدري فقد أُصِيبَتْ مَقَاتِلُهُ ^(٦) . قال : وكانوا يستحبُّون ^(٧) ألاَّ يُجيبوا في كلِّ ما سُئِلوا عنه .

(١) الضلع ، بالفتح : الميل . ل : « ميلان معاوية » . والميلان : الميل .

(٢) يقال وسط قومه في الحسب يسيطهم وساطة وسطة ، كعدة ، إذا كان أوسطهم نسباً وأرفعهم مجداً . فيما عدل ، هـ : « بسطة » تحريف .

(٣) السخبر : شجر تألفه الحيات . ل : « الشجر » ، صواب نصه من سائر النسخ واللسان

(سخر) .

(٤) الضاحجة : الغنم الكثيرة . ل : « قطعة من شاء » . والقطيعة ، بالتصغير : الطائفة الصغيرة .

(٥) التثريب : التقرير والاستقصاء في اللوم ، والإفساد والتخليط .

(٦) كلمة « فقد » سقطت مما عدل ، هـ ، مطابقة لما مضى في (١ : ٣٩٨) .

(٧) ل : « يستحسنون » . وفي حواشي هـ : « خ : يستحيون أن يجيبوا » .

قال : وقال عمرُ بن عبد العزيز ^(١) : من قال عند مالا يدري : لا أدري ، فقد أحرزَ نصف العلم .

وقال ابن عباس : إن لكل داخل دَهشة ، فأَنسُوهُ بالتحية .

قالوا : واعتذر رجلٌ إلى سلم بن قتيبة فقال سلم : لا يدْعُوتكَ أمرٌ قد تَخَلَّصْتَ منه ، إلى الدُّخول في أمرٍ لعلَّكَ لا تَخْلُصَ منه .

٢٨٩

قال : وكان يقال : دعوا المعاذر فإن أكثرها مَفاجِر .

قال : وقال إبراهيم النَّخعي لعبد الله بن عون ^(٢) : تجنَّب الاعتذار ؛ فإن الاعتذار يخالطُه الكذب .

واعتذر رجلٌ إلى أحمد بن أبي خالد فقال لأبي عَبَّاد : ما تقول في هذا ؟ قال : يُوهَبُ له جُرمُه ، ويُضْرَبُ لَعْدْرُه أربعَ مائة ^(٣) .

١٠

وقد قال الأول : عذره أعظم من ذنبه .

قال : وقيل لابن عباس : ولد عمر بن أبي ربيعة في الليلة التي مات فيها عمر بن الخطاب رَحِمَهُ اللهُ ، فسُمِّيَ باسمه . فقال ابن عباس : أَيْ حَقِّ رُفْع ، وأَيْ باطل وُضِيع !

وقال عَبْدُ اللهِ بن جعفر ^(٤) لابنته : يَا بِنِيَّة ، إِيَّاكَ وَالْعَيْرَةَ فَإِنَّهَا مِفْتَاحُ الطَّلَاق ، وَإِيَّاكَ وَالْمَعَاتِبَةَ فَإِنَّهَا تَوْرَثُ الْبِغْضَةَ ^(٥) وَعَلَيْكَ بِالزَّيْنَةِ وَالطَّيِّبِ ، واعلمي

١٥

(١) ل : « ابن عمر بن عبد العزيز » فيما عدل : « ابن عمر » فقط . والصواب ما أثبت مطابقا ما سبق في (١ : ٣٩٨ س ١٥) .

(٢) هو عبد الله بن عون بن أربطان المزني البصري ، روى عن ثمامة ، وأنس بن سيرين ، ومحمد بن سيرين ، وإبراهيم النخعي ، والحسن ، والشعبي ، وعنه : الأعمش ، والثوري ، وابن المبارك . ثقة ثبت ورع كثير الحديث . ولد سنة ٦٦ وتوفي سنة ١٥٠ . تهذيب التهذيب وصفة الصفوة (٣ : ٢٢٨) .

٢٠

فيما عدل ، هـ : « لعبد الله بن عون » تحريف .

(٣) هـ : « على عذره » .

(٤) هو عبد الله بن جعفر بن أبي طالب ، كان من أجواد العرب ، ولد بالحبيشة وتوفي بالأبواء سنة تسعين . المعارف ٨٩ . ل : « عبيد الله » تحريف .

٢٥

(٥) فيما عدل : « الضغينة » . وأشير في حواشي هـ إلى « البغضة » عن نسخة .

أَنَّ أَرْزِينَ الزَّيْنَةَ الْكُحْلَ ، وَأَطِيبَ الطُّيْبِ الْمَاءَ .

قال : وَلَمَّا نازع ابنُ الزبير مروانَ عند معاوية قال ابنُ الزبير : يا معاوية : لا تَدْعُ مروانَ يرمى جماهير قريش بِمَشَاقِصِهِ ، ويضربُ صَفَائِهِمْ بِمَعَاوِلِهِ ^(١) ، فلولا مكائلكَ لكان أخفَّ على رقابنا من فَرَّاشَةٍ ، وأقلَّ في أنفُسنا من خَشَّاشَةٍ ^(٢) . ولكن مُلْكَ أَعْنَةٍ خيل تنقاد له ليركبنَّ منك طَبَقاً تخافه ^(٣) . قال معاوية : إن يَطْلُبَ هذا الأمرُ فقد يطمعُ فيه مَنْ هو دونه ، وإن يتركه فإتِّمًا يتركه لمن هو فوقه . وما أراكم بمنتهين حتَّى يبعثَ الله إليكم مَنْ لا يعطف عليكم بقرايةٍ ، ولا يذكركم عند مُلَمَّةٍ ، يَسُومُكُمْ خَسَفاً ، ويُوردكم تَلْفاً ! فقال ابنُ الزبير : إذا والله نُطِلِقَ عِقالَ الحربِ بكتائبِ تمور كرجل الجراد ^(٤) ، حافَّتْها الأَسْلُ ^(٥) ، لها دَوَى كدَوَى الرِّيحِ ، تتبع غُطْرُيفاً من قريش لم تكن أُمُّه براعية ثَلَّةٍ ^(٦) . فقال معاوية : أنا ابنُ هند ، إنْ أَطْلَقْتُ عِقالَ الحربِ أَكَلَتْ ذِرْوَةَ السَّنامِ ^(٧) ، وشربتْ عُنفوانَ المَكْرَعِ ^(٨) ، وليس للآكِلِ إلَّا الفِلْدَةُ ، ولا للشَّارِبِ إلَّا الرَّنْقُ ^(٩) .

(١) المشاقص : جمع مشقص ، كمنبر ، وهو النصل العريض ، أو سهم فيه ذلك . والصفاء : الحجر الصلد الضخم . ل : « يضرب صفاهم بمعاوله » . والصفاء : جمع صفاة .

(٢) الخشاشة : واحدة الخشاش ، بكسر الخاء وفتحها ، وهى حشرات الأرض وهوامها . ١٥

(٣) فى اللسان (١٢ : ٨١) : « تنقاد له فى عنان ليركبن منك طبقاً تخافه » . ليركبن طبقاً ، أى ليركبن منك مركباً صعباً وحالاً لا يمكن تلافياً .

(٤) الرجل ، بالكسر : الجراد الكثير .

(٥) الأسل : الرماح . فيما عدا ل : « حافاتها الأسل » .

(٦) الثلة ، بالفتح : جماعة الغنم . ٢٠

(٧) فيما عدا ل : « أطلقت عقال الحرب فأكلت ذروة السنام » .

(٨) عنفوان المكرع ، أى أوله .

(٩) الرنق ، بالفتح ، والتحريك ، وفتح فكسر : الكدر .

بكر بن الأسود ^(١) قال : قال الحسن بن عليّ الحبيب بن مسلمة ^(٢) : رَبُّ مَسِيرٍ لَكَ فِي غَيْرِ طَاعَةِ اللَّهِ . فقال : أَمَا مَسِيرِي إِلَى أَيْكَ فَلَا . قال : بَلَى ، وَلَكِنَّكَ أَطَعْتَ مَعَاوِيَةَ عَلَى دُنْيَا قَلِيلَةٍ ، فَلَعِمَرِي لَنْ قَامَ بِكَ فِي دُنْيَاكَ ، لَقَدْ قَعَدَ بِكَ فِي دِينِكَ . وَلَوْ أَنَّكَ إِذْ فَعَلْتَ شَرًّا قُلْتَ خَيْرًا ، كُنْتَ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : ﴿ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا ﴾ ، وَلَكِنَّكَ كَمَا قَالَ جَلَّ وَعَزَ : ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ .

قال أبو الحسن : سمعتُ أعرابيًا في المسجد الجامع بالبصرة بعد العصر ، سنة ثلاث وخمسين ومائة ، وهو يقول : أَمَا بَعْدَ فَإِنَّا أَبْنَاءُ سَبِيلٍ ، وَأَنْضَاءُ طَرِيقٍ ، وَقُلُّ سَنَةٍ ، فَتَصَدَّقُوا عَلَيْنَا ؛ فَإِنَّهُ لَا قَلِيلَ مِنَ الْأَجْرِ ، وَلَا غِنَى عَنِ اللَّهِ ، وَلَا عَمَلٍ بَعْدَ الْمَوْتِ . أَمَا وَاللَّهِ إِنَّا لَنَقُومُ هَذَا الْمَقَامَ فِي الصَّدْرِ حَزَازَةً ، وَفِي الْقَلْبِ غُصَّةً .

وقال الأحنف بخراسان : يَا بَنِي تَمِيمٍ ، تَحَابُّوا تَجْتَمِعَ كَلِمَتُكُمْ ، وَتَبَاذَلُوا تَعْتَدِلَ أَمْوَالُكُمْ ، وَابْدِءُوا بِجِهَادِ بَطُونِكُمْ وَفُرُوجِكُمْ يَصْلُحَ لَكُمْ دِينُكُمْ ، وَلَا تَغْلُوا يَسْلَمْ لَكُمْ جِهَادُكُمْ .

ومن كلام الأحنف السَّائِرِ فِي أَيْدِي النَّاسِ : الزَّمِ الصَّحَّةَ يَلْزِمُكَ الْعَمَلُ .

وسئل خالد بن صفوان عن الكوفة والبصرة فقال ^(٣) : « نَحْنُ مُنَابِتُنَا قَصَبٍ ، وَأَنْهَارُنَا عَجَبٍ ، وَسَمَاؤُنَا رُطْبٍ ، وَأَرْضُنَا ذَهَبٌ » . وقال الأحنف : « نَحْنُ أَبْعَدُ مِنْكُمْ سَرِيَّةً ، وَأَعْظَمُ مِنْكُمْ بَحْرِيَّةً ، وَأَكْثَرُ مِنْكُمْ ذُرِّيَّةً ، وَأَعْدَى

(١) بكر بن الأسود ، ويقال ابن أبي الأسود ، أبو عبيدة الناجي ، أحد الزهاد ، وكان رأساً في القدر ، روى عن الحسن . لسان الميزان .

(٢) هو أبو عبد الرحمن حبيب بن مسلمة بن مالك القرشي المكي ، وكان يسمى « حبيب الروم » مجاهدتهم أو لكثرة دخوله عليهم . مختلف في صحبته . مات في خلافة معاوية سنة ٤٢ . تهذيب التهذيب والإصابة ١٥٩٥ .

(٣) فيما عدل : « وقال خالد بن صفوان وسئل عن الكوفة والبصرة » .

منكم بَرِيَّةٌ^(١) » . وقال أبو بكر الهذلي : « نحن أكثرُ منكم ساجاً وعاجاً ،
وديباجاً وخراجاً ، ونهراً عَجَاجاً^(٢) » .

وكتب صاحبٌ لأبي بكر الهذلي إلى رجل يعزّيه عن أخيه : « أوصيك
بتقوى الله وحده ؛ فَإِنَّهُ خَلَقَكَ وحده ، ويبعثُك يومَ القيامة وحده . والعَجَبُ
كيف يعزّي مَيِّتٌ مَيِّتاً عن مَيِّت . والسلام » .

وقال رجل لابن عَيَّاش^(٣) رحمه الله : أَيُّمَا أَحَبُّ إِلَيْكَ : رجلٌ قليلُ الذُّنُوبِ
قليلُ العمل ، أو رجلٌ كثيرُ الذُّنُوبِ كثيرُ العمل ؟ فقال : ما أُعِدُّ بالسَّلامَةِ شيئاً .
وقال آخر : حماقة صاحبي أشدُّ ضرراً عليّ منها عليه .

شُعْبَةُ أبو بسطام^(٤) قال : قال عبد الرحمن بن أبي لَيْلَى : لا أُمَارِي
أَخِي ، فَإِنَّمَا أَنُكْذِبُهُ ، وَإِنَّمَا أَنُغْضِيهِ .

وقالوا : أخذ رجلٌ على ابن أبي لَيْلَى كلمةً^(٥) ، فقال له ابنُ أبي لَيْلَى : أَهْدِ
إِلَيْنَا مِنْ هَذَا مَا شِئْتَ^(٦) .

لَمَّا مَاتَ ابْنُ أَبِي لَيْلَى ، وَعَمَرُوهُ بِنُ عُبَيْدٍ ، رَحِمَهُمَا اللَّهُ تَعَالَى ، قَالَ
أَبُو جَعْفَرٍ الْمَنْصُورُ : مَا بَقِيَ أَحَدٌ يُسْتَحْيَى مِنْهُ^(٧) .

وَلَمَّا مَاتَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَامِرٍ^(٨) قَالَ مَعَاوِيَةُ : رَحِمَ اللَّهُ أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ ،
بِمَنْ تُفَاخِرُ ؟

(١) أعزى ، من العذاة ، وهى الأرض الطيبة التربة الكريمة المنبت .

(٢) سبق الخير بلفظ آخر فى (١ : ٣٥٧) .

(٣) فيما عدل : « لابن عباس » .

(٤) سبقت ترجمته فى (١ : ٣٦٩) .

(٥) فيما عدل : « قال وأخذ على ابن أبي ليلي رجل من جلسائه » .

(٦) فى حواشى التيمورية : « أى نهبا عليه . وهذا من الإنصاف أن ينهاه الرجل على خطائه فيرضى » .

(٧) هـ : « يستحيا منه » .

(٨) سبقت ترجمته فى (١ : ٣١٨) .

مسلمة بن محارب ^(١) قال : قال زياد : ما قرأت كتاب رجل قط إلا عرفت فيه عقله .

أبو معشر ^(٢) قال : لما بلغ عبد الله بن الزبير قتل عبد الملك بن مروان عمرو بن سعيد الأشدق ، قام خطيباً فقال : إن أبا الذبآن قتل لطيم الشيطان ، ﴿ كَذَلِكَ نُؤَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ . ولما جاءه قتل أخيه مصعب ، قام خطيباً بعد خطبته الأولى فقال : إن مصعباً قدّم أيره وأخر خيره ، وتشاعل بنكاح فلانة وفلانة ، وترك حلبة أهل الشام حتى غشيته في داره . ولئن هلك مصعب إن في آل الزبير منه خلفاً .

قالوا ^(٣) : ولما قدم ابن الزبير بفتح إفريقية ، أمره عثمان فقام خطيباً ، فلما فرغ من كلامه قال عثمان : أيها الناس انكحوا النساء على آبائهن وإخوتهن ؛ فإني لم أر في ولد أبي بكر الصديق أشبه به من هذا .

وسمع عمر بن الخطاب رحمه الله أعرابياً يقول : اللهم اغفر لأم أوفى . قال : ومن أم أوفى ؟ قال : امرأتى ، وإنها لحمقاء مرغامة ^(٤) ، أكل قائمة ^(٥) ، لا تبقى لها خامة ^(٦) ، غير أنها حسناء فلا تُفرك ، وأم غلمان فلا تُترك .

قالوا : ودفعوا إلى أعرابية علكاً ^(٧) تمضغه ، فلم تفعل ، فقيل لها في ذلك فقالت : ما فيه إلا تعب الأضراس ، وخيبة الحنجرة .

(١) ترجمته في ص ٤٨ من هذا الجزء .

(٢) ترجم في (١ : ٤٠٦) حيث ورد الخبر التالي .

(٣) سبق الخبر في (١ : ٤٠٦) .

(٤) المرغامة : المبعضة لبعولها . والخبر في اللسان (١٥ : ١٣٨) .

(٥) قم ما على المائدة : أكله فلم يدع منه شيئاً .

(٦) الخاتم : ما تغير ريحه من لحم أو لبن ونحوهما . يقال خم وأخم أيضا . والكلمة محرفة في النسخ

صوابها من هـ واللسان ، فقى ل : « جامه » ، وفيما عدل : « حامة » .

(٧) العلك : بالكسر : ضرب من صمغ الشجر كاللبان ، يمضغ فلا يناع .

وكان أبو مسلم استشار مالك بن الهيثم ، حين ورد عليه كتاب المنصور في القدوم عليه ، فلم يُشر عليه في ذلك ، فلما قُتل أبو مسلم أذكره ذلك ، فقال ابن الهيثم : إن أخاك إبراهيم الإمام حدث عن أبيه محمد بن علي أنه قال : لا يزال الرجل يُزاد في رأيه ما نصحه لمن استشاره ، فكنت له يومئذ كذلك ، وأنا لك اليوم كذلك .

وقال الحسن : التقدير نصف الكسب ، والتودد نصف العقل ، وحسن طلب الحاجة نصف العلم .

قال : وقال رجل لعمر بن عُبيد : إني لأرحمك مما يقول الناس فيك . قال : أسمعني أذكر ^(١) فيهم شيئاً ؟ قال : لا . قال : إياهم فارحم .

٢٩٢

ومدح نُصيب أبو الحجناء عبد الله بن جعفر ، فأجزل له من كل صنف ، فقليل له : أتصنع هذا بمثل هذا العبد الأسود ؟ قال : أما والله لئن كان جلده أسود إن ثنائه لأبيض ^(٢) ، وإن شعره لعرى ، ولقد استحق بما قال أكثر مما نال ، وإلما أخذ رواحل تُنضى ، وثياباً تبلى ، ومالاً يفتى ؛ وأعطى مديحاً يُروى ، وثناءً يبقى .

ووقف أعرابي في بعض المواسم ، فقال : اللهم إن لك على حقوقاً فتصدق بها علي ، وللناس تبعات فتحملها عني ، وقد أوجبت لكل ضعيف قرى وأنا ضيفك ، فاجعل قرأى في هذه الليلة الجنة .

ووقف أعرابي يسأل قوماً فقالوا له : عليك بالصَّيَافَة . فقال : هناك والله قرارة اللوم .

(١) فيما عدل : « أفتسمعني أقول » .

(٢) الثناء : ما تصف به الإنسان من مدح أو ذم .

وقال مسلمة : ثلاثة لا أعذرهم : رجلٌ أحفى شاربه ثم أعفاه ^(١) ، ورجل قصر ثيابه ثم أطاها ، ورجلٌ كان عنده سرارى فتزوج حرة .
أبو إسحاق قال : قال حذيفة : كُنْ في الفتنة كابنِ كَبُون ، لا ظَهَرَ فيركب ، ولا لبنٌ فيُحلب .

وقال الشاعر وليس هذا الباب في الخبر الذى قبل هذا :
ألم تر أن التاب تُحلبُ غلبةً ويترك ثلبٌ لا ضرابٌ ولا ظَهْرُ ^(٢)
عُتْبَةُ بن هارون قال : قلت لرؤبة : كيف خلّفت ما وراءك ؟ قال : التراب يابس ، والمرعى عابس .

وقال معاوية لعبد الله بن عباس : إني لأعلم أنك واعظ نفسك ، ولكن المصدور إذا لم ينفث جوى .
وقيل لعبيد الله بن عبد الله بن عُتْبَةَ بن مسعود : أتقول الشعر مع التسلُّك والفضل والفقہ ؟ فقال : « لا بد للمصدور من أن ينفث ^(٣) » .
قال أبو الذِّئَالِ شُوَيْسٌ ^(٤) : « أنا والله العريُّ ، لا أرقع الجُرْبَان ،

(١) إحقاء الشارب : أن يبالغ في قصه . وإعفاؤه : إبطائه وتوفيره . فيما عدا ل : « أحفى شعره » . وفي الحديث أنه أمر أن تحفى الشوارب وتعفى اللحى .
(٢) الثلب ، بالكسر : الجمل الذى انكسرت أنيابه من الهرم .
(٣) سبق الخبر في (١ : ٣٥٧) .

(٤) ل : « قال أبو الذئال قال شريس » ، وفيما عدا ل : « قال أبو الذئال قال شويس » . وكلاهما خطأ ، فإن « شويسا » بالواو ، هو أبو الذئال عينه ، كما في تنبيه البكرى على الأمالى ١٢٤ ؛ فإنه أورد نص القالى في الأمالى (٢ : ٢٤٧) وقال : « وهذا الكلام لأبى الذئال شويس الأعرابى العلوى » .
وفي الإصابة ٣٩٨٣ أنه « شويس بن حباش العدوى » . والنص عند البكرى : قال : أنا ابن التاريخ ، أنا والله العري المحض ، لا أرقع الجربان ، ولا ألبس الثبان ، ولا أحسن الرطانة . وإني لأرسم من رصاصة ، وما قرعنى إلا الكرم . قال البكرى : « قوله أنا ابن التاريخ ، يعنى أنه ولد سنة الهجرة » . والجربان : جيب القميص . والثبان : السراويل الصغير مقدار الشير . نفى عن نفسه لبس العجم ، وليس الملاحين .
والعرب إنما كانت تلبس الإزار والرداء . وقوله : « ما قرعنى إلا الكرم » قال أبو عبيد : « يعنى أن أباه طلب المناكح الكرمية فلم يجدها إلا في أهله ، فجاء ولده ضاويًا » . وفي اللسان (قرقم) : « أى إني جئت ضاويًا لكرم آبائي وسخائهم بطعامهم عن بطونهم » .

ولا ألبس الثُّبَّانَ ، ولا أحسن الرُّطَّانةَ ، ولأنا أُرْسَى من حَجَرٍ ، وما قَرَقَمْنِي
إِلَّا الكَرَمَ » .

أبو الحسن وغيره قال : قال عمرو بن عتبة بن أبي سفيان ، للوليد بن يزيد
ابن عبد الملك ، وهو بالبِخْرَاءِ ^(١) من أرضِ جِمص : يا أمير المؤمنين ، إنَّك
لَتَسْتَطِقْنِي بِالْأُنْسِ بك ، وأَكْفُ عن ذلك بالهيبَةِ لك ، وأراك تأمِّنُ أشياءَ أخافُها ٢٩٣
عليك ، أفأسكتُ مطيعاً ، أم أقولُ مشفقاً ؟ قال : كلُّ ذلك مقبولٌ منك ، والله
فينا علمٌ غيبٍ نحن صائرونٌ إليه ، ونَعُودُ فتقول ^(٢) . قال : فقتُلَ بعد أيامٍ .
وكان أيوب السُّخْتِيَانِي يَقُولُ : لا يَعْرِفُ الرَّجُلُ خطأَ معلِّمه حتَّى يسمع
الاختلافَ .

وقال بعضهم ^(٣) : كنت أجالس ابنَ صُغَيْرٍ في النَّسَبِ ^(٤) ، فجلست
إليه يوماً فسألته عن شيءٍ من الفقه ، فقال : ألك بهذا من حاجة ؟ عليك بذاك
- وأشار إلى سعيد بن المسيَّب ^(٥) - فجلست إليه لا أَظُنُّ أَنَّ عَالِماً غيره ، ثم
تحوَّلت إلى عُرْوَةَ ^(٦) ، ففتقت به ثَبَجَ بحر ^(٧) .
قال : وقلت لعثمان البُرِّيَّ ^(٨) : دُلَّنِي على باب الفقه . قال : اسمع الاختلافَ

- ١٥ (١) في معجم ما استعجم : « البِخْرَاءُ : أرض بالشام ، سميت بذلك لعفونة في تربتها وتنتها » .
(٢) فيما عدل ، هـ : « ونعود فتقول » .
(٣) هو الزهري ، كما في اللسان (ثبج) .
(٤) أى في تعلم النسب .
(٥) سبقت ترجمته في (١ : ١٠٢) .
(٦) هو عروة بن الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى الأسدي . روى عن أبيه وأخيه
عبد الله ، وأمه أسماء بنت أبي بكر ، وخالته عائشة ، وعلى وغيرهم . وكان ثقة كثير الحديث فقيها . ولد في آخر
خلافة عمر سنة ٢٣ وتوفي سنة ٩٤ وهى سنة الفقهاء . تهذيب التهذيب ، وصفة الصفوة (٢ : ٤٧) .
(٧) ثبج البحر والليل : معظمه .
(٨) مضت ترجمته في (١ : ٢٢) . ل : « المزى » صوابه في سائر النسخ .

وقيل لأعرابي عند مَنْ تحبُّ أن يكون طعامك ؟ قال : عند أمّ صبيّ راضع ، أو ابن سبيل شاسع ، أو كبير جائع ، أو ذى رحم قاطع .

وقال بعضهم : إذا اتسعت المقدرة نقصت الشهوة . قال : قلت له (١) : فمن أسوأ الناس حالاً ؟ قال : مَنْ اتسعت معرفته ، وبُعِدَت همّته ، وقويت شهوّته ، وضائق مقدرته .

وذكر عند عائشة رحمها الله الشرف فقالت : كلُّ شرفٍ دونه لؤمٌ فاللؤمُ أولى به ، وكلّ لؤمٌ دونه شرفٌ فالشرفُ أولى به .

ودخل رجلٌ على أبي جعفر ، فقال له : اتق الله . فأنكر وجهه . فقال : يا أمير المؤمنين ، عليكم نزلت ، ولكم قيلت ، وإليكم رُدّت .

- ١٠ وقال رجلٌ عند مسلمة : ما استرحنا من حائك كندة حتّى جاءنا هذا المزونى (٢) ! فقال له مسلمة : أتقول هذا لرجل سار إليه قريعاً قريش ؟ يعنى نفسه والعباس بن الوليد . إنّ يزيد بن المهلب (٣) حاول عظيمًا ، ومات كريماً . عبد الله بن الحسن قال : قال على بن أبى طالب رحمه الله : تُخصِصُنَا بخمسين : فصاحية ، وصباحية ، وسماحية ، ونجدية ، وحظورية - يعنى عند النساء .
- ١٥ على بن مجاهد ، عن هشام بن عروة (٤) ، عن أبيه ، عن عائشة قالت : جُبِلَت القلوبُ قلوبُ الناس (٥) على حُبِّ مَنْ أَحْسَنَ إليها ، وبُغِضَ مِنْ أَسَاءَ إليها .

(١) هذه الكلمة من ل فقط .

(٢) المزونى : نسبة إلى المزون ، بالفتح ، وهى أرض عمان . وفى حواشى التيمورية : « يعنى بحائك كندة عبد الرحمن بن الأشعث ، لأنه خرج على عبد الملك ، ومن أجله كان يوم دير الجماجم . ولم يكن حائكاً ولكنه كان من اليمن ، وكان النسيج الرفيع باليمن . والمزونى هو يزيد بن المهلب ، وكان أيضاً قد خرج على عبد الملك إلى أن ظفر به مسلمة » .

(٣) التيمورية : « والعباس بن الوليد بن يزيد بن المهلب » ، محرفة . ل : « إن يزيد » فقط .

(٤) هو هشام بن عروة بن الزبير المترجم فى (١ : ٢٥٢) .

(٥) هاتان الكلمتان من ل ، ه .

وقال الأصمعيّ: كُتِبَ كتابُ حكمةٍ فبقيت منه بقيةٌ فقالوا: ما نكتب؟
قالوا: اكتبوا: « يُسأل عن كلِّ صناعةٍ أهلُها » .

٢٩٤

وقال شبيب بن شيبّة للمهدى: إنّ الله لم يرض أن يجعلك دونَ أحدٍ من خلقه ، فلا ترض لنفسك أن يكون أحدٌ أخوفَ الله منك .

وقال يحيى بن أكثم: « سياسة القضاء أشدُّ من القضاء » . وقال: إنّ من إهانة العلم أن تجارى فيه كلَّ من جارك » .

قال: وحمل ربةٌ بن مصقلة من خراسان رجلاً إلى أمّه خمسمائة درهم ، فأنى الرجل أن يدفعها إليها حتّى تكون معها البيّنة على أنها أمّه ، فقالت الخادم لها: اذهبي حتى تأتينا ببعض من يعرفنا ، فلما أتاها الرجل برزت فقالت: الحمد لله ، وأشكو إلى الله الذى أبرزنى وشهر بالفاقة أهلى . فلما سمع الرجل كلامها قال: أشهد أنّك أمّه ، فردّى الخادم ولا حاجة بنا إلى أن تجيئى بالبيّنة ^(١) .

قال: وكان الحسن يقول فى خطبة النكاح ، بعد حمد الله والثناء عليه : « أمّا بعد فإنّ الله جمع بهذا النكاح الأرحامَ المنقطعة ، والأنسابَ المتفرقة ، وجعل ذلك فى سنةٍ من دينه ، ومنهاج واضح من أمره ، وقد خطب إليكم فلان ، وعليه من الله نعمة » .

عامر بن سعد ^(٢) قال: سمعت الزبير ^(٣) يعزى عبد الرحمن ^(٤) على بعض

(١) هذا ما فى ل . وفى هـ: « أن تأتى بالبيّنة » . وفى سائر النسخ: « أن تجيئ بالبيّنة » .
(٢) هو عامر بن سعد بن أبى وقاص الزهرى ، أحد ثقات الحديث من التابعين المدنيين . توفى سنة ١٠٤ . تهذيب التهذيب .

(٣) هو الصحابى الخليل الزبير بن العوام الأسدى ، حوارى رسول الله ، وابن عمته ، وأحد العشرة المشهود المشهود لهم بالجنة ، والستة أصحاب الشورى . قتله عمرو بن جرموز منصوره من الجمل سنة ٣٦ . الإصابة ٢٧٨٣ .
(٤) هو الصحابى الجليل عبد الرحمن بن عوف ، أحد العشرة والستة . وكان ممن حرم على نفسه الخمر فى الجاهلية . توفى سنة ٣١ وصلى عليه عثمان ، وقيل صلى عليه الزبير . الإصابة ٥١٧١ .

نسائه ، فقال وهو قائمٌ على قبرها : لا يَصْنَفِرَ رَتُّكَ ^(١) ، ولا يوحِشُ بَيْتُكَ ، ولا يَضِغُ أجْرُكَ . رحم الله مُتَوَفَاكَ ، وأحسَنَ الخِلافةَ عليك .

وقال عمر بن الخطاب رحمه الله : خيرُ صناعات العرب أبياتٌ يقدِّمها الرَّجُلُ بين يَدَي حَاجَتِهِ ، يستميل بها الكريم ، ويستعطف بها اللِّيم .

وقال : ولِيمٌ مُصعب بن الزُّبَيْر على طول خطبته عشيةَ عرفة فقال : أنا قائمٌ وهم جلوس ، وأتكلّم وهم سكوت ، ويضجرون !

وقال موسى بن يحيى : كان يحيى بن خالد يقول : ثلاثة أشياء تدلُّ على عقول أربابها : الكتاب يدلُّ على مقدار عقل كاتبه ، والرَّسُولُ على مقدار عقل مُرسِلِهِ ، والهديةُ على مقدار عقل مهديها .

٢٩٥ وذكر أعرابيٌّ أميراً فقال : يقضى بالعِشْوَة ^(٢) ، ويَطِيلُ النَّشْوَة ، ويقبلُ الرِّشْوَة .

وقال يزيد بن الوليد : إنَّ النَّشْوَة تحلُّ العُقْدَة ، وتُطْلَقُ الحُبْوَة . وقال : إِيَّاكُمْ والغِنَاءَ ، فَإِنَّهُ مفتاحُ الرِّزَاءِ ^(٣) .

وقال عمر بن الخطاب رحمه الله : إذا توجَّه أحدكم في وجهٍ ثلاثَ مرَّات فلم يصبْ خيراً فليدعُه .

١٥ وقال على بن أبى طالب رضى الله عنه : لا تَكُونَنَّ كمن يعجز عن شكر ما أوتى ، ويبتغي الزَّيَادَة فيما بقى ؛ يَنْهَى ولا يَنْتَهَى ، ويأمر الناس بما لا يأتي ؛ يحبُّ الصالحين ولا يعمل بأعمالهم ، ويُبغضُ المُسيئين وهو منهم ؛ يكره الموت لكثرة ذنوبه ، ولا يدعُها في طول حياته .

(١) الربيع : المنزل ، وقيل المنزل في الربيع خاصة . صفر يصفر : من باب تعب : خلا .

(٢) العشوة ، بتثنية العين : الأمر الملتبس .

(٣) ما عدا هـ : « الرزق » . وانظر العقد (٦ : ٣٣٨) .

وقال أعرابي : خرجت حين انحدرت أيدي النجوم وشالت أرجلها ، فلم
أزل أصدع الليل حتى انصدع الفجر .

قال : وسألت أعرابياً عن مسافة ما بين بلدين فقال : عمر ليلة ، وأديم
يوم . وقال آخر : سواد ليلة ، وبياض يوم .

وقال بعض الحكماء : لا يضرّك حب امرأة لا تعرفها .

وقال رجل لأبي الدرداء : فلان يقرئك السلام . فقال : هدية حسنة ،
ومحمل خفيف .

وسرق مزبد^(١) نافجة مسك فقيل له : إن كل من غل يأتي يوم القيامة
بما غل^(٢) يحمله في عنقه ، فقال : إذا والله أحملها طيبة الريح ، خفيفة المحمل .
قيل : ومن أبخل البخل ترك رد السلام .

قال ابن عمر : لعمري إني لأرى حق رجوع جواب الكتاب كرد السلام .
وجاء رجل إلى سلمان^(٣) فقال : يا أبا عبد الله ، فلان يقرئك السلام .
فقال : أما إنك لو لم تفعل لكانت أمانة في عنقك .

(١) مزبد المدني ، من مشهورى أصحاب النوادر والفكاهة . ويقع التحريف في اسمه كثيرا فيقال
« مزبد » بالياء المثناة التحتية . وفي تاج العروس (٢ : ٣٦١) : « ومزبد كحدث : اسم رجل ،
صاحب النوادر . وضبطه عبد الغنى وابن ماكولا كمعظم . وكذا وجد بخط الشرف الديماطي وقال :
إنه وجده بخط الوزير المغربي . ووجد بخط الذهبي ساكن الزاى مكسور الموحدة » . وقد رجعت إلى
المشتبه للذهبي ص ٤٧٥ فوجدت فيه : « وبزاي وموحدة مكسورة : مزبد صاحب النوادر » ففي ضبطه
أقوال ثلاثة . وله حديث في ثمار القلوب ٣٧٢ والحيوان (٥ : ١٨٤ ، ١٩٢ ، ١٩٣) . وقال التوحيدى
في شأن الجاحظ : « وإن هزل زاد على مزبد » . انظر المقابسات ٥٥ .

(٢) هاتان الكلمتان من ل ، ه .

(٣) فيما عدل ، ه : « سليمان » تحريف . والخبر رواه ابن الجوزى في ترجمة سلمان الفارسي .
انظر صفة الصفوة (١ : ٢١٨ س ١٣ - ١٥) . ونصه : « عن أبي قلابة أن رجلا دخل على سلمان
وهو يعجن فقال : ما هذا ؟ قال : بعثنا الخادم في عمل فكرهنا أن نجتمع عليه عملين . ثم قال : فلان يقرئك
السلام . قال : متى قدمت ؟ قال : منذ كذا وكذا . فقال : أما إنك لو لم تؤدّها كانت أمانة لم تؤدّها » . وكنية
سليمان أبو عبد الله ، ويقال له سلمان ابن الإسلام ، وسلمان الخير . وأصله من رامهرمز ، وقيل من أصبهان ، =

وقال مثنى بن زهير لرجل : احتفظ بكتابتى هذا حتى توصله إلى أهلى ؛
فمن العجب أن الكتاب مُلقًى ، والسِّكران مُوقًى .

وكان عبد الملك بن الحجاج يقول : لأنا للعاقِل المَذْبِر أرجى من الأحمق المُقْبِل .
وقال : إِيَّاكَ ومصاحبة الأحمق ؛ فإنه ربما أراد أن يتفَعَكَ فضْرَكَ .

وكتب الحجاج إلى عامل له بفارس : « ابعث إلى بعسل من عَسَلِ
خُلَّار^(١) ، من التحل الأَبْكَار ، من الدَّسْتِفْشَار^(٢) ، الذى لم تمسه النار » .

وقال الشاعر :

وما المرء إلا حيث يجعل نفسه ففى صالح الأخلاق نفسك فاجعل^(٣)
قال : ونظر أبو الحارث جُمَيْن^(٤) ، إلى برذون يُستقى عليه الماء فقال :

١٠ . * وما المرء إلا حيث يجعل نفسه *
لو أن هذا البرذون هملَج ما صُنِعَ به هذا .

عمرو بن هُدَّاب قال : قال سَلَمُ بن قتيبة : رَبُّ المعروف أشدُّ من ابتدائه .

وقال محمَّد بن واسع : « الإبقاء على العمل أشدُّ من العمل » .

وقال يحيى بن أكرم : « سياسةُ القضاء أشدُّ من القضاء » .

١٥ = سافر يطلب الدين مع قوم فغدروا به فباعوه من اليهود ، ثم إنه كُتِبَ فأعانه النبی ﷺ في كتابه .
أسلم مقدم النبی المدينة ، وشهد الخندق وما بعدها ، وولاه عمر المدائن . انظر الإصابة ٣٣٥٠ .

(١) خلار ، كرمان : موضع يكثر به العسل الجيد . والخير في اللسان (خلر) .

(٢) الدستفشار : لفظ فارسي معناه المعصور باليد ، مركب من « دست » بمعنى يد ، و « أفشار »

بمعنى معصور . انظر الألفاظ الفارسية المعربة لأدى شير ٦٤ واللسان (بكر ١٤٤) .

(٣) ل فقط : « فالفعل » والبيت لمنقر بن فروة كما سيأتى في (٣ : ٢٢٨) .

(٤) أبو الحارث جمين ، أو جميز ، أحد أصحاب الفكاهة من معاصري الجاحظ ، ودعبل بن

على ، وابن سَيَّابة . انظر بعض أخباره في الأغاني (١ : ٣٧ / ١١ : ٦ / ١٧ : ٤٤) وجمع الجواهر

للحصرى ٦٣ ، ٦٤ . صاحب القاموس يرى أن لفظ « جمين » خطأ ، والصواب « جميز » . وقال في

مادة (جمن) : « ضبطه المحدثون بالنون ، والصواب بالزاي المعجمة أنشد أبو بكر بن مقسم :

٢٥ إن أبا الحارث جميزا قد أوتى الحكمة والميزا .

وقال محمد بن محمد الحُمُراني (١): « من التوقى ترك الإفراط في التوقى » .
وقال أبو قرّة: « الجوع للحمية أشد من العلة » .

وقال الجَمَاز: « الحمية إحدى العلّتين » . وقال العَمِي (٢): « من احتَمى فهو على يقين من تعجيل المكروه ، وفي شك مما يأمل من دوام الصّحة » .
وذكر أعرابي رجلاً فقال: حُمى المُعافى ، حَنُوطُ المُبتلى (٣) .

وقال عمر (٤) اعتبر عزّمه بِحِمِيّته ، وحزّمه بمتاع بيّته .
وقالوا (٥): أمران لا ينفكان من الكذب : كثرة المواعيد ، وشدة الاعتذار .
وقيل لرجل من الحكماء : ما جماعُ البلاغة ؟ قال : معرفة السّليم من المعتل ، وفصل ما بين المُضمّن والمطلّق ، وفرق ما بين المُشترَك والمفرد ، وما يحتمل التأويل من المنصوص المقيد .

وقال سهل بن هارون في صدر كتاب له : « وَجِبَ (٦) على كلّ ذى مقالة أن يبتدئ بالحمد لله قبل استفتاحها ، كما بُدئ بالنّعمة قبل استحقاقها » .
وقال أبو البلاد (٧) :

وإنا وجدنا النَّاسَ عُودِينَ : طَيِّباً وَعُوداً خَبِيثاً لا يَبِضُّ على العَصْرِ (٨)
تَزِينُ الفَتَى أَخْلَافُهُ وَتَشِينُهُ وَتَذَكُرُ أَخْلَاقُ الفَتَى وهو لا يدرى
وقال آخر في هذا المعنى :

سابق إلى الخيرات أهل العلا فإتّما الناس أحاديثُ
كلّ امرئ في شأنه كادحٌ فوارثٌ منهم وموروثُ

(١) انظر ما سبق في (١ : ٣٦٥ س ٥) .

(٢) فيما عدل ، هـ : « القمى » .

(٣) فيما عدل : « حمى المبتلى حنوط المعافى » .

(٤) هذه الكلمة من ل ، هـ .

(٥) ل : « وقال » .

(٦) فيما عدل : « واجب » .

(٧) سبقت ترجمته في (١ : ٣٥٤) .

(٨) لا يبض : لا يخرج منه ماء .

ولما قال حَمَلُ بن بدر ، لبنى عبس ، والأسنة في ظهورهم ، والبوارق فوق
رءوسهم : « تُؤدِّي السَّبَقُ ^(١) ، وَنَدَى الصَّبِيَّانِ وَتَحْلَوْنَ سِرِينَا ، وَتَسْوَدُونَ
العرب » ، انتهره حذيفة فقال : إِيَّاكَ وَالْكَلامَ المأثور !

وقال الشاعر :

- اليوم خمرٌ ويبدو في غِدِّ خَيْرٍ والدَّهْرُ من بين إنعامٍ وإيَّاسٍ ^(٢)
قال : وقال أعرابيٌّ : « إِنَّ المسافرَ وَمَتَاعَهُ لَعَلَى قَلْبٍ ^(٣) إِلَّا مَا وَقَى الله » .
وقالوا : السَّفَرُ قِطْعَةٌ من العذاب ، وصاحبُ السَّوءِ قِطْعَةٌ من النار .
قال : وجلس معاوية بالكوفة يُبايع الناس على البراءة من عليٍّ رحمه الله ،
فجاءه رجلٌ من بنى تميم ، فأرادَه على ذلك فقال : يا أمير المؤمنين : نُطِيعُ أحياءكم
ولا نبرأ من موتاكم . فالتفت إلى المغيرة فقال : إن هذا رجلٌ ، فاستوص به خيراً .
١٠

وقال الشاعر ^(٤) :

- قالت أُمَامَةُ يَوْمَ بُرْقَةٍ وَاصِلٍ يا ابنَ القَدِيرِ لَقَدْ جَعَلْتَ تَغْيِرَ
أَصْبَحْتَ بَعْدَ زَمَانِكَ المَاضِي الَّذِي ذَهَبَتْ شَبِيبَتُهُ وَغَضُنُكَ أَخْضُرُ
شَيْخًا دِعَامَتُكَ العَصَا وَمَشِيعًا لا تَبْتَغِي خَيْرًا وَلَا تُسْتَخْبِرُ
قالوا : وكان شُرَيْحٌ في الفتنَةِ يَسْتَخْبِرُ وَلَا يُخْبِرُ ، وكان الرِّبِيعُ بنُ حُثَيْمٍ
١٥ لا يُخْبِرُ وَلَا يَسْتَخْبِرُ ، وكان مطرّف بن عبد الله يَسْتَخْبِرُ وَيُخْبِرُ . قالوا : فينبغي
أن يكون أعقلَهم .

(١) السبق ، بالتحريك : الخطر يوضع بين أهل السباق . وقد قال حمل هذا القول في يوم

الهبة . انظر الحيوان (٣ : ١١٧ / ٥ : ٢٩٤) ، ومعجم البلدان ، وكامل ابن الأثير (١ : ٣٥٢)

٢٠ والعمدة (٢ : ١٦١) والميداني (٢ : ٢٦٣) والخزانة (١ : ٣٠٣ / ٣ : ٣٥٨ / ٤ : ٥٨٥) .

(٢) سبق البيت في (١ : ١٧٧) .

(٣) القلت ، بالتحريك : الهلاك . والخبر في اللسان (قلت) . ل فقط : « على قلت » .

(٤) هو حسان بن الغدير . انظر خبر الشعر واختلاف الرواية في الأمالي (٣ : ٨٩) .

قال أبو عبيدة : كان ابن سيرين لا يَسْتَحْير ولا يُخْبِر ، وأنا أخبر وأستخير .
وقال أبو عمرو بن العلاء لأهل الكوفة : لكم حَدْلَقَةُ النَّبِطِ وَصَلْفُهُمْ ^(١) ،
ولنا دهاء فارس وأحلامها .

وأنشد للحارث بن حِزْزَةَ اليشكري :

لا أَعْرِفُكَ إِن أَرْسَلْتُ قَافِيَةً تُلْقَى الْمَعَاذِيرَ إِن لم تنفع الْعِذْرُ ^(٢)
إِنَّ السَّعِيدَ لَهُ فِي غِيَرِهِ عِظَّةٌ وَفِي التَّجَارِبِ تَحْكِيمٌ وَمُعْتَبِيرٌ ٢٩٨

ومعنى المعاذير هنا على غير معنى قول الله تبارك وتعالى في القرآن : ﴿ بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بِصِيرَةٌ ۖ وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ ﴾ . والمعاذير ها هنا :
السُّتُور ^(٣) .

وقال : أراد رجلُ الْحَجِّ فَسَلَّمَ على شُعْبَةَ بن الْحَجَّاجِ ^(٤) فقال له : أَمَا إِنَّكَ
إِن لم تَعُدَّ الْجِلْمَ ذُلًّا ، وَلَا السَّفَةَ أَتْفًا ، سَلِمَ لَكَ حَجُّكَ .

وقالوا : وكان على رضى الله عنه بالكوفة قد مَنَعَ النَّاسَ مِنَ الْقُعُودِ على ظهر
الطريق ، فَكَلَّمُوهُ فِي ذَلِكَ فقال : أَدْعُكُمْ على شريطة . قالوا : وما هى يا أمير
المؤمنين ؟ قال : غَضُّ الْأَبْصَارِ ، وَرَدُّ السَّلَامِ ، وَإِرْشَادُ الضَّالِّ . قالوا : قد قَبِلْنَا .
فَتَرَكَهُمْ ١٥ .

وكان نوفل بن أبى عقرب ، لا يقعد على باب داره ^(٥) ، وكان عامراً بالمارّة

(١) الحَذْلَقَةُ : النظرف والتكيس . ل : « وسلفهم » . التيمورية : « وصلفهم » ، صوابها فى هـ ،
ب ، ج . وفى اللسان : « الصلف : مجاوزة القدر فى الظرف والبراعة والادعاء فوق ذلك تكبرا » .
وفيه : « رجل جَذَلِيٌّ : كثير الكلام صلف » .

(٢) المعاذير : المحجج . والعذر : جمع عذرة ، بالكسر ، وهى العذر .

(٣) هى الستور بلغة أهل اليمن ، واحدهما معذار .

(٤) سبقت ترجمته فى (١ : ٣٦٩) .

(٥) هذا ما فى ل . وفى هـ : « لا يجلس » . وفى سائر النسخ : « لا يجلس إلا على باب داره » ،

- فَقِيلَ لَهُ : إِنَّ فِي ذَلِكَ نَشْرَةً ^(١) ، وَصَرَفَ النُّفُوسَ عَنِ الْأَمَانِيِّ ، وَاعْتِبَاراً لِمَنْ
اعْتَبَرَ ، وَعِظَةً لِمَنْ فَكَّرَ . فَقَالَ : إِنَّ لَذَلِكَ حَقِيقاً يَعِجْزُ عَنْهَا ابْنُ خَيْثَمَةَ ^(٢) ،
قَالُوا : وَمَا هِيَ ؟ قَالَ : غَضُّ الْبَصَرِ ، وَرُدُّ التَّحِيَّةِ ، وَإِرْشَادُ الضَّالِّ ، وَضَمُّ اللَّقْطَةِ ،
وَالْتَعَرُّضُ لَطُلَّابِ الْحَوَائِجِ ، وَالتَّهْيُّ عَنْ الْمُنْكَرِ . وَالتَّشْغُلُ بِفَضُولِ النَّظَرِ ، الدَّاعِيَةُ
إِلَى فَضُولِ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ ، عَادَةً إِنْ قَطَعَتْهَا اشْتَدَّتْ وَحَشْتَكَ لَهَا ، وَإِنْ
وَصَلَتْهَا قَطَعَتْكَ عَنْ أُمُورٍ هِيَ أَوْلَى بِكَ مِنْهَا .
- وَقَالَ الْفُضَيْلُ بْنُ عِيَّاضٍ ^(٣) ، لِسَفِيَّانَ الثَّوْرِيِّ : دُلَّنِي عَلَى جَلِيسٍ
أَجْلِسُ ^(٤) إِلَيْهِ . فَقَالَ : هِيَاهُ ، تِلْكَ ضَالَّةٌ لَا تَوَجَدُ .
- وَقِيلَ لِبَعْضِ الْعُلَمَاءِ : أَيُّ الْأُمُورِ أَمْتَعُ ؟ فَقَالَ : بِمَجَالَسَةِ الْحُكَمَاءِ وَمَذَاكِرَةِ الْعُلَمَاءِ .
- وَقِيلَ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرَةَ : أَيُّ الْأُمُورِ أَمْتَعُ ؟ فَقَالَ : الْأَمَانِيُّ .
- وَقَالَ رَجَاءُ بْنُ خَيْثَمَةَ ، لِعَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ ، فِي أُسَارَى ابْنِ الْأَشْعَثِ :
إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَعْطَاكَ مَا تَحِبُّ مِنَ الظَّفَرِ ، فَأَعْطِ اللَّهَ مَا يَحِبُّ مِنَ الْعَفْوِ .
- وَقَالَ هُرَيْرُ بْنُ عَدِيِّ بْنِ أَبِي طَخْثَمَةَ ^(٥) ، لِيَزِيدَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ بَعْدَ ظَفَرِهِ
بِيزِيدَ بْنِ الْمُهَلَّبِ : مَا رَأَيْنَا أَحَدًا ظَلِمَ ظُلْمَكَ ، وَلَا نُصِرَ نَصْرَكَ ، وَلَا عَفَا عَفْوَكَ .
- وَذَمَّ رَجُلٌ رَجُلًا فَقَالَ : سَيِّءُ الرُّوْيَةِ ، قَلِيلُ التَّقِيَّةِ ، كَثِيرُ السَّعَايَةِ ، قَلِيلُ
التَّكَايَةِ .

- (١) النشرة بالفتح : السيم الذي يحى الحيوان . انظر اللسان (٧ : ٦٥) .
- (٢) هو الصحابي الجليل سعد بن خيثمة بن الحارث ، أحد نقباء الأنصار الاثنى عشر ، شهد
العقبة الأخيرة مع السبعين . ولما نذب رسول الله ﷺ الناس إلى بدر قال له أبوه خيثمة : إنه لا بد لأحدنا
أن يقيم ، فأثري بالخروج وأقم مع نسائك . فأثنى سعد وقال : لو كان غير الجنة أثرتك بها ، إني لأرجو
الشهادة في وجهي هذا . فاستهما فخرج سهم سعد فخرج فقتل بيد . صفة الصفوة (١ : ١٨٦)
- والإصابة ٣١٤٢ . هـ : ابن حننمة .
- (٣) سبقت ترجمته في (١ : ٢٥٨) .
- (٤) هذه الكلمة ساقطة من التيمورية . ب ، ج : « أطمئن » .
- (٥) مضت ترجمته في (١ : ٣٩٠) حيث سبق الخبر التالي .

قال : وقال معاوية لمعاوية بن حُديج الكِنْدِيُّ ^(١) : ما جرّأك على قتل قريش ؟ قال : ما أنصفتُمونا ، تقتلون حلماًءنا وتلوموننا على قتل سفهائكم . وهو الذى قال لأُمّ الحكم بنت أبى سفيان : والله لقد نكحتِ فما استكرمت ، وولدت فما أنجبت .

أبو بكر بن مسلمة ، عن أبى إسحاق القيسى قال : لما قدم قتيبة بن مسلم خراسان قال : « مَنْ كان فى يديه شئٌ من مال عبد الله بن خازم ^(٢) فَلْيَنْيْذِهِ ، وإن كان فى فيه فَلْيَلْفِظْهُ ، وإن كان فى صدره فَلْيَنْفُثْهُ » . فعجِبَ الناسُ من حسن ما قَسَمَ وفَصَّلَ . قال : ثم غَبَرَ بعد ذلك عيالُ عبد الله بن خازم وما بخراسان أحسنُ حالاً منهم .

عَبَسَةُ الْقَطَّانُ قال : شهدت الحسنَ وقال : له رجلٌ : بلغنا أنك تقول : لو كان علىَّ بالمدينة يأكل من حَشَفِها لكان خيراً له مما صنع . فقال له الحسن : يالْكَعْ ، أما والله لقد قَدَّمْتُمُوهُ سهماً من مَرامى الله غيرِ سُؤْمٍ لأمر الله ، ولا سُرُوقَةٍ لِمَالِ الله ، أَعْطَى القرآنَ عزائمه فيما عليه وَلَهُ ، فَأَحْلَ حلاله ، وَحَرَّمَ حرامه ، حتى أوردَه ذلك رياضاً مَوْنَقَةً ، وحادائق مُعَدَّة . ذلك علىُّ بن أبى طالب يالْكَعْ ^(٣) .

(١) هو معاوية بن حديج التجيبى الكندى . ذكره ابن سعد فى تسمية من نزل بمصر من الصحابة . شهد فتح مصر ، وكان الوافد على عمر بفتح الإسكندرية ، وولى الإمرة على غزو المغرب مرارا ، آخرها سنة خمسين . توفى سنة ٥٢ . الإصابة ٨٠٥٧ وتهذيب التهذيب . وفى الاشتقاق ٢٢١ : « ومنهم معاوية ابن حُديج الذى قتل محمد بن أبى بكر الصديق » .

(٢) خازم ، بالخاء المعجمة . ماعدا هـ : « خازم » ، تحريف . وهو عبد الله بن خازم بن أسماء السلمى البصرى ، أمير خراسان ، كان من أشجع الناس ، ولى خراسان لبني أمية فلما ظهر ابن الزبير كتب إليه خازم بطاعته فأقره على خراسان ، ثم ثار به أهلها فقتلوه وأرسلوا رأسه إلى عبد الملك سنة ٧٢ . انظر الطبرى فى حوادث هذه السنة ، وتهذيب التهذيب والإصابة ٤٦٣٢ .

(٣) فيما عدل : « ذاك ابن أبى طالب يالْكَع » .

يزيد بن عقال : قال سمعت عبد الملك بن صالح ^(١) يوصي ابنه وهو أمير سرية ونحن ببلاد الروم ، فقال له : أنت تاجرُ الله لعباده ، فكن كالمضارب الكيس ، الذى إن وجد ربحاً تَجَرَ ، وإلا احتفظ برأس المال . ولا تطلب الغنيمة حتى تُحرِرَ السلامة ^(٢) . وكن من احتيالك على عدوك أشدَّ خوفاً من احتيال عدوك عليك .

٥

وقال بعض الحكماء : لا تصطنعوا إلى ثلاثة معروفاً : اللئيم فإنه بمنزلة الأرض السبخة ، والفاحش فإنه يرى أن الذى صنعت إليه إنما هو لخافة فحشه ، والأحمق فإنه لا يعرف قدر ما أسديت إليه . وإذا اصطنعت إلى الكرام فازدرع المعروف واحصد الشكر .

قال : وواضع المعروف في غير أهله كالمُسْرِج في الشمس ، والزارع في السبخ .

١٠

ومثله البيت السائر في الناس :

وَمَنْ يَصْنَعُ الْمَعْرُوفَ فِي غَيْرِ أَهْلِهِ يُلَاقِ الَّذِي لَا قِيَامَ لَهُ عَامِرٍ ^(٣)

٣٠٠

وقالوا : من لم يعرف سوء ما يُؤلى لم يعرف حسن ما يُولى .

وقال الإيادي ^(٤) صاحب الصرح ، الذى اتخذ سلماً لمناجاة الرب ، وهو

الذى كان يقول : « مرضعة وفاطمة . القطيعة والفجيعة ، وصيلة الرحم وحسن الكليم . زعم ربكم ليجزين بالخير ثواباً ، وبالشر عقاباً . وإن من في الأرض عبداً لمن في

١٥

(١) وكذا عيون الأخبار (١ : ١٠٩) . وفي العقد (١ : ١٣٢) ونهاية الأرب (٦ :

١٧٠) : « عبد الملك بن مروان » .

(٢) فيما عدل : « تحوز السلامة » .

(٣) البيت لبعض الأعراب . انظر خير الشعر في أمثال الميداني (٢ : ٨١) عند قولهم : « كمجير

٢٠

أم عامر » ، وحياة الحيوان للدميري في رسم (ضبع) . هـ : « ومن يضع » .

(٤) هو وكيع بن سلمة بن زهير بن إياد ، كما في أمثال الميداني (٢ : ٨١) . وانظر الحيوان

(٦ : ١٥١) . وكان قد ولي أمر البيت بعد جرهم ، فبنى صرحاً بأسفل مكة وجعل في الصرح سلماً ،

فكان يرقاه ويزعم أنه يناجي الله ، وينطق بكثير من الخير .

السماء . هلكت جرهم وربلت إياد^(١) ، وكذلك الصِّلَاحُ والفساد . من رَشَدَ فاتَّبِعوه ، ومن غَوَى فارْضَوْه . كُلُّ شَاةٍ بِرِجْلِهَا مَعْلَقَةٌ » .

وإيَّاه يعنى الشاعر^(٢) بقوله :

وَنَحْنُ إِيَادٌ عبيدُ الإلهِ ورهطُ مُنَاجِيهِ فِي السَّلَمِ
وَنَحْنُ وُلَاةٌ حِجَابِ العتيقِ زَمَانِ الرُّعَافِ عَلَى جُرْهِمِ

* * *

تعزية امرأة للمنصور على أبى العباس مَقَدَّمَه من مكة . قالت : أعظمَ الله
أَجْرَكَ ، فلا مصيبةَ أَجَلُ من مصيبتك ، ولا عِوَضَ أعظمُ من خِلَافَتِكَ .

وقال عثمان بن خُرَيم للمنصور ، حين عفا عن أهل الشام في إجلالهم مع
عبد الله بن عليٍّ عمِّه : يا أمير المؤمنين : لقد أُعْطِيتَ فَشَكَرْتَ ، وَابْتُلِيتَ
فَصَبَّرْتَ ، وَقَدَّرْتَ فَغَفَرْتَ^(٣) .

وقال آخر : يا أمير المؤمنين ، الانتقام عدل ، والتجاوز فَضْل ، والمتفضلُ
قد تجاوز حدَّ المنصف . فنحن نُعِيدُ أمير المؤمنين بالله بأن يَرْضَى لنفسه بأوكس
النَّصِيْبَيْنِ ، دون أن يبلغ أرفع الدرجتين .

وقال آخر : من انتَقَمَ فقد شفى غيظَ نفسه ، وأُخِذَ أَقْصَى حَقِّه . وإذا
انتَقَمْتَ فقد انتَصَفْتَ^(٤) ، وإذا عفوت فقد تَطَوَّلْتَ^(٥) . وَمَنْ أَخَذَ حَقَّه وشفى
غِيظَه لم يَجِبْ شُكْرُه ، ولم يُذَكَّرْ فِي الْعَالَمِينَ فَضْلُه . وَكَظُمَ الْغِيْظُ جِلْمٌ ، وَالْجِلْمُ
صَبْرٌ ، وَالتَّشْفَى طَرَفٌ مِنَ الْعَجْزِ ، وَمَنْ رَضِيَ أَلَّا يَكُونَ بَيْنَ حَالِهِ وَبَيْنَ حَالِ الظَّالِمِ
إِلَّا سِتْرٌ رَقِيقٌ ، وَحِجَابٌ ضَعِيفٌ ، فلم يَجْزِمِ فِي تَفْضِيلِ الْحِلْمِ ، وَفِي الْاسْتِثْقَاءِ مِنْ تَرْكِ ٣٠١

(١) ربل القوم : كثروا ، أو كثروا أولادهم وأموالهم .

(٢) هو بشير بن الحجير الأيادي ، كما في أمثال الميداني (٢ : ٨٩) .

(٣) فيما عدل ، هـ : « فغفوت » .

(٤) فيما عدل ، هـ : « انتقصت » .

(٥) ل : « وإذا عفوت فقد تفضلت » .

دواعي الظلم . ولم تَرِ أهلَ التَّهْيِ والمنسويين إلى الحِجَا والتَّقَى ، مَدَحُوا العلماءَ بشدة العقاب ؛ وقد ذكروهم بِحُسْنِ الصَّفَحِ ، وبكثرة الاعتقار ، وشدة التغافل . وبعد فإلْمُعَاقِبِ مستعدٌّ لعداوة أولياءِ المذنبِ ، والعافى مُستَدْعٍ لشكرهم ، آمِنٌ من مكافأتهم أَيَّامَ قدرتهم ، ولأنَّ يُثْنَى عليك بِاتِّسَاعِ الصدرِ خيرٌ من أن يُثْنَى عليك بِضِيقِ الصَّدْرِ . على أنَّ إِقَالَتَكَ عِثْرَةَ عِبَادِ اللَّهِ موجبٌ • لإِقَالَتِكَ عَثْرَتِكَ من رَبِّ عِبَادِ اللَّهِ ، وعَفْوُكَ عنه موصولٌ بعفوِ اللَّهِ عنكَ ، وعِقَابُكَ لهم موصولٌ بعقابِ اللَّهِ لك .

وقالوا : ^(١) الموتُ الفادحُ ، خيرٌ من اليأسِ الفاضحِ .

وقال آخر : لا أَقِلُّ من الرجاءِ . فقال آخر : بل اليأسُ المريحُ .

وقال عبد الله بن وهبِ الراسبي ^(٢) : ازدحامِ الجوابِ مَضَلَّةٌ لِلصَّوَابِ ، وليس الرأى بِالْإِتِّجَالِ ، ولا الحِزْمُ بِالْإِقْتِضَابِ ، فلا تَدْعُوْنِكَ السَّلَامَةَ من خطاءِ موبقٍ ، أو غنيمَةٍ نلتَهَا من صوابِ نادرٍ ، إلى معاودته ، والتماسِ الأربابِ مِنْ قَبْلِهِ . إِنَّ الرأى لَيْسَ بِنُهْجِي ، وَخَمِيرُ الرأى خَيْرٌ من فطيره . وَرَبُّ شَيْءٍ غَابَهُ خَيْرٌ من طَرِيهِ ، وتأخيرُهُ خَيْرٌ من تقديمِهِ .

ولما قُدِمَ بعبدِ الجَبَّارِ بن عبد الرحمن ، إلى المنصور ، قال : يا أمير المؤمنين ، قِتْلَةُ كَرِيمَةٍ . قال : وراءَكَ تَرْكُهَا ^(٣) ، يا ابنَ اللُّخْنَاءِ .

ولما احتالَ أبو الأزهرِ المهلبُ بن عُبَيْثِ المَهْرِيِّ ، لعبدِ الحميدِ بن رِنْعَى بن معدان ^(٤) ، وأسلمه إلى حُمَيْدِ بن قَحْطَبَةَ ، وأسلمة حُمَيْدِ إلى المنصور ، فلما صار إلى المنصور قال : لا عُذْرَ فَأَعْتَذَرَ وقد أحاطَ بِى الذَّنْبُ ، وأنتَ أَوَّلَى بما ترى . قال : لَسْتُ أَقْتُلُ أَحَدًا من آلِ قَحْطَبَةَ ، بل أَهَبُ مَسِيئَتَهُمْ لِمَحْسَنِهِمْ ، وَغَادِرَهُمْ

(١) فيما عدل : « وقال » .

(٢) سبقت ترجمته في (١ : ٢٠٥) .

(٣) فيما عدل : « تركها وراءك » .

(٤) فيما عدل ، هـ : « معلق » ، تحريف .

لوفيههم . قال : إن لم يكن في مصطنع فلا حاجة لي إلى الجاه ^(١) . ولست أَرْضَى
أن أكون طليق شفيح وعتيق ابن عم . قال : اخرج ، فإنك جاهل ؛ أنت
عتيقهم ما حيت .

قال زيادُ بن ظبيان التيمي ، لابنه عُبيد الله بن زياد ، وزياد يومئذ يَكِيدُ
بنفسه وعُبيدُ الله غلام : ألا أوصي بك الأمير ^(٢) ؟ قال : لا . قال : ولم ؟ قال : ٣٠٢
إذا لم تكن للحي إلا وصية الميت فالحي هو الميت ^(٣) .

ودخل عمرو بن سعيد الأشدق بعد موت أبيه على معاوية ، وعمرو يومئذ
غلام ، فقال له معاوية : إلى من أوصي بك أبوك يا غلام ؟ قال ؟ إن أتي أوصي
إلي ولم يوص لي . قال : وبأي شيء أوصاك . قال : أوصاني ألا يفقد إخوانه منه
إلا وجهه . قال معاوية لأصحابه : إن ابن سعيد هذا لأشدق ^(٤) . ١٠

ولما داهن سفيان بن معاوية بن يزيد بن المهلب ، في شأن إبراهيم بن
عبد الله وصار سفيان إلى المنصور ، أمر الربيع فخلع سواده ، ووقف به على
رءوس اليمانية في المقصورة في يوم الجمعة ، ثم قال : يقول لكم أمير المؤمنين : قد عرفتم
ما كان من إحساني إليه ، وحسن بلائي عنده ، والذي حاول من الفتنة والعذر ،
والبغي وشق العصا ، ومعاونة الأعداء ، وقد رأى أمير المؤمنين أن يهب مسيئكم ١٥
لمحسنكم ، وغادركم لوفيقكم .

وقال يونس بن حبيب : المفحّم يأتيه دون ما يَرْضَى ، ويطلب فوق ما يَقْوَى .
وذكر بعض الحكماء أعاجيب البحر وتزيّد البحرين ^(٥) : فقال : البحر كثير
العجائب ، وأهله أصحاب زوائد ، فأفسدوا بقليل الكذب كثير الصدق ، وأدخلوا

(١) فيما عدا ل : « فلا حاجة لي في الحياة » .

٢٠

(٢) في الأصول : « الأمير زيادا » ، وكلمة « زيادا » مقحمة .

(٣) سبق الخبر وتخريجه في (١ : ٣٢٥) .

(٤) سبق هذا الخبر في (١ : ٣١٦) .

(٥) انظر لتزيّد البحرين ، الحيوان (٣ : ٥١٥ / ٦ : ١٩) .

ما لا يكون في باب ما قد يكاد يكون ، فجعلوا تصديق الناس لهم في غرائب الأحاديث سُلماً إلى ادّعاءِ المحال .

وقال بعض العرب : « حَدَّثَ عن البحر ولا حَرَجَ ، وَحَدَّثَ عن بنى إسرائيل ولا حَرَجَ ، وَحَدَّثَ عن مَعْنٍ ^(١) ولا حَرَجَ » .

وجاء في الحديث : « كفى بالمرء جِرْصاً رَكُوبُهُ البحر » .

وكتب عمرو بن العاص إلى عمر بن الخطاب ، يصف له البحر فقال : « يا أمير المؤمنين ، البحر خَلَقَ عَظِيمٌ ، يَرْكَبُهُ خَلْقٌ صَغِيرٌ ، دُودٌ عَلَى عود ^(٢) » . وقال الحسن رحمه الله : « إِمْلَأْ الخَيْرَ خَيْرٌ مِنَ الصَّمْتِ ، وَالصَّمْتُ خَيْرٌ مِنَ إِمْلَاءِ الشَّرِّ » .

وقال بعضهم : مُرُّوا الْأَحْدَاثَ بِالْمِرَاءِ ، وَالْكُهُولَ بِالْفِكْرِ ، وَالشَّيْخَ بِالصَّمْتِ .

عبد الله بن شداد ^(٣) قال : « أَرَى دَاعِيَ الْمَوْتِ لَا يُقْلِعُ ^(٤) ، وَأَرَى مَنْ مَضَى لَا يَرْجِعُ . لَا تَرْهَدَنَّ فِي مَعْرُوفٍ ، فَإِنَّ الدَّهْرَ ذُو صُرُوفٍ . وَكَمْ مِنْ رَاغِبٍ قَدْ كَانَ مَرْغُوباً إِلَيْهِ ، وَطَالِبٍ أَصْبَحَ مَطْلُوباً إِلَيْهِ . وَالزَّمَانُ ذُو أَلْوَانٍ ، وَمَنْ

(١) هو معن بن زائدة الشيباني ، أحد أجواد العرب وفرسانهم ، وكان في أيام بنى أمية منتقلاً في الولايات ، ومنقطعاً إلى يزيد بن عمر بن هبيرة الفزاري أمير العراقيين ، فلما انتقلت الدولة إلى بنى العباس ، وجرى بين أبي جعفر المنصور وبين يزيد بن عمر ما جرى ، من محاصرة واسط ، أبلى معن مع يزيد بلاء حسناً ، فلما قتل يزيد هرب معن خوفاً من المنصور ، ثم دخل معن في شعبة المنصور وصار من خواصه . وقتل معن بسجستان إذ كان والياً عليها سنة اثنين أو ثمان وخمسين مائة . ورثاه مروان بن أبي حفصة بمرثية هي من عيون الشعر العربي . تاريخ بغداد ٧١٢٧ والأغاني في غير ما موضع ، ووفيات الأعيان .

(٢) عيون الأخبار (٣ : ١٧٨) ، واللسان (برق ٢٩٧) . وسيأتي في (٣ : ٧٨) .

(٣) هو عبد الله بن شداد بن الهادي الليثي المدني ، وهو من كبار التابعين وثقاتهم . شهد مع علي يوم النهروان ، وخرج مع القراء أيام ابن الأشعث على الحجاج بعد أن كان من أخص الناس بالحجاج ، فقتل يوم دُجَيْل سنة ٨١ . وذكر ابن عبد البر في الاستيعاب أنه ولد على عهد الرسول . تهذيب التهذيب والأغاني (١٠ : ١٠٥) .

(٤) هذه الوصية أوصى بها ولده محمداً حين حضرته الوفاة . وقد رواها القائل مطولة مسهبة في الأمالي (٢ : ٢٠٢ : ٢٠٤) .

يصحب الزمان يرى الهوان . وإن غلبت يوماً على المال فلا تغلبن على الحيلة على حال . وكُنْ أحسنَ ما تكون في الظاهر حالا ، أقلَّ ما تكون في الباطن مالا » .
وقيل لقيس بن عاصم : بِمَ سُدَّتْ قومك ؟ قال : ببذل التدى ، وكفَّ الأذى ، ونصر المولى .

وقيل لشيخ : أين شبابك ؟ قال : من طال أمده ، وكثر ولده ، وقَلَّ عدده ^(١) ، وذهب جلده ، ذهب شبابه .

وقال زياد : لا يُعَدُّمَنَّكَ ^(٢) من الجاهل كثرة الالتفات ، وسرعة الجواب .

وقال عبد الرحمن بن أمِّ الحكم ^(٣) : لولا ثلاثٌ ما باليت متى مت : تراخُفُ الأحرارِ إلى طعامي ، وبذلُ الأشرافِ وجوههم إلى في أمرٍ أجد السبيل إليه ، وقولُ المنادى : الصلاةُ أيُّها الأمير ^(٤) . ١٠

وقال ابن الأشعث ^(٥) : لولا أربعُ خصالٍ ما أعطيتُ بشرّاً ^(٦) طاعة : لو ماتت أمُّ عمران - يعني أمّه - ولو شاب رأسي ، ولو قرأت القرآن ، ولو لم يكن رأسي صغيراً .

(١) في اللسان (٤ : ٣٧٥) . « قالت امرأة ورأت رجلاً كانت عهده شاباً جليداً : أين شبابك وجلدك ؟ قال : من طال أمده ، وكثر ولده ، ورق عدده ، ذهب جلده » . ثم قال : « رق عدده ، أي سنوه التي بعدها ذهب أكثر سنه ، وقل ما بقي ، فكان عدده رقيقاً » . وهذا ما في ل . وفي هـ : « ودق عدده » ، وفي سائر النسخ : « ودق عدده » وهذه محرفة .
(٢) يقال أَعْدَمَنِي الشئ ، إذا لم أجده . هـ : « لا يعدمك » .

(٣) هو عبد الرحمن بن أمِّ الحكم بنت أبي سفيان ، نسب إلى أمه . وأبوه هو عبد الله بن أبي عقيل بن ربيعة بن الحارث . وولاه خاله معاوية الكوفة بعد موت زياد سنة ٥٧ فأساء السيرة ، فعزله وولاه مصر بعد أخيه عتبة بن أبي سفيان ، فلما كان على مرحلتين خرج إليه معاوية بن حديج فمنعه من دخول مصر ، فرجع وولاه معاوية الجزيرة فكان بها إلى أن مات معاوية . انظر الإصابة ٦٢١٨ والأغانى (١٣ : ٣٢) .
(٤) ل : « بالصلاة أيها الأمير » .

(٥) هو عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث . والخبر في الحيوان (٥ : ١٩٤) .

(٦) في الحيوان : « عربياً » .

وقال معاوية : أُعِنْتُ على عليّ بثلاث خصال : كان رجلاً يظهر سرّه ،
وكنْتُ كَثُوماً لسرّي . وكان في أخبث جنيدٍ وأشدّه خلافاً ، وكنْتُ في أطوع جنيدٍ
وأقلّه خلافاً . وخلا بأصحاب الجمل فقلت : إن ظفر بهم اعتددت بهم عليه
وهنا في دينه ، وإن ظفروا به كانوا أهونَ عليّ شوكةً منه . وكنْتُ أحبّ إلى قريش
منه . فكم شئت من جامعٍ إلى ومفرّقٍ عنه .

جهنمُ بن حسان السليطيّ قال : قال رجلٌ للأحنف : دُلّني على حميدٍ بلا
مرزئةٍ ^(١) . قال : الخُلُقُ السّجّيح ، والكفُّ عن القبيح . ثمّ اعلّموا أنّ أذوى
الدّاء اللسانُ البذيء ، والخُلُقُ الرّديء .

وقال محمّد بن حرب الهلاليّ : قال بعض الحكماء : لا يكوننّ منك
المحدّثُ لا يُنصّتُ له ، ولا الدّاخلُ في سرِّ اثنين لم يُدخلاه فيه ، ولا الآتي الدّعوةَ
لم يُدعَ إليها ، ولا الجالسُ المجلسَ لا يستحقّه . ولا الطّالبُ الفضلَ من أيدي
اللّقام ، ولا المتعرّضُ للخير من عند عدوّه ، ولا المتحمّق في الدّالة .

(١) يقال مارزأه رزعا ومرزئة ، أى ما أصاب منه ولا نقصه شيئا .

بَاب

من مزدوج الكلام

٣٠٤

قالوا : قال النبي ﷺ في معاوية : « اللهم علِّمه الكتاب والحساب ، وفيه العذاب » .

وقال رجلٌ من بني أسد : مات لشيخ منا ابنٌ ، فاشتدَّ جزعُه عليه ، فقام إليه شيخٌ منّا فقال : اصبرْ أبا أمانة ؛ فإنه قرطٌ افترطته ، وخيرٌ قدمته ، وذُخرٌ أحرزته ^(١) . فقال مجيباً له : ولدٌ دَفَنْتُهُ ، وتُكَلِّ تَعَجَّلْتُهُ ، وغيبٌ وُغِدْتُهُ . والله لئن لم أجزعُ من التقصُّ لا أفرحُ بالمزيد ^(٢) .

الأصمعيّ قال : قال ابن أقيصر ^(٣) : خير الحَيْلِ الذي إذا استدبرته جَنَّا ^(٤) ، وإذا استقبلته أفعى ، وإذا استعرضته استوى ، وإذا مشى رَدَى ، وإذا رَدَى دحأ ^(٥) .

ونظر ابن أقيصر ^(٦) إلى خيل عبد الرحمن بن أمِّ الحكم ^(٧) ، فأشار إلى فرسٍ منها فقال : تحبُّ هذه سابقة . قالوا : وكيف ذلك ؟ قال : رأيْتُها مشّت

(١) هـ : « ادخرته » .

(٢) ل : « بالتزيد » .

١٥

(٣) ابن أقيصر : رجل بصير بالخيل ، كما في اللسان (٦ : ٤١٦) . وفي (١١ : ٢٠٣) أنه أحد بني أسد بن خزيمه . فيما عدل ل : « ابن قصير » تحريف . وانظر بعض أخبار ابن أقيصر في أمالي القالي (٢ : ٢٥١) وأمالي ثعلب .

(٤) جنا : أكب . وفي أمالي القالي : « ويستحب من الفرس أن يكون إذا استدبرته كالنكب » . ل : « جيا » وفيما عدل ل : « جيا » مع تشديد الباء ، كلاهما محرف عما أثبت من أمالي القالي حيث أورد الخير .

٢٠

(٥) القالي : « الرديان أن يرحم الأرض رجماً بين المشي الشديد والعلو . وإذا رمى بيديه رمياً لا يرفع سنكه عن الأرض قيل : مر يدحو دحوا » .

(٦) فيما عدل ل ، هـ : « ابن قصير » ، تحريف .

(٧) ترجم في ص ١١٤ .

فَكَتَفَتْ^(١) ، وَخَبَّتْ فَوْجَفَتْ^(٢) ، وَعَدَّتْ فَتَسَفَتْ^(٣) .
وذكرت أعرابية^(٤) زوجها فقالت : ذهب ذَفْرُهُ^(٥) ، وأقبل بَحْرُهُ ، وفَتَر
ذَكَرُهُ .

وكان مالك بن الأخطل قد بعثه أبوه ليسمع^(٦) شعر جرير والفرزدق ،
فسأله أبوه عنهما فقال : جرير^(٧) يغرف من بحر ، والفرزدق ينحيت من
صخر^(٨) . فقال : الذي يغرف من بحر أشعرهما .

* * *

قد ذكرنا من مقطعات الكلام وقصار الأحاديث ، بقدر ما أسقطنا به
مؤونة الخطب الطوال . وسنذكر من الخطب المستندة إلى أربابها مقداراً
لا يستفرغ مجهود من قراءها ، ثم نعود بعد ذلك إلى ماقصّر منها وخَفّ ، وإلى
أبواب قد تدخل في هذه الجملة وإن لم تكن مثل هذه بأعيانها . والله الموفق .
أبو الحسن ، عن يحيى بن سعيد ، عن ابن خربوذ البكري^(٩) ، عن خالد بن
صفوان ، قال : دخل عبد الله بن عبد الله بن الأهم^(١٠) ، على عمر بن عبد العزيز مع

(١) كتفت : ارتفعت فروع أكتافها في المشي . والخبر في اللسان (كتف) وأمالى القالى (٢ : ٢٥١) .

(٢) الوجيف : ضرب من السير فيه بعض السرعة .

(٣) التّسوف من الخيل : الواسع الخطو .

(٤) فيما عدا ل : « امرأة » .

(٥) الذفر : شدة ذكاء الرّج من طيب أو تنن . فيما عدا ل ، هـ : « زفره » ، محرف .

(٦) ل : « وكان مالك بن الأخطل سمع » .

(٧) ل : « فقتل : جرير » .

(٨) بعده في ل : « فأبيما أشعر » .

(٩) ابن خربوذ ، بفتح الخاء والراء المشددة وضم الباء وفي آخره ذال معجمة ، هو معروف بن
خربوذ المكّي مولى عثمان ، ذكر في ثقات أهل الحديث . تهذيب التهذيب ، والقاموس في فصل الخاء من
باب الذال . ل : « خربوذ » وفيما عدا ل : « خربوز » صوابهما في هـ .

(١٠) عبد الله بن عبد الله بن الأهم ، هو عم خالد بن صفوان بن عبد الله بن الأهم ، المترجم في
ص ٢٤ . فيما عدا ل : « عبد الله بن الأهم » تحريف .

- العامّة ، فلم يُفجأ عمر إلّا وهو مائل بين يديه يتكلّم ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال ^(١) :
- أما بعد فإنّ الله خلق الخلق غنيّاً عن طاعتهم ، آمناً لمعصيتهم ، والناس يومئذ في المنازل والرأى مختلفون ، والعرب بشرّ تلك المنازل : أهل الوبر وأهل المدر ، تحتاز ^(٢) دونهم طيّبّات الدنيا ورفاغة عيشها ^(٣) : ميثم في النار وحيثم أعمى . مع مالا يُحصى من المرغوب عنه ، والمزهود فيه . فلما أراد الله أن ينشر فيهم رحمته ، ويُسبغ عليهم نعمته ^(٤) ، بعث إليهم رسولاً منهم عزيزاً عليه ماعتبوا ، حريصاً عليهم ، بالمؤمنين رءوفاً رحيماً ^(٥) ، فلم يمنعمهم ذلك من أن جرحوه في جسمه ، ولقبوه في اسمه ^(٦) ، ومعه كتابٌ من الله ناطقٌ ، وبرهانٌ من الله صادق ^(٧) ، لا يُرحل إلّا بأمره ، ولا يُنزل إلّا بإذنه . واضطّروه إلى بطن غارٍ ، فلما أمر بالعزم ^(٨) أسفر لأمر الله لونه ، فأفلق الله حُجَّتَه ، وأعلى كلمته وأظهر دعوته ، ففارق الدنيا نقيّاً تقياً ، مباركاً مرضياً ^(٩) . ﷺ .
- ثم قام بعده أبو بكرٍ رحمه الله ، فسلك سُنَّتَه ، وأخذ بسبيله ، وارتدت العرب ، فلم يقبل منهم بعد رسول الله إلّا الذي كان قابلاً منهم ، فانتضى السيوف من أغمادها ، وأوقد النيران من شعلها ، ثم ركب بأهل الحقّ أهل الباطل ، فلم يرخ يفصل أوصالهم ، ويسقى الأرض دماءهم ، حتّى أدخلهم

(١) الخطبة التالية في سيرة عمر بن عبد العزيز لابن عبد الحكم ص ١٠٩ ولابن الجوزي ١٣٦ والعقد (٤ : ٩٣) طبع لجنة التأليف .

(٢) هذا الصواب من هـ وسيرة عمر . وفي ل : « يختار » وسائر النسخ : « تختار » .

(٣) الرفاغة والرفاغية : سعة العيش والخصب .

(٤) هذه الجملة في ل فقط .

(٥) هذا ما في ل . وفي هـ : « عزيز ، حريص ، رءوف رحيم » بالرفع ، وسائر النسخ : « عزيزا عليه ما عتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم » .

(٦) في حواشي هـ : « كانوا يقولون بدل محمد مذمما » .

(٧) هذه الجملة من ل فقط .

(٨) ب ، ج : « بالفرامة » تحريف ، هـ والتيمورية : « بالعزمة » ، وفي العقد : « بالعزيمة » .

(٩) هاتان الكلمتان من ل فقط .

فى الذى خرجوا عنه ، وقَرَّرهـم بالذى تَقَرَّوا منه . وقد كان أَصاب من مال الله بَكَراً يَرْتَوى عليه ، وَحَبَشِيَّةٌ تُرْضَع وَلِداً له ، فرأى ذلك غُصَّةً عند مَوْتِه (١) فى حلقة ، فأدَّى ذلك إلى الخليفة مِن بعده ، وبَرىء إِلَهِم (٢) منه ، وفارق الدُّنيا نَقِيًّا تَقِيًّا ، على مِنهاج صاحبه ، رحمه الله .

- ٥ ثم قام من بعده عمر بن الخطاب رحمه الله ، فمَصَّرَ الأَمصار ، وَخَلَطَ الشُّدَّةَ بِاللِّين ، فَحَسَّرَ عن ذِراعِيه ، وَشَمَّرَ عن ساقِيه ، وأَعَدَّ للأُمور أَقْرانها (٣) ، وللحرب آلَّتْها ، فَلَمَّا أَصابه فِتْنى المَغِيرَةِ بن شِعبَةَ (٤) ، أَمَرَ ابْنَ عَبَّاسٍ أَنْ يَسْأَلَ الناسَ هل يُثَبِّتُونَ قاتِلَه ، فلما قِيلَ له : فَتَنَى المَغِيرَةَ ، اسْتَهْلَ بِحمدِ الله أَلَّا يَكُونَ أَصابه ذُو حَقٍّ فى الفِئَةِ فيسْتَحِلَّ دمه بما اسْتَحِلَّ من حَقِّه . وقد كان أَصاب من مال الله بِضْعاً وَثمانِينَ أَلْفاً ، فَكَسَّرَ رِباعَه (٥) ، وَكَرِهَ بِها كِفالة أَهلِه وولَدِه ، فأدَّى ذلك إلى الخليفة مِن بعده ، وفارق الدُّنيا تَقِيًّا نَقِيًّا ، على مِنهاج صاحبيهِ ، رحمه الله .

ثم إنا والله ما اجتمعنا بعدهما إلّا على ظُلْع (٦) . ثم إِنَّكَ يا عُمَرُ ابْنَ الدُّنيا ، وَلِدْتُكَ ٣٠٦ ملوكها ، وَأَلْقَمْتُكَ ثَدْيَها . فَلَمَّا وَلَيْتَها وَضَعْتِها حَيْثُ وَضَعَهَا اللهُ (٧) . فَالْحَمْدُ لِلّهِ

١٥ (١) ل فقط : « عند فوته » .

(٢) ل فقط : « إليه » .

(٣) أَقْرانها ، أى أسبابها التى تقاد بِها ، جمع قرن بالتحريك ، وهو الحبل يجمع به بعيران .

(٤) هو أبو لؤلؤة فيروز النصارى ، طعن عمر وهو يتأهب لصلاة الصبح بنحجر فقتله ، فتوفى

لثلاث بقين من ذى الحجة سنة ٢٣ . وكان من قبل قد شكّا إلى عمر ثقل ما كان يؤدى إلى مولاه المغيرة

٢٠ من خراج ، فلم يشكّه ، فترصد له فقتله ، ولما أحيط به وعلم أنه مأخوذ طعن نفسه . انظر مقتل عمر فى الطبرى والعقد وغيرهما .

(٥) الرباع جمع ربع ، وهو المنزل . وكسرها : باعها ربعا ربعا . وفى اللسان (٦ : ٤٥٧) :

« كسر الرجل ، إذا باع متاعه ثوبا ثوبا » .

(٦) ظُلْع : جمع ظالع ، أراد به المتهم المائل عن الحق . والظُّلْع : الغمز فى المشى والعرج . وفى

٢٥ العقد : « على ضلع أعوج » .

(٧) ما عدا هـ : « ولينك وضعتها حيث » . تحريف . وفيما عدا ل : « ألقاها الله » .

الذى جلا بك حوبتها^(١)، وكشف بك كربتتها . امض ولا تلتفت فإنه لا يُغنى
 من الحق شيء^(٢) . أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم ، وللمؤمنين والمؤمنات .
 قال : ولما أن قال : « ثم إنا والله ما اجتمعنا بعدهما إلا على ظلم » ،
 سكت الناس كلهم إلا هشاما ، فإنه قال له : كذبت .

خطبة عمر بن عبد العزيز رحمه الله

أبو الحسن قال : حدثنا المغيرة بن مطرف ، عن شعيب بن صفوان ، عن
 أبيه قال : خطب عمر بن عبد العزيز بخنصرة^(٣) خطبة لم يخطب بعدها غيرها
 حتى مات رحمه الله . فحمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه ثم قال^(٤) :
 أيها الناس ، إنكم لم تُخلقوا عبثاً ولم تُتركوا سُدى ، وإن لكم معاداً يحكم
 الله بينكم فيه ، فخاب وخسر من خرج من رحمة الله التى وسعت كل شيء ،
 وحرم الجنة التى عرضها السموات والأرض . واعلموا أن الأمان غداً لمن خاف الله
 اليوم^(٥) ، وباع قليلاً بكثير ، وفائتاً بياق . ألا تُرون أنكم فى أسلاب الهالكين ،
 وسيخلفها من بعدكم الباقون كذلك ، حتى تُردُّوا إلى خير الوارثين . ثم
 أنتم فى كل يوم تُشيعون غادياً ورائحاً إلى الله ، قد قضى نحبَه وبلغ أجله ، ثم
 تعيَّبونه فى صدع من الأرض ، ثم تدعونه غير مؤسِّد ولا مُمهَّد ، قد خلَّع

(١) الحوبة ، بالفتح : الهم ، والغم . وهذا الصواب من هـ . وفى ل : « جوتها » وسائر النسخ :
 « جوبتها » ، تحريف . وفى سائر المراجع المتقدمة : « حوبتنا » ، و « كربتنا » .

(٢) ل : « عن الحق شيئا » .

(٣) خنصرة : بلدة بالشام من أعمال حلب .

(٤) ما بعد « أثنى عليه » ساقط من هـ . انظر الخطبة فى العقد (٩٥ : ٤) طبع لجنة التأليف
 والطبوى (٨ : ١٤) وابن أبى الحديد (١ : ٤٨٠) وعيون الأخبار (٢ : ١٤٦) والأغاني (٨ :
 ١٥٢) وسيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزى ٢٢٢ وابن عبد الحكم (٤١ ، ١٣٦) .

(٥) فيما عدل : « لمن خاف ربه اليوم » . وكلمة « اليوم » ساقطة من هـ .

الأسباب ، وفارق الأحاب ، وياشَرَ التراب ^(١) ، وواجه الحساب ، غنياً عما ترك ، فقيراً إلى ما قدم . وآيمُ الله إني لأقول لكم هذه المقالة ، وما أعلم عند أحد منكم من الذنوب أكثر مما عندي . فاستغفر الله لي ولكم . وما تبلغنا حاجة يتسع لها ما عندنا إلا سدناها ، وما أحد منكم إلا وددت أن يده مع يدي ، ولحمتي الذين يلونني ^(٢) ، حتى يستوى عيشنا وعيشكم . وآيمُ الله إني لو أردت غير هذا من عيشٍ أو غصارة ^(٣) ، لكان اللسان مني ناطقاً ذلولاً ، عالماً بأسبابه . لكنه مضى من الله كتاب ناطق ، وسنة عادلة ، دل فيها على طاعته ، ونهى فيها عن معصيته .

ثم بكى رحمه الله ، فتلقى دموع عينيهِ بطرف ردائه ، ثم نزل ، فلم ير على تلك الأعواد حتى قبضه الله إلى رحمته .

وخطبة أخرى ذهب عني إسنادها ^(٤)

أما بعد : فإنك ناشئ فتنة ^(٥) وقائد ضلالة ، قد طال جُثومها ، واشتدت غمومها ، وتلونت مصايد عدو الله فيها ^(٦) ، وقد نصّب الشرك لأهل الغفلة عما في عواقبها . فلن يهّد عمودها ، ولن ينزع أوتادها إلا الذي بيده ملك الأشياء ^(٧) ، وهو الله الرحمن الرحيم . ألا وإن الله بقايا من عباده لم يتحيراً في ظلمتها ، ولم

(١) هذه الجملة من ل فقط .

(٢) اللحمة ، بالضم : القرابة . فيما عدل ، هـ : « ويحى » ، تحريف .

(٣) الغصارة ، بالفتح : النعمة ، والخصب ، والسعة .

(٤) عثرت على إسنادها في العقد (٤ : ١٤٨ طبع لجنة التأليف) ، وهي لأبي حمزة الخارجي الشاري .

(٥) في العقد : « في ناشئ فتنة » .

(٦) ل : « مصائب » ، وأثبت ما في سائر النسخ والعقد . وفي بعض أصول العقد « وتلوت » .

(٧) فيما عدل ، هـ : « تلك الأشياء » .

يُشَايعُوا أَهْلَهَا عَلَى شَبْهَتِهَا ، مَصَابِيحُ النُّورِ فِي أَفْوَاهِهِمْ تَزْهَرُ ^(١) ، وَأَلْسِنَتُهُمْ ^(٢) بِحُجَجِ الْكِتَابِ تَنْطِقُ . رَكِبُوا نَهْجَ السَّبِيلِ ، وَقَامُوا عَلَى الْعِلْمِ الْأَعْظَمِ ، فَهَمُّ خُصَمَاءِ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ . وَهُمْ يُصْلِحُ اللَّهُ الْبِلَادَ ، وَيُدْفَعُ عَنِ الْعِبَادِ . فَطُوبَى لَهُمْ وَلِلْمُسْتَصْبِحِينَ بِنُورِهِمْ . أَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَنَا مِنْهُمْ .

خطبة أبي حمزة الخارجي

دَخَلَ أَبُو حَمْزَةَ الْخَارِجِيُّ ^(٣) مَكَّةَ - وَهُوَ أَحَدُ نُسَّاكِ الْإِبَاضِيَّةِ وَخُطْبَائِهِمْ ، وَاسْمُهُ يَحْيَى بْنُ الْمُخْتَارِ ^(٤) - فَصَعِدَ مِنْبَرَهَا ^(٥) مُتَوَكِّئًا عَلَى قَوْسٍ لَهُ عَرَبِيَّةٍ ، فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ ^(٦) :

أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ لَا يَتَأَخَّرُ وَلَا يَتَقَدَّمُ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأَمْرِهِ وَوَحْيِهِ ، أَنْزَلَ اللَّهُ كِتَابًا بَيَّنَّ لَهُ فِيهِ مَا يَأْتِي وَمَا يَتَّقَى ، وَلَمْ يَكْ فِي شَيْءٍ مِنْ دِينِهِ ، وَلَا فِي شَبْهَةٍ مِنْ أَمْرِهِ ، ثُمَّ قَبَضَهُ اللَّهُ وَقَدْ عَلَّمَ الْمُسْلِمِينَ مَعَالِمَ دِينِهِمْ ، وَوَلَّى أَبَا بَكْرٍ صَلَاتَهُمْ ، فَوَلَّاهُ الْمُسْلِمُونَ أَمْرَ دُنْيَاهُمْ حِينَ وَلَّاهُ رَسُولُ اللَّهِ أَمْرَ دِينِهِمْ ^(٧) ، فَقَاتَلَ أَهْلَ الرَّدَّةِ ، وَعَمِلَ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ ، فَمَضَى لِسَبِيلِهِ رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ .

(١) تزهر : تضيئ . وفي العقد وما عدل ، هـ : « تزهر » ، وليس بشيء .

(٢) ل : « وأفواههم » . وأثبت ما في العقد وسائر النسخ .

(٣) خرج أبو حمزة سنة ١٢٩ من قبل عبد الله بن يحيى ، مظهرًا للخلاف على مروان بن محمد ، ودخل مكة في موسم الحج بغير قتال . وفي سنة ١٣٠ دخل المدينة فهرب منها عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك إلى الشام ، ثم سار أبو حمزة وأصحابه إلى مروان فلقبهم خيل مروان بوادي القرى فأوقعوا بهم ، فرجعوا منهزمين إلى المدينة فلقبهم أهل المدينة فقتلهم وذلك سنة ١٣٠ . انظر الطبري (٩ : ١٠٨) .

(٤) كذا في النسخ . وفي الأغاني (٢٠ : ٩٨ ، ٩٩) أنه المختار بن عوف . وفي جبهة أنساب العرب لابن حزم ٣٨٠ أنه المختار بن عبد الله .

(٥) في الطبري والأغاني أن هذه الخطبة إنما كانت بالمدينة .

(٦) انظر الخطبة في الطبري ، والعقد (٤ : ١٤٤ لجنة التأليف) ، والأغاني (٢٠ : ١٠٥) ،

وابن أبي الحديد (١ : ٤٥٩) .

(٧) ما بعد « دنياهم » إلى هنا ساقط من هـ .

- ثم وَلَّى عمر بن الخطاب رحمه الله ، فسار بسيرة صاحبه ، وعَمِلَ بالكتاب ٣٠٨ والسنة ، وَجَبَى الْفَيْءَ ، وَفَرَضَ الْأَعْطِيَةَ ، وَجَمَعَ النَّاسَ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ ، وَجَلَدَ فِي الْخَمْرِ ثَمَانِينَ ، وَغَزَا الْعَدُوَّ فِي بِلَادِهِمْ ، وَمَضَى لِسَبِيلِهِ رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ .
- ثم وَلَّى عثمان بن عفان فسار سِتِّ سنينَ بسيرة صاحبيه ؛ وَكَانَ دُونَهُمَا ، ثم سار فِي السِّتِّ الْآخِرِ بِمَا أَحْبَطَ بِهِ الْأَوَائِلَ ، ثم مضى لسبيله .
- ثم وَلَّى عَلَى بَنِي أُمَيَّةٍ طَالِبٌ ، فَلَمْ يَلْغُ مِنَ الْحَقِّ قَصْداً ، وَلَمْ يَرْفَعْ لَهُ مَنَاراً ، ثم مضى لسبيله .
- ثم وَلَّى معاوية بن أبي سفيان لَعِينُ رَسُولِ اللَّهِ وَابْنُ لَعِينِهِ ، فَاتَّخَذَ عِبَادَ اللَّهِ حَوْلًا ، وَمَالَ اللَّهِ دَوْلًا ، وَدِينَهُ دَعْلًا ، ثُمَّ مَضَى لِسَبِيلِهِ ، فَالْعُنُوهُ لَعْنَةُ اللَّهِ .
- ثم وَلَّى يزيد بن معاوية : يزيدُ الحُمُورِ ، ويزيدُ القُرُودِ ^(١) ، ويزيدُ الفُهودِ ، ١٠ الفَاسِقُ فِي بَطْنِهِ ، الْمَأْبُورُ فِي فَرْجِهِ ، فَعَلِيهِ لَعْنَةُ اللَّهِ وَمَلَائِكَتُهُ ^(٢) .
- ثم اقْتَصَصَهُمْ خَلِيفَةُ خَلِيفَةٍ ، فَلَمَّا انْتَهَى إِلَى عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ أَعْرَضَ عَنْهُ ، وَلَمْ يَذْكُرْهُ . ثم قال :
- ثم وَلَّى يزيدُ بن عبد الملك الفَاسِقُ فِي دِينِهِ ، الْمَأْبُورُ فِي فَرْجِهِ ، الَّذِي لَمْ يُؤْنَسْ مِنْهُ رُشْدٌ ، وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي أَمْوَالِ الْيَتَامَى : ﴿ فَإِنْ آتَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا ١٥ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ ﴾ ، فَأَمْرُ أُمَةٍ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَعْظَمُ . يَأْكُلُ الْحَرَامَ وَيَشْرِبُ الْخَمْرَ ، وَيَلْبِسُ الْحُلَّةَ قُوْمَتْ بِأَلْفِ دِينَارٍ ، قَدْ ضُرِبَتْ فِيهَا الْأَبْشَارُ ^(٣) ، وَهَتِكَتْ فِيهَا الْأَسْتَارُ ، وَأُخِذَتْ مِنْ غَيْرِ جِلَّهَا . حَبَابَةٌ عَنْ يَمِينِهِ ^(٤) ، وَسَلَامَةٌ عَنْ

(١) انظر الحيوان (٤ : ٦٦) .

(٢) هذه الجملة من ل فقط . وقد أسقط صاحب العقد من هذه الخطبة ما كان فيها من طعنه على الخلفاء ، كما صرح بذلك .

(٣) البشرة : ظاهر الجلد ، جمعها بشر ، وجمع بشر أبشار ، كشجرة وشجر وأشجار .

(٤) حَبَابَةٌ من مولدات المدينة كانت حلوة جميلة ظريفة ، حسنة الغناء ، طيبة الصوت ، ضاربة بالعود . اشتراها يزيد بن عبد الملك بأربعة آلاف دينار ، وكانت تسمى العالية فسمّاها حَبَابَةً . الأغاني (١٣ : ١٤٨ - ١٥٩) وأمالى الزجاجي ٧٤ .

يساره ^(١) تغتيانه ، حتى إذا أخذ الشراب منه كل مأخذ قَد ثوبه ، ثم التفت إلى أحدهما فقال : ألا أطير ألا أطير ! نعم فطر إلى لعنة الله ، وحريق ناره ، وأليم عذابه .

وأما بنو أمية ففرقة الضلالة ، بطشهم بطش جبرية ، يأخذون بالظنّة ، ويقضون بالهوى ، ويقتلون على العُصب ، ويحكمون بالشفاعة ، ويأخذون الفريضة من غير موضعها ، ويضعونها في غير أهلها ، وقد بين الله أهلها فجعلهم ثمانية أصناف ، فقال : ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ ﴾ . فأقبل صنف تاسع ليس منها فأخذها كلها . تلکم الفرقة الحاكمة بغير ما أنزل الله .

وأما هذه الشيعة فشيع ظاهرت بكتاب الله ، وأعلنوا الفرية على الله ، لم يفارقوا الناس ببصر نافذ في الدين ، ولا بعلم نافذ ^(٢) في القرآن ، ينقمون المعصية ٣٠٩ على أهلها ، ويعملون إذا وُلّوا بها . يُصِرُّون على الفتنة ، ولا يعرفون المخرج منها ، جفاة عن القرآن ، أتباع كهان ، يؤملون الدُّول في بعث الموق ، ويعتقدون الرجعة إلى الدنيا ، قلدوا دينهم رجلاً لا ينظر لهم ، قاتلهم الله أنى يؤفكون .

ثم أقبل على أهل الحجاز فقال :

يا أهل الحجاز ، أتعبروننى بأصحابى وتزعمون أنهم شباب؟! وهل كان أصحاب

(١) وسلامة هذه هي سلامة القس ، مولدة من مولدات المدينة أيضا ، أخذت عن معبد وابن عائشة فمهرت . وسميت سلامة القس لأن رجلا كان يعرف بعبد الرحمن بن أبى عمار الجشمى من قراء أهل مكة ، وكان يلقب بالقس لعبادته ، شغف بها وشهر ، فغلب عليها لقبه . اشتراها يزيد بن عبد الملك . وكانت سلامة أحسن من حباة غناء ، وحباة أحسن منها وجها ، وكانت سلامة تقول الشعر وحباة تتعاطاه فلا تحسن . الأغاني (٨ : ٥ - ١٢) .

(٢) ل : « ناقد » .

- رسول الله ﷺ إلا شباباً . أما والله إني لعالمٌ بتتابعكم ^(١) فيما يضركم في معادكم ، ولولا اشتغالي بغيركم عنكم ما تركتُ الأخذَ فوق أيديكم . شبابٌ والله مُكتهلون في شبابهم ، غيبيةٌ ^(٢) عن الشرِّ أعينُهُم ، ثقيلةٌ عن الباطل أرجلُهُم ، أنضاء عبادةٍ وأطلأحُ سَهَرٍ ^(٣) ، ينظر الله إليهم في جوف الليل منحنيةٌ أصلابهم على أجزاء القرآن ، كلما مرَّ أحدهم بآيةٍ من ذكر الجنة بكى شوقاً إليها ، وإذا مرَّ بآيةٍ من ذكر النار شهقَ شهقةً كأنَّ زفير جهنم بين أذنيه . موصولٌ كلالهم بكلالهم : كلالُ الليل بكلال النهار . قد أكلت الأرض رُكبهم وأيديهم ، وأنوفهم وجباههم ، واستقلوا ذلك في جنب الله ، حتَّى إذا رأوا السهامَ قد فُوقَت ^(٤) ، والرماحَ قد أشرعت ، والسيوفَ قد انتضيت ، ورعدت الكتيبةُ بصواعق الموت وبرقت ، استخفوا بوعيد الكتيبة لوعد الله ^(٥) ، ومضى الشابُّ ١٠ منهم قدماً حتَّى اختلفت رجلاه على عنق فرسه ، وتخصَّبت بالدماء محاسنُ وجهه فأسرعتْ إليه سباعُ الأرض ، وانحطت عليه طيرُ السماء ، فكم من عينٍ في منقارٍ طائرٍ ^(٦) طالما بكى صاحبها في جوف الليل من خوف الله ، وكم من كفٍّ زالت عن معصمها طالما اعتمد عليها صاحبها في جوف الليل بالسُّجود لله . ثم قال : آه آه (ثلاثاً ^(٧)) . ثم بكى ونزل .

(١) التتابع : التهاوت والوقوع في الشر ، يقال تتابعوا في الخير وتتابعوا في الشر . ما عدا هـ : « بتتابعكم » ، والوجه ما أثبت من هـ .

(٢) ما عدا هـ : « غيبية » .

(٣) أطلأح : جمع طلح ، بالكسر ، وهو المعنى .

(٤) فُوقت : جعلت لها الأفواق ، والفوق بالضم : موضع الوتر من السهم . ٢٠

(٥) في الأصول : « لوعيد الله » ، صوابه عن العقد .

(٦) فيما عدل : « في مناقير طير » .

(٧) فيما عدل ، هـ : « آوه آوه آوه » ، فقط .

خطبة قطري بن الفجاءة

صعد قَطْرِيُّ بنَ الفُجَاءَةِ ^(١) مِنبرَ الأزارقة - وهو أحد بنى مازن بن عمرو

ابن تميم - فحمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه ثم قال ^(٢) :

٣١٠

أما بعدُ فإني أُحذِّركم الدُّنْيَا ؛ فَإِنَّهَا حُلُوةٌ خَضِرَةٌ ، حُفَّتْ بِالشَّهَوَاتِ ،
وراقَتْ بِالْقَلِيلِ ، وَتَحْيَيْتُ بِالْعَاجِلَةِ ، وَحُلَّيْتُ بِالْآمَالِ ، وَتَزَيَّنْتُ بِالْعُرُورِ ، لَا تَدُومُ
خَبْرَتُهَا ^(٣) وَلَا تُؤْمَنُ فَجَعْتُهَا ، عَرَّازَةٌ ضَرَّارَةٌ ، خَوَّانَةٌ غَدَّارَةٌ ، حَائِلَةٌ زَائِلَةٌ ، نَافِدَةٌ
بَائِدَةٌ ، أَكَّالَةٌ غَوَّالَةٌ ، بِدَلَّةٍ ^(٤) تَقَالَةٌ ، لَا تَعْدُو إِذَا هِيَ تَنَاهَتْ إِلَى أَمْنِيَّةِ أَهْلِ الرَّغْبَةِ
فِيهَا ، وَالرَّضَا عَنْهَا ، أَنْ تَكُونَ كَمَا قَالَ اللَّهُ : ﴿ كَمَا أُنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ
نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَّاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا ﴾ .
مع أَنَّ أَمْرًا لَمْ يَكُنْ مِنْهَا فِي خَبْرَةٍ إِلَّا أَعْقَبَتْهُ بَعْدَهَا عِبْرَةٌ ، وَلَمْ يَلْقَ مِنْ سَرَّائِهَا بَطْنًا
إِلَّا مَنَحَتْهُ مِنْ ضَرَّائِهَا ظَهْرًا ، وَلَمْ تَطْلُغْ عَبْيَةُ رَحَاءٍ ^(٥) إِلَّا هَطَلَتْ ^(٦) عَلَيْهِ

١٠

(١) سبقت ترجمته في (١ : ٣٤١) .

(٢) الخطبة في العقد (٤ : ١٤١) . وصبح الأعشى (١ : ٢٢٣) وعيون الأخبار (٢ : ٢٥٠)

ونهاية الأرب (٧ : ٢٥٠) . وقد رويت في نهج البلاغة بشرح ابن الحديد (٢ : ٢٣٨ - ٢٤٠)

منسوبة إلى علي بن أبي طالب . وقال في (٢ : ٢٤٢) : « هذه الخطبة ذكرها شيخنا أبو عثمان الجاحظ في

كتاب البيان والتبيين . ورواها لقطري بن الفجاءة . والناس يروونها لأمر المؤمنين عليه السلام . وقد

رأيتها في كتاب الموقن لأبي عبد الله المرزباني مروية لأمر المؤمنين عليه السلام ، وهي بكلام أمير المؤمنين

أشبه . وليس يبعد عندي أن يكون قطري قد خطب بها بعد أن أخذها عن بعض أصحاب أمير المؤمنين

عليه السلام ؛ فَإِنَّ الْخَوَارِجَ كَانُوا أَصْحَابَهُ وَأَنْصَارَهُ ، وَقَدْ لَقِيَ قَطْرِي أَكْثَرَهُمْ » .

(٣) الحيرة ، بالفتح : السرور والنعمة وسعة العيش .

(٤) بدلة ، أريد بها كثرة التبدل ، أما ضبطها فلا أحقه لأنني لم أهدأ إليها في معجم من المعاجم

المتداولة ، فقد تكون « بدلة » كفرحة و « بدلة » كضحكة . وفيما عدل : « بدلة » ولا وجه لها .

و « بدلة نقالة » ساقطة من هـ .

(٥) ظل : أصابه الطل ، وهو مطر خفيف . والغيبة ، بالفتح : الدفعة من المطر . فيما عدل .

هـ : « غيبة » تحريف .

(٦) ل ، ح : « أهطلت » ، صوابه في هـ ، ب والتميمورية .

- مُرْنة بَلَاء ، وَحَرَى إِذَا أَضْحَتْ ^(١) لَهُ مُتَنَصِّرَةً أَنْ تُنْسِيَ لَهُ خَاذِلَةً مُتَنَكِّرَةً ، وَإِنْ جَانِبٌ مِنْهَا اِعْدُوذَبَ وَاحْلَوْلَى ، أَمَرٌ عَلَيْهِ مِنْهَا جَانِبٌ وَأَوْبَى ^(٢) ، وَإِنْ آتَى امْرَأً مِنْ غَضَارَتِهَا وَرَفَاهَتِهَا نِعْمًا ، أَرْهَقَتْهُ مِنْ نَوَائِبِهَا نِقْمًا ، وَلَمْ يُنْسِ امْرُؤٌ مِنْهَا فِي جَنَاحٍ أَمِنْ إِلَّا أَصْبَحَ مِنْهَا عَلَى قَوَادِمِ خَوْفٍ . غَرَارَةٌ غُرُورٌ مَا فِيهَا ، فَانِيَةٌ فَإِنْ مَنَ عَلَيْهَا ^(٣) ، لَا خَيْرَ فِي شَيْءٍ مِنْ زَادِهَا إِلَّا التَّقْوَى . مَنْ أَقْلَ مِنْهَا اسْتَكْثَرَ .
- مِمَّا يُؤْمِنُهُ ، وَمَنْ اسْتَكْثَرَ مِنْهَا اسْتَكْثَرَ مِمَّا يُؤَيِّقُهُ وَيَطِيلُ حَزَنَهُ ، وَيُيَكِّي عَيْنَهُ . كَمْ وَائِقٍ بِهَا قَدْ فَجَعَتْهُ ، وَذَى طُمَأْنِينَةٍ إِلَيْهَا قَدْ صَرَعَتْهُ ، وَذَى اخْتِيَالٍ فِيهَا قَدْ خَدَعَتْهُ .
- وَكَمْ مِنْ ذِي أَبْهَةٍ فِيهَا قَدْ صَيَّرَتْهُ حَقِيرًا ، وَذَى نَخْوَةٍ قَدْ رَدَّتْهُ ذَلِيلًا ، وَكَمْ مِنْ ذِي تَاجٍ قَدْ كَبَّتْهُ لِلْيَدِينِ وَالْفَمِ . سُلْطَانُهَا دُولٌ ، وَعَيْشُهَا رَنَقٌ ، وَعَذْبُهَا أَجَاجٌ ، وَحُلُوهَا صَبْرٌ ، وَغَذَاؤُهَا سِيَمَامٌ ، وَأَسْبَابُهَا رِيَامٌ ^(٤) ، وَقَطَافُهَا سَلَعٌ ^(٥) . حَيْثُهَا
- بَعَرَضٌ ^(٦) مَوْتٌ ، وَصَحِيحُهَا بَعَرَضٌ سُقْمٌ ، وَمَنْعِيْعُهَا بَعَرَضٌ اهْتِضَامٌ . مَلِكُهَا مَسْلُوبٌ ، وَعَزِيْزُهَا مَغْلُوبٌ ، وَسَلِيْمُهَا مَنْكُوبٌ ، وَجَامِعُهَا مَحْرُوبٌ ^(٧) . مَعَ أَنَّ وَرَاءَ ذَلِكَ سَكَرَاتِ الْمَوْتِ ، وَهَوْلُ الْمُطَّلَعِ ^(٨) وَالْوَقُوفِ بَيْنَ يَدَيِ الْحَكَمِ الْعَدْلِ ؛ ﴿ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى ^(٩) ﴾ . أَلَسْتُمْ فِي مَسَاكِينٍ مَنْ كَانَ أَطْوَلَ مِنْكُمْ أَعْمَارًا ، وَأَوْضَحَ

(١) فيما عدل : « أصبحت » .

(٢) أوى : مسهل أويًا ، صار فيه الوباء والوخم . ل : « أوى » تحريف .

(٣) العقد وما عدل : « فان ما عليها » .

(٤) الأسباب : جمع سبب ، وهو الحبل . والريام : جمع رمة بالضم ، وهى قطعة بالية . عنى أنه

لا يركن إليها .

(٥) السلع ، بالتحريك : نبات مر سام .

(٦) هـ : « بغرض » فى المواضع الثلاثة .

(٧) محروب : مسلوب .

(٨) المطلع : موضع الاطلاع من إشراف إلى الانحدار ، يريد به الموقف يوم القيامة ، أو ما يشرف

عليه من أمر الآخرة عقيب الموت .

(٩) من الآية ٣١ فى سورة النجم .

آثَاراً^(١) ، وَأَعَدَّ عَدِيداً ، وَأَكْثَفَ جُنُوداً ، وَأَعْنَدَ عُتُوداً^(٢) : تَعَبَّدُوا الدُّنْيَا أَيْ تَعَبَّدُوا ، وَآثَرُوهَا أَيْ إِثَارَ ، وَظَنَعُوا عَنْهَا بِالْكَرْهِ وَالصَّغَارِ ، فَهَلْ بَلَغَكُمْ أَنَّ الدُّنْيَا سَمَحَتْ لَهُمْ^(٣) نَفْساً بِفِدْيَةٍ ، أَوْ أَعْنَتْ عَنْهُمْ فِيمَا قَدْ أَهْلَكْتَهُمْ بِخَطْبِ^(٤) ، بَلْ قَدْ أَرْهَقْتَهُمْ بِالْفَوَادِحِ ، وَضَعُضْتَهُمْ بِالنَّوَائِبِ ، وَعَقَرْتَهُمْ بِالمَصَائِبِ^(٥) . وَقَدْ رَأَيْتُمْ تَنْكُرُهَا لِمَنْ دَانَ لَهَا^(٦) وَآثَرَهَا ، وَأَخْلَدَ إِلَيْهَا ، حِينَ ظَنَعُوا عَنْهَا لِفِرَاقِ الْأَبَدِ إِلَى آخِرِ الْمُسْنَدِ^(٧) . هَلْ زَوَّدْتَهُمْ إِلَّا الشَّقَاءَ . وَأَحْلَلْتَهُمْ إِلَّا الضَّنْكَ ، أَوْ نَوَّرْتَ لَهُمْ إِلَّا الظُّلْمَةَ ، أَوْ أَعَقَبْتَهُمْ إِلَّا النَّدَامَةَ . فَهَذِهِ تُؤَثِّرُونَ أَمْ عَلَيْهَا تَحْرِصُونَ ، أَمْ إِلَيْهَا تَطْمَئِنُّونَ . يَقُولُ اللَّهُ : ﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُنْجِسُونَ . أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبِاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾^(٨) . فَبَسَّتِ الدَّارُ لِمَنْ أَقَامَ فِيهَا . فَاعْمَلُوا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنْكُمْ تَارِكُوهَا لَا تُدُّ ، فَإِنَّمَا هِيَ كَمَا وَصَفَهَا اللَّهُ بِاللَّعِبِ وَاللَّهْوِ ؛ وَقَدْ قَالَ اللَّهُ : ﴿ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ . وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴾ . وَذَكَرَ الَّذِينَ قَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً^(٩) . ثُمَّ قَالَ :

حُمِلُوا إِلَى قُبُورِهِمْ فَلَا يُدْعَوْنَ رُكْبَانًا ، وَأُنْزِلُوا فِيهَا فَلَا يُدْعَوْنَ ضَيْفَانًا ، وَجُعِلَ لَهُمْ مِنَ الضَّرِيحِ أَجْنَانٌ^(١٠) ، وَمِنَ التُّرَابِ أَكْفَانٌ ، وَمِنَ الرُّفَاتِ

(١) فيما عدل : « وأوضح منكم آثاراً » .

(٢) عند عندا ، بالفتح ، وعنودا ، بالضم : عتا وطغا ونجاوز قدره .

(٣) ابن أبي الحديد : « سحت لهم » .

(٤) الخطب : الشأن أو الأمر ، صغر أو عظم .

(٥) هـ : « بالمصائب » .

(٦) دان لها : خضع وذل . فيما عدل : « زان لها » ، تحريف .

(٧) المسند : الدهر ، يقال لا آتية يد المسند ، أى أبداً .

(٨) الآيتان ١٥ ، ١٦ من سورة هود .

(٩) ابن أبي الحديد : « واتعظوا فيها بالذين قالوا من أشد منا قوة . حملوا إلى قبورهم » . ونحوه في العقد .

(١٠) الأجنان : جمع جنن ، بالتحريك ، وهو القبر .

جيران ، فهم جيرة لا يجيئون داعياً ، ولا يمنعون ضيماً ، إن أخصبوا لم يفرحوا ، وإن أفضوا لم يقنطوا ، جميع^(١) وهم آحاد ، وجيرة وهم أبعاد ؛ متناؤون لا يزارون ولا يزورون ، حلماء قد ذهب أضغاثهم ، وجُهلاء قد ماتت أحقادهم^(٢) ، لا يُخشى فجعهم ، ولا يُرجى دفعهم ، وكما قال جَلَّ وعَزَّ : ﴿ فِتْلِكَ مَسَاكِينُهُمْ لَمْ تُسْكَنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلاً وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ ﴾^(٣) .
استبدلوا بظهر الأرض بطناً ، وبالسَّعة ضيقاً ، وبالأهل غربة ، وبالثَّور ظلمة ، فجاءوها كما فارقوها : حُفَاةٌ عُرَاةٌ فُرَادَى ، غير أنهم ظعنوا بأعمالهم إلى الحياة الدائمة ، وإلى خلود الأبد . يقول الله : ﴿ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ ﴾ . فاحذروا ما حذرکم الله ، وانتفعوا بمواعظه ، واعتصموا بحبله .
٣١٢ عَصَمْنَا اللَّهَ وَإِيَّاكُمْ بِطَاعَتِهِ ، وَرَزَقْنَا وَإِيَّاكُمْ آدَاءَ حَقِّهِ^(٤) .

خطبة محمد بن سليمان^(٥) يوم الجمعة

وكان لا يغيّرها

الحمد لله . أحمده وأستعينه وأستغفره ، وأؤمن به وأتوكل عليه ، وأبرأ من الحول والقوة إليه^(٦) . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون . من يعتصم بالله ورسوله فقد اعتصم بالعروة الوثقى ، وسُعد في الآخرة والأولى . ومن يعص الله ورسوله فقد ضلّ ضلالاً بعيداً ، وخسر خسراناً مبيناً .

(١) العقد وما عدل : « جمع » .

(٢) ل : « وذهلاء » تحريف .

(٣) ل : « فتلک بیوتهم خاویة بما ظلموا ، وتلك مساکینهم لم تسکن من بعدهم إلا قليلاً » . وهو

خلط بين آيتين .

(٤) زاد في العقد : « تم نزل » .

(٥) سبقت ترجمته والإشارة إلى خطبته في (١ : ٢٩٥) .

(٦) هذه الجملة من ل فقط .

أَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَنَا وَإِيَّاكُمْ مَمَّنْ يَطِيعُهُ وَيَطِيعُ رَسُولَهُ ﷺ ، وَيَتَّبِعَ رِضْوَانَهُ ، وَيَتَجَنَّبَ سُخْطَهُ ، فَإِنَّمَا نَحْنُ بِهِ وَلَهُ . أَوْصِيَكُمْ عِبَادَ اللَّهِ بِتَقْوَى اللَّهِ ، وَأَحْثَكُمْ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ ، وَأَرْضَى لَكُمْ مَا عِنْدَ اللَّهِ ؛ فَإِنَّ تَقْوَى اللَّهِ أَفْضَلُ مَا تَحَاثُّ النَّاسُ عَلَيْهِ ، وَتَدَاعَوْا إِلَيْهِ ، وَتَوَاصَوْا بِهِ . فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ، وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ .

خطبة عبيد الله بن زياد

صعد المنبر بعد موت يزيد بن معاوية ، وحيث بلغه أن سلمة بن ذؤيب الرياحي^(١) قد جَمَعَ الجموع يريد خَلْعَهُ ، فقال :

يا أهل البصرة انسبوني^(٢) ، فوالله ما مُهَاجِرٌ أُنَى إِلَّا إِلَيْكُمْ ، وَلَا مَوْلَدِي إِلَّا فِيكُمْ ، وَمَا أَنَا إِلَّا رَجُلٌ مِنْكُمْ . وَاللَّهِ لَقَدْ وَلَّيْتُكُمْ أُنَى وَمَا مُقَاتِلْتُكُمْ إِلَّا أَرْبَعُونَ أَلْفًا ، فَبَلَغَ بِهَا ثَمَانِينَ أَلْفًا ، وَمَا ذَرَيْتُكُمْ إِلَّا ثَمَانُونَ أَلْفًا ، وَقَدْ بَلَغَ بِهَا عَشْرِينَ وَمِائَةَ أَلْفٍ . وَأَنْتُمْ أَوْسَعُ النَّاسِ بِلَادًا ، وَأَكْثَرُهُ جَوَادًا^(٣) ، وَأَبْعَدُهُ مَقَادًا ، وَأَعْنَى النَّاسِ عَنِ النَّاسِ . انْظُرُوا رَجُلًا تَوَلَّوْنَهُ أَمْرَكُمْ ، يَكْفِ سَفَهَاءَكُمْ ، وَيَجْبِي لَكُمْ فَيْئَكُمْ ، وَيَقْسِمُهُ فِيمَا بَيْنَكُمْ^(٤) ، فَإِنَّمَا أَنَا رَجُلٌ مِنْكُمْ .

٣١٣

فلما أَبَوْا غَيْرَهُ قَالَ : إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَكُونَ الَّذِي يَدْعُوكُمْ إِلَى تَأْمِيرِ حَدَاثَةِ عَهْدِكُمْ بِأَمْرِي .

١٥

(١) ل : « سلمة بن أنى ذؤيب » ، صوابه من الطبرى (٧ : ٢٠) وسائر النسخ . وهو سلمة بن ذؤيب بن عبد الله بن محكم بن زيد بن رياح بن يربوع بن حنظلة . فيما عدل ، ه : « الرياضى » ، تحريف .

(٢) ل : « أنسبونى » ، صوابه فى الطبرى وما عدل . وجاء نظير هذا فى خطبة قتيبة بن مسلم : « أنسبونى تجدونى عراقى الأم » . الطبرى (٨ : ١٠٥) .

٢٠

(٣) فيما عدل ، ه : « جنودا » .

(٤) ل : « ويقسمه بينكم » .

خطبة معاوية رحمه الله

الهيثم بن عدي ، عن أبي بكر بن عيَّاش ، عن أشياخه قال : لما حضرَتْ معاويةُ الوفاةَ ويزيدُ غائب ، دعا معاويةُ مُسْلِمَ بن عُقْبَةَ المُرِّي ، والضَّحَّاك بن قيس الفهريُّ ، فقال (١) :

- أبلغنا عنِّي يزيدُ وقولاً له : انظُرْ إلى أهل الحجاز فهم أصلُك
وعِترتُك (٢) ، فمن أتاك منهم فأكرمه ، ومن قَعَدَ منهم (٣) عنك فتعهَّده . وانظُرْ
إلى أهل العراق ، فإنَّ سألوك عَزَلَ عاملٍ في كلِّ يوم (٤) فاعزله عنهم ؛ فإنَّ عَزَلَ
عاملٍ في كلِّ يومٍ أهوَنُ عليك من سَلِّ مائة ألف سيفٍ ثم لا تدري علام أنت
عليه منهم . ثم انظُرْ إلى أهل الشام فاجعلْهم الشُّعَارَ دون الدُّنَّار (٥) ، فإنَّ رابَكَ
من عدوك رَيْبٌ فارمِهِ بهم ، فإنَّ أظْفَرَكَ اللهَ بهم فارُدُّ أَهْلَ الشام إلى بلادهم ،
ولا يقيموا في غير ديارهم (٦) فيتأدَّبوا بغير أدبهم . لستُ أخاف عليك غير
عبد الله بن عُمَرَ ، وعبدِ الله بن الزُّبير ، والحسين بن عليٍّ . فأما عبد الله بن عمر
فرجلٌ قد وقَّذه الورع (٧) . وأما الحسين فإِنِّي أرجو أن يكفِيكَه الله بمن قتل
أباه ، ونَحْدَلَ أخاه . وأما ابنُ الزُّبير فإنه نَحْبٌ ضَبٌّ (٨) .
وفي غير هذه الرواية : « فإن ظَفِرْتَ بأبن الزبير فقطعه إرباً إرباً » (٩) .

* * *

- (١) الخطبة في العقد (٤ : ٨٧) .
(٢) وكذا في العقد . وعتره الرجل : رهطه وعشيرته الأذنون من مضي وعَبَر . وفي ل : « وعشيرتك » .
(٣) هذه الكلمة ساقطة من العقد وما عدل ، هـ .
(٤) في كل يوم ، من ل ، هـ فقط .
(٥) الشُّعَار : ما ولي شعر جسد الإنسان دون ما سواه من الثياب . والدُّنَّار : الثوب يكون فوق
الشعار . وكلمة « إلى » ساقطة من هـ .
(٦) في العقد وما عدل : « في غير بلادهم » .
(٧) وقَّذه الورع ، أى كسره وأثخنه وبلغ منه مبلغاً .
(٨) الحُب ، بالفتح ويكسر : الخداع . والضَب : ذو الحقد .
(٩) هـ : « فقطعه آراباً » .

فمات معاوية فقام الضحَّاك بن قيس خطيباً ، فقال : « إنَّ أمير المؤمنين معاوية كان أنفَ العرب ، وهذه أكفأه ونحن مُدْرِجُوهُ فيها ، ومُخْلُون بينه وبين ربِّه ، فمن أراد حضوره بعد الظهر فليحضُرْه » . فصلَّى عليه الضحَّاك بن قيس ، ثم قَدِمَ يزيدُ ولده ، فلم يُقدِّم أحدٌ على تعزيتِه حتَّى دخل عليه عبدُ الله بن هَمَّام السَّلُولِيُّ (١) فأنشأ يقول :

اصْبِرْ يزيدُ فقد فارقتَ ذا ثِقَةٍ واشكر حِبَاءَ الذي بالْمُلْكِ جاباكا (٢)
لا رُزءَ أصبَحَ في الأقوامِ قد عَلِمُوا كما رُزئتَ ولا عُقبَى كعُقبَاكا
أصبحتَ راعيَ أهلِ الدِّينِ كلَّهُمُ فأنت ترعاهُمُ والله يرعَاكا
وفي معاوية الباقي لنا خَلَفٌ إذا نُعيَتْ ولا نُسَمَعُ بمنعَاكا
فانفتح الخطباءُ للكلام بعد ذلك (٣) .

خطبة قتيبة بن مسلم الباهلي (٤)

قام بخراسان خطيباً حين خَلَعَ (٥) فقال :
أُتَدْرُونَ من تُبَايِعُونَ ؟ إنَّما تبايعون يزيدَ بن ثروان - يعنى هَبْثَقَةَ القَيْسِيَّ (٦) -
كَأَنِّي بأَمِيرٍ من حَاءٍ وَحَكَمٍ (٧) ، قد أتاكم بِحُكْمٍ في أموالكم وفُروجكم وأبشاركم .

(١) سبقت ترجمته في (١ : ٤٠٩) .

(٢) هـ : « ذا كرم » ، وفي العقد : « ذا مقة » . والمقة : الحب . وفي هـ : « أدفاكا » .

(٣) ل : « بعد ذلك بالكلام » .

(٤) سبقت ترجمته في هذا الجزء ص ٤٢ . وكلمة « الباهلي » ساقطة من ل .

(٥) في حواشي هـ والتميمورية : « يعنى حين خلع سليمان بن عبد الملك ودعا لنفسه بعد موت عمر

بن عبد العزيز » . وفي العقد (٤ : ١٢٥) : « حين خلع سليمان بن عبد الملك » وانظر خبر الخلع في

الطبرى (٨ : ١٠٣ - ١١٢) حيث انتهى الأمر بقتل قتيبة سنة ٩٦ . والخطبة وردت في الطبرى (٨ :

١٠٥) مختلطة بالخطبة التي بعدها .

(٦) هو أبو نافع يزيد بن ثروان الملقب بذي الودعات ، أحد بنى قيس بن ثعلبة ، كان يضرب به

المثل في الحمق . وكان يحسن إلى السمان من إبله ويهمل المهازبل ، ويقول : إنما أكرم ما أكرم الله وأهين

ما أهانه . انظر الميداني في (أحق من هبتقة) .

(٧) حاء : حى من مذحج . انظر اللسان (٢٠ : ٣٣٤) ومقاييس اللغة (٢ : ٢٦) =

ثم قال : الأعراب وما الأعراب ، فلعنة الله على الأعراب . جمعتكم كما يجتمع قَرَع الخريف ^(١) ، من منابت الشَّيْح والْقَيْصوم ، ومنابت الْقِلْقَل ^(٢) ، وجزيرة أْبْرَكَوَان ^(٣) تركبون البقر ، وتأكلون الْقَضْب ^(٤) ، فحملتكم على الخيل ، وألبستكم السلاح ، حتى منع الله بكم البلاد ، وأفاء بكم الفىء .

قالوا : مُرْنَا بأمرك . قال : غُرُوا غيرى .

وخطب مرة أخرى

فقال ^(٥) : يا أهل العراق ، ألسْتُ أعلَمَ النَّاسِ بكم . أمَّا هذا الحىُّ من أهل ^(٦) العالية فَتَنَّمِ الصَّدَقَةَ ^(٧) ، وأمَّا هذا الحىُّ من بكر بن وائل فَعِلْجَةً بظُرَاءَ لا تمنع رِجْلَيْهَا . وأمَّا هذا الحىُّ من عبد القيس فما ضَرَبَ الْعَيْرُ بِذَنَبِهِ ^(٨) . وأمَّا هذا الحىُّ من الأزْد ، فَعَلَوْجُ خَلْقِ اللَّهِ وَأَنْبَاطُهُ . وإيْمُ اللَّهِ لو ملكْتُ أَمْرَ

= وحكم كذلك : حى من اليمن . هما جميعاً من سعد العشيرة بن مذحج . انظر نهاية الأرب (٢ : ٣٠١) حيث ورد الاسم الأول محرفاً برسم « جا » .

(١) القزع : قطع من السحاب رفاق كأنها ظل إذا مرت من تحت السحابة الكبيرة . والخريف أول الشتاء يكون السحاب فيه متفرقا غير متراكم . انظر اللسان (قزع) حيث فسر قول على : « كما يجتمع قراع الخريف » . فيما عدل : « كما يجتمع » .

(٢) القلقل ، بكسر القافين : شجر له حب عظام يؤكل . ل : « القلقل » ، تحريف . (٣) الذى فى معجم البلدان : « بركاوان : ناحية بفارس » . وجاء فى تاريخ ابن الأثير (٣ : ١٧) : « وقيل أن عثمان بن أبى العاصى أرسل أخاه الحكم من البحرين فى ألفين إلى فارس ، ففتح جزيرة بركاوان فى طريقه » . وفى الطبرى : « تركبون البقر والحمر فى جزيرة ابن كاوان » .

(٤) القضب : الرطبة ، وهو ما أكل من النبات المقتضب غضا . ما عدل ، هـ : « الغضب » . (٥) الخطبة فى العقد (٤ : ١٢٦) .

(٦) هذه الكلمة من العقد ، ول ، هـ .

(٧) فى هامش هـ والتميمورية و ب : « يعنى أنهم من قبائل شتى كنعم الصدقة وليسوا بمستوين ولا لهم جرأة » .

(٨) العير ، بالفتح : الحمار . كنى عن جاعرته ، وهما موضع الرقمتين من است الحمار . وصفهم بالمهانة والضعفة .

النَّاسِ لِنَقَشْتُ أَيْدِيَهُمْ ^(١) . وَأَمَّا هَذَا الْحَيُّ مِنْ تَمِيمٍ فَإِنَّهُمْ كَانُوا يُسَمُّونَ الْعَدْرَ فِي
الْجَاهِلِيَّةِ : « كَيْسَان » ^(٢) . قَالَ التَّمْرِ بْنِ تَوَلْبٍ يَهْجُو تَمِيمًا :
إِذَا مَا دَعَا كَيْسَانَ كَانَ كَهَوْلُهُمْ إِلَى الْعَدْرِ أَدْنَى مِنْ شَبَابِهِمُ الْمُرْدِ

وخطب مرة أخرى

٣١٥

فَقَالَ ^(٣) : يَا أَهْلَ خُرَاسَانَ ، قَدْ جَرَّبْتُمُ الْوَلَاةَ قَبْلِي : أَتَأْكُمُ أُمِّيَّةً ^(٤) فَكَانَ كَاسِمُهُ
أُمِّيَّةَ الرَّأْيِ وَأُمِّيَّةَ الدِّينِ ^(٥) ، فَكُتِبَ إِلَى خَلِيفَتِهِ : إِنَّ خُرَاجَ خُرَاسَانَ وَسَجِسْتَانَ لَوْ كَانَ
فِي مِطْبَخِهِ ^(٦) لَمْ يَكْفِهِ . ثُمَّ أَتَاكُمْ بَعْدَهُ أَبُو سَعِيدٍ - يَعْنِي الْمَهْلَبَ بْنَ أَبِي
صُفْرَةَ ^(٧) - فَدَوَّخَ بِكُمْ ثَلَاثًا ^(٨) ، لَا تَدْرُونَ أَفِي طَاعَةٍ أَنْتُمْ أَمْ فِي مَعْصِيَةٍ . ثُمَّ لَمْ يَجِبْ
فِيئًا وَلَمْ يَنْلِكْ عَدُوًّا ^(٩) . ثُمَّ أَتَاكُمْ بَنُوهُ بَعْدَهُ مِثْلَ أَطْبَاءِ الْكَلْبَةِ ، مِنْهُمْ ابْنُ الدَّخْمَةِ ^(١٠)

١٠ (١) أَيْ لَوَسَّسْتُ أَيْدِيَهُمْ بِالنَّارِ . وَفِي هَامِشٍ هـ ، ب : « هَذِهِ إِشَارَةٌ لِفَعْلِ الْحِجَااجِ ؛ لِأَنَّهُ كَانَ قَدْ
وَسَمَ قَوْمًا فِي أَيْدِيهِمْ بِالنَّارِ » .

(٢) مَا بَعْدَ هَذِهِ الْكَلِمَةِ وَضَعَ فِي ب تَعْلِيْقًا عَلَى كَلِمَةِ « كَيْسَان » . وَهُوَ سَاقِطٌ مِنْ هـ .
(٣) الْخُطْبَةُ فِي الْعَقْدِ (٤ : ١٢٦) وَالطَّبْرِيُّ (٨ : ١٠٥) . وَقَدْ مَزَجَ الطَّبْرِيُّ بَيْنَ هَذِهِ الْخُطْبَةِ
وَسَابِقَتِهَا .

١٥ (٤) هُوَ أُمِّيَّةُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خَالِدٍ بْنِ أَسِيدٍ بْنِ أَبِي الْعَاصِ ، كَانَ عَامِلًا لِعَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ عَلَى
خُرَاسَانَ ، ثُمَّ عَزَلَهُ سَنَةَ ٨٧ وَجَمَعَ سُلْطَانُهُ لِلْحِجَااجِ . الطَّبْرِيُّ (٧ : ٢٨) .
(٥) الْأُمِّيَّةُ : تَصْغِيرُ الْأُمَةِ الْمَمْلُوكَةِ .

(٦) فِيمَا عَدَلَ : « مِطْبَخَتُهُ » . وَنَصَّ فِي الْمَعْجَمِ عَلَى أَنَّهُ « الْمِطْبَخُ » بِكَسْرِ الْمِيمِ .
(٧) الْمَهْلَبُ بْنُ أَبِي صُفْرَةَ ، وَهُوَ خُرَاسَانِيٌّ مِنْ قَبْلِ الْحِجَااجِ بَعْدَ أُمِّيَّةِ . الطَّبْرِيُّ (٧ : ٢٨٠) .
٢٠ (٨) ل ، هـ وَالتَّيْمُورِيَّةُ : « بِلَايَا » ، وَفِي ب : ج : « الْبِلَا » مُحَرَّفَتَانِ عَمَّا أَثْبَتَ . وَفِي الطَّبْرِيِّ :
« قَدُومٌ بِكُمْ ثَلَاثَ سِنِينَ » . وَالتَّدْوِيمُ : الدَّوْرَانُ .

(٩) نَكَى الْعَدُوَّ يَنْكِيهِ : أَصَابَ مِنْهُ . الطَّبْرِيُّ : « لَمْ يَنْكَا » . يُقَالُ أَيْضًا نَكَاتُ الْعَدُوِّ أَنْكَوَهُمْ ،
لُغَةً فِي نَكْتِهِمْ .

(١٠) فِي الْعَقْدِ : « دَحْمَةٌ » . وَقَالَ مَعْقَبٌ : « ابْنُ دَحْمَةٍ ، يُرِيدُ يَزِيدُ بْنُ الْمَهْلَبِ » . وَكَذَلِكَ فِي
حَوَاشِي هـ . وَفِي اللِّسَانِ (دَحْم) : « قَالَ أَبُو النُّجُمِ :
٢٥ « لَمْ يَقْضُ أَنْ يَمْلِكُنَا ابْنُ الدَّحْمَةِ » .

حَرَكَ احْتِجَااجًا - أَيْ لِلضَّرُورَةِ - يَعْنِي يَزِيدُ بْنُ الْمَهْلَبِ . وَقَدْ وَلى الْحِجَااجَ يَزِيدُ هَذَا خُرَاسَانَ بَعْدَ مَوْتِ
الْمَهْلَبِ سَنَةَ ٨٣ ثُمَّ عَزَلَهُ الْحِجَااجُ عَنْ خُرَاسَانَ سَنَةَ ٨٥ ، وَوَلَّاهَا أَخَاهُ الْمُفَضَّلَ بْنَ الْمَهْلَبِ . الطَّبْرِيُّ (٨ : ٢٠ ، ٤٢) .

حِصَانٌ يَضْرِبُ فِي عَانَةٍ ^(١) ، وَلَقَدْ كَانَ أَبُوهُ يَخَافُهُ عَلَى أُمَّهَاتِ أَوْلَادِهِ ، ثُمَّ قَدْ أَصْبَحْتُمْ وَقَدْ فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ الْبِلَادَ ، وَأَمَّنْ لَكُمْ السَّبِيلَ ^(٢) ، حَتَّى إِنْ الظُّعِينَةُ لَتَخْرُجَ مِنْ مَرَّوٍ إِلَى سَمَرْقَنْدَ فِي غَيْرِ جَوَازٍ ^(٣) .

خطبة الأحنف بن قيس

قال بعد أن حَمِدَ الله وأثنى عليه وصلى على نبيِّه ^(٤) :

يا معشر الأزد وربيعة ، أنتم إخواننا في الدِّين ، وشركاؤنا في الصُّهْر ، وأَشِقَّاءُنا في النَّسَب ، وجيراننا في الدَّار ، ويَدُّنا على العَدُوِّ . والله لَأَزُدُّ البَصْرَةَ أَحَبُّ إلينا من تميم الكوفة ، ولَأَزُدُّ الكوفةَ أَحَبُّ إلينا من تميم الشام . فَإِنْ اسْتَشَرَى شَنَاؤُكُمْ ^(٥) ، وَأَبَى حَسَكُ صُدُورِكُمْ ^(٦) ، ففَى أَمْوَالِنَا وَسَعَةِ أَحْلَامِنَا لَنَا وَلَكُمْ سَعَةٌ ^(٧) .

خطبة جامع المحاربي

ومن محاربٍ : جامعٌ ، وكان شيخاً صالحاً ، خطيباً لَسِينَا ، وهو الذى قال للحجاج حين بَنَى مَدِينَةَ واسط : « بَنَيْتُهَا فِي غَيْرِ بِلَدِكَ ، وَأَوْرَثْتُهَا غَيْرَ وَلَدِكَ . وَكَذَلِكَ مَنْ قَطَعَهُ الْعُجْبُ عَنِ الْاسْتِشَارَةِ ، وَالْاسْتِبدَادُ عَنِ الْاسْتِخَارَةِ » .

١٥ (١) العانة : القطيع من حمر الوحش . الطبرى : « يريد فعل تبارى إليه النساء » .

(٢) هذه الجملة ليست في هـ .

(٣) وكذا في الطبرى . والجواز : الولاية . اللسان (جوز ١٩٢) . وفي القاموس : « والجواز ، كَسَحَاب : صَكَ الْمَسَافِر » . ب والتيمورية : « جوان » تحريف . وفي هـ : « جوار » .

(٤) الخطبة في العقد (٤ : ١٣٤) والطبرى (٧ : ٣٢) . هـ : « بعد حمد الله والثناء عليه » .

٢٠ (٥) الشَّانُ : العداوة والبغض . استشرى : عظم وتفاقم . فيما عدال : « استشرف » تحريف .

(٦) حَسَكُ الصِّدْر : حقد العداوة ، كما في اللسان (حَسَكُ) . في العقد وما عدال : « حسد

صُدُورِكُمْ » .

(٧) ما عدا هـ : « ففى أَمْوَالِنَا وَأَحْلَامِنَا سَعَةٌ لَنَا وَلَكُمْ » .

وشكا الحجاج سوء طاعة أهل العراق وتَنَقَّمَ مذهبهم ، وتسخطَ طريقَتهم ، فقال جامع ^(١) :

أما إنَّهم لو أَحْبَبُوا لاطاعوك ، على أنَّهم ما شَفَفُوا لَنَسِيكِ ^(٢) ،
ولا لبلدك ، ولا لذاتِ نَفْسِكَ ، فدَغ ما يُبْعِدُهُمْ مِنْكَ ، إلى ما يقرِّبُهُمْ إِلَيْكَ ،
والتمس العافية مِمَّنْ دُونَكَ [تُعْطَاهَا مِمَّنْ فَوْقَكَ ^(٣)] ، وليكن إيقاعُكَ بَعْدَ
وعيدِكَ ، ووعيدُكَ بَعْدَ وعدِكَ .

فقال الحجاج : إني والله ما أرى أن أَرِدَ بنى اللَّكِيعةِ إلى طاعتي
إلا بالسيف. فقال : أَيُّهَا الأمير ، إِنَّ السَّيْفَ إِذَا لاقَى السَّيْفَ ذَهَبَ الْخِيَارُ .
فقال الحجاج : الخیار يومئذٍ لله . فقال : أَجَلْ ، ولكن لا تَذِرْ لِمَنْ يَجْعَلُهُ اللَّهُ .
فغضب الحجاج فقال : يَا هَتَاهُ ^(٤) ، إِنَّكَ مِنْ مُحَارِبٍ . فقال جامع :
وَلِلْحَرْبِ سُمَيْنَا وَكُنَّا مُحَارِبًا إِذَا مَا الْقَتَا أَمْسَى مِنَ الطَّعْنِ أَحْمَرًا
وَالْبَيْتِ لِلْخُضْرَى ^(٥) .

فقال الحجاج : والله لقد هَمَمْتُ أَنْ أَخْلَعَ لِسَانَكَ فَأُضْرِبَ بِهِ وَجْهَكَ .
قال جامع : إِنَّ صَدَقْنَاكَ أَغْضَبْنَاكَ ، وَإِنْ غَشَشْنَاكَ أَغْضَبْنَا اللَّهَ . فغَضِبَ الأميرُ
أَهْوَنَ عَلَيْنَا مِنْ غَضَبِ اللَّهِ . قال : أَجَلْ . وَسَكَنَ وَشَغَلَ الْحَجَّاجَ بَعْضُ الْأَمْرِ ، وَانْسَلَّ

(١) الخطبة في العقد (٢ : ١٧٩ / ٤ : ١١٤) وزهر الآداب (٤ : ٤٨) وعمون الأخبار

(٢ : ٢١٢) .

(٢) شنفه : أبغضه . وفي العقد والعيون : « شتوك » . يقال شناه وشنته : أبغضه .

(٣) التكملة من المراجع المتقدمة وما عدل .

(٤) الهن : كلمة يكتنى بها عن الإنسان ، تقول . ياهن أقبل . وقد تزد الألف والهاء فيقال

للرجل : ياهناه بضم الهاء ، على تقدير أنها آخر الاسم ، وبكسرهما لالتقاء الساكنين . اللسان (هنا ٢٤٥) .

(٥) هو الحكم بن معمر الحضري . والحضر : ولد مالك بن طريف . وكان بينه وبين ابن ميادة

مهاجاة . الأغاني (٢ : ٩٤) .

جامع فمر بين صفوف خيل الشام ، حتى جاوزهم إلى خيل أهل العراق . وكان الحجاج لا يخلطهم ، فأبصر كنبكة فيها جماعة كثيرة من بكر العراق ، وقيس العراق ، وتيم العراق ، وأزد العراق ، فلما رأوه اشرأبوا إليه ، وبلغهم خروجه فقالوا له : ما عندك ؟ دافع الله لنا عن نفسك . فقال : ويحكم غموه بالخلع كما يغمكم بالعداوة ، ودعوا التعادى ما عاداكم ، فإذا ظفرت به تراجعتم وتعافيتم ^(١) . أيها التميمي ، هو أعدى لك من الأزدى ؛ وأيها القيسي ، هو أعدى لك من التغلبي . وهل ظفر بمن ناواه منكم إلا بمن بقي معه منكم .

وهرب جامع من فوره ذلك إلى الشام فاستجار بزفر بن الحارث .

وخطب الحجاج

فقال ^(٢) : اللهم أرني الهدى هدى فأتبعه ، وأرني العنى غنى فأتجنبه ^(٣) ، ولا تكننى إلى نفسى فأضل ضلالاً بعيداً . والله ما أحب أن ما مضى من الدنيا لي بعمامتى هذه ، ولما بقى منها أشبه بما مضى من الماء بالماء .

وخطبة له أيضا

٣١٧

الهيثم قال : أنبأني ابن عيَّاش عن أبيه قال : خرج الحجاج يوماً من القصر بالكوفة ، فسمع تكبيراً في السوق ، فراعَه ذلك ، فصعد المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ، وصلى على نبيه ثم قال ^(٤) :

يا أهل العراق ، يا أهل الشقاق والنفاق ، ومساوى الأخلاق ،

(١) هذا ما في هـ ، ومعناه تجاوز كل منكم عن حقه . ما عدا هـ : « وتعافيتم » ، ولا وجه له . وفي العقد : « وتعافيتم » .

(٢) الخطبة في العقد (٤ : ١١٥) .

(٣) في العقد وما عدا ل بتقديم هذه الجملة على سابقتها .

(٤) الخطبة في العقد (٤ : ١١٥) وابن أبي الحديد (١ : ١١٤) والطبري (٧ : ٢١٢)

وإعجاز القرآن ١٢٤ هـ : « وأثنى عليه ثم قال » .

وَبَنَى اللَّكِيْعَةَ ، وَعَبَّيْدَ الْعَصَا ، وَأَوْلَادَ الْإِمَاءِ ، وَالْفَقْعَ بِالْقَرْقَرِ (١) . إِنِّي سَمِعْتُ
تَكْبِيرًا لَا يُرَادُ بِهِ اللَّهُ ، وَإِنَّمَا يُرَادُ بِهِ الشَّيْطَانُ . وَإِنَّمَا مَثَلِي وَمَثَلُكُمْ مَا قَالَ عَمْرُو
ابْنُ بَرَّاقَةَ الْهَمْدَانِيُّ (٢) :

وَكُنْتُ إِذَا قَوْمٌ غَزَوْنِي غَزَوْتُهُمْ فَهَلْ أَنَا فِي ذَا يَا لَهْمْدَانَ ظَالِمٌ
مَتَى تَجْمَعُ الْقَلْبَ الذَّكْيَ وَصَارُمًا وَأَنْفًا حَمِيًّا تَحْتَنِيْبُكَ الْمَظَالِمُ
أَمَّا وَاللَّهِ لَا تَقْرَعُ عَصَاً عَصَاً إِلَّا جَعَلْتُهَا كَأَمْسِ الدَّابِرِ .

خطبة الحجاج بعد ذير الجماجم (٣)

خطب أهل العراق بعد ذير الجماجم (٤) فقال :

يَا أَهْلَ الْعِرَاقِ ، إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ اسْتَبْطَنَكُمْ فَخَالَطَ اللَّحْمَ وَالدَّمَ ، وَالْعَصَبَ
وَالْمَسَامِيعَ ، وَالْأَطْرَافَ وَالْأَعْضَاءَ ، وَالشَّعَافَ ، ثُمَّ أَفْضَى إِلَى الْأَمْخَاخِ وَالْأَصْمَاخِ ، ثُمَّ
ارْتَفَعَ فَعَشَّشَ ، ثُمَّ بَاضَ وَفَرَّخَ ، فَحَشَاكُمْ نِفَاقًا وَشَقَاقًا ، وَأَشْعَرَكُمْ خِلَافًا ، وَاتَّخَذْتُمُوهُ
دَلِيلًا تَتَّبِعُونَهُ ، وَقَائِدًا تُطِيعُونَهُ ، وَمُؤَامِرًا تَسْتَشِيرُونَهُ ، فَكَيْفَ تَنْفَعُكُمْ تَجْرِبَةٌ ،
أَوْ تَعْظُمُكُمْ وَقَعَةٌ ، أَوْ يَحْجِزُكُمْ إِسْلَامٌ ، أَوْ يَنْفَعُكُمْ بَيَانٌ . أَلَسْتُمْ أَصْحَابِي بِالْأَهْوَازِ ،
حَيْثُ رُمْتُمْ الْمَكْرَ ، وَسَعَيْتُمْ بِالْعَدْرِ ، وَاسْتَجْمَعْتُمْ لِلْكَفْرِ ، وَظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ يَخْذُلُ

(١) الفقع : كمأة بيض رخوة . والقرقر : الأرض المنخفضة .

(٢) عمرو بن بَرَّاقَةُ أَوْ ابْنُ بَرَّاقٍ كَمَا ذَكَرَ صَاحِبُ الْأَغَانِي (٢١ : ١١٣) . وَهُوَ أَحَدُ عِدَائِي
الْعَرَبِ ، ذَكَرَهُ تَابُطُ شَرَا فِي قَصِيدَتِهِ الْأُولَى مِنَ الْمَفْضَلِيَّاتِ :

لَيْلَةَ صَاحِبَاوَا وَأَغْرَاوَا لِي سِرَاعِهِمْ بِالْمَيْكِنِينَ لَدَى مَغْدَى ابْنِ بَرَّاقٍ

فِيمَا عَدَالُ هـ : « بَرَّاق » وَهُوَ الْأَصَحُّ .

(٣) مَوْضِعُ هَذِهِ الْخُطْبَةِ فِيمَا عَدَالُ بَعْدَ كَلَامِ هَلَالِ بْنِ وَكَيْعٍ وَزَيْدِ بْنِ جَبَلَةَ ص ١٤٣ .

(٤) كَانَتْ وَقَعَةُ دِيرِ الْجَمَّاجِمِ بَيْنَ الْحَجَّاجِ وَبَيْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ الْأَشْعَثِ ، بِقَرْبِ
الْكُوفَةِ ، وَفِيهَا هَزَمَ ابْنُ الْأَشْعَثِ سَنَةَ ٨٣ . الطَّبْرِيُّ (٨ : ٢١) . وَالْخُطْبَةُ فِي الْعَقْدِ (٤ : ١١٥) وَابْنُ
أَبِي الْحَدِيدِ (١ : ١١٤) وَنَهَايَةُ الْأَرْبِ (٧ : ٢٤٥) .

دِينَهُ وَخِلَافَتَهُ ، وَأَنَا أَرْمِيكُمْ بِطَرْفَى : وَأَنْتُمْ تَسْلَلُونَ لِوَأْدًا ^(١) ، وَتَنْهَزُمُونَ سِرَاعًا. ثُمَّ يَوْمُ الزَّوَايَةِ وَمَا يَوْمُ الزَّوَايَةِ ^(٢) ، بِهِ كَانَ فَشْلُكُمْ ^(٣) وَتَنَازُعُكُمْ وَتَحَاذُّكُمْ ، وَبِرَاءَةُ اللَّهِ مِنْكُمْ ، وَنَكُوصُ ^(٤) وَلِيْكُمْ عَنْكُمْ ، إِذْ وَلِيْتُمْ كَالْإِبِلِ الشَّوَارِدِ إِلَى أَوْطَانِهَا ، التَّوَازِعَ إِلَى أَعْطَانِهَا ، لَا يَسْأَلُ الْمَرْءُ عَنْ أَخِيهِ وَلَا يَلْوِي الشَّيْخُ عَلَى بَنِيهِ ، حِينَ عَضُّكُمْ السَّلَاحَ ، وَوَقَصْتُمْ الرِّمَاحَ ^(٥) . يَوْمُ ذَيْرِ الْجَمَاجِمِ ، وَمَا يَوْمُ دَيْرِ الْجَمَاجِمِ !؟ بِهِ كَانَتِ الْمَعَارِكُ ^(٦) وَالْمَلَا حِمَ ، بِضَرْبِ يُزَيْلِ الْهَامِ عَنْ مَقِيلِهِ ، وَيُذْهِلُ الْخَلِيلَ عَنْ خَلِيلِهِ ^(٧) .

يَا أَهْلَ الْعِرَاقِ ، الْكَفَرَاتِ بَعْدَ الْفَجَرَاتِ ^(٨) ، وَالْعَذَرَاتِ بَعْدَ الْخُتَرَاتِ ، وَالتَّزَوُّةَ بَعْدَ التَّزَوَاتِ ! إِنْ بَعِثْتُمْ إِلَى تُغُورِكُمْ غَلَّتُمْ وَخُنْتُمْ ^(٩) ، وَإِنْ أُمِنْتُمْ أُرْجِفْتُمْ ، وَإِنْ خِفْتُمْ نَافَقْتُمْ . لَا تَذْكُرُونَ حَسَنَةً ، وَلَا تَشْكُرُونَ نِعْمَةً . هَلْ اسْتَخَفَّكُمْ نَاكِثٌ ، أَوْ اسْتَفْوَاكُمْ غَاوٍ ^(١٠) ، أَوْ اسْتَفَزَّكُمْ عَاصٍ ^(١١) ، أَوْ اسْتَصْرَكُمْ ظَالِمٌ ، أَوْ اسْتَعْضَدَكُمْ خَالِعٌ إِلَّا تَبِعْتُمُوهُ وَأَوَيْتُمُوهُ ، وَنَصَرْتُمُوهُ وَرَجَبْتُمُوهُ ^(١٢) .

يَا أَهْلَ الْعِرَاقِ ، هَلْ شَعَبٌ شَاغِبٌ ، أَوْ نَعَبٌ نَاعِبٌ ، أَوْ زَفَرٌ زَافِرٌ إِلَّا كُنْتُمْ

(١) فيما عدل : « تسللون » .

(٢) الزواية : موضع قرب البصرة ، كانت به وقعة مشهورة بين الحجاج وعبد الرحمن بن محمد بن الأشعث ، قتل فيها خلق كثير من الفريقين ، وذلك سنة ٨٢ . الطبرى (٨ : ١٢) .

(٣) فيما عدل : « بها كان فشلكم » .

(٤) ل : « ونصوص » ، تحريف .

(٥) هـ : « حتى » موضع « حين » . وفيما عدل : « وقصصتكم » . والقسم والوقص : الكسر .

(٦) فيما عدل : « بها كانت المعارك » .

(٧) اقتبس هذا من رجز لعمار بن ياسر في وقعة صفين ٣٧٦ - ٣٨٧ .

(٨) في سائر المصادر : « والكفرات بعد الفجرات » بالعطف .

(٩) غل غلولا : خان .

(١٠) في حواشي هـ : « وأخرى : استفواكم غاو » .

(١١) ب ، ح : « أَوْ اسْتَفَزَّكُمْ عَاصٍ » .

(١٢) الترجيب : التعظيم . ل : « ربيتموه » .

أَتْبَاعَهُ وَأَنْصَارَهُ . يا أهل العراق ، ألم تنهكم المواعظ ؟ ألم تَرْجُرْكم الوقائع ؟! ثم
التَفَّتْ إلى أهل الشام فقال : يا أهل الشام ، إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ كَالظَّلِيمِ الرَّامِحِ عَنْ
فِرَاحِهِ ^(١) ، يَنْفِي عَنْهَا الْمَذَرَ ، وَيُبَاعِدُ عَنْهَا الْحَجَرَ ، وَيُكْنِئُهَا مِنَ الْمَطَرِ ، وَيَحْمِيهَا مِنَ
الضُّبَابِ ، وَيَحْرُسُهَا مِنَ الذُّثَابِ . يا أَهْلَ الشَّامِ ، أَنْتُمْ الْجُنَّةُ وَالرَّدَاءُ ، وَأَنْتُمْ
الْعُدَّةُ وَالْحِذَاءُ .

* * *

وقال رجلٌ لحذيفة ^(٢) : أَخَشَى أَنْ أَكُونَ مُنَافِقاً . فقال : لو كُنْتَ مُنَافِقاً
لم تَحْشَ ذلك .

وقال آخر : اعلم أَنَّ المصيبة واحدةٌ إن صَبِرْتَ ، وإن لم تصبر فهِمَا
مُصِيبَتَانِ . وَمُصِيبَتُكَ بِأَجْرِكَ ، أعْظَمُ مِنْ مُصِيبَتِكَ بِمَيْتِكَ .

وقال صالح بن عبد القدوس :
إِنْ يَكُنْ مَا بِهِ أَصِيبْتُ جَلِيلاً فَذَهَابُ الْعَزَاءِ فِيهِ أَجَلٌ ^(٣)

وقال آخر : تعرَّزْ عَنِ الشَّيْءِ إِذَا مُنِعْتَهُ ، لِقَلَّةِ مَا يَصْحَبُكَ إِذَا أُعْطِيْتَهُ ؛
وَمَا تَخَفَّفَ الْحِسَابَ وَقَلَّلَهُ ، خَيْرٌ مِمَّا كَثَّرَهُ وَثَقَّلَهُ .

قال : وحدثنا أبو بكر الهذلي - واسمه سُلَيْمٌ ^(٤) - قال : إِذَا جَمَعَ
الطَّعَامُ أَرْبَعاً فَقَدْ كَمَلَ وَطَاب : إِذَا كَانَ حَلَالاً ، وَكَثُرَتِ الْأَيْدِي عَلَيْهِ ، وَسُمِّيَ
اللَّهُ تَعَالَى فِي أَوَّلِهِ ، وَحُمِدَ فِي آخِرِهِ .

(١) الظليم : ذكر النعام . الرابع : المدافع . وفي اللسان (٣ : ٢٨٧) : « والعرب تجعل الرمح
كناية عن الدُّفْعِ والمنع » . وانظر هذه القطعة من الخطبة في الحيوان (٦ : ٣٥٣) .

(٢) هو أبو عبد الله حذيفة بن اليمان ، أحد الصحابة الأجلاء ، استعمله عمر على المدائن . ومات
سنة ٣٦ . تهذيب التهذيب ، وصفة الصفوة (١ : ٢٤٩) .

(٣) سبق البيت في ص ٧٤ من هذا الجزء .

(٤) سبقت ترجمته في (١ : ٣٥٧) .

خطبة كلثوم بن عمرو (١)

أما بعد فإنه لا يُخبر عن فَضْل المرء أَصْدَق من تركه تَزْكِيَةً نَفْسَهُ ، ولا يَعْبُر عنه في تَزْكِيَةِ أَصْحَابِهِ أَصْدَق من اعتماده إِيَّاهُمْ برغبته ، واثمائه إِيَّاهُمْ على حرمة .

خطبة يزيد بن الوليد

- قالوا (٢) : ولَمَّا قَتَلَ يزيدُ بن الوليدَ ابنَ عُمِّه الوليدَ بنَ يزيدَ بن عبد الملك بن مروان (٣) ، قام خطيباً ، بعد أن حَمِدَ الله وأثنى عليه ، ثم قال :
- والله يَأْيُهَا الناس (٤) ، مَا نَخَرَجْتُ أَشْرًا وَلَا بَطْرًا ، وَلَا حِرْصًا عَلَى الدُّنْيَا ، وَلَا رَغْبَةً فِي الْمَلِكِ ، وَمَا بِي إِطْرَاءُ نَفْسِي ، وَإِنِّي لَطَلُّومٌ لَهَا ، وَلَقَدْ خَسِرْتُ إِنْ لَمْ يَرْحَمْنِي رَبِّي ، وَيَغْفِرْ لِي ذَنْبِي (٥) ، وَلَكِنِّي خَرَجْتُ غَضَبًا لِلَّهِ وَلِدِينِهِ ، وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ ، لَمَّا هُدِمَتْ مَعَالِمُ الْهُدَى ، وَأُطْفِئَ نُورُ التَّقَى (٦) ، وَظَهَرَ الْجَبَّارُ الْعَنِيدُ ، وَكَثُرَتْ حَوْلَهُ الْحِزَقُ وَالْجُنُودُ (٧) ، الْمُسْتَحِلُّ لِكُلِّ حُرْمَةٍ ، وَالزَّارِكُ لِكُلِّ بَدْعَةٍ . مَعَ أَنَّهُ وَاللَّهِ مَا كَانَ يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ ، وَلَا يَصْدُقُ بِالثَّوَابِ وَالْعِقَابِ . وَإِنَّهُ لَا بَيْنَ عَمِّي فِي التَّسَبُّبِ ، وَكَفَيْي فِي الْحَسَبِ . فَلَمَّا رَأَيْتُ ذَلِكَ اسْتَخَرْتُ اللَّهَ فِي أَمْرِهِ ، وَسَأَلْتُهُ أَنْ لَا يَكِلَنِي إِلَى نَفْسِي ، وَدَعَوْتُ إِلَى ذَلِكَ مَنْ

١٥ (١) هو العتاني ، الذي مضت ترجمته في (١ : ٢٢١) : وفي جميع النسخ : « عمرو ابن كلثوم » ، تحريف .

(٢) الخطبة في العقد (٤ : ٩٥) والفخرى ١٢٠ وعيون الأخبار (٢ : ٢٤٨) .

(٣) قتله لليلتين بقيتا من جمادى الآخرة سنة ١٢٦ وولى الخلافة بعده . الطبرى (٩ : ٢) .

(٤) فيما عدل : « أيها الناس والله » .

٢٠ (٥) هذه الجملة من ل فقط .

(٦) فيما عدل : « التقوى » .

(٧) وهذه الجملة من ل فقط . والحزق : الجماعات ، جمع حزقة ، بالكسر .

أجانبى من أهل ولايتى ، حتى أراح الله منه العباد ، وطهر منه البلاد ، بحول الله وقوته ، لا بحولى وقوتى .

- أيها الناس ، إن لكم على ألا أضع حجراً على حجر ، ولا لبنه على لبنه ، ولا أكرى نهراً ^(١) ، ولا أكنز مالا ، ولا أعطيّه زوجاً ولا ولداً ، ولا أنقل مالا من بلد إلى بلد حتى أسد فقر ذلك البلد وخصاصة أهله ، بما يغنيهم ، فإن فضل فضل ^(٢) نقلته إلى البلد الذى يليه ممن هو أحوج إليه منه . ولا أجمركم فى ثغوركم ^(٣) فأفنتكم وأفنت أهاليكم ، ولا أغلق بابى دونكم فى كل قوتكم ضعيفكم ، ولا أحمل على أهل جزيتكم ما أجلبهم به عن بلادهم ، وأقطع نسلهم . ولكم عندى أعطياتكم فى كل سنة ، وأرزاقكم فى كل شهر ، حتى تستدروا ٣٢٠ المعيشة بين المسلمين ، فيكون أقصاهم كأدناهم . فإن أنا وثيت فعليكم السمع والطاعة ، وحسن المذاكرة والمكانفة ^(٤) . وإن أنا لم أوف لكم ^(٥) فلكم أن تخلعوني ، إلا أن تستيبوني ، فإن أنا ثبت قبلتم منى ، وإن عرقتم أحداً يقوم مقامى ممن يعرف بالصلاح ، يعطيكم من نفسه مثل ما أعطيكم ، فأردم أن تبايعوه فأنا أول من بايعه ، ودخل فى طاعته ^(٦) .
- أيها الناس : لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق . أقول قولى هذا ^(٧) ١٥ وأستغفر الله لى ولكم .

فلما بويع مروان بن محمد نبشّه وصلبه . وكانوا يقرعون فى الكتب :

- (١) كرى النهر : احتفره .
 (٢) ل : « فإن فضل شئ » .
 (٣) جمر الجيش : حبسهم فى أرض العدو ولم يُقفلهم . ٢٠
 (٤) المكانفة : المعاونة .
 (٥) فيما عدا ل : « أف لكم » .
 (٦) ل : « من يبايعه ويدخل فى طاعته » .
 (٧) ل : « أقول ذلك » .

« يا مُبَذِّرَ الكنوز ، ويا سَجَّاداً بالأسحار ، كانت ولايتُك لهم رحمة ، وعليهم حُجَّةٌ ، أخذوك فصلبوك » .

خطبة يوسف بن عمر

قامَ خطيباً يوسف بن عمر ^(١) فقال ^(٢) :

- ٥ . اتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ ، فكم من مؤمِّلٍ أُملاً لا يبلُغُه ، وجامِعٍ مالاً لا يأكلُه ، ومانِعٍ ما سوف ^(٣) يتركُه ، ولعلَّه من باطلٍ جَمَعَه ، ومن حقٍّ مَنَعَه ، أصابُه حراماً ، وأورثه عَدُوّاً ، فاحتمل إصرَه ^(٤) ، وباء بوزره ، ووَرَدَ على ربِّه آسفاً لاهفاً ، قد خسر الدُّنيا والآخرة ، ذلك هو الخُسران المبين .

كلام هلال بن وكيع ^(٥) وزيد بن جبلة ^(٦) والأحنف بن قيس

عند عمر

١٠ .

بشار بن عبد الحميد ، عن أبي ربحانة ^(٧) قال : وفد هلال بن وكيع ، والأحنف بن قيس ، وزيد بن جبلة على عمر رحمه الله ، فقال هلال بن وكيع :

(١) سبقت ترجمته في (١ : ٣١١) ، وهو ابن ابن عم الحجاج . هـ : « قام خطيباً فقال » .

(٢) الخطبة في العقد (٤ : ١٣٤) ونهاية الأرب (٧ : ٢٥٥) .

١٥ .

(٣) فيما عدل : « مما سوف » .

(٤) الإصر ، بالكسر : الذنب ، وعقوبة الذنب .

(٥) هلال بن وكيع ، اختلف في صحبته وقتل يوم الجمل . الإصابة ٩٠٥٣ .

(٦) ذكره في الإصابة ٢٩٩٠ باسم « زيد بن حيلة » بالياء ، ثم قال : « ويقال بجيم وموحدة ،

ويقال زيد بن زؤاس التيمي » . وكان شريفاً ، وكان الأحنف يقول فيه : طالما نَحَرَقْنَا النعال إلى زيد نتعلم

٢٠ .

منه المروءة - يعنى في الجاهلية . وله ذكر في وقعة صفين ٢٧ وذكر ابن عساكر أنه وفد على معاوية .

(٧) هو أبو ربحانة شمعون - ويقال سمعون - بن زيد بن خنافة الأزدى ، حليف الأنصار ، له

صحبة وشهد فتح دمشق مرابطاً بمسقلان . قالوا : وهو أول من طوى الطومار وكتب فيه مدرجا

مقلوبا . الإصابة ٣٩١٦ وتهذيب التهذيب .

يا أمير المؤمنين ، إنا لبأب من خلفنا من قومنا ، وغرة من وراءنا من أهل مصرنا ، وإنا إن تصرفنا بالزيادة في أعطياتنا ، والفرائض لعيالاتنا ، يزد ذلك الشريف منا تأميراً ، وتكنن لذوى الأحساب أباً وصُولاً . فإننا إن نكن مع ما نمتُّ به من فضائلك ، ونُدلى به من أسبابك ^(١) ، كالجدِّ الذى لا يُحَلِّ ولا يُرَحَل ^(٢) ، نرجع بأئف مصلومة وجُدودِ عائرة . فمِحننا وأهالينا ^(٣) بسجل من سِجالك المُترعة .

٣٢١

وقام زيد بن جبلة فقال : يا أمير المؤمنين ، سوِّد الشريف وأكرم الحسيب ، وازرع عندنا من أياديك ما نسدُّ به الحصاصة ، ونطرد به الفاقة ^(٤) ، فإننا بقف من الأرض ^(٥) ، يابس الأكناف مقشعر الذروة ، لا شجر فيه ولا زرع . وإنا من العرب اليوم إذ أتيناك بمرأى ومسمع .

١٠

وقام الأحنف فقال : يا أمير المؤمنين ، إن مفاتيح الخير بيد الله ، والحرص قائد الحرمان . فاتق الله فيما لا يُغنى عنك يوم القيامة قليلاً ولا قالاً ، واجعل بينك وبين رعيتك من العدل والإنصاف ، سبباً ^(٦) يكفيك وفادة الوفود ، واستماحة المُمْتَاح ؛ فإنَّ كلَّ امرئٍ إنما يجمع في وعائه ، إلا الأقلَّ ممَّن عسى أن تقتحمه الأعين ، وتحوَّتهم الألسن ، فلا يُوفد إليك يا أمير المؤمنين ^(٧) .

١٥

(١) ل : « من فضائله » و « من أسبابه » .

(٢) الجد ، بالضم : البحر القليلة الماء ، والماء يكون في طرف الفلاة . عنى أنه ليس بموضع حلول وارتحال ، لقلة جدواه .

(٣) الميح : العطاء . ل : « فمح من أهالينا » .

(٤) ل : « تسد » و « وتطرد » بالياء .

٢٠

(٥) القف ، بالضم : ما غلظ من الأرض وارتفع .

(٦) فيما عدا ل : « شيئاً » .

(٧) بعد هذه ، فيما عدا ل ، خطبة الحجاج بعد دير الجماجم التى مضت في ص ١٣٨ . وفى

حواشئ هـ : « قوله لا يُوفد إليك ، يعنى به الذى تقتحمه الأعين » .

خطبة زياد

وخطب زياد فقال :

استوصُوا بثلاثةٍ خيراً : الشريف ، والعالم ، والشيخ . فوالله لا يأتيني شريفٌ بوضعٍ استخفَّ به إلا انتقمْتُ له منه ، ولا يأتيني شيخٌ بشابٍّ استخفَّ به إلا أوجعته ضرباً ، ولا يأتيني عالمٌ بجاهلٍ استخفَّ به إلا نكلْتُ به ^(١) .

* * *

علی بن سلیم قال : قال حاتم طيٍّ لعديٍّ ابنه : أئى بُنى ، إن رأيتَ أنَّ الشرَّ يتركك إن تركته فاتركه .

قال : وقال عدی بن حاتم لابن له : قم بالباب فامنع مَنْ لا تعرف ، وأذن لمن تعرف . فقال : لا والله ، لا يكونَنَّ أوَّلُ شيءٍ وَليته من أمر الدنيا منع قوم من طعام ^(٢) .

وقال مدينيٌّ لعبد الملك بن مروان ^(٣) ، ودخل عليه بنوه : أراك الله في بنيك ما أرى أباك فيك ، وأرى بنيك فيك ما أراك في أبيك .

وقال بعض الأعراب وهو يرقص بعض أولاد الخلافة ويقول :

إِنَّا لَنَرْجُوكَ لِتِيكَ تِيكَا هَا نَرْجِيكَ وَنَجْتِيكَ
هِيَ الَّتِي نَأْمُلُ أَنْ تَأْتِيكَ وَأَنْ يَرَى ذَاكَ أَبُوكَ فَيَكَا
* كَمَا رَأَى جَدَّكَ فِي أَبِيكَ ^(٤) *

* * *

(١) ما عدل ل : « فوالله لا يأتيني شيخ ... ولا يأتيني عالم . ولا يأتيني شريف » .

(٢) فيما عدل ل : « من طعامك » .

(٣) في مجالس ثعلب ٢٢٧ أنه الوليد بن يزيد .

(٤) هذا الخبر من ل ، هـ فقط ، وهو ساقط من سائر النسخ .

وقال ابن شبرمة^(١) : ذهب العلم إلّا غُبَرَاتٍ في أوعية سَوَاءٍ^(٢) . ٣٢٢

الهيثم بن عدى ، عن ابن عيَّاش ، عن أبيه^(٣) قال : خرج الحجاج إلى القواسان^(٤) فإذا هو بأعرابي في زرع فقال له : ممَّن أنت ؟ فقال : من أهل عُمان . قال : فمن أيّ القبائل ؟ قال : من الأزد . قال : كيف علمك بالزرع ؟ قال : إني لأعلم من ذلك علماً . قال : فأئى الزرع خير ؟ قال : ما غلظ قصبه ، واعتَمَ نَبْتُهُ ، وعظمت حَبَّتُهُ ، وطالت سنبُلَتُهُ . قال : فأئى العنب خير ؟ قال : ما غلظ عموده ، واخضرَّ عوده ، وعظُم عُنْقُودُهُ . قال : فما خير التمر ؟ قال : ما غلظ لحاؤه ، ودقَّ نواه ، ورقَّ سحاه^(٥) .

★ ★ ★

(١) هو عبد الله بن شبرمة ، تقدمت ترجمته في (١ : ٩٨) .

(٢) الغبرة ، بضم الغين وتشديد الباء : البقية من كل شيء . وكذلك الغبرة بالضم وتسكين الباء . وجاءت على هذا الصواب في نسخة هـ وجامع بيان العلم لابن عبد البر (١ : ١٣٥) . وفي سائر النسخ : « عبارات » ، تحريف .

(٣) ابن عيَّاش ، هو عبد الله بن عيَّاش ، المترجم في (١ : ٢٢٠) . ل : « ابن عباس عن أبيه » ،

تحريف .

(٤) فيما عدل ، هـ : « الفارسان » .

(٥) السحا ، بالفتح : جمع سحاة ، وهى القشرة . هـ : « سحاؤه » .

باب من اللغز في الجواب

قالوا : كان الحُطَيْيئة يَرعى غنماً له ، وفي يده عصا . فمرَّ به رجلٌ فقال :
يا راعى الغنم ، ما عندك ؟ قال : عَجْرَاءٌ من سَلَمٍ ^(١) . يعنى عَصَاهُ . قال : إني
ضيف . فقال الحُطَيْيئة : للضيَّفان أعددْهُما .
قال ابنُ سَلَمٍ ^(٢) : قال قيس بن سعد ^(٣) : اللهم ارزقني حمداً ومجداً ،
فإنه لا حَمْدَ إلَّا بِفَعَال ، ولا مَجْدَ إلَّا بِمَال .

وقال خالد بن الوليد لأهل الحيرة : أَخْرِجُوا إلى رَجُلًا من عقلائكم أسأله
عن بعض الأمور . فأخرجوا إليه عبد المسيح بن عمرو بن قيس بن حَيَّان ^(٤) بن
بُقَيْلة ^(٥) العَسَّائِي ، وهو الذى بنى القصر ^(٦) ، وهو يومئذ ابن خمسين وثلاثمائة سنة ،
فقال له خالد : من أين أَقْصَى أَثْرِكَ ؟ قال : من صُلْبِ أُمِّي . قال : فمن أين خَرَجْتَ ؟
قال : من بطن أُمِّي . قال : فعَلامَ أَنْتَ ؟ قال : على الأرض . قال : ففيمَ أَنْتَ ؟ قال : فى
ثِيَابِي . قال : ما سُنُّكَ ؟ قال : عَظْمٌ . قال : أَتَعْقِلُ ، لا عَقْلَتَ ؟ قال : إني

(١) العجراة : الكثيرة العجر ، أى العقد . والسلم ، بالتحريك : شجر . وانظر (٣ : ٨) .

(٢) هو على بن سليم ، سبق قريباً فى ص ١٤٥ س ٦ . والخبر فى (٣ : ٢٨٤) .

(٣) فيما عدل ل : « إن قيس بن سعد بن عبادة قال » .

(٤) فيما عدل ، هـ : « حيان » صوابه فيهما وفى المعمرين ٣٧ . وأدرك عبد المسيح الإسلام ولم
يسلم ، وكان نصرانياً . انظر أمالى المرتضى (١ : ١٨٨) .

(٥) فى الأصل « بقيلة » ، صوابه من المعمرين . قال السجستاني : « وخرج بقيلة فى ثوبين
أخضرين ، فقال له إنسان : ما أَنْتَ إلَّا بقيلة . فسمى « بقيلة » لذلك ، واسمه ثعلبة بن سنين . وانظر أمالى
المرتضى (١ : ١٨٨) .

(٦) هو قصر بنى بقيلة ، كما ذكر المرتضى . بناه بالحيرة . وأنشد السجستاني والمرتضى له :

لقد بنيت للحدثان قصراً لو ان المرء تنفعه الحصون
رفيع الرأس أقعس مشمخراً لأنواع الرياح به حين

- والله وأُقيّد . قال : ابن كم أنت ؟ قال : ابن رجل واحد . قال : كم أتى عليك من الدهر ؟ فقال : لو أتى على شيء لقتلني . قال : ما تزيدني مسألتك إلا غمّي ^(١) ؟ قال : ما أجبتك إلا عن مسألتك . قال : أعرب أنتم أم بُبط ؟ قال : عرب استنبطنا ، ونبط استعربنا . قال : فحرب أنتم أم سلم ؟ قال : سلم . قال : فما ٣٢٣
بال هذه الحصون ؟ قال : بنيناها للسّفيه حتّى يجيء الحلّيم ^(٢) فيها . قال : كم أنت عليك سنّة ؟ قال : خمسون وثلاثائة . قال : فما أدركت ؟ قال : أدركت سفن البحر ثرقاً إلينا في هذا الجُرف ، ورأيت المرأة من أهل الحيرة تأخذ مِكتَلها على رأسها ولا تنزود إلا رغيفاً واحداً ، فلا تزال في قُرى مُحْصية متواترة حتّى تَرِد الشام . ثم قد أصبَحَتْ خراباً ياباً ، وذلك دأب الله في العباد والبلاد .
- قال : وأتى أزهر بن عبد الحارث رجل من بنى يربوع ، فقال : ألا أدخل ؟ ١٠
قال : وراءك أوسع لك . قال : أحرقت الشمس رجلي ^(٣) . قال : بل عليهما تبردا . فقال : يا آل يربوع ! قال : ذليلاً دعوت . يا بنى ذُرَيْص ^(٤) ، أطعمتكم عاماً أوّل جُلّة ^(٥) ، فأكلتم جُلّتكم ، وأغرّتم على جُلّة الضيفان .
- وقال الحجاج لرجل من الخوارج : أجمعت القرآن ؟ قال : أمتفرقاً ^(٦)
كان فأجمعه . قال : أتقرؤه ظاهراً ؟ قال : بل أقرؤه وأنا أنظر إليه . قال : أتحفظه ؟ ١٥
قال : أحشيت فراره فأحفظه . قال : ما تقول في أمير المؤمنين عبد الملك ؟ قال :

(١) الغمى : الأمر المتلبس . ل : « عمى » ، ما عدل « رغما » . والوجه ما أثبت .

(٢) فيما عدل ، هـ : « حتى يأتي » .

(٣) فيما عدل : « إن الشمس أحرقت رجلي » .

(٤) دريص : مصغر درص ، بالكسر ، وهو ولد اليربوع ، ويقال أيضاً لولد الفأر والقنفذ والهرة ٢٠

والكلية والذئبة ونحوها . وفيما عدل : « حريص » ، تحريف .

(٥) الجلة ، بالضم : وعاء من خوص يوضع فيه التمر ويكثر .

(٦) هذا ما في هـ . وفي ل : « أمفراق » وسائر النسخ : « أمفترقا » .

لَعَنَهُ اللهُ وَلَعَنَكَ مَعَهُ . قال : إِنَّكَ مَقْتُولٌ فَكَيْفَ تَلْقَى اللهَ ؟ قال : أَلْقَى اللهُ بَعْمَلِي وتلقاه أنت بدمي (١) .

وقال لقمان لابنه وهو يعظه : يا بُنَيَّ ، ازحَمِ العلماء بُرُكْبَتَيْكَ ، ولا تجادلهم فيمقتوك ، وَخُذْ مِنَ الدُّنْيَا بِلَاغَكَ ، وَأَبْقِ (٢) فَضْلَكَ كَسْبِكَ لِآخِرَتِكَ ، ولا ترفض الدُّنْيَا كُلَّ الرِّفْضِ فَتَكُونَ عِيَالاً ، وعلى أعناق الرجال كَلًّا ، وَصُمْ صَوْماً يَكْسِرُ شَهْوَتَكَ ، ولا تصُمْ صَوْماً يَضُرُّ بِصَلَاتِكَ ، فَإِنَّ الصَّلَاةَ أَفْضَلُ مِنَ الصَّوْمِ ، وَكُنْ كَالْأَبِ لِلْيَتِيمِ ، وَكَالزَّوْجِ لِلْأَرْمَلَةِ ، ولا تحَابِ القَرِيبَ ، ولا تجالس السَّفِيهَ ، ولا تخالطْ ذَا الْوَجْهَيْنِ أَلْبَتَّةَ .

وسمع الأحنف رجلاً يُطْرَى يَزِيدَ عِنْدَ مُعَاوِيَةَ ، فلما خَرَجَ مِنْ عِنْدِهِ اسْتَحَنَفَرَ فِي ذِمَّتِهِمَا (٣) ، فقال له الأحنف : مَهْ ؛ فَإِنْ ذَا الْوَجْهَيْنِ لَا يَكُونُ عِنْدَ اللهِ وَجِيهًا .

وقال سعيد بن أبي العرُوبة (٤) : لَأَنْ يَكُونَ لِي نَصْفُ وَجْهِ وَنَصْفُ لِسَانٍ ، عَلَى مَا فِيهِمَا مِنْ قُبْحِ الْمَنْظَرِ وَعَجْزِ الْمَخْبَرِ ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَكُونَ ذَا وَجْهَيْنِ وَذَا لِسَانَيْنِ ، وَذَا قَوْلَيْنِ مُخْتَلَفَيْنِ .

وقال أيوب السَّخْتِيَانِي (٥) : التَّمَامُ ذُو الْوَجْهَيْنِ أَحْسَنُ الْإِسْتِمَاعِ ، وَخَالَفَ فِي الْإِبْلَاغِ .

(١) فيما عدل : « أَلْفَاهُ بِعَمَلِي وَتَلَقَاهُ بِدَمِي » .

(٢) فيما عدل : « وَأَبْقِ » وَأَنْفَقَ .

(٣) اسحنفر الرجل في منطقته : مضى ولم يتلبث .

(٤) سبقت ترجمته في (١ : ٣٦٩) .

(٥) هو أيوب بن أبي تيمعة السختياني المترجم في (١ : ١٩٢) . والسختياني ، بفتح السين

المهمله وكسرها ، نسبة إلى عمل السختيان وبيعها ، وهي الجلود الضأنية . انظر السمعاني ٢٩٢ والقاموس (سخت) . و « سختيان » لفظة فارسية . معجم استينجاس ٦٦١ .

حفص بن صالح الأزدي^(١) عن عامر الشعبي ؛ قال : كتب عمر إلى معاوية^(٢) :

« أما بعد فإني كتبت إليك بكتاب في القضاء لم ألك ونفسي فيه خيراً^(٣) .
الزم خمس خصال يسلم لك دينك ، وتأخذ فيه بأفضل حظك : إذا تقدم إليك خصمان فعليك بالبينّة العادلة ، أو اليمين القاطعة . وأذن الضعيف حتى يشتد قلبه وينسط لسانه . وتعهد الغريب ، فإنك إن لم تعهده ترك حقه ، ورجع إلى أهله ؛ وإنما ضيع حقه من لم يرفق به . وآس بينهم في لحظك وطرفك . وعليك بالصّلح بين الناس ما لم يستبين لك فصل القضاء » .

أبو يوسف ، عن العزمي^(٤) ، عمن حدثه عن شريح ، أن عمر بن الخطاب رحمه الله كتب إليه :

« لا تُشار ولا تُمار ولا تُضار^(٥) ، ولا تبّع ولا تبّع في مجلس القضاء ، ولا تقضي بين اثنين وأنت غضبان » .

وقال عمر بن عبد العزيز : إذا كان في القاضي خمس خصال فقد كمل : علم ما كان قبله ، ونزاهة عن الطمع ، وحلم عن الخصم ، واقتداء بالأئمة ، ومشاورة أهل الرأي .

(١) فيما عدل ، هـ : « الأزدي » ، وهذه نسبة إلى « أذربيجان » .

(٢) عند ابن أبي الحديد (٣ : ١١٩) أن الكتاب وجهه عمر إلى أبي موسى الأشعري وهو بالبصرة . وانظر رسائل الجاحظ (٢ : ٣١) بتحقيقنا .

(٣) ل : « لم ألك فيه ونفسي خيراً » .

(٤) هو أبو عبد الرحمن محمد بن عبد الله بن سليمان العزمي الكوفي ، روى عن عطاء ومكحول ،

وقتادة . وعنه شعبة ، والثوري ، وشريك وغيرهم . توفي سنة ١٥٥ . تهذيب التهذيب والسماعان ٣٨٧ .

(٥) ولا تضار ، من ل فقط . على أن مأخذ هذا الكلام من الحديث : « فكان خير شريك لا يشارى

ولا يمارى ولا يدارى » . فلعل « لا تضار » محرفة عن « لا تدار » . وفي اللسان (١٩ : ١٥٩) : « لا يدارى ،

أى لا يدفع ذا الحق عن حقه » .

محمد بن حرب الهلالي قال (١) : لما وَلَّى يزيد بن معاوية سَلَمَ بن زياد (٢)

خراسان ، قال له :

« إن أباك كَفَى أخاهُ عظيماً ، وقد استكفَيْتكَ صغيراً . فلا تَتَكَلَّنْ على

عُذْرٍ مِنِّي لك . فقد أَتَكَلَّتْ على كفايةٍ منك . وإِيَّاكَ مِنِّي قَبْلَ أَنْ أَقُولَ إِيَّاي

منك ؛ فَإِنَّ الظَّنَّ إِذَا أَخْلَفَ مِنِّي فِيكَ أَخْلَفَ مِنْكَ فِيَّ (٣) . وَأَنْتَ فِي أَدْنَى

حَظِّكَ فاطلب أقصاه . وقد أَتَعَبَكَ أبوك ، فلا تَرِيحَنَّ نَفْسَكَ . وَكُنْ لِنَفْسِكَ تَكُنْ

لك ، واذكُرْ في يومك أحاديثَ غَدِكَ ، تُسَعِّدْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

وما قالوا في التشديق وفي ذكر الأُشْدَاق

قال المازني (٤) :

٣٢٥

١٠. مَنْ كَانَ يَعْلَمُ أَنَّ بَشِراً مُلْصَقٌ فَاللَّهُ يَجْزِيهِ وَرُبُّكَ أَعْلَمُ (٥)
يُنَبِّئُكَ نَازِرُهُ وَقَلَّةُ لَحْمِهِ وَتَشَادُقُ فِيهِ وَلَوْنٌ أَسْحَمُ
إِنَّ الصَّرِيحَ الْمُحْضَ فِيهِ دَلَالَةٌ وَالْعَرْقُ مِنْكَشِفٌ لِمَنْ يَتَوَسَّمُ
أَمَّا لِسَانُكَ وَاحْتِبَاؤُكَ قَاعِدًا فزِرَارَةُ الْعُدْسَى عِنْدَكَ أَعْجَمُ (٦)

(١) بدله فيما عدل : « قال الهلالي » .

(٢) هو سلم بن زياد بن أبي سفيان ، أحد أمراء الأمويين وولاتهم . ولاء يزيد خراسان وسجستان سنة ٦١ . ولما مات وخرج عبد الله بن الزبير يطلب لنفسه الخلافة ، قبض عليه وجسه وطالبه بالمال . ودخل عليه الفرزدق في محبة يشكو قلة المال ، ويطلب مهراً لزوجته النوار ، فأمر له بعشرين ألفاً . وفيه يقول ابن عرادة :
عَتَبْتُ عَلَى سَلَمٍ فَلَمَّا هَجَرْتَهُ وَخَالَطْتَ أَقْوَامًا بَكَيْتَ عَلَى سَلَمٍ

المعارف ١٥٢ ، والأغاني في غير ما موضع ، والطبری (٦ : ٦١) .

(٣) فيما عدل : « إذا أخلف منك أخلف مني فيك » . وكلمة « مني » ليست في هـ .

(٤) في الحيوان (٥ : ١٦٩) : « ومدح الممزق ، أبو عباد بن الممزق ، بشر بن أبي عمرو ،

فقال » . وأنشد الأبيات الخمسة .

(٥) الملصق : الدعي في القوم وليس منهم بنسب .

(٦) الاحتباء : أن يجمع الرجل بين ساقيه وظهره بعمامة ونحوها ، وكذلك كان يفعل الأشراف . وزرارة

ابن عُذْس ، بضمين : جد جاهلي ، بنوه بطن من بني دارم . وكان حكيماً من قضاة تيم . وهو والد لقيط بن =

إني لأرجو أن يكون مقالهم زوراً وشائتك الحسود المرغم

وفي مثل ذلك يقول مَوْزُقُ العبد :

قد عَلِمَ الغربيّ والمُشرِّقُ أُنْكَ في القومِ صَمِيمٌ مُلْصَقُ ^(١)
عُودَاكَ نَبْعٌ وهَشِيمٌ بَرَوُقُ ^(٢) وَأَنْتَ جَدْبٌ وَرَبِيعٌ مُعْدَقُ
وَأَنْتَ لَيْلٌ وَنَهَارٌ مُشْرِقُ لَوْلَا عَجُوزُ قَحْمَةٌ وَدَرْدَقُ ^(٣)
وَصَاحِبُ جَمِّ الْحَدِيثِ مُوَرِّقُ كَيْفَ الْفَوَاتُ وَالطَّلُوبُ مَوْزُقُ
شَيْخٌ مَغِيظٌ وَسَيَّانٌ يَبْرِقُ وَخَنْجَرٌ رَحْبٌ وَصَوْتُ مِصْلَقُ
وَشِدْقُ ضِرْغَامٍ وَنَابٌ يَحْرُقُ ^(٤) وَشَاعِرٌ بَاقِي الْوُسُومِ مُفْلِقُ ^(٥)

١٠ = زرارة . والأعجم : الذي لا يكاد يبين . جعله أفصح من زرارة .

(١) جعله مخلطاً ، وقد جمع بين العتق والهجنة .

(٢) البروق : نبت ضعيف له ثمر ذو حب أسود صغار ، يضرب به المثل في الضعف فيقال « أضعف من بروقة » . هـ : « يورق » ، تحريف .

(٣) القحمة : الكبيرة المسنة . ل : « رحمة » تحريف . والدردق ، بفتح الدالين : الصبيان الصغار .

(٤) حريق الناب : صريفه ، وهو صوت احتكاكه بآخر . يكون ذلك في الغيظ والغضب . يقال ١٥ حرق ناب البعير ، وحرقت البعير نابه .

(٥) عَنَى بالوُسُوم آثار هجوه في الناس . هـ : « الوشوم » بالشين مع الإشارة إلى رواية السنين المهملة بكلمة « معا » فوق الكلمة .

باب

في صفة الرائد للغيث ، وفي نعتة للأرض

- قال أبو المجيب ^(١) : وصف رائد أرضاً جَذْبَةً فقال : « اغْبَرَّتْ جَادَتْهَا ،
وَدُرَّعَ مَرْتَعُهَا ^(٢) ، وَقَصِمَ شَجَرُهَا ^(٣) ، وَرَقَّتْ كَرِشُهَا ، وَخَوَّرَ عَظْمُهَا ^(٤) ،
والتقى سَرَحَاها ^(٥) ، وَتَمَيَّزَ أَهْلُهَا ، ودخل قلوبهم الوَهْل ، وأموالهم الهزل ^(٦) » .
الجَادَّةُ وَالْحَرَجَةُ وَالْمَجَبَّةُ معناه كُلُّهُ : وسط الطريق وَمُعْظَمُهُ وَمَنْهَجُهُ ^(٧) .
والتقى سَرَحَاها ، يقول : إذا أكل كلُّ سارح ما يليه التقيا عند الماء ، وإذا لم يكن
للجمال مَرْعَى إِلَّا الشَّجَرُ وحده رَقَّتْ أَكْرَاشُهُ . وقوله : « تَمَيَّزَ أَهْلُهَا » : تَفَرَّقُوا في
طلب الكَلَأ . ومرتعٌ مُدْرَعٌ ^(٨) ، إذا كان بعيداً من الماء . ومرتعٌ قاصِرٌ ، إذا كان
قريباً من الماء . ويقولون : ماءٌ مُطْلَبٌ وماءٌ مُطْنَبٌ ^(٩) ، إذا ألجأهم إلى طلبه من
بعده .

* * *

ووصف أعرابى أرضاً أَحْمَدَهَا فقال : « خَلَعَ شَيْحُهَا ، وَأَبْقَلَ رِمْتُهَا ، وَخَضَبَ

- (١) سبقت ترجمته في (١ : ٣٧٣) . والخبر التالي في مجالس ثعلب (١ : ٣٦٠) :
(٢) فيما عدل : « ذرع » بالذال المعجمة ، تصحيف . وانظر اللسان (درع ٤٢٧) .
(٣) كذا ضبط في اللسان (سرح) حيث روى بعض الخبر . وهو من القضم ، وأصله تفلل
الأسنان وتكسرهما .
(٤) يقال خور خورا ، كتب تعباً : ضعف وانكسر .
(٥) السرح ، بالفتح : المال الراعى .
(٦) الهزل ، بالفتح والضم : الهزال ، وهو تقيض السمن .
(٧) بدل هذا فيما عدل : « قال : الجادة الطريق إلى الماء . والجمع جواد » . والحرجة تقال
بالحاء والجيم ، وبجيمين ، وبحاء معجمة وجيم . انظر اللسان (جرح ، حرج ، خرج) .
(٨) فيما عدل : « مدرع » ، تحريف .
(٩) ل : « مطلوب » ، تحريف ، صوابه في سائر النسخ .

عَرَفُجُهَا ، وَاتَسَقَ نَبْتُهَا ، وَاخْضَرَّتْ قُرْيَانَهَا ^(١) ، وَأَخْوصَّتْ بُطْنَانَهَا ^(٢) ،
وَاسْتَحْلَسَتْ آكَامُهَا ^(٣) ، وَاعْتَمَّ نَبْتُ جَرَاثِمِهَا ^(٤) ، وَأَجَرَتْ بَقْلَتُهَا ^(٥) وَذُرْقَتُهَا
وَحَبَابَتُهَا ^(٦) ، وَاحْوَرَّتْ خَوَاصِرَ إِبِلِهَا ، وَشَكِرَتْ حَلَوِيَّتُهَا ، وَسَمِنَتْ قَتَوِيَّتُهَا ^(٧) وَعَمِدَ
ثَرَاهَا ، وَعَقِدَتْ تَنَاهِيَهَا ، وَأَمَاهَتْ ثِمَادُهَا ^(٨) ، وَوَثِقَ النَّاسُ بِصَائِرَتِهَا ^(٩) .

٥ قال : يقال : خَلَعَ الشَّيْخُ ، إِذَا أَوْزَقَ . وَخَالَعَ مِنَ الْعِضَاءِ : الَّذِي لَا يَسْقُطُ
وَرَقُهُ أَبَدًا كَالسُّدْرِ ، فَإِنَّهُ لَا يَتَجَرَّدُ ، وَكُلُّ شَجَرٍ لَهُ شَوْكٌ فَهُوَ عِضَاءٌ ، وَالوَاحِدُ عِضَةٌ ،
إِلَّا الْقَتَادَ ، وَلَا يُعْبِلُ إِلَّا الْأَرطَى . وَأَخْوصَّتْ بُطْنَانَهَا ، إِذَا نَبَتْ فِيهِ قُضْبَانٌ دِقَاقٌ .
وَحَضَبَ عَرَفُجُهَا ، يَقُولُ : اسْوَدَّ . وَأَخْوصَّ الشَّجَرُ ، وَهُوَ الَّذِي لَا شَوْكَ لَهُ . وَمِنْ
الْعِضَاءِ قَشْرُهُ وَقِصْدُهُ . فَإِذَا بَيَسَتْ فِيهِ عُودٌ . وَاتَسَقَ نَبْتُهَا ، أَيْ تَنَامَ . وَأَجَرَتْ
بَقْلَتُهَا ، أَيْ نَبَتْ فِيهَا مِثْلَ الْجِرَاءِ . وَالْعُلْفَةُ : ثَمَرَةُ الطَّلَحِ ، وَالْحُبْلَةُ لِلْسَّلَمِ ^(١٠) .
١٠ وَاحْوَرَّتْ خَوَاصِرَ إِبِلِهَا ، يَقُولُ : اسْتَرَخَتْ عَنْ كَثْرَةِ الرُّعَى ^(١١) . وَشَكِرَتْ
حَلَوِيَّتُهَا ^(١٢) ، يَقُولُ غَزُرَتْ ^(١٣) ، يَقَالُ : شَكِرَتْ الْإِبِلُ وَالْغَنَمُ ، إِذَا تَمَلَّاتْ

(١) القرىان ، بالضم : جمع قرى ، على فعيل ، وهو مجرى الماء في الروض .

(٢) البطنان ، بالضم : جمع بطن ، وهو ما غمض من الأرض واطمأن .

(٣) استحلست : اخضرت واستوى نباتها . هـ : « أحلست » .

(٤) اعتم النبت : التف . الجراثيم : أماكن مرتفعة عن الأرض مجتمعة ، من تراب وطين .

(٥) ل : « أجلت » تحريف .

(٦) الذرق : نبت مثل الكراث الجليل . واحدته ذرقة . هـ : « وذرقها » . والخبازة : واحدة

الخباز ، وهو بقل معروف عريض الورق . وأجرت : ظهرت جراؤها ، وهي ثمارها .

(٧) الحلوية : الناقة تحلب . والقنوية : الناقة يوضع عليها القتب .

(٨) الثماد : الحفر يكون فيها ماء قليل . أماهت : كثر ماؤها .

(٩) فيما عدل ، هـ : « بصائرهما » ، تحريف . انظر اللسان (٦ : ١٤٨) .

(١٠) أتى بذكر العلفه والحبله سوقاً لبيان أنواع من الثمار . ل : « والحبله » تحريف .

(١١) بدلها فيما عدل : « تشد أحنأوها على خواصرها حتى لا تحبط . والحيط : انتفاخ بطنها

من مرعى ترعاه . وقيل للنبي ﷺ : أبيض الغبط ؟ قال : نعم ، كما يضر الحبط » . وفيه تحريف . انظر

اللسان (غبط) ورسالة الحور العين ٧ .

(١٢) هذه الكلمة من ل ، هـ فقط .

(١٣) التفسير بعد هذه الكلمة إلى « وقوله عميد ثراها » من ل فقط .

- من الربيع ، وهى إبلٌ شَكَارَى ، ويقال ضَرَّةٌ شَكَرَى ، إذا امتلأت من اللبن ،
والضَرَّة : أصل الضَّرْع . وقوله : عَمِدَ ثَرَاهَا ، وذلك إذا قَبَضَتْ منه على شئ فتعقَد
واجتمع من نُذُوتِهِ . يقال عَمِدَ الثرى يَعمِدُ عَمَداً ، وهو ثَرَى عَمِدٌ . فالعَمَد : أن
يجاوزَ الثرى المنكِب ، وهو أن يقيس السَّماءَ بالمرفق فيقول : بلغت وَضَحَ الكَفِّ ، ثم
الرُّسْغ ، ثم العَظْمَةُ ^(١) ، ثم المرفق ، ثم يَنْصُفُ العَضُدَ ، ثم يبلغ المنكِب . فإذا بلغ
الْمَنكِبَ قيل : عَمِدَ الثرى . فيقال إن ذلك حَيَا سِنِينَ ^(٢) . والتَّناهى ، وأحدثها
تَنْهِيَةٌ ، وهى مستَقَرُّ السَّيْلِ وحيث ينتهى الماء . وعَقَدَها : أن يَمُرَّ السَّيْلُ مُقْبِلاً حَتَّى
إذا انتهى متناه دار بالأباطح ، حَتَّى يلتقى طرفا السَّيْلِ . والصائرة : الكَلأُ والماء .

* * *

- ٣٢٧ قالوا : قاتل الحَجَّاجُ ابنَ الأشعث في المِرْبَدِ ، فخطب ابنُ الأشعث
فقال : « أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّهُ لَمْ يَبْقَ مِنْ عُدُوِّكُمْ إِلَّا كَمَا يَبْقَى مِنْ ذَنْبِ الْوَزْغَةِ ،
تَضْرِبُ بِهِ يَمِيناً وَشِمَالاً ، فَمَا تَلَبَّثُ أَنْ تَمُوتَ » .
فَمَرَّ بِهِ رَجُلٌ مِنْ بَنِي قُشَيْرٍ فَقَالَ : قَبِّحَ اللَّهُ هَذَا وَرَأَيْتُهُ ، يَا مَرُ أَصْحَابِهِ بِقَلَّةِ
الاحْتِرَاسِ مِنْ عُدُوِّهِمْ ، وَيَعِدُّهُمْ الْأَضَالِيلَ ، وَيَمْنِيهِمُ الْأَبَاطِيلَ .
١٥ وَنَاسٌ كَثِيرٌ يَرُونَ أَنَّ الْأَشْعَثَ هُوَ الْمُحْسِنُ دُونَ الْقُشَيْرِيِّ .

* * *

- وقال بشار :
وَحَمِدَ كَعَصْبِ الْبُرْدِ حَمَلَتْ صَاحِبِي إِلَى مَلِكٍ لِلصَّالِحَاتِ قَرِينِ ^(٣)
وقال أيضاً :
٢٠ وَبَكْرِ كَنْوَارِ الرِّيَاضِ حَدِيثُهَا تَرُوقُ بِوَجْهِهِ وَاضِحٍ وَقَوَامِ

(١) كذا في النسخ . والمعروف أن العَظْمَةَ ما يلي المرفق الذى فيه العضلة ، فحقه التأخير عن المرفق .

(٢) الكلام من « فالعمد » إلى هنا من ل ، هـ . وأشير في حواشى هـ إلى رواية « سنين » .

(٣) العصب : ضرب من برود اليمن . أضاف الصفة إلى الموصوف . وسيأتى في ٩٩ : (.

أبو الحسن قال : كان معاوية يأذن للأحنف أوّل من يأذن ، فأذن له يوماً ، ثم أذن لمحمد بن الأشعث حتّى جلس بين معاوية والأحنف ، فقال له معاوية : لقد أحسّنت من نفسك ذلّاً . إني لم آذن له قبلك إلّا ليكون إلى في المجلس دونك ، وإنا كما نملك أموركم كذلك نملك تأديبكم ، فأريدوا ما يُراد بكم ؛ فإنّه أبقى لنعمتكم ، وأحسن لأدبكم .

وقال النبي ﷺ لأصيل الخزاعي^(١) : « يا أصيل ، كيف تركت مكة ؟ » . قال : « تركتها وقد أحنّ ثمامها ، وأمّشّر سلمها ، وأعدق إذخرها^(٢) » . فقال عليه السلام : « دَعِ القلوب تَقِرَّ » .

وسأل أبو زياد الكلابيّ الصّقيل العَقيلّ ، حين قدم من البادية ، عن طريقه ، قال : انصرفت من الحجّ فأصعدت إلى الرّيزة^(٣) في مَقاطِ الحرة^(٤) ، ووجدت صِلالاً من الرّبيع^(٥) ، من خَضِيمة حَمْضٍ ، وصِلِيانٍ ، وقَرَمَلٍ^(٦) ، حتّى لو شئت لأنخت إيلي في أذراء القَفعاء^(٧) ، فلم أرل في مَرعى لا أحسُّ^(٨) منه شيئاً حتّى بلغت أهلي .

(١) هو أصيل بن سفيان - وقيل ابن عبد الله - الهذلي ، وقيل الغفاري ، وقيل الخزاعي . وأصيل ، بالتصغير . وفي الإصابة : « قدم أصيل الخزاعي على رسول الله من مكة قبل أن يضرب الحجاب على أزواج رسول الله فقالت له عائشة : كيف تركت مكة ؟ قال : اخضرت أجناها ، وابيضت بطحاؤها ، وأعدق إذخرها ، وأمّشّر سلمها . فقال رسول الله ﷺ : حسبك يا أصيل لا تحزنا » .
(٢) أحنّ ، أى بدا ورقه . وأمّشّر : خرج ورقه واكتسى به . أعدق : صار له عذوق وشعب ، وقيل أزهر . والحديث في اللسان (مشر ، عذق ، حجن) .

(٣) الريزة ، بالتحريك : قرية قرب المدينة .
(٤) مقاط الحرة : منقطعهما . وأراد بالحرّة حرّة المدينة .
(٥) الصلال : جمع صلّة ، بالفتح ، وهى القطعة المتفرقة من العشب .
(٦) الخضيمة : النبات إذا كان رطباً أخضر . فيما عدا ل : « خضمة » ، تحريف .

(٧) ل : « لأنخت » ، صوابه في سائر النسخ . والأذراء : جمع ذرى بالفتح والقصر ، وهو كل ما استترت به . فيما عدا ل : « أذن » ، تحريف . والقفعاء ، بتقديم القاف : حشيشة خواراة . وفي النسخ : « القفعاء » بتقديم الفاء ، تحريف . كنى عن ارتفاع العشب .
(٨) أحسّ الشيء : وجده خسيماً . فيما عدا ل : « أحسن » ، تحريف .

وقال سَلَامُ الْكَلَابِيِّ : رَأَيْتُ بَيْطُنَ فَلَيْحٍ مَنْظَرًا مِنْ الْكَلَأِ لَا أَنْسَاهُ :
وجدت الصَّفْرَاءَ وَالْحُزَامَى تَضْرِبَانِ نَحْوَرَ الْإِبِلِ ، تَحْتَهُمَا قَفْعَاءُ ^(١) وَحُرْبٌ ^(٢) قَدْ
أَطَاعَ ، وَأَمْسَكَ بِأَفْوَاهِ الْمَالِ - أَيْ لَا تَقْدِرُ أَنْ تَرْفَعَ رِءُوسَهَا - وَتَرَكْتَ الْحُورَانَ
نَاقِعَةً فِي الْأَجَارِعِ ^(٣) .

٣٢٨ وَذِمَّ أَرْضًا فَقَالَ : « وَجَدْنَا أَرْضًا مَاحِلَةً مِثْلَ جِلْدِ الْأَجْرَبِ ، تَصْأَى
حَيَاتِهَا ^(٤) ، وَلَا يَسْكُتُ ذَنْبُهَا ، وَلَا يَقَيِّدُ رَاكِبُهَا ^(٥) » .

١٠ وقال النَّضْرُ : قُلْتُ لِأُمِّی الْخُضَيْرِ ^(٦) : مَا رَأَيْتَ مِنَ الْخِصْبِ ؟ قَالَ :
كَنتُ أَشْرَبُ رَثِيئَةً تَجْرُهَا الشَّفَتَانِ جَرًّا ^(٧) ، وَقَارِصًا قُمَارِصًا ^(٨) إِذَا تَجَشَّأْتُ
جَدَعَ أَنْفِي ، وَرَأَيْتُ الْكَمَاءَ تَدُوسُهَا الْإِبِلُ بِمَنَاسِمِهَا ، وَالْوَضْرُ يَشْمُمُهُ الْكَلْبُ
فَيَغْطِسُ .

وقال الْأَصْمَعِيُّ : قَالَ الْمَشْجَعُ بْنُ نَبْهَانَ : قَالَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ :
كَنتُ أَرَى الْكَلْبَ يَمُرُّ بِالْخَصْفَةِ عَلَيْهَا الْخُلَاصَةُ ^(٩) فَيَشْمُمُهَا وَيَمْضِي عَنْهَا .
مُحَمَّدُ بْنُ كُنَاسَةَ ، قَالَ : أَخْبَرَنِي بَعْضُ فُصَحَاءِ أَعْرَابِ طَيْيءَ قَالَ : بَعَثَ

(١) ل : « فَحْتَهُمَا » . وَفِي سَائِرِ النُّسخِ « فَقَعَاء » صَوَابُهُ بِتَقْدِيمِ الْقَافِ .

١٥ (٢) الْحُرْبُ ، بِضَمِّ الْحَاءِ وَالْبَاءِ . فِيمَا عَدَا ل ، هـ : « حَرِيبٌ » ، تَحْرِيفٌ .

(٣) الْحُورَانُ ، بِالضَّمِّ : جَمْعُ حَوَارٍ بِالضَّمِّ وَالْكَسْرِ ، وَهِيَ وَلَدُ النَّاقَةِ مِنْ حِينَ يَرْضَعُ إِلَى أَنْ يَفْصَلَ
فَيَسْمَى فَصِيلًا . وَبِجَمْعِ الْحَوَارِ أَيْضًا عَلَى أَحْوَرَةٍ وَجِرَانٍ . نَاقِعَةٌ : رَاوِيَةٌ ؛ يُقَالُ نَقَعَ أَيْ رَوَى .
وَالْأَجَارِعُ : جَمْعُ أَجْرَعٍ ، وَهُوَ الرَّمْلَةُ السَّلَّةُ .

(٤) صَأَى يَصْأَى : صَاحَ . فِيمَا عَدَا ل : « تَصَيَّ » ، وَهِيَ صَحِيحَةٌ ، يُقَالُ صَاءَ يَصِيءُ : صَاحَ .

٢٠ (٥) فِي حَوَاشِي هـ : « أَيْ لَا يَنْزِلُ فِيْقِيدُ ؛ لِأَنَّهُ لَيْسَ بِمَوْضِعِ أَمْنٍ » .

(٦) ل : « لِأُمِّی الْحَصِيرِ » .

(٧) الرَثِيئَةُ : اللَّبَنُ الْحَامِضُ يَحْلِبُ عَلَيْهِ فَيَخْتَرُ .

(٨) الْقَارِصُ : اللَّبَنُ يَحْدَى اللِّسَانَ ، وَالْقُمَارِصُ مِثْلُهُ ، وَفِيهِ إِتْبَاعٌ وَإِشْبَاعٌ . فِيمَا عَدَا ل :

« مَمَارِصًا » تَحْرِيفٌ .

٢٥ (٩) الْخَصْفَةُ ، بِالْتَحْرِيكِ : وَعَاءٌ مِنَ الْخَوْصِ يَكْتَنُ فِيهِ التَّمْرُ ، وَهُوَ جِلَّةُ التَّمْرِ . وَالْخُلَاصَةُ بِالضَّمِّ
وَالْكَسْرِ : السَّمْنُ الْخَالِصُ .

قومٌ رائدًا فقالوا : ما وراءك ؟ قال : « عُشْبٌ وتَعَاشِيبٌ ، وَكَمَاءٌ متفرقة شيبٌ ، تَقْلَعُهَا بِأَخْفَافِهَا النَّيْبُ ^(١) » . فقالوا له : لم تصنع شيئاً ، هذا كذب . فأرسلوا آخر فقالوا : ما وراءك ؟ قال : عُشْبٌ ثَادٌ مَادٌ ^(٢) ، مَوْلَى عَهْدٍ ^(٣) ، متدارك جَعْدٍ ^(٤) ، كَأَفْخَاذِ نِسَاءِ بَنِي سَعْدٍ ، تشبع منه النَّابُ وهى تَعْدُ ^(٥) » .

قال : لَأَنَّ النَّبْتَ إِذَا كَانَ قَلِيلاً وَقَفَتْ عَلَيْهِ الْإِبِلُ ، وَإِذَا كَانَ كَثِيراً أَمَكْنَهَا الْأَكْلُ وهى تَعْدُو .

قال : وبعث رجلٌ أولاده يَرتادون فى يَحْضَبٍ ، فقال أحدهم : « رأيت بَقْلاً وماءً غَيْلاً ، يَسِيلُ سَيْلاً ، وَخُوصَةٌ تَمِيلُ مَيْلاً ^(٦) ، يَحْسِبُهَا الرَّائِدُ لَيْلاً » . وقال الثانى : « رأيت دِيمَةً على دِيمَةٍ ، فى عِهَادٍ غير قديمة ^(٧) ، وكلأٌ تشبع منه النَّابُ قَبْلَ الْفَطِيمَةِ ^(٨) » .

وقال أبو مُجِيبٍ : قِيلَ لَأَوْفَى بنِ عُبَيْدٍ : ايت وادى كذا وكذا فارتدته لنا . فقال : « وجدت به حُشْباً هَرَمَى ^(٩) ، وَعُشْباً شَرَمَ ^(١٠) » .

(١) الشيب : البيض . والنيب : جمع ناب ، وهى الناقة المسنة .

(٢) الثَاد : الندى . والمَاد : اللين الناعم .

(٣) العهد : مطر بعد مطر . والمَوْلَى : الذى سقاه الوَلَى ، وهو المطر بعد مطر .

(٤) الجعد : المجتمع بعضه إلى بعض .

(٥) تعد ، أى تعدو ، حذف الواو للسجع ، والنحاة يأبون حذف الواو والياء من آخر الفعل إلا ما كان فى فاصلة من القرآن أو قافية من الشعر ، قال الله : « والليل إذا يسر » . وأجاز الفراء الحذف فى سعة الكلام لكثرة ما ورد من ذلك . ومنه : « ذلك ما كنا نبغ » . مع الهوامع (٢ : ٢٠٦) .
(٦) الخوصة من نبات الصيف : ما نبت على أرومة .

(٧) العهد : الحديثة من الأمطار ، جمع عهد . وانظر مجالس ثعلب (١ : ٣٤٣) والمخصص

(٩ : ١٢٢) واللسان (٤ : ٣٠٨) .

(٨) ما عدا هـ : « العظيمة » ، تحريف ، صوابه فى المصادر المتقدمة . والناب : المسنة من النوق . وفى اللسان : « فسره ثعلب فقال : معناه هذا النبات قد علا وطال فلا تدركه الصغيرة لطوله ، وبقي منه أسافله فنالته الصغيرة » .

(٩) الخشب ، بالضم وبضممتين وبالتحريك : جمع خشبة . والهرمى : جمع هرم .

(١٠) رمت فى النسخ : « شرمى » وإنما هى مفرد منصوب . انظر اللسان (شرم ٢١٤) حيث أورد النص .

قال : والهَرَمَى : الذى ليس له دُخان إذا أُوقِدَ ، من ييسه وقدمه .
والشَرَمُ ^(١) : العُشب الضخم . يقال : هذا عُشب شَرْمٌ .

وقال هَرِم بن زيد الكلبي : إذا أَحْيَا النَّاسُ قِيلَ : « قد أَكَلَتِ الأَرْضُ ،
واحْرَنْفَشَتِ العِزْرَ لِأَخْتِهَا ، وَلَحَسَ الكَلْبُ الوَضَرَ » .

٣٢٩

قال : واحْرِنْفَاش العِزْر : أن يَنْتَفِشَ شَعْرُهَا ، وَتَنْصِبَ رَوْقُهَا فى أحد
شِقَّيْهَا لَتَنْطَحَ صَاحِبَتُهَا ، وَإِنَّمَا ذَلِكَ مِنَ الأَثَرِ ، حين ازْدَهَيْتِ وَأَعْجَبْتِهَا
نَفْسُهَا ^(٢) . وَلَحَسَ الكَلْبُ الوَضَرَ ، لِمَا يُفْضِلُونَ مِنْهُ ، لِأَنَّهُمْ فى الجَدْبِ
لَا يَدْعُونَ لِلْكَلب شَيْئاً يَلْحَسُهُ .

وقال أبو مجيب : إذا أَجْدَبَ الرَّائِدُ ، قال : « وَجَدْتَ أَيْضاً أَرْمَى ،
وَأَرْضاً عَشْمَى » .

١٠

فَأَمَّا العَشْمَى : فَالَّتِى يُرَى فِيهَا الشَّجَرُ الأَعْشَمُ ، وَإِنَّمَا يَعْشَمُ مِنَ
الهَبْوَةِ . وَيُقَالُ لِلشَّيْخِ : إِنَّمَا هُوَ عَشْمَةٌ ؛ لِاسْتِثْنَائِ جِلْدِهِ ، وَجُفُوفِ رَأْسِهِ ،
وَتَلُوبِ جَسَمِهِ ^(٣) . فَأَمَّا الأَرْمَى فَالَّتِى قَدْ أُرْمَتْ ، فَلَيْسَ فِيهَا أَصْلُ شَجَرٍ .

قال أبو عبيدة : قال بعضُ الأعراب : « تَرَكْتُ جُرَادَ ^(٤) كَأَنَّهَا نَعَامَةٌ
بَارِكَةٌ ^(٥) » ، يَرِيدُ التَّفَافَ نَبْتِهَا . وَهِيَ مِنْ بِلَادِ بَنِي تَمِيمٍ ^(٦) .

١٥

(١) فيما عدل ، هـ : « والشرمى » ، تحريف .

(٢) فيما عدل . « حين ازدهت وأعجبت نفسها » .

(٣) الكلام بعد « عشمه » إلى هنا من ل فقط . وفى اللسان : « ثلب جلده ثلثا إذا تقبض » .

(٤) جراد ، بالضم بوزن غراب ، كما نص ياقوت فى معجم البلدان . وقال : ماء فى ديار بنى تميم .

وأورد الخبر . وبعدها فيما عدل : « عراد » ، وهذه كلمة مقحمة . والخبر فى اللسان (جرد) كذلك .

٢٠

(٥) فى معجم البلدان : « جائمة » .

(٦) فيما عدل : « من نبت بلاد بنى تميم » وكلمة « نبت » مقحمة . هـ : « من نبت بلاد تميم » .

وقيل لأعرابيٍّ : ما وراءك ؟ قال : « حَلَفْتُ أرضاً تَظَالُمُ مِعْزَاهَا ^(١) »
يقول : سمت وأُشِيرت فتظالمت .

وتقول العرب : « ليس أظلم من حَيَّةٍ » وتقول : « هو أظلم من وَرَلٍ » ،
و « أظلم من ذئبٍ » ، كما تقول : « أغدر من ذئبٍ » ، وكما يقولون : « أكسب
من ذئبٍ » . قال الأسدى ^(٢) :

لعمرك لو أئى أخاصمُ حَيَّةٍ إلى فقعسٍ ما أنصفتنى فقعسُ ^(٣)
إذا قلتُ ماتَ الذَّاءُ بينى وبينهم أئى حاطبٌ منهم لآخر يقبسُ ^(٤)
فما لكم طُلُسا إلى كأنكم ذئابُ العَصَى والذئبُ بالليل أطلسُ ^(٥)

وقال الفَرَارَى ^(٦) :

ولو أخاصمُ أفعى نابها لثقُ أو الأساودَ من صمَّ الأهاضيبِ ^(٧)
أو لو أخاصمُ ذئبا في أكيلته لجاءنى جمعهم يسعى مع الذئبِ ^(٨)

يقول : بلغ من ظلم قومنا لنا ، أننا لو خاصمنا الذئابَ والحَيَّاتِ ، وبهما
يضربون المثل في الظلم ، لَقَضُوا لهما علينا .

وقالت العرب : « إذا شَبِعَت الدَّقِيقَةُ ، لَحِست الجَلِيلَةُ » . هذا في قَلَّةِ ٣٣٠
العُشْبِ ، إنما تلحسه التَّاقَةُ لِقَلَّتْهُ وَقَصَرَهُ . ١٥

(١) ل : « تتظالم معزاها » .

(٢) هو مضر بن لقيط الأسدى ، كما في الحيوان (٤ : ١٥١) . ونسبه البحرى في حماسه
٣٨٠ إلى عامر بن لقيط الأسدى . وهذه النسبة الأخيرة في محاضرات الراغب (١ : ١٧٤) .

(٣) هو فقعس بن طريف ، أبو حى من قبيلة أسد .

(٤) في الحيوان : « سعى حاطب » .

(٥) الطلس : جمع أطلس ، وهو الذى فى لونه غبرة إلى سواد .

(٦) في الحيوان (٤ : ١٥١) : « وقال حريز بن نشبة العدوى ، لبنى جعفر بن كلاب » .

(٧) لثق : مبتل بما ينطف من السم .

(٨) الأكلة : شاة تُصَبَّ ليصاد بها الذئب ونحوه .

وحدثنا ^(١) أبو زياد الكلابي قال : بعث قومٌ رائداً بعد سنينٍ تتابعت عليهم ، فلما رجع إليهم قالوا له : ما وراءك ؟ قال : « رأيت بَقلاً يَشْبِعُ منه الجملُ البروك ، وَتَشْكُتُ منه النساء ، وَهَمَّ الرجلُ بأخيه ^(٢) » .

أما قوله : « الجمل البروك » فيقول : لو قام قائماً لم يتمكّن منه لِقْصَرِهِ . وأما قوله : « وَتَشْكُتُ منه النساء » فإنه مأخوذ من الشُّكُوة ^(٣) ، وجمع الشُّكُوة شِكَاء .
والشُّكُوة : مَسْكُ السَّخْلَةِ ما دامت تَرْضَع . والشِّكَاءُ أصغر من الوَطَاب . يقول : لم يكثر اللبن بعدُ فِيمَحْضَ في الوَطَاب . وقوله : « وَهَمَّ الرجلُ بأخيه » ، أى هَمَّ أن يدعوه إلى منزله كما كانوا يصنعون في أيام الخِصْب . وقال غيره : الخِصْبُ يدعو إلى طلب الطوائِل ، وغزو الجيران ، وإلى أن يأكل القوىُّ مَنْ هو أضعفُ منه .

وقالوا في الكَلَأ : كَلَأٌ تشبِعُ منه الإبلُ مُعَقَّلَةً ، وكَلَأٌ حَابِسٌ فيه كُمُرْسِلٌ . يقول : مِنْ كَثْرَتِهِ سواءَ عليك أَحْبَسْتَهَا أم أَرْسَلْتَهَا .
ويقولون : « كَلَأٌ يَتَجَعُّ منه كَبْدُ الْمُصْرِمِ ^(٤) » .

وَأَنشُدُ الْبَاهِلِيَّ :

ثَمَ مُطِرْنَا مَطَرَةً رَوِيَهُ فَنَبَّتَ الْبَقْلُ وَلَا رَعِيَهُ ^(٥)

وَأَنشُدُ الْأَصْمَعِيَّ :

١٥

(١) ل : « وحدثني » .

(٢) انظر الخبر في مجالس ثعلب (١ : ٣٥١ - ٣٥٢) .

(٣) ما بعد هذه إلى « ترضع » من ل فقط .

(٤) المصرم : القليل المال ، أصرم إصراماً ، إذا ساءت حاله . يتجعج : يلحقها الوجع ، يقال بفتح التاء وكسرها أيضاً . كما يقال توجع وتاجع . ل : « تنجع » ، وفيما عدل : « يتجمع » ، صوابهما ما أثبت من المقاييس واللسان (صرم ٢٣١) . قال : « أى إنه كثير فإذا رآه القليل المال تأسف ألا تكون له إبل كثيرة يربعها فيه » .

(٥) الرعية : الماشية الراعية . والبيتان في اللسان (رعى) . ونسب الرجز في الأغاني (١١ : ١٤٧) وإعراب ثلاثين سورة لابن خالويه ١٤٩ إلى العجير السلولى ، يقوله لنافع بن علقمة الكناني ، وقبله فيهما :

يا نافع يا أكرم البريه والله لا أكذبك العشية

٢٥

إنا لقينا سنة قسيه

فَجُنِبَتِ الْجِيُوشُ أَبَا زُنَيْبٍ وَجَادَ عَلَى مَسَارْحِكَ السَّحَابُ (١)

يجوز أن يكون دعا عليه ، ويجوز أن يكون دعا له (٢) . وقال الآخر :
أمرعت الأرض ، لو أن مالا لو أن ثوقاً لك أو جمالاً
أو ثلة من غنم إما لا (٣)

وقال ابن الأعرابي : سأل الحجاج رجلاً قديماً من الحجاز عن المطر ،
فقال : تابعت علينا الأسمية (٤) حتى منعت السقار (٥) ، وظلمت المعزى (٦) ،
واحتلت الدرّة بالجرة (٧) .

لقيط (٨) ، قال : دخل رجل على الحجاج فسأله عن المطر ، فقال :
ما أصابني من مطر ، ولكنني سمعتُ رائداً يقول : « هلمّ أظعنكم إلى محلّة تطفأ
فيها الثيران ، وتتنافس فيها المعزى ، وتبقى بها الجرة حتى تنزل الدرّة » .

أبو زيد ، قال : تخصّمت امرأتان إلى ابنة الحُسّ في مراعى أبويهما ، فقالت

(١) البيت في اللسان (زنب) ومعاني الشعر للأشناداني ١٠٨ والعمدة (٢ : ١٥٢) . وفي
اللسان أن « زنب » تصغير زنب بعد الترخيم . وروايته في العمدة : « تحنك الجيوش أبا خبيب » .
(٢) فيما عدل ، هـ : « دعاء » في الموضعين . وفي العمدة : « إن دعا له فإنما أراد أن يعاقب من
الجيوش ، وأن يجوده السحاب فتخصب أرضه . وإن دعا عليه قال : لا يبقى لك خير تطمع فيه الجيوش ،
فهى تتجنب ديارك لعلهم بقلة الخير عندك ، ويدعو على محله بأن تدرسها الأمطار . وقال غيره : معناه
جاد على محلتك السحاب فأخصبت ولا ماشية لك ، فذلك أشد لهلك وغمك »
(٣) أى إما لا يكن لك نوق أو جمال . وهذا الشطر ساقط من هـ .
(٤) الأسمية : جمع سماء ، وهو المطر .

(٥) السفار : جمع سافر ، وهو المسافر . وليس للمسافر فعل . والسفار ، وردت هكذا في الأصل
واللسان (٥ : ٢٠٠) واخصص (١٠ : ١٨٢) . وفي مجالس ثعلب (١ : ٣٣٩) وصفة السحاب ص ٣٧
ليد : « فغيبت الشفار » ، وقال ابن دريد : « قوله غيبت الشفار ، يريد أخصبت الناس ولم يذبحوا الغنم والإبل » .
(٦) انظر ما سبق في ص ١٦٠ س ١ فيما عدل ، هـ : « وظلمت » تحريف .

(٧) في اللسان فقط : « واجتلبت » بالجم . وقال : « اجتلاب الدرّة بالجرة : أن المواشى تتملأ ثم
تترك أو تربض ، فلا تزال تجتر إلى حين الحلب » .

(٨) لقيط بن بكر المحاربي المتوفى سنة ١٩٠ . فهرست ابن النديم ١٣٨ .

الأولى : إبل أنى ترعى الإسليح ^(١) . فقالت ابنة الحُس : رِغوةٌ وصَرِيح ، وسَنَامٌ
إطريخ ^(٢) . وقالت الأخرى : مَرعى إبل أنى الحَلَّة . قالت ابنة الحُس : سريعة
الدَّرَّة والجِرَّة .

- وقال الأحوص بن جعفر ^(٣) بعد ما كان كَبِيرَ وَعَمِي ، وبنوه يَسُوقُونَ به :
- أى شئ تترعى الإبل ؟ قالوا : عَرَفَ الثَّام والضَّعَّة ^(٤) ، قال : سُوَقُوا . ثم إنَّها
- عادت فازت بمكان آخر ، فقال : أى شئ تترعى الإبل ؟ قالوا : العِضَاهُ
والقِضَّة ^(٥) . قال : عودٌ عَوِيد ^(٦) ، شَبَّعٌ بعيد . وقال : سُوَقُوا . حتَّى إذا بَلَغُوا
بلداً آخَرَ قال : أى شئ تترعى الإبل ؟ قالوا : نَصِيًّا وصَلِيَّاناً . قال : مَكْفَتَةٌ
لُرْغَاها ^(٧) ، مَطْوَلَةٌ لُدْرَاها ، ارْعُوا واشبعوا . ثم سألهم فقال : أى شئ تترعى
الإبل ؟ فقالوا : الرَّمْث . قال : حُلِقَتْ منه وُحِلِقَ منها ^(٨) .
- قال أبو صاعد الكلابي : وزعم الناس أن أوَّلَ ما حُلِقَتْ الإبل حُلِقَتْ
من الرَّمْث . وعلامة ذلك أنك لا ترى دَابَّةً تريده إلا الإبل .
- قال : وقيل للرُّوية : ما وراءك ؟ قال : الترى يابس ، والمرعى عابس .

- (١) الإسليح : بقلة من أحرار البقول تنبت في الشتاء ، تسلح الإبل إذا استكثرت منها .
- (٢) الخبر إلى هنا في اللسان (سلح ، طرح) مع بعض نقص . والإطريخ : الذى طال ثم مال في
- أحد شقيه .
- (٣) الأحوص ، بالخاء المهملة . وفي الاشتقاق ١٨٠ : « ومنهم - أى من بنى جعفر بن كلاب -
الأحوص بن جعفر بن كلاب ، كان سيداً ، وهو الذى هجاه الأعشى فقال :
- أتانى وعبد الحوص من آل جعفر
فيا عبد عمرو لو نبيت الأحوصا
- والحوص : ضيق العين » . فيما عدل : « الأحوص » تحريف .
- (٤) كلمة « غرف » ساقطه من ل . وفيما عدا هـ : « عرف » تصحيف . والغرف : الثام مادام
- أخضر . والضعة : شجر ضعيف مثل الثام . وقد اضطرب اللغويون في اشتقاقه من وضع أو وضعوا .
- (٥) القِضَّة ، بكسر القاف وتخفيف الضاد : نبتة سهلة . ومادتها (قضى) . ل : « العضة »
تحريف ، فإن هذه واحدة العضاه .
- (٦) ل : « عود عود » .
- (٧) مكفنة لرغاهها ، أى تمنعها من الرغاء . فيما عدل : « مكفنة لرعائها » ، تحريف .
- (٨) أى من إقبالها عليه ومحبتها فيه ، كما في حواشى هـ .

قال : وقالت امرأة من الأعراب : أصبحنا ما ترقُد لنا فرس ، ولا ينام لنا حرس .
قالوا : كان أبو الحبيب كثيراً ما يقول : لا أرى امرأة تُصبر عينيها ^(١) ،
ولا شريفاً يهنأ بغيراً ^(٢) ، ولا امرأة تلبس نطاقاً يَمَنَّة ^(٣) .

وَحَطَبَ بلالُ بن أبي بُردة بالبصرة ، فعرف أنَّهم قد استحسِنوا كلامه ،
فقال : « أَيُّهَا النَّاسُ لَا يَمْنَعَنَّكُمْ سُوءُ مَا تَعْلَمُونَ مِنَّا أَنْ تَقْبَلُوا أَحْسَنَ مَا تَسْمَعُونَ مِنَّا » .

وقال عمر بن عبد العزيز : ما قومٌ أشَبَّهَ بالسلف من الأعراب ، لولا جفاءٌ فيهم .

وقال غيلان أبو مروان ^(٤) : إذا أردت أن تتعلَّم الدعاء ، فاسمع دعاء
الأعراب .

وقال رجل من بنى سُليم ، وسأله الحجاج عن المطر فقال : أصابتنا
سحائبُ ثلاث : سحابةٌ بحوران ^(٥) بقطرٍ صغار وقطر كبار ، فكان الصغار للكبار
لُحْمَةً . ثم أصابتنا الثانية بسوء ^(٦) فلبدت الدَّمَات ^(٧) ودَحَضَت العِزَّاز ^(٨)
وصدعت الكمأة عن أماكنها . ثم أصابتنا الثالثة بالقرينتين ^(٩) فملاّت

(١) في اللسان (ديم) : « ودمت المرأة ما حول عينيها تدمه دما ، إذا طلته بصير أو زعفران » .
وسَيَأَى الخير في (٣ : ١٦٤) . وأنشد السيوطي في المزهَر (٢ : ٣٢٩) .

• صهصلق الصوت بعينيها الضير •

(٢) هنا البعير ، طلاه بالهاء ، وهو بالكسر : القطران .

(٣) الجنة ، بالضم والفتح : ضرب من برود الجن . والنطاق : شبه إزار فيه تكة .

(٤) سبقت ترجمته في (١ : ٢٩٥) . وانظر (٣ : ٢٨١) .

(٥) حوران ، بالفتح : كورة واسعة من أعمال دمشق .

(٦) سوء ، بالضم : ماء لِهراء من ناحية السماوة . وأصله بالقصر كما في معجم البلدان .

(٧) الدَّمَات : السهول من الأرض ، واحدها دمث ، بالفتح .

(٨) العِزَّاز ، كسحاب : ماغلظ من الأرض وأسرع سيل مطره . دحضته : جعلته مزلقة . فيما

عدا ل : « رحضت » . والرحض : الغسل .

(٩) القرينتان : هما قرية عبد الله بن عامر بن كريكز ، وجعفر بن سليمان ، قرينتان من النجاج ، في

طريق مكة من البصرة . هـ : « بالقرينين » .

الإخاذ^(١) ، وأفعمت كل واد ، وأقبلنا في ماءٍ يجرُّ الضبع ويستخرجها من وجارها^(٢) .

وقال رجل من بنى أسد لمحمد بن مروان وسأله عن المطر فقال : ظهر الإعصار ، وكثر الغبار ، وأكل ما أشرف من الجنة^(٣) وأيقنا أنه عام سنة .

* * *

قال أبو الحسن عتاب^(٤) : عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر^(٥) ، أن الإسكندر كان لا يدخل مدينة إلا هدمها ، وقتل أهلها ، حتى مرَّ بمدينة كان مؤدبها فيها ، فخرج إليه ، فألفه الإسكندر وأعظمه ، فقال له : « أيها الملك ، إنَّ أحقَّ من زين لك أمرك وواتاك على كل ما هويت لأنا ، وإن أهل هذه المدينة قد طمعوا فيك لمكانى منك ، وأحبُّ ألا تشفعنى فيهم ؛ وأن تخالفنى في كل ما سألتك لهم » . فأعطاه الإسكندر من ذلك ما لا يقدر على الرجوع عنه . فلما توثق منه قال : « فإن حاجتى أن تدخلها وتخربها وتقتل أهلها » . فقال الإسكندر : ليس إلى ذلك سبيل ، ولابد من مخالفتك .

١٥

* * *

وقال على بن أبى طالب رضى الله عنه : « أفضل العبادة الصمت ، وانتظار الفرج^(٦) » .

(١) الإخاذ ، بالكسر : جمع إخذ وإخذه ، وهو ما حفرته كهية الحوض . ما عدا : هـ : « الأحاد » تحريف .

(٢) الوجار ، بفتح الواو وكسرهما : جحر الضبع .

(٣) الجنة ، بالفتح : ما فوق البقل ودون الشجر .

(٤) هو أبو الحسن عتاب بن بشير الجزرى ، ذكره ابن حبان في ثقات أهل الحديث . توفى سنة

١٩٠ . تهذيب التهذيب . هـ : « أبو الحسن بن غياث بن عبد الرحمن بن يزيد » .

(٥) هو أبو عتبة الشامى عبد الرحمن بن يزيد بن جابر ، روى عن مكحول والزهرى وعطاء

وغيرهم . نزل البصرة ثم تحوّل إلى دمشق . توفى سنة ١٥٤ . تهذيب التهذيب .

(٦) سيعاد الخير فى (٣ : ٢٦٠) .

وقال يزيد بن المهلب ، وقد طال عليه حبسُ الحجاج : والهفاه على فرج
في جبهة أسد ، وطلية^(١) بمائة ألف .

وقال الأصمعي : دخل دُرُست بن رباط^(٢) الفقيمي ، على بلال بن أبي
بُرْدَة وهو في الحبس ، فعلم بلال أنه شامت به ، فقال : ما يسرني بنصيبى من
المكروه حُمُر النعم^(٣) . فقال دُرُست : فقد أكثر الله لك منه .

قال الهيثم بن عدى : كان سَجَّان يوسف بن عمر يرفع إلى يوسف بن
عمر أسماء الموقى ، فقال له عبد الله بن أبي بُردَة بن أبي موسى الأشعري : اقْبِضْ
هذه العشرة الآلاف الدرهم ، وارفع اسمى في الموقى . قال : فرفع اسمه في الموقى
فقال له يوسف بن عمر : ويحك ، جئنى به . فرجع إليه فأعلمه فقال له : ويحك ، ٣٣٣
اتق الله في ؛ فإنى أخاف القتل . قال : وأنا أيضاً أخاف ما تخاف . ثم قال : قتلك
أهونُ على من قتلى ، ولا بدّ من قتلك . فوضع على وجهه مخدّةً فذهبت نفسه مع المال .
وأما عبد الله بن المقفع فإنّ صاحب الاستخراج لما ألح عليه في العذاب^(٤) ،

(١) ما عدال ، هـ والتمورية : « وطلبة » بالباء ، تحريف . وانظر ماسبق من التحقيق في (١) :
(٢٩٧) وما سياتى في (٣ : ٢٦٠) .

(٢) هـ : « رباط » .

١٥

(٣) النعم ، أكثر ما يطلق على الإبل . وفي اللسان (٥ : ٢٨٨) : « والعرب تقول : خير الإبل
حمرها وصهبها . ومنه قول بعضهم : ما أحب أن لى بمعاريض الكلم حمر النعم » . ومن ذلك قول رسول
الله : « لقد شهدت في دار عبد الله بن جدعان حلفاً ما أحب أن لى به حمر النعم » ، إشارة إلى حلف
الفضول . انظر السيرة ٨٦ جوتنجن ، والحيوان (٥ : ١٩٠) وما سبق في (١ : ٣٢٦) .

(٤) صاحب الاستخراج هو الموكل باستصفاء أموال من اتهم باختلاس مال الدولة من الوزراء
والكتاب والولاة وجباة الخراج . وكان يستخدم كل ما لديه من وسائل التعذيب والإرهاق ليستخرج هذه
الأموال . وكان من سبب غضب المنصور على ابن المقفع أن عبد الله بن علي كان قد لجأ إلى سليمان بن علي
عامل المنصور على البصرة ، فكتب إليه في طلبه ، فأنكر أن يكون عنده ، ثم طلب الأمان ، وكان الذى تولى كتاب
الأمان ، ابن المقفع ، فأغلظ في العهود والمواثيق ، فكان مما فيه : « فإن أنا فعلت أو دسست فالمسلمون براء
من بيعتى ، وفي حل من الأيمان والعهود التى أخذتها عليهم » . فلما وقف أبو جعفر على هذا قال : من =

٢٠

٢٥

قال لصاحب الاستخراج : أعندك مال وأنا أُرْبِحُكَ ربحاً ترضاه ؟ وقد عَرَفْتَ وفائى وسخائى وكتمائى للسر^(١) ، فعَيَّنِى مقدار هذا النجم^(٢) . فأجابه إلى ذلك ، فلما صار له مالٌ تَرَفَّقَ به مخافة أن يموت تحت العَذَاب فيَتَوَى ماله^(٣) . وقال رجل لعمرو الغزّال : مررت بك البارحة وأنت تقرأ . فقال : لو أخبرتنى أى آية كنت فيها لأخبرتك كم بَقِيَ من الليل .

وسمع مُؤرَّجُ البصري^(٤) رجلاً يقول : أمير المؤمنين يرُدُّ عَلَى المظلوم . فرَجَعَ إلى مصحفه فردَّ على براءة : « بسم الله الرحمن الرحيم » .

وكان عبد الملك بن مروان فى مرضه الذى مات فيه يعطش ، وقيل له : إن شربت الماء مُتَّ . فأقبل ذات يوم بعض العُود^(٥) ، فقال : كيف حال أمير المؤمنين ؟ فقال : أنا صالحٌ والحمد لله . ثم أنشأ يقول :

ومستخبر عنّا يريد بنا الردى ومستخبراتِ والدّموع سواجم^(٦)

ويلكم اسقوني ماءً وإن^(٧) كان فيه تلفُ نفسى . فشرب ثم مات .

وكان حبيب بن مسلمة الفهرى^(٨) رجلاً غَزَّاءً للترك ، فخرج ذات مرّة إلى

= كتبه ؟ فقبل ابن المقفع ، فكان ذلك سبباً للغضب عليه . انظر تاريخ اليعقوبى (٣ : ١٠٤) والطبرى (٩ : ١٨٢) .

(١) كلمة « للسر » ساقطة من هـ .

(٢) عيني ، أى أعطنى . وفى اللسان (١٧ - ١٨٣) : « وما عيننى بشئ ، أى ما أعطانى شيئاً » . والنجم ، أراد به الوظيفة ، يقال نجمت المال : أدبته نجوماً عند انقضاء كل شهر .

(٣) توى يتوى توى : هلك .

(٤) هو أبو فيد مؤرّج بن عمرو السدوسى البصرى ، كان من أعيان أصحاب الخليل وأبى زيد . يقال إن الأصمعى كان يحفظ ثلث اللغة ، والخليل يحفظ ثلثها ، ومؤرّج يحفظ الثلثين . نزّهه الألباء ، وإرشاد الأريب ، وبغية الوعاة .

(٥) العود : جمع عائد . فيما عدل : « العواد » كلاهما صحيح . ويقال فى جمع عائد أيضاً « غود » يفتح العين وسكون الواو .

(٦) فيما عدل : « والعيون سواجم » .

(٧) فيما عدل ، هـ : « ولو » .

(٨) ترجم فى ص ٩٣ من هذا الجزء .

بعض غزواته ، فقالت له امرأته : أين موعذك ؟ قال : سُرَادُقُ الطَّاعِيةِ أو الجنة إن شاء الله . قالت : إني لأرجو أن أُسَبِّقَكَ إلى أيِّ الموضعين كنت به (١) . فجاء فوجدها في سُرَادُقِ الطَّاعِيةِ تقاتل التُّرْك .

ولما مدح الكميثُ بن زيد الأسدِيُّ مَحْلَدُ بنَ يزيد بن المهلب ، فقال له ابنُ بيض (٢) : إِنَّكَ يا أبا المُسْتَهْل (٣) لكجالبِ التمر إلى هَجَر ! قال : نعم ، ولكنَّ ثَمَرَنَا أجودُ من تمرِكَ (٤) .

وكان السيّد الحميري (٥) مُولِعاً بالشَّراب ، فمدح أميراً من أمراء الأهواز (٦) ، ثم صار إليه بمدحِهِ له ، فلم يصلُ إليه . وأَغَبَ الشَّراب ، فلما كان ذات يوم شرب ثم وصل إليه ، فجلس من بُعد ، فقربه وشم منه ريح الشَّراب (٧) . فقال : ما كنت أظن أبا هاشم يفعل هذا ، ولكنَّ يُحْتَمَلُ لما دح رسول الله ﷺ أكثر من هذا - يُمازحه - ثم قال : يا جارية هُلِّمِي الدَّوَاء . ثم كتب إلى بعض وكلائه : ادفع إلى أبي هاشم مائتي دَورق مَيْيَحْتَجَا (٨) . فقال

(١) ل : « أحد الموضعين كنت فيه » .

(٢) هو حمزة بن بيض ، ترجم في (١ : ٢٦٩) .

(٣) أبو المستهل : كنية الكميث بن زيد . انظر معجم المرزبانى ٢٤٨ .

(٤) مما هو جدير بالذكر أن أبا الفرج في الأغاني (١٥ : ١٥) قد روى خبراً نقيض هذا ، فيه

مدح حمزة بن بيض ، مخلد بن يزيد ، فحسده الكميث وقال له : يا حمزة ، أنت كمن يهدى التمر إلى هجر !

(٥) السيد لقبه ، واسمه إسماعيل بن محمد بن يزيد بن ربيعة بن مفرغ الحميرى . وقد عرف بتشيعه ،

وكان يذهب مذهب الكيسانية ويقول بإمامة محمد بن الحنفية . وفيه يقول الأصمعى : « والله لولا ما فى شعره من

سب السلف لما تقدمه من طبقته أحد » . عاش إلى خلافة هارون ومات في أيامه . الأغاني (٧ : ٢ - ٢٣) .

(٦) هو أبو بجير بن سمالك الأسدى . الأغاني (٧ : ٢٢) .

(٧) ل : « رائحة الشراب » .

(٨) كلمة فارسية مركبة من « مئى » بمعنى النبيذ ، كما ذكر أبو الفرج في (٧ : ٢٢) حيث أورد

القصة . و « بَحْتَج » هى « يَحْتَج » الفارسية ، بمعنى مطبوخ . والعرب يبدلون الهاء فى آخر الكلمات

الفارسية جيما . فيما عدل ل : « مينحتجا » ، تحريف .

السيد : لقد كنت أظنُّ الأميرَ أبلغَ ما هو ^(١) . قال : وأيّ شيءٍ رأيتَ من
البعيِّ ؟ قال جَمْعُكَ بين حرفين وأنت تجتزئ بأحدهما ، أمحُ هذه الخبيثة ^(٢)
« بَحْتَجاً » ودع « مياً » على حالها . ففعل ، وحَمَلَ الكتاب فأخذها عبيطاً ^(٣) .

عبد الله بن فائد ^(٤) قال : قالت امرأة الحُضَيْن بن المنذر للحُضَيْن ^(٥) : كيف
سُدَّتْ قَوْمَكَ وأنت بخيل وأنت دَمِيم ؟ قال : لأئني سديد الرَّأْي ، شديد الإقدام .
قال : وقال مَسْلَمَةُ بن عبد الملك لهشام بن عبد الملك : كيف تطمع في
الخلافة وأنت بخيل وأنت جَبَان ؟ قال : لأئني حلِيمٌ وأئني عفيف .

* * *

وقال زَبَّانُ ^(٦) :

١٠. إِنَّ بَنِي بَدْرِ يَرِيعُ جُوفُ ^(٧) كُلِّ خَطِيبٍ مِنْهُمْ مُؤَوَّفُ ^(٨)
أَهْوَجُ لَا يَنْفَعُهُ التَّثْقِيفُ

وقال لبيد بن ربيعة :

-
- (١) ل : « أرى الأميرَ أبلغَ ما هو » . وفي الأغاني : « ليس هذا من البلاغة . قال : وما هي ؟ قال :
البلاغة أن تأتي من الكلام بما يحتاج إليه وتدع ما يستغنى عنه » .
- ١٥ (٢) التيمورية : « الخبيثة » ، ب ، ح : « الخبيثة » ، محرفان عما أثبت من ل ، هـ .
- (٣) أي نبذا عبيطاً لم يطبخ ولم ينضج ، يقال لحم ودم عبيط ، أي طرى لم ينضج . فيما عدل ،
هـ : « غبيطاً » بالغين المعجمة ، تحريف .
- (٤) له رواية في الحيوان (١ : ٣٠١ / ٦ : ٢١٠) .
- (٥) هو الحُضَيْن بن المنذر بن الحارث بن ولة الرقاشي ، أحد بني رقاش ، فارس شاعر ، وكان
٢٠ معه راية على ، يوم صفين ، دفعها إليه وهو ابن تسع عشرة سنة . وفيه يقول على :
- لَمِنْ رَايَةِ سَوْدَاءِ يَخْفِقُ ظِلُّهَا إِذَا قِيلَ قَدَمَاهَا حُضَيْنٌ تَقْدَمَا
- وكان حُضَيْنٌ من كبار التابعين ، مات على رأس المائة . المؤتلف ٨٧ وتهذيب التهذيب (٢ : ٣٩٥)
والخزانة (٢ : ٨٩ - ٩٠) والقاموس (حُضْن) . ما عدا هـ : « الحُصَيْن » بالصاد المهملة ، تحريف .
- (٦) زَبَّان بن سيار الفزاري ، سبقت ترجمته في (١ : ٤) .
- (٧) اليراع : القصب ، واحدته يراعة . جوف : جمع أجوف وجوفاء .
- ٢٥ (٨) مؤَوَّف : به آفة .

وأبيض يجتاب الخروق على الوجي خطيباً إذا التف الجامع فاصلاً^(١)
 وقال^(٢) في تفصيل العلم والخطابة ، وفي مدح الإنصاف ، وذم الشعب :
 ولقد بلوثك وابتليت خليقتي ولقد كفاك معلّمى تعلّمنى
 وقال ليبد :

ذهب الذين يُعاش في أكنافهم وبقيت في خلف كجلد الأجر
 يتأكلون مقالة وخيانة ويُعاب قائلهم وإن لم يشعب^(٣)
 وقال زيد بن جندب :

ما كان أغنى رجلاً ضلّ سعيهم عن الجدال وأغناهم عن الخطب^(٤)
 وقال لقيط بن زرار :
 ١٠

إني إذا عاقبت ذو عقاب وإن تشاغبتني فذو شغاب^(٥)
 وقال ابن أحرر :

وكم حلّها من تيحان سميدع مصافى الندى ساق يهماء مطعم^(٦)
 طوى البطن متلاف إذا هبت الصبا على الأمر غواص ، وفي الحى شيطيم
 وقال آخر :

وأغر منخرق القميص سميدع يدعو ليغزو ظالماً فيجاب^(٧) ١٥

(١) يجتاب . يقطع . والخروق : جمع خرق ، وهو الفلاة تنخرق فيها الرياح . على الوجي ، أى مع وجى ناقته . والوجي : الحفا . ل ، هـ : « فيصلا » ، تحريف ؛ فإن البيت من قصيدة في ديوانه ١٧ - ٢٧ قافيتها مؤسسة ، أولها :

كبيشة حلت بعد عهدك عاقلا وكانت به تحبلا على النأى خابلا

(٢) أى ليبد . والبيت التالى سبق مع أبيات له في (١ : ٢٦٧) .

(٣) البيتان سبقا في (١ : ٢٦٧) .

(٤) انظر ماتقدم من رواية هذا البيت في (٢ : ٤٢ ، ٢٦٧) .

(٥) سبق الرجز في (١ : ٢٦٧) بدون نسبة .

(٦) فيما عدل : « سار يهماء » . والبيتان سبقا في (١ : ٢٦٨) .

(٧) السميدع : الشجاع . يمدحه بأنه قادر على الظلم .

قد مَدَّ أُرْسَانُ الجِيَادِ مِنَ الْوَجَى
وقال آخر :

كَرِيمٌ يَغْضُ الطَّرْفَ عِنْدَ حَيَاتِهِ
وَكَالسَّيْفِ إِنْ لَا يَنْتَهُ لَأَنْ مَتْنَهُ
وَيَدُنُو وَأَطْرَافُ الرَّمَاحِ دَوَانُ (٢)
وَحَدَاهُ إِنْ خَاشَتْنَهُ حَشِينَانِ (٣)

وقال آخر :

يَقْطَعُ طَرْفَهُ عَنِّي سَوِيدٌ
تَوَقَّ حِدَادَ شَوْكِ الْأَرْضِ تَسْلَمُ
وَلَمْ أَذْكَرْ بَسِيَّةَ سُودَا (٤)
وَعَبِيرَ الْأَسَدِ فَاتَّخَذَنَ صَيْدَا (٥)

وقال آخر :

لَا تَحْسِبَنَّ الْمَوْتَ مَوْتَ الْبَلَى
كَلَاهُمَا مَوْتُ وَلَكِنْ ذَا
فَإِنَّمَا الْمَوْتُ سُؤَالُ الرِّجَالِ
أَشَدُّ مِنْ ذَاكَ لَدَلِ السُّؤَالِ (٦)

وللحسين بن مطير :

رَأَتْ رَجُلًا أَوْدَى بِوَافِرِ لَحْمِهِ
خَفِيفَ الْحَشَا، ضَرْبًا، كَأَنَّ ثِيَابَهُ
فَقُلْتُ لَهَا : لَا تَعْجِزِي فَإِنِّي
أَرَى سِمْنَ الْفَتَيَانِ إِحْدَى الْمَشَاتِمِ
عَلَى قَاطِعٍ مِنْ جَوْهَرِ الْهِنْدِ صَارِمِ (٧)

وكان عمر بن الخطاب ، رحمه الله ، إذا رأى عبد الله بن عباس يقول في
الأمر يعرض من جلّة أصحاب رسول الله ﷺ ، يقول : « غَضَّ غَوَاصُّ » .
وقال ابنُ أحرر :

هَلْ لَامَنِي قَوْمٌ لِمَوْقِفِ سَائِلٍ
أَوْ فِي مَخَاصِمَةِ اللَّجُوجِ الْأَصِيدِ (٨)

(١) الرسن : ما يوضع على مرسن الفرس ، وهو أنفه . والطنب : الحبل .

(٢) عند حياته ، أى عند ما يستوجب الحياة . وفي الحماسة (٢ : ٢٧٩) : « فضل حياته » .

فيما عدل ، هـ : « خيانة » تحريف .

(٣) في الحماسة : « لأن مسه » .

(٤) يقطع نظره تقطيعا ، لشدة عداوته .

(٥) ما بعد هذا إلى كلمة « المشاتم » من ل ، هـ فقط . وفي حواشي هـ : « ليست من الأصل ،

وإنما هي حاشية في بعض الكتب » .

(٦) البيتان في الحيوان (٣ : ١٣١) مع تعليق للجاحظ .

(٧) الضرب : الرجل الخفيف اللحم . جوهر الهند ، أى حديد الهند .

(٨) سبق هذا البيت في (١ : ٢٦٨) بدون نسبة .

وقال ليُّد بن ربيعة في التطبيق على قوله :
يا هَرِمَ بنَ الأَكْرَمِينَ مَنْصِبًا إِنَّكَ قَدْ أُوتِيتَ حُكْمًا مُعْجِبًا
فَطَبِّقِ الْمَفْصِلَ وَاغْنَمِ طَبِّيًا

وقال آخر :

فلما أن بَدَأَ القَعْقَاعَ لَجَّتْ على شَرِكِ ثُنَائِقِلِهِ نِقَالًا
تعاوَزْنَ الحديثَ وطَبَّقَتْهُ كما طَبَّقَتْ بالتَّعَلُّ المِثَالًا (١)
وقال ابن أحرر :

لو كُنْتُ ذا عِلْمٍ عَلِمْتُ وَكَيْفَ لِي بِالْعِلْمِ بَعْدَ تَدْبِيرِ الْأَمْرِ (٢)
وقال :

لَيْسَتْ بِشَوْشَاةِ الْحَدِيثِ وَلَا فُتْقٍ مَغَالِيَةٍ عَلَى الْأَمْرِ (٣)
وقال :

تَضَعُ الْحَدِيثَ عَلَى مَوَاضِعِهِ وَكَلَامُهَا مِنْ بَعْدِهِ تَزُرُّ (٤)
وقال :

وَحَصِمٌ مُضِلٌّ فِي الضَّجَّاجِ تَرَكْتُهُ وَقَدْ كَانَ ذَا شَعْبٍ فَوَلَّى مُوَاتِيَا (٥)
وذكر على بن أبي طالب ، رحمه الله ، أَكْتَلَ بنَ شَمَّاخِ الْعُكْلَى (٦) ، فقال :
« الصَّبِيحُ الْفَصِيحُ (٧) » . وهو أَوَّلُ مَنْ اتَّخَذَ بَيْتَ مَالٍ لِنَفْسِهِ فِي دَارِهِ .

(١) سبقا في (١ : ٢٦٨) . أراد كما طبقت النعل بالمثال ، فقلب الكلام .

(٢) سبق في (١ : ٥ ، ٢٦٨) .

(٣) الشوشاة : الخفيفة السريعة . والفتق ، بضمين : المتفتقة بالكلام . والبيت في اللسان (فتق)

مع نسبته إلى ابن أحرر أيضا .

(٤) سبق في (١ : ٢٧٦) .

(٥) فيما عدل ، هـ : « مواتيا » تحريف .

(٦) هو أَكْتَلَ بنَ شَمَّاخِ بنَ زَيْدِ بنِ شَدَادِ الْعُكْلَى ، شهد الجسر مع أبي عبيدة ، وأسر يومئذ

مردشاه وضرب عنقه ، وشهد القادسية . الإصابة ٤٨١ .

(٧) في الإصابة : « كان على بن أبي طالب إذا نظر إلى أَكْتَلَ قال : من أحب أن ينظر إلى الصبيح

الفصيح فلينظر إلى أَكْتَلَ » .

عبد الله بن المبارك ، عن مَعْمَر ^(١) عن الحسن عن النبي ﷺ قال :
« سيكون بعدى أمراء يُعْطَوْنَ الحكمةَ على منابرهم وقلوبهم أنتنُ من الجيف » .

جعفر بن سليمان الضُّبَعِيُّ ^(٢) ، عن مالك بن دينار ، قال : غدوت إلى
الجمعة ، فجلست قريباً من الجنبر ، فصعد الحجاج المنبر ، ثم قال : امرأ زور
عمله ، امرأ حاسب نفسه ، امرأ فكر فيما يقرؤه في صحيفته ويراه في ميزانه ، امرأ
كان عند قلبه زاجرا ، وعند همه ذاكرا ، امرأ أخذ بعنان قلبه ^(٣) كما يأخذ الرجل
بخطام جملبه ، فإن قاده إلى طاعه الله تبعه ^(٤) وإن قاده إلى معصية الله كفه ^(٥) .

وبعث عدئي بن أرطاة إلى المهالبة أبا المليح الهذلي ، وعبد الله بن عبد الله
ابن الأهم ، والحسن البصري ، فتكلم الحسن فقال عبد الله : والله ما تتميت
كلاماً قط أحفظه إلا كلام الحسن يومئذ .

قال : وتنقص ابن لعبد الله بن عروة بن الزبير علياً رحمه الله ، فقال له
أبوه : والله ما بنى الناس شيئاً قط إلا هدمه الدين ، ولا بنى الدين شيئاً
فاستطاعت الدنيا هدمه ، ألم تر إلى علي كيف يُظهَرُ ^(٦) بنو مروان من عيبه
وذمه ؟ والله لكأنما يأخذون بناصيته رفعاً إلى السماء . وما ترى ^(٧) ما يندبون به

(١) هو معمَر بن راشد الأزدي الخداني البصري ، وكان يروى عن قتادة عن الحسن البصري .
وقال : « طلبت العلم سنة مات الحسن » . توفي في رمضان سنة ١٥٣ . تهذيب التهذيب وتذكرة الحفاظ
(١ : ١٧٨) .

(٢) هو أبو سليمان جعفر بن سليمان الضُّبَعِيُّ البصري ، روى عن مالك بن دينار وابن الجريج
وعطاء بن السائب . وكان من المتشيعين . توفي سنة ١٧٨ . تهذيب التهذيب .
(٣) ل : « عمله » .

(٤) فيما عدا ل : « قبله وتبعه » .

(٥) الخطبة في عيون الأخبار (٢ : ٢٥١) والعقد (٤ : ١١٧) وابن أبي الحديد (١ :

١٥٠) . وأولها فيما عدا عيون الأخبار : « امرؤ » بالرفع .

(٦) ل : « تظهر » ، وهي صحيحة أيضاً . وفي القرآن الكريم : (إلا الذي آمنَ به بنو إسرائيل) .

(٧) هـ : « وترى » .

موتاهم من التأين والمديح ؟ والله لكأئما يكشفون عن الجيف .

أبو الحسن قال : قال عبد الله بن الحسن ، لابنه محمد ، حين أراد الاستخفاء (١) :

- « أَيْ بُنَيَّ ، إِنْ مَوَدَّ إِلَيْكَ حَقُّ اللَّهِ فِي حُسْنِ تَأْدِيكَ ، فَأَدِّ إِلَى حَقِّ اللَّهِ فِي ٣٣٧
حَسَنِ الِاسْتِمَاعِ . أَيْ بُنَيَّ ، كُفِّ الْأَذَى ، وَارْفُضِ الْبَدَا ، وَاسْتَعِنْ عَلَى الْكَلَامِ (٢) ٥
بَطُولِ الْفِكْرِ فِي الْمَوَاطِنِ الَّتِي تَدْعُوكَ فِيهَا نَفْسُكَ إِلَى الْقَوْلِ ؛ فَإِنْ لِلْقَوْلِ سَاعَاتٍ
يُضُرُّ فِيهَا خَطَاؤُهُ ، وَلَا يَنْفَعُ صَوَابُهُ . احْذَرْ مَشُورَةَ الْجَاهِلِ وَإِنْ كَانَ نَاصِحاً ، كَمَا
تَحْذَرُ مَشُورَةَ الْعَاقِلِ إِذَا كَانَ غَاشِئاً ، فَإِنَّهُ يُوْشِكُ أَنْ يُوْرَطَاكَ بِمَشُورَتَيْهِمَا (٣) ،
فَيَسْبِقَ إِلَيْكَ مَكْرُ الْعَاقِلِ وَتَوْرِيطُ الْجَاهِلِ » ١٠ .

وكان يقال : من لانت كلمته وجبت محبته ، ومن طال صمته اجتلب من
الهيبة ما ينفعه ، ومن الوحشة ما لا يضره .

(١) انظر ما سبق في (١ : ٣٣٢) .

(٢) فيما عدل : « واستغن عن الكلام » ، تحريف ، صوابه في ل .

(٣) ل : « فإنه يوشك أن يورطك بمشورته » .

باب

أن يقول كل إنسان على قدر خلقه وطبعه

قال قتيبة بن مسلم ، لَحْصَيْنِ بن المنذر ^(١) : ما السرور ؟ قال : امرأة حسناء ، ودار قوراء ^(٢) وفرس مرتبّط بالفناء .

وقيل لِضَرَّارِ بن الحَصِينِ ^(٣) : ما السرور ؟ قال : لواء منشور ، وجُلوسٌ على السرير ، والسلامُ عليك أيها الأمير .

وقيل لعبد الملك بن صالح : ما السرور ؟ قال :

كُلُّ الكرامةِ نلتُها إِلَّا التَّحِيَّةَ بِالسَّلَامِ

وقيل لعبد الله بن الأهم : ما السرور ؟ قال : رفع الأولياء ، وخطُّ الأعداء ، وطولُ البقاء ، مع القدرة والثماء ^(٤) .

وقيل للفضل بن سهل : ما السرور ؟ قال : توقيعٌ جائز ^(٥) ، وأمرٌ نافذ .

أبو الحسن المدائني قال : قيل لإنسان بحريٍّ : أيُّ شيءٍ تَمَنَّى ؟ قال : شربةً من ماء الفِئطاس ^(٦) ، والتَّوَمُ في ظلِّ الشراع ، وريحاً دُنبَداً ^(٧) .

وقيل لطفيل : كم اثنان في اثنين ^(٨) ؟ قال : أربعة أرغفة .

وقال الفلاس القاص : كان أصحابُ رسول الله ﷺ يوم بدرٍ ثلاثمائة وستين درهماً .

(١) سبقت ترجمته في ص ١٦٩ . ل : « لَحْصَيْنِ » . ما عدال : « للحصين » صوابهما من هـ .

(٢) دار قوراء : واسعة الجوف .

(٣) سبق الخبر بدون نسبة في (١ : ٢٨٦) .

(٤) فيما عدال : « مع القدرة على الثماء » ، تحريف .

(٥) جائز ، أي يجوز وينفذ .

(٦) فِئطاس السفينة : حوضها الذي يجتمع فيه نشافة الماء .

(٧) كلمة فارسية معناها « الريح التي تهب من خلف » كما كتب في حاشية هـ والتيمورية . مركبة

من : « دُنْبَةٌ » بمعنى الذيل ، و « داد » بمعنى المعطى .

(٨) فيما عدال ، هـ : « اثنين في اثنين » ، تحريف . وفي ل : « كم اثنين » والوجه من هـ .

وقلت للملاح لي ، وذلك بعد العصر في رمضان : انظر كم بين عين الشمس وبين موضع غروبها من الأرض ؟ قال : أكثر من مُرْدِيَّين ونصف .

وقال آخر : وقع علينا اللصوص ، فأوّل رجل داخل دخل علينا السفينة كان في طول هذا المُردى^(١) ، وكانت فخذُه أغلظ من هذا السُّكّان ، واسودّ ٣٣٨ صاحب السفينة حتّى صار أشدّ سواداً من هذا القير .

وأردت الصَّعود مرّة في بعض القناطر ، وشيخٌ ملاح جالس ، وكان يوم مطرٍ ورزقي ، فزلّقي حمارى فكاد يُلقيني لجنبي ، لكنّه تماسك فأقعى على عجزه . فقال الشيخ الملاح : لا إله إلا الله ، ما أحسن ما جلس على كوثله^(٢) .

ومررت بتلّ طينٍ أحمر ومعى أبو الحسين النّحاس^(٣) ، فلما نظر إلى الطّين قال : أيُّ أوارى^(٤) تَجىء من هذا الطّين .

ومررنا بالخُلد^(٥) بعد خرابه ، فقال : أيُّ إصطبلات تَجىء من هذا الموضع . وقيل لبعضهم : ما المروءة ؟ قال : طهارة البدن ، والفعل الحسن . وقيل لمحمد بن عمران^(٦) : ما المروءة ؟ قال : أن لا تعمل في السرّ شيئاً تستجى منه في العلانية .

وقيل للأحنف : ما المروءة ؟ قال : العفة والجُرْفة . وقال طلحة بن عُبيد الله : المروءة الظاهرة الثياب الطاهرة .

(١) المردى ، بضم الميم وتشديد الياء : خشبة يدفع بها الملاح السفينة . وقد وضعت بعض المعاجم هذه الكلمة في (ردى) وحققها (مرد) . وقد قالوا : إن المرد دفع الملاح السفينة بالمردى . (٢) الكوثل : مؤخر السفينة ، أو سكانها . وقد تشدد اللام .

(٣) ل : « أبو الحسن النحاس » ، تحريف . واسمه الحارث ، كما في كتاب البغال ، قال : « وهو الذى يقال له مؤمن آل فرعون » . والنحاس : بائع الدواب .

(٤) الأوارى : مواضع علف الدواب ، واحدها آرى . وفيما عدل ، هـ : « إدارى » ، تحريف .

(٥) الخلد ، بالضم : قصر بناء المنصور ببغداد . معجم البلدان .

(٦) انظر للخير وتاليه عيون الأخبار (١ : ٢٩٥ - ٢٩٦) .

وقيل لأبي هريرة : ما المروءة ؟ قال : تقوى الله ، وإصلاح الصَّيِّعة ^(١) ،
والغَداء والعشاء بالأفنية .

ونظر بكر بن الأشعر ، وكان سَجَّانا ، مرةً إلى سور دار بَجَالَة بن عبدة ،
فقال : لا إله إلا الله ، أئى سجين يحبى من هذا .

وقال إنسانٌ صيرفَى : باعنى فلان ^(٢) عشرين جريباً ، ودانقين ونصفاً ذهباً .
قال : ونظر عثمان بن عفان رحمه الله إلى عير مُقْبِلَة ، فقال لأبى ذَر :
ما كنت تحبُّ أن تحمِل هذه ؟ قال أبو ذَر : رجلاً مثل عُمر ^(٣) .

وقيل للزُّهري ^(٤) ، ما الزُّهد في الدنيا ^(٥) ؟ فقال : أما إنه ليس بشعث
اللِّمَّة ^(٦) ، ولا قَشِفِ الهيئة ، ولكنَّه ظَلَفُ النَّفس عن الشَّهوة ^(٧) .

وقيل له أيضاً : ما الزُّهد في الدُّنيا ؟ قال : ألا يغلب الحرام صَبْرَكَ ،
ولا الحلال شُكْرَكَ .

ونظر زاهدٌ إلى فاكهة في السُّوق ، فلما لم يجد شيئاً يبتاعها به عَزَى نفسه
وقال : يا فاكهة ، موعدى وإياك الجَنَّة ^(٨) .

قالوا : ومَرَّ المسيح عليه السلام بحلق بنى إسرائيل ، فشتموه ، فكلَّموا قالوا
شراً قال المسيح ﷺ خيراً ، فقال له شمعون الصَّفِّى ^(٩) : أكلَّمنا قالوا شراً قلت
لهم خيراً ؟ قال المسيح : « كلُّ امرئٍ يعطى ممَّا عنده » .
وقال بعضهم : قيل لامرئ القيس بن حُجر : ما أطيبُ عيش الدُّنيا ؟

٣٣٩

(١) هـ : « الضيعة » . وضيعة الرجل : حرفته وصناعته ومكسبه وعيشه .

(٢) ل : « إنسان » .

(٣) فيما عدل ، هـ : « رجلاً لا مثل عمرى » ، تحريف .

(٤) ل : « للزبير » تحريف . وانظر ما سيأتى في ص ١٨٨ .

(٥) الكلام بعد هذه إلى « ما الزهد » في الفقرة التالية ، من ل فقط .

(٦) ل : « بشعث في اللمة » .

(٧) ظلف نفسه عن الشيء ظلفاً ، بالفتح : منعها عنه .

(٨) هذا الخبر ساقط من ل .

(٩) ل : « سمعون الصفاء » . وانظر (٣ : ١٤٠) وعيون الأخبار (٢ : ٣٧٠) .

قال : بيضاء رُعْبُوبَةٌ ^(١) ، بالطَّيْبِ مشبوبة ^(٢) ، بالشَّحْمِ مكروية ^(٣) .

وسئل عن ذلك الأعشى فقال : صهباء صافية ، تمزجها ساقية ، من صوب غادية ^(٤) .

وقيل مثل ذلك لطرَفَةٌ فقال : مَطْعَمٌ شهى ، وملبسٌ دَفَى ، ومركبٌ وطى .
قال : وكان محمد بن راشد البجلي ^(٥) ، يتغذى ، وبين يديه شُبُوطَةٌ ^(٦) ،
وخياطٌ يقطع له ثياباً ، وراه يلحظُ الشُّبُوطَةَ ، فقال : قد زَعَمْتُ أن الثوبَ يحتاج
إلى خِرْقَةٍ ، فكم مقدارها ؟ قال : ذراعٌ في عرض الشُّبُوطَةِ .

ودخل آخرٌ على رجل يأكل أترَجَةً بعسل ، فأراد أن يقول : السلام
عليكم ، فقال : عَسَلَيْكُمْ .

ودخلت جاريةٌ روميةً على راشد البتّي ^(٧) ، لتسأل عن مولاتها ^(٨) ،
فبصُرَتْ بحمار قد أدلى في الدار ، فقالت : قالت مولاتي : كيف أير حماركم ؟ -
فيما زعم أبو الحسن المدائني .

وأُشْد ابن الأعراي :

وإذا أظهرتُ أمراً حسناً فليكن أحسنَ منه مائسراً ^(٩)

فمُسِرُّ الخير موسومٌ به ومُسِرُّ الشرِّ موسومٌ بشرٌّ

(١) الرعبوبة : البيضاء الحسنة الرطبة الحلوة .

(٢) مشبوبة : قد ظهر حسنها ، وأشرق لونها .

(٣) المكروية : المفتولة المشدودة .

(٤) الصوب : المطر . والغادية : السحابة تنشأ غدوة . والخبر يروى لمطيع بن إياس . الأغاني (١٢ : ٩٠) .

(٥) محمد بن راشد البجلي الخناق ، ذكر الجاحظ في الحيوان (١ : ١١٥) أنه كانت له بنت ذات لحية

وافرة . وفي الحيوان (٤ : ٢٦٦) أن بحيلة يكثر فيها الخناقون . وذكر أبو الفرج في الأغاني (٥ : ٥٨) أنه كان من
أصدقاء إسحاق الموصلي ، وروى له أخباراً .

(٦) الشبوبة : واحدة الشبوط ، وهو ضرب من السمك دقيق الذنب عريض الوسط صغير الرأس ، لين المس .

(٧) البتّي : نسبة إلى البت ، بفتح الباء ، وهي قرية من أعمال بغداد ، كما ذكر ياقوت . وقال

السمعاني في الأنساب ٦٥ : « موضع أظن بنواحي البصرة » . فيما عدل ، هـ : « البستي » .

(٨) فيما عدل : « لتسأل به عن مولاتها » . وكلمة « به » مقعمة .

(٩) تسر ، من الإسرار . فيما عدل ، هـ : « يسر » بالبناء للمفعول .

وأنشد ابن الأعرأى :

أرى الناس يبنون الحصون وإتما غواير آجال الرجال حُصُونُهَا (١)
وإن من الأعمال دُوناً وصالحاً فصالحها يبقى ويهلك دُونُهَا
وأنشد ابن الأعرأى :

حَسْبُ الفتى من عيشه زادَّ يبلُغه المَحَلَّ
تُجَبَّرُ وماء بارد والظَّلَّ حين يريد ظِلَّ
وقال بعضُ الأعراب :

وما العيش إلا شَبَعَةٌ وتشَرُّقٌ وتَمَرٌّ كأخفاف الرباع وماء (٢)
محمد بن حرب الهلالي قال : قلت لأعرأى : إني لك لَوَادٌّ . قال : وإن
لك من قلبي كَرَانِدًا (٣) .

قال : وأتيت أعرأياً في أهله مُسَلِّماً عليه ، فلم أجده ، فقالت لى امرأته :
عَشَّرَ اللهُ حُطَّاكَ . أى جعلها عَشْرَةً أمثالها .
قالوا : وكان سَلَمٌ بن قتيبة (٤) يقول : لم يَضَيِّعْ امرؤُ صَوَابَ القول حَتَّى
يَضَيِّعَ صَوَابَ العمل .

أبو الحسن قال : قال الحجاج لمعلّم ولده : علّم وَلَدِي السَّبَّاحَةَ قبل
الكتابة ، فَإِنَّهُمْ يَصِيَّبُونَ مَنْ يَكْتُبُ عَنْهُمْ وَلَا يُصَيَّبُونَ مَنْ يَسْبَحُ عَنْهُمْ (٥) .
أبو عقيل بن دُرُسْتٍ قال : رأيت أبا هاشم الصوفى مَقْبِلاً من جهة
النهر ، فقلت : فى أى شئ كنتَ اليوم ؟ قال : فى تعلّم ما ليس يُنسى ، وليس
لشئ من الحيوان عنه غِنَى . قال : قلت وما ذاك ؟ قال : السَّبَّاحَةُ .

٢٠ (١) الغواير : البقايا . فيما عدل ، هـ : « عوائر » .
(٢) التشرق : الجلوس للشمس . الأخفاف : جمع خف . والرباع : جمع ربع ؛ بضم ففتح ،
وهو الفصل يولد فى الربيع . وفى الحماسة ١٨٥٤ بشرح المرزوق : « كأكبَاد الجراد » . وسيأتى البيت
والبيتان اللذان قبله فى (٣ : ١٨٧ - ١٨٨) .

(٣) ل : « من صدرى » ، وقد فهم الأعرأى أنه عنى الوادى ، على حين أنه أراد المودة .

(٤) فيما عدل ، هـ : « مسلم بن قتيبة » : تحريف .

(٥) الخير فى عيون الأخبار (٢ : ١٦٦) .

حدَّثنا عليُّ بن محمد^(١) وغيره قال : كتب عُمر بن الخطَّاب إلى ساكني الأمصار : « أمَّا بعد فعَلِّمُوا أولادَكُمْ العُومَ والفُروسَةَ »^(٢) ، ورَوَّوْهُم ما سارَ من المَثَل ، وحَسَّن من الشَّعر .

وقال ابنُ التَّوأم : علِّم ابنَكَ الحسابَ قَبْلَ الكِتاب ؛ فَإِنَّ الحسابَ أَكسَبُ من الكِتاب ، ومؤونةٌ تعلِّمه أيسر ، ووجوهٌ منافعه أكثر .

وكان يقال : لا تعلِّمُوا بناتِكُم الكِتاب ، ولا تروِّوْهُن الشَّعر ، وعَلِّمُوهُن القرآن ، ومن القرآن سورةَ النور .

وقال آخر : بنو فلان يعجبُهُم أن يكون في نسائِهِم إِباضِيَّات ، ويُؤخَذَنَّ بحفظ سورة الثَّور .

وكان ابنُ التَّوأم يقول : من تمام ما يجب على الآباء من حفظ الأبناء ، أن يَعَلِّمُوهُم الكِتاب والحساب والسَّباحة .

خطب رجلٌ امرأةً أعرايَّةً فقالت له : سَلْ عَنِّي بنى فلان وبنى فلان وبنى فلان^(٣) . فَعَدَّتْ قبائِلَ ، فقال لها : وما عَلِّمَهُم بك ؟ قالت : في كلِّهِم قد نَكَّحْتُ . قال : أَرَأَيْكَ جَلَنفَعَةً قد خَزَمْتَكَ الخِزَامُ^(٤) . قالت : لا ، ولكنِّي جِوَالَةٌ بالرَّحْلِ عَنَّتْرِيسٍ^(٥) .

(١) هو أبو الحسن علي بن محمد المدائني ، صاحب الأخبار والتصانيف الكثيرة . المتوفى سنة ٢١٥ . ابن النديم ١٤٧ - ١٥٢ ولسان الميزان (٤ : ٢٥٣) .

(٢) فيما عدل ، هـ : « السباحة والفروسية » . هـ : « العوم والفروسية » . وانظر الخبر في الكامل ١٥٠ ليسك .

(٣) في اللسان (جلفع) : « إن سألت عني بنى فلان أنبت عني بما يسرك ، وبنو فلان يبنونك بما يزيدك فئ رغبة ، وعند بنى فلان مني خير » .

(٤) الجلفعة : المسنة . والخزائم : جمع خزيمة ، بالكسر ، وهو ما يجعل في أنوف الإبل . وهذه كناية عن الازلال والتسخير . انظر أساس البلاغة (خزم) . هـ : « خرمك » وأشير فيها إلى أنها في نسخة « خرمك » .

(٥) تعني أنها فتية ذات شدة ، كالناقاة العنتريس ، وهي الصلبة الوثيقة الشديدة . فيما عدل ، هـ : « شمريس » ، تحريف .

وقال الفرزدق لامراته النّوّار ^(١) : كيف رأيت جريرا ؟ قالت : رأيتك ظلمته أولاً ثم شعرت عنه برجلك آخراً ^(٢) قال : أنا إنيّه ^(٣) ؟ قالت : نعم ، أما إنّه قد غلبك في حُلوه ، وشاركك في مُره .

٣٤١ قال : وتغذى صمصعة بن صُوحان عند معاوية يوماً ، فتناول من بين يدي معاوية شيئاً ، فقال : يا ابن صُوحان ، لقد انتجعت من بعيد ! فقال : « من أجذب انتجع » .

وَبَصُرَ الْفَرَزْدَقُ بِجَرِيرٍ مُحْرِمًا فَقَالَ : وَاللَّهِ لَأُفْسِدَنَّ عَلَى ابْنِ الْمَرَاغَةِ حَجَّه .
ثم جاءه مستقبلاً له ، فجهره بمشقص كان معه ^(٤) ، ثم قال :
إِنَّكَ لَأَقِ بِالْمَشَاعِرِ مِنْ مَنِي فَخَارًا فَخَبَّرَنِي بِنِ أَنْتَ فَاخِرُ
فقال جرير : لبيك اللهم لبيك : ولم يُجبه ^(٥) .

١٠ قال : وأدخل مالك بن أسماء سجن الكوفة ، فجلس إلى رجل من بنى مُرة ، فاتكأ المُرّي عليه يحدثه حتّى أكثر وغمّه ، ثم قال : هل تدري كم قتلنا منكم في الجاهلية ؟ قال مالك : أما في الجاهلية فلا ، ولكنّي أعرف من قتلتم منا في الإسلام . قال المُرّي : ومن قتلنا منكم في الإسلام ؟ قال : أنا ، قد قتلتنى غمّا !
١٥ قال : ودخل رجلٌ من محارب قيس على عبد الله بن يزيد ^(٦) الهلاليّ ، وهو

(١) فيما عدل : « نوار » . وإثبات اللام وحذفها في مثل هذه الأعلام جائز .

(٢) هو من قولهم : بلدة شاغرة برجلها ، إذا لم تمتنع من غارة أحد .

(٣) ل : « قال أنا » فقط . وفي هـ : « قال أنى » ، وسائر النسخ « قال أنا أنى » ، والوجه

ما أثبت . وفي اللسان (١٧ : ٥٣) : « وحكى سيويه أنه قيل لأعرابي سكن البلد : أخرج إذا أخصبت

البادية ؟ فقال : أنا إنيّه ، يعني : أقولون لي هذا القول وأنا معروف بهذا الفعل » .

(٤) المشقص : سهم فيه نصل عريض . جهره : راعه وفجأه . ل : « فجهره » .

(٥) في الأغاني (٧ : ٤٨) : « أنهما التقيا بمنى . وعقب على الخبر بقوله : « قال إسحاق : فكان

أصحابنا يستحسنون هذا الجواب من جرير ويعجبون منه » .

(٦) ب فقط : « زيد » .

عاملٌ على أَرْمِينِيَّةَ ، وقد بات في موضع قريبٍ منه غدِيرٌ^(١) فيه ضفادع ، فقال
عبدُ الله للمحاربِيّ : ما تركنّا أشياخُ محاربٍ ننام في هذه الليلة ؛ لشدةِ أصواتها .
فقال المحاربِيّ : أصلَحَ الله الأمير ، إنّها أضَلَّتْ بُرْقَعاً لها ، فهي في بُغائِه (٢) . أراد
الهلاليّ قولَ الأخطل :

٥ تَنقُ بلا شيءٍ شيوخُ محاربٍ وما خِلَتْها كانت تَرِيش ولا تَبْرى
ضفادعُ في ظلماءٍ ليل تجاوبت فدلَّ عليها صوتُها حيّةَ البحرِ^(٣)
وأراد المحاربِيّ قول الشاعر :
لكلِّ هلالِيٍّ من اللُّؤمِ بُرْقَعٌ ولإينِ هلالٍ بُرْقَعٌ وقميصُ
وقال العُتْبِيّ^(٤) :

١٠ رأيْنِ العَواني الشَّيْبَ لاحَ بعارضي فأعرضنَ عني بالحدودِ النواضيرِ^(٥)
وكنَّ إذا أبصرنني أو سمعن لي سعينَ فرقعن الكوى بالمحاجرِ^(٦)
لئن حُجِّبت عني نواظرُ أعين رَمَيْنَ بأحداقِ المَها والجآذِرِ
فإنِّي من قومِ كرامٍ أصولُهم لأقدامهم صيغت رُؤوس المنايرِ

(١) فيما عدل : « في موضع غدِير قريب منه » .

(٢) البقاء ، بالضم : الطلب .

(٣) ديوان الأخطل ١٣٢ والحيوان (٣ : ٢٦٨ / ٤ : ٢٤٠ / ٥ : ٤٣٢) .

(٤) هو أبو عبد الرحمن محمد بن عبد الله بن عمرو بن معاوية بن عمرو بن عتبة بن أبي سفيان
العتبي البصري . كان هو وأبوه سيدين أديبين فصيحين ، وكان العتبي شاعرا ولم يكن أبوه كذلك . ذكره
ابن النديم في الكتاب المترسلين . وذكر ابن قتيبة أن الأغلب عليه الأخبار ، وأكثر أخباره عن بني أمية .
وكان مستهترا بالشراب ويقول الشعر في عتبة ، فقليل أن نسبته إليها ، وقيل إلى جده عتبة . وتوفي سنة
٣٢٨ . الفهرست ١٧٦ ، وابن خلكان (١ : ٥٢٣) ، والمعارف ٢٣٤ والسمعاني ٣٨٣ .

(٥) من شواهد العربية في إلحاق علامة الجمع بالفعل . انظر الأشموني وسر العربية ٣٣٩ .

(٦) الكوى : جمع كوة بالفتح وقد تضم ، وهو الخرق في الخائط والثقب في البيت . وأنشده في
اللسان (رقع) منسوباً إلى عمر بن أبي ربيعة ، مسبوفاً بقوله : « وكل ما سددت من خلة فقد رقعته
ورقعته » . وعَقِبَ عليه بقوله : « وأراه على المثل » ، أي المجاز والاستعارة . والمحاجر : جمع حجر ،
كمجلس ومنير : مادار بالعين وبدا من البراقع . والبيت محرف في وفيات الأعيان .

خلائف في الإسلام ، في الشُّرك قادة بهم وإلَهِهم فَعَزُّ كُلُّ مُفَاخِرٍ

وقال لبيد :

والشَّاعِرُونَ النَّاطِقُونَ أُرَاهُمْ سَلَكَوا طَرِيقَ مُرْقَشٍ وَمُهْلَهْلٍ (١)

وقال آخر :

أَمْ مَنْ لِبَابٍ إِذَا مَا اشْتَدَّ حَاجِبُهُ أَمْ مِنَ الْخَصِيمِ بَعِيدِ الْعُورِ مَغْوَارِ ٥

وقال حاجب بن دينار المازني (٢)

وَنَحْنُ بَنُو الْفَحْلِ الَّذِي سَالَ بَوْلُهُ بِكُلِّ بِلَادٍ لَا يَبُولُ بِهَا فَحْلُ
أَبَى النَّاسِ وَالْأَقْلَامِ أَنْ يَحْسُبُوهُمْ إِذَا حُصِّلَ الْأَجْناسُ أَوْ يُحْسَبَ الرَّمْلُ (٣)
فَإِنْ غَضِبُوا سَدُّوا الْمَشَارِقَ ، مِنْهُمْ مُلُوكٌ وَحُكَّامٌ كَلَامُهُمْ فَصْلُ (٤)

وقال أعرابي من بني حنيفة ، وهو يمزح :

مَرَّ الْجَرَادُ عَلَى زُرْعِي فَقُلْتُ لَهُ : الزَّمْ طَرِيقَكَ لَا تُؤْلَعْ بِإِفْسَادِ
فَقَالَ مِنْهُمْ خَطِيبٌ فَوْقَ سُنْبِلَةٍ : إِنَّا عَلَى سَفَرٍ لَا بُدَّ مِنْ زَادِ

وقال آخر يهجو بعض الخطباء :

يُمان ولا يَمُونُ وكان شيخاً شَدِيدَ اللَّقْمِ هَلْقَاماً خَطِيئاً (٥)
وذهب إلى قول الأَحْوَصِ :

١٥

(١) وكذا ورد إنشاده في الديوان ٣٤ طبع ١٨٨١ . وفيما عدل : « إذا هي » .

(٢) ورد اسمه في ل محرفاً : « حاجب بن ذبيان » . وكذا ورد اسمه في الأغاني (١٣ : ٤٨)

حيث ذكر له أخباراً مع يزيد بن المهلب وثابت قطنة ، وذكر أن ثابت قطنة لقب حاجباً « حاجب الفيل » . وانظر أمالي المرتضى (٤ : ٢١) والحيوان (١ : ١٩١) .

(٣) فيما عدل : « الأحماس » تحريف . عنى كثرة عديدهم .

٢٠

(٤) فيما عدل : « شدوا المشارق » ، لكن في هـ : « شد » ، تحريف . أراد : ثاروا بجمعهم

التي تملأ الأرض وتحجب ضوء الشمس بما تثير من الرهيج والغبار .

(٥) مانه يمونه : كفله وقام بكفايته وأنفق عليه . واللقم : سرعة الأكل . والهلقام : الواسع

الشدقين الكثير الأكل . فيما عدل : « صلقاما » . وأصل الصلقام : الضخم من الإبل .

ذَهَبَ الَّذِينَ أَحْبَبَهُمُ قَرَطًا وَيَقِيتُ كَالْمَقْمُورِ فِي خَلْفٍ (١)

مِنْ كُلِّ مَطْوِيٍّ عَلَى حَتَقٍ مَتَضَجِّعٍ يُكْفِي وَلَا يَكْفِي (٢)

وقال الحسن بن هانئ :

إِذَا نَابَةَ أَمْرٌ فَأَمَّا كَفَيْتَهُ وَإَمَّا عَلَيْهِ بِالْكَفَى تُشِيرُ (٣)

وقال آخر :

ذَرِينِي فَلَا أَعْيَا بِمَا حَلَّ سَاحَتِي أَسْوَدُ فَأَكْفِي أَوْ أَطِيعُ الْمُسَوِّدَا (٤)

وقال بشار :

وَفِي الْعَبْرَاتِ الْغُرَّ صَبْرٌ عَلَى النَّدَى أَوْلَكَ حَيٌّ مِنْ حُزْمَةٍ أَغْلَبُ (٥)

وَأَلَامٌ مِنْ يَمْشِي ضَبِيعَةً ، إِنْهُمْ زَعَانِفٌ لَمْ يَخْطُبْ إِلَيْهِمْ مُحَجَّبُ (٦)

وكذلك قول أعشى بنى ثعلبة :

مَا ضَرَّ غَانِي نِزَارٍ أَنْ تُفَارِقَهُ كَلْبٌ وَجَرَمٌ إِذَا أَبْنَاؤُهُ اتَّفَقُوا (٧)

قَالَتْ قُضَاعَةُ : إِنَّا مِنْ ذَوَى يَمَنٍ اللَّهُ يَعْلَمُ ، مَا بُرُّوا وَلَا صَدَقُوا

يَزْدَادُ لَحْمُ الْمَنَاقِي فِي مَنَازِلِنَا طَبِيبًا إِذَا عَزَّ فِي أَعْدَائِنَا الْمَرْقُ (٨)

وَمَا نَحْطُبْنَا إِلَى قَوْمِ بَنَاتِهِمْ إِلَّا بِأَرْعَنَ فِي حَافَاتِهِ الْحَرَقُ (٩)

(١) فرطا : متقدمين سابقين . والمقمور : المغلوب في القمار .

(٢) فيما عدل ، هـ : « على عتق » . تحريف . والمتضجع : المتقعد الذى لا يقوم بالأمر .

(٣) الكفى : الكافى . والبيت من قصيدة أبى نواس المشهورة ، التى مطلعها :

أَجَارَةَ بَيْتِنَا أَبُوكَ غُبُورَ وَمِيسُورَ مَا يَرْجَى لَدَيْكَ سِيرَ

(٤) فيما عدل : « لا أعيا » .

(٥) العبرات : قبائل عبر أو عبرة ، ولم أهدأ إلى تعيينها لكثرتها . هـ : « الغبرات » . أغلب : غليظ

الرقبة ؛ حى أغلب : ذو سيادة ، وهم يصفون السادة بالغلب ، وهو بالتحريك : غلظ الرقبة . قال :

« بيض مرازية غلب جمحاجحة »

(٦) الزعانف : الأحياء القليلة فى الأحياء الكثيرة . المحجب : الملك ذو الحجاب .

(٧) الغانى : المقيم ، من قولهم غنى بالمكان : أقام . فيما عدل : « غازى » ، تحريف .

(٨) المناق : جمع منقية ، كمحسنة ، وهى الناقة ذات الشحم . عز : قل .

(٩) الأرعن : الجيش العظيم ، له فضول كرعان الجبال ، أى أنوفها . والحرق ، بالتحريك :

النار . هـ « الحرق » وفى حواشيها : « الحرق هنا العلامات ، وهو إشارة إلى معنى السبى » .

قوله خَطَبْنَا : من الخِطْبَةِ ها هنا ؛ وهو في الشَّعر الأول من الخِطْبَةِ أيضاً .

وقال بلعاء بن قيس :

أُيِّتُ لِنَفْسِي الحَسْفَ لَمَّا رَضُوا بِهِ وولَّيتهم شَتْمِي وما كنت مُفَحِّمًا ^(١)

وقال بلعاء بن قيس ^(٢) لِسُرَاقَةَ بن مالك بن جُعَشِيم ^(٣) :

ألا أبلغُ سُرَاقَةَ : يا ابن مالٍ فبئسَ مَقَالَةُ الرَّجُلِ الخَطِيبِ ^(٤)

أترجو أن تؤوبَ بظُغنٍ ليثٍ فهذا حينُ تُبَصِّرُ من قَريبٍ ^(٥)

وقال منصورُ الضَّبِّي ^(٦) :

ليت الفتى عَجِرداً مِنَّا مَكَائِهِمْ وليتهم من وراء الأخضر الجارى

قد قام سيِّدُهُم عِمْرانُ يَخْطُبُهُم ما كان للخير عِمْرانُ بأَمَّارٍ

* * *

قال : وتقول العرب : « الحَلَّةُ تَدْعُو إِلَى السَّلَّةِ » ^(٧) . وكانوا إذا أُسْرُوا

٣٤٤ أسيراً قال المادح : « أُسْرَهُ فِي مُزَاخَفَةٍ ، ولم يَأْسِرْهُ فِي سَلَّةٍ » . وفي الحديث :

(١) البيت وما قبله من عبارة الإنشاد ، ساقط من ب .

(٢) هو أبو مساحق بلعاء بن قيس اليمرى ، كان رأس بنى كنانة في أكثر حروبهم ومغازيهم . وهو شاعر محسن ، قال في كل فن أشعاراً جياداً . المؤتلف ١٠٦ . ومات قبل يوم الحرية ، وهو اليوم الخامس من أيام الفجار . انظر العقد (يوم الحرية) .

(٣) سراقه هذا ، هو الذى حاول إدراك الرسول ﷺ في هجرته إلى المدينة . وقد أسلم عام الفتح . ولما أتى عمر بسوارى كسرى ومناطقته وتاجه ، دعا سراقه فألبسه إياها وقال له : ارفع يدك وقل : الله أكبر ، الحمد لله الذى سلّهما كسرى بن هرمز وألبسهما سراقه الأعرأى ! مات سراقه في خلافة عثمان سنة ٢٤ . الإصابة ٣١٠٩ .

(٤) مال : ترخيم مالك . يا ابن مال ، أى قل يا ابن مالك .

(٥) ليث ، هى القبيلة . والظعن ، بالضم وتقال أيضاً بضمين : جمع ظعينة ، وهى المرأة فى الهودج . كنى بذلك عن سبى نسائهم .

(٦) ذكره المَرْزَبَانِي فى معجم الشعراء ٣٧٣ . قال : « منصور بن المسجاح - وقيل مسجاح - بن

سباع الضبى . جاهلى » .

(٧) أى الحاجة تدفع إلى السرقة .

« لا إسلال ولا إغلال ^(١) ». وفي المثل : « الحاجة تفتح باب المعرفة » .

ونذكر هنا أبيات شعر تصلح للرواية والمذاكرة

قال سويد المرائد الحارثي ^(٢) أو غيره ^(٣) :

بنى عمنا لا تذكرُوا الشَّعْرَ بعدما دفتم بصحراء الغُميم القوافيا ^(٤)
 فلَسْنَا كمن كنتم تُصَيِّبون سَلَّةً فنَقَبَلْ عَقْلاً أو نحكم قاضيا ^(٥)
 ولكنَّ حُكَمَ السَّيْفِ فيكم مُسَلَّطٌ فرَضَى إذا ما أَصْبَحَ السَّيْفُ راضيا
 وقد ساعى ما جرَّت الحربُ بيننا بنى عمنا لو كان أمراً مُدانيا ^(٦)
 فإن قَلْتُمْ : إِنَّا ظَلَمْنَا فإِنَّكم بدَأْتُمْ وَلَكِنَّا أَسَانَا التَّقاضيا ^(٧)
 وقال ضانيء بن الحارث ^(٨) :
 ورُبَّ أمورٍ لا تَضِيرُكُ ضِيرَةً وللقلب من مَحْشَاتِهِنَّ وجيبٌ ^(٩)

(١) هذا من كتاب صلح الحديبية حين وادع أهل مكة . الإسلال : الرشوة والسرقة .
 والإغلال : الخيانة . انظر مقاييس اللغة (٣ : ٥٩) .

(٢) سويد المرائد ، ذكر التبريزي في شرح الحماسة (٢ : ٣٢٠) أن المرائد : جمع مرثد ، وهو مصدر رثدت المتاع بعضه فوق بعض : أى نضدته . ويقال له أيضا « سويد المرائي » . وقد وردت في نسخة من البيان ، كما في حواشي هـ .

(٣) الأبيات رواها أبو تمام في الحماسة (١ : ٣١) للشميدز الحارثي . وذكر التبريزي في الكلام على هذه الأبيات أنها لسويد بن صُمَيْع المَرثَدِي ، من بني الحارث ، وكان أخوه قَتِيل غيلة فقتل قاتل أخيه نهارا في بعض الأسواق من الحضر . فهذا قول ثالث في اسم سويد .

(٤) في الحماسة وعيون الأخبار (١ : ٧٧) : « بصحراء الغيمير » ، بالراء .

(٥) العقل : الدية . وفي الحماسة وعيون الأخبار : « فنقبل ضيما » .

(٦) أمر مدان : مقارب . أى لو كان الأمر الذى أدى إلى الحرب مقاربا هينا لساء في ذلك ، ولكنه أمر شديد يستوجب الحرب . ل : « وقد سرنى » ، صوابه في الحماسة وسائر النسخ . والبيت لم يزوه ابن قتيبة .
 (٧) هذا البيت مقدم على البيت الذى قبله فيما عدل ل .

(٨) هو ضانيء بن الحارث بن أوطاة البرجمي ، أدرك النبي ﷺ ، وجنى جناية في زمن عثمان فحبسه ، ففجأ ابنه عمير فأراد الفتك بعثمان ثم جبن عنه ، ثم لما قتل عثمان وثب عمير عليه فكسر ضلعين من أضلاعه . الإصابة ٤٢٠٠ والخزانة (٤ : ٨٠) والحيوان (١ : ٣٦٩) .

(٩) المخشاة : الخشية والخوف . والوجيب : الاضطراب والخفقان .

وقال حارثة بن بدر ^(١) :

وقل للفؤاد إن نزا بك نزوة
من الرّوع أفرخ أكثر الرّوع باطله ^(٢)

وقال لبید بن ربيعة :

واكذب النفس إذا حدّثتها
إن صدق النفس يُزرى بالأمل ^(٣)

وقال حبيب بن أوس ^(٤) :

وطول مقام المرء في الحي مخلّق
فإنّي رأيت الشمس زيدت محبة
لدياجتيه فاعترب تتجدد ^(٥)
إلى الناس أن ليست عليهم بسرمد ^(٦)

وقال غيره :

٣٤٥

هو الشمس إلا أن للشمس غيبة
وهذا الفتى الجرّمى ليس يغيب

يروح ويغدو ما يُفتّر ساعة
وإن قيل ناء فهو منك قريب ^(٧)

وقال آخر :

خلفاً لقولى من قِيالة رأيه
كما قيل قبل اليوم : خالف فتذكرا ^(٨)

وقال حارثة بن بدر :

(١) هو حارثة بن بدر بن حصين بن قطن بن مالك بن غدانة بن يربوع بن حنظلة بن مالك بن

زيد مناة بن نعيم ، الغداني . قال أبو الفرج : كان من لدات الأحنف بن قيس . قال ابن حجر : فإن يكن
كذلك فقد أدرك النبي ﷺ . وله أخبار في الفتوح . وذكر المبرد في الكامل أنه غرق ، في ولاية عبد الله
ابن الحارث على العراق ، وذلك سنة ٦٤ الإصابة ١٩٣٣ .

(٢) البيت من أبيات في الحيوان (٣ : ٧٧) وأمالى المرتضى (٢ : ٤٧) .

(٣) ديوان لبید ١٢ طبع ١٨٨١ .

(٤) فيما عدا ل : « وقال الشاعر ، وهو حبيب بن أوس » .

(٥) أراد بالدياجتين الدياجة .

(٦) ل والديوان ١٠١ : « إذ ليست » .

(٧) فيما عدا ل : « وليس يفتّر » .

(٨) أنشده في الحيوان (٧ : ٨٤) . الفيلة ، بالفتح : ضعف الرأى . ل : « لتذكرا » . وانظر

المثل عند الميداني (١ : ٢١٣) .

إذا ما مُتَّ سَرَّ بنى تميم على الحَدَثَانِ لو يَلْقَوْنَ مِثْلِي
عَدُوَّ عَدُوِّهِمْ أبداً عَدُوِّي كذلك شِكْلُهُمْ أبداً وشِكْلِي
وهو شبيهه بقول الأعشى :
عُلِّقْتُهَا عَرَضاً وَعُلِّقْتُ رَجَلاً غَيْرِي وَعُلِّقَ أُخْرَى غَيْرَهَا الرَّجُلُ (١)

* * *

٥

وقال عمرو لمعاوية : من أصبر الناس ؟ قال : من كان رأيُه رَأْداً لهواه (٢) .
واختلفوا بحضرة الزُّهْرَى في معنى قول القائل : فلان زاهد . فقال الزُّهْرَى :
« الزاهد الذي لا يغلب الحرام صَبْرَهُ ، ولا الحلال شُكْرَهُ » .

وقال ابن هبيرة وهو يؤدِّب بعض بنيهِ : لا تكونَنَّ أَوَّلَ مشيرٍ ، وإِيَّاكَ
والرَّأْيَ الفَطِيرِ ، وتجنَّب ارتجالَ الكلام ، ولا تُثِيرْ على مستبِدٍّ ولا على وَغْدٍ ،
ولا على متلَوْنٍ ولا على لَجُوجٍ ، وخَفِ الله في موافقة هوى المستشير ؛ فإنَّ التماسَ
موافقته لَوْمٌ ، وسوء الاستماع منه خيانة .

وقالوا (٣) . من كثر كلامه كثر سَقَطُهُ ، ومن ساء خُلُقُهُ قَلَّ صديقُهُ .
وقال عمر للأحنف : من كثر ضحكُهُ قَلَّتْ هَيْبَتُهُ ، ومن أكثر من شيء (٤)
عُرِفَ به ، ومن كَثُرَ مِرَاحُهُ كَثُرَ سَقَطُهُ ، ومن كثر سَقَطُهُ قَلَّ ورعُهُ ، ومن (٥) قَلَّ
ورعُهُ ذهب حياؤه ، ومن ذهب حياؤه مات قلبه .

وقال المهلب لبنيه : يا بَنِيَّ تَبَاذَلُوا تَحَابُّوا ؛ فإنَّ بني الأمِّ يختلفون ، فكيف
بنو العَلَّاتِ (٦) إِنَّ البِرَّ يَنْسَأُ في الأَجَلِ ، ويزيد في العدد ، وإن القطيعة

(١) ديوان الأعشى ٤٣ .

(٢) سيعيد هذا الخبر وتاليه في (٣ : ١٥٤) .

(٣) فيما عدا ل : « وقال » .

(٤ - ٥) الكلام بين هذين الرقمين ساقط من ب .

(٦) بنو العلات : بنو رجل واحد من أمهات شتى . والعلة : الضرة .

٣٤٦ ثُورِتُ القَلَّةَ ، وَتُعَقِبُ النَّارَ بَعْدَ الذَّلَّةِ . وَاتَّقُوا زَلَّةَ اللِّسَانِ ؛ فَإِنَّ الرَّجُلَ تَزَلُّ رِجْلُهُ فَيَنْتَعِشُ ^(١) ، وَيزَلُّ لِسَانُهُ فِيهِلِكَ . وَعَلَيْكُمْ فِي الْحَرْبِ بِالْمَكِيدَةِ ؛ فَإِنَّهَا أَبْلَغُ مِنَ النَّجْدَةِ ^(٢) ؛ فَإِنَّ الْقِتَالَ إِذَا وَقَعَ وَقَعَ الْقَضَاءُ ، فَإِنْ ظَفِرَ فَقَدْ سَعِدَ ، وَإِنْ ظَفِرَ بِهِ لَمْ يَقُولُوا فَرَطَ .

وَلَقِيَ الْحُسَيْنُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الْفَرَزْدَقَ فَسَأَلَهُ عَنِ النَّاسِ فَقَالَ : الْقُلُوبُ مَعَكَ ، وَالسِّيُوفُ عَلَيْكَ ، وَالنَّصْرُ فِي السَّمَاءِ .

وَقَالَ بَعْضُهُمْ : حُجِبَ أَعْرَافِي عَنْ بَابِ السُّلْطَانِ فَقَالَ :

أُهَيِّنْ لَهُمْ نَفْسِي لِأَكْرِمِهَا بِهِمْ وَلَا يَكْرِمِ النَّفْسَ الَّذِي لَا يَهَيِّنُهَا

وَقَالَ جَرِيرٌ :

قَوْمٌ إِذَا حَضَرَ الْمُلُوكَ وَفُودُهُمْ تُنِفَتْ شَوَارِبُهُمْ عَلَى الْأَبْوَابِ ^(٣)

وَقَالَ آخَرُ :

نَهَيْتُ جَمِيعَ الْحَضَرِ عَنْ ذِكْرِ خُطَّةٍ يَدْبُرُهَا فِي رَأْيِهِ ابْنُ هِشَامٍ ^(٤)

فَلَمَّا وَرَدَتْ الْبَابَ أَيقَنْتُ أَنَّ عَلَى اللَّهِ وَالسُّلْطَانَ غَيْرُ كَرَامٍ

وَقَالَ آخَرُ :

وَأَفَى الْوَفُودُ فَوَافٍ مِنْ بَنِي حَمَلٍ بِكُرِّ الْحِمَالَةِ قَانِي السِّنِّ غُرُزُومٍ ^(٥)

(١) انتعش العائر : نهض من عثرته .

(٢) النجدة هنا : الشجاعة والشدة .

(٣) من قصيدة له في ديوانه ٥٥ - ٥٧ يهجو بها التيم .

(٤) الحضر ، بالفتح : أهل الحضر . قال زهير :

دع ذا وعد القول في هرم خير الكهول وسيد الحضر

٢٠

(٥) سيأتي في (٣ : ٣٠٢) منسوباً لأبي العرف الطهوي . والعرزوم ، لم يذكر في المعاجم ،

وبدله العرزوم بالفتح ، والعرزوم بالكسر ، وهو القوى الشديد من كل شيء . وفي حواشي هـ عن نسخة :

« العرزوم : القوى الشديد » . وقد وقع بعد هذا البيت اضطراب فيما عدل ، هـ ، فقدم بعض

صفحات الأصل وآخر بعضها . وقد اعتمدت ترتيب الكلام في النسختين لتساوقه والتثامه .

وقال الحُضَيْن بن المنذر (١) :

كُلَّ خَفِيفِ الشَّانِ يَسْعَى مَشْمُرًا إِذَا فَتَحَ الْبَوَابَ بِابِكَ إِصْبَعَا (٢)
وَنَحْنُ الْجُلُوسُ الْمَاكُثُونَ تَوَقُّرًا حَيَاءً إِلَى أَنْ يُفْتَحَ الْبَابُ أَجْمَعَا
وقال آخر :

وَنَفْسُكَ أَكْرَمُهَا فَإِنَّكَ إِنْ تَهَنَّ عَلَيْكَ فَلَنْ تَلْقَى لَهَا الدَّهْرَ مُكْرِمًا (٣)

اعتذر ابنُ عَوْنٍ (٤) إلى إبراهيمَ النَّحْعِي فقال له : آسكتَ معذورًا ؛ فَإِنْ
الاعتذارَ يخالطه الكذب (٥) .

أبو عمرو الزَّعْفَرَانِي قال : كَانَ عَمْرُو بْنُ عُبَيْدٍ عِنْدَ حَفْصِ بْنِ سَالِمٍ فَلَمْ
يَسْأَلْهُ أَحَدٌ مِنْ حَشَمِهِ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ شَيْئًا إِلَّا قَالَ : لَا . فَقَالَ لَهُ عَمْرُو : أَقَلَّ
مِنْ قَوْلٍ لَا ؛ فَإِنَّهُ لَيْسَ فِي الْجَنَّةِ ، وَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ إِذَا سُئِلَ مَا يَجِدُ ٣٤٧
أَعْطَى ، وَإِذَا سُئِلَ مَا لَا يَجِدُ قَالَ : « يَصْنَعُ اللَّهُ » (٦) .

وقال عمر بن الخطاب رحمه الله : أَكْثَرُوا لَهُنَّ مِنْ قَوْلٍ « لَا » ؛ فَإِنْ قَوْلٍ
« نَعَمْ » يَضْرِبُهُنَّ عَلَى الْمَسْأَلَةِ (٧) . وَإِنَّمَا خَصَّ عُمَرُ بِذَلِكَ النِّسَاءَ .

وقال بعضهم : ذَمَّ رَجُلٌ الدُّنْيَا عِنْدَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَقَالَ عَلِيٌّ :

« الدُّنْيَا دَارُ صَدِيقٍ لِمَنْ صَدَّقَهَا ، وَدَارُ نَجَاحٍ لِمَنْ فَهَمَ عَنْهَا ، وَدَارُ غِنَى لِمَنْ
تَزَوَّدَ مِنْهَا ، وَمَهْبطُ وَحْيِ اللَّهِ ، وَمُصَلَّى مَلَائِكَتِهِ ، وَمَسْجِدُ أَنْبِيَائِهِ ، وَمَتَجَرُّ أَوْلِيَائِهِ .
رَبِّحُوا فِيهَا الرَّحْمَةَ ، وَاکْتَسَبُوا فِيهَا الْجَنَّةَ . فَمَنْ ذَا الَّذِي يَذْمُهَا وَقَدْ آذَنْتَ بَيْنَهَا ١٥

(١) سبقَت ترجمته في ص ١٦٩ .

(٢) ما عدل ، هـ : « الساق » ، وأشير في هـ إلى رواية « الساق » .

(٣) البيت بدون نسبة أيضا في حماسة البحترى ٢٤٧ .

(٤) هو عبد الله بن عون ، تقدمت ترجمته في ص ٩١ من هذا الجزء .

(٥) سبق الخبر برواية أخرى في ص ٩١ .

(٦) روى هذا الخبر أيضا في (٣ : ١٥٥) وعيون الأخبار (٣ : ١٣٧) .

(٧) المسألة : السؤال . ل : « يضربهن عن المسألة » تحريف . وانظر (٣ : ١٥٥) .

ونادت بفراقها ، وشبّهت بسرورها السرور ، وببلائها البلاء ، ترغيباً وترهيباً . فيأثها
 الدائم للدنيا ، المعلّل نفسه ، متى خدعتك الدنيا أم متى استدّمت إليك ^(١) ؟
 أبصار ع آباءك في البلى ، أم بمضاجع أمّهاتك في الثرى ؟! كم مرّضت بيديك ، ولم
 علّك بكفّيك ، تطلّب له الشفاء ، وتستوصف له الأطباء ، غداً لا يُغنى عنه
 دواؤك ^(٢) ، ولا ينفعه بكاؤك ^(٣) ، ولا تُنجزه شفقتك ، ولا تشفع فيه طلبتُك .
 وقال عُمر ، رحمه الله : « ما بال أحدكم ثانى وسادّه عند امرأة مُغرّية
 مُغيبية ^(٤) ؟! إن المرأة لحمٌ على وضمٍ ^(٥) إلا ما ذُب عنه » .

* * *

وقال بعضهم : مات ابن لبعض العظماء فعزّاه بعضهم فقال : عِش أيها
 الملك العظيم سعيداً ، ولا أراك الله بعد مصيبتك ما ينسيكها !
 وقال : لمّا توفى معاوية وجلس ابنه يزيد ^(٦) ، دخل عليه عطاء بن أوى صفيّ
 الثّقفى ، فقال : « يا أمير المؤمنين ، أصبحت قد رُزيت خليفة الله ، وأُعطيّت خلافة
 الله ، وقد قضى معاوية نَحْبَه ، فغفر الله ذنبه ، وقد أُعطيّت بعده الرّياسة ووليت
 السّياسة ، فاحتسب عند الله أعظم الرّزية ، واشكره على أفضل العطيّة » .
 ولما تُوفى عبدُ الملك وجلس ابنه الوليد ، دخل عليه الناس وهم
 لا يدرون : أيهنّونه أم يعزّونه ؟ فأقبل غيلان بن سلّمة الثّقفى فسلمّ عليه ، ثم قال :

(١) استدّمت إليه ، فعل ما يذمه عليه . وهذا الصواب من هـ . وفى ل : « بما استندمت إليك » ،
 وفى سائر النسخ : « أم متى استندمت إليك » .

(٢) ل : « عنك دواؤك » .

(٣) الجملةتان التاليتان من ل فقط .

(٤) كلمة « مغزية » من ل فقط ، وفى حواشى هـ عن نسخة بدل « مغبية » . يقال أغزت المرأة
 فهى مغزية ، إذا خرج زوجها للغزو . والخبر مروي فى اللسان (غزا) . وأما المغبية ، بضم الميم وكسر
 الغين ، فهى التى غاب عنها بعلها .

(٥) الوضم : ما يوضع عليه اللحم يوقى به من الأرض . أى هن من الضعف مثل ذلك اللحم
 لا يمتنع من أحد ، إلا أن يذب عنه ويدفع . وانظر اللسان (وضم) .

(٦) فيما عدل ، هـ : « جلس ابنه يزيد ودخل » .

« يا أمير المؤمنين ، أصبحت قد رزيت خير الآباء ، وسُميت بخير الأسماء ، وأعطيت أفضل الأشياء ، فعظم الله لك على الرزية الصبر ، وأعطاك في ذلك نوافل الأجر ، ٣٤٨ وأعانتك على حسن الولاية والشكر . ثم قضى لعبد الملك بخير القضية ، وأنزله بأفضل المنازل المرضية ^(١) ، وأعانتك من بعده على الرعية » . فقال له الوليد : من أنت ؟ فانتسب له . قال : في كم أنت ؟ قال : في مائة دينار . فالحقه بأهل الشرف .

ولما توفى المنصور دخل ابن عتبة مع الخطباء على المهدي فسلم ثم قال : آجر الله أمير المؤمنين على أمير المؤمنين قبله ، وبارك لأمر المؤمنين فيما خلقه له أمير المؤمنين بعده ؛ فلا مصيبة أعظم من فقد أمير المؤمنين ، ولا عُقْبَى أفضل من وراثته مقام أمير المؤمنين . فأقبل يا أمير المؤمنين من الله أفضل العطية ، واحتسب عنده أعظم الزرية . ١٠

وكتب ميمون بن مهران ^(٢) إلى عمر بن عبد العزيز ، يعزّيه عن ابنه عبد الملك ، فكتب إليه عمر : « كتبت إلى تُعزّيني عن ابني عبد الملك ، وهو أمر لم أزل أنتظره ، فلما وقع لم أنكره » . وقال الشاعر ^(٣) :

تُعزّيتُ عن أوفى بغيلاً بعده عزاءً ، وجفنُ العين بالماء مُترعٌ ^(٤) ١٥

(١) هـ : « الرضية » مع الإشارة إلى رواية « المرضية » .

(٢) هو أبو أيوب ميمون بن مهران الجزري الرقي ، نشأ بالكوفة ثم نزل الرقة ، وكان مولى مكاتب ابن نصر بن معاوية ثم عتق ، وكان على خراج الجزيرة وقضاها لعمر بن عبد العزيز . وكان بزازاً ، فكان يجلس في حانوته ويتولى الخراج ، وكان عمر يقول فيه : « إذا ذهب هذا وضربه صار الناس من بعده رجاجة » . الرجاجة ، بالكسر : الرعاع والردال . توفي سنة ١١٧ . تهذيب التهذيب ، والمعارف ١٩٨ ، وصفة الصفوة (٤ : ١٦٦) .

(٣) الشعر نسبته الجاحظ في الحيوان (٧ : ١٦٤) إلى أخت ذى الرمة ، وفي (٦ : ٥٠٦) إلى أخي ذى الرمة . وذكر في الحماسة (١ : ٣٢٨) أنه هشام بن عقبة يرثي أخويه : أوفى ، وذو الرمة . ونحوه في الكامل ١٤٨ . والتحقيق أنه لمسعود أخي ذى الرمة يرثي ذا الرمة ، وابن عمه أوفى بن دهم . انظر الأغاني (١٦ : ١٠٧) والشعراء لابن قتيبة .

(٤) غيلان هو اسم ذى الرمة ، وأوفى هو ابن عمه ، هـ : « ملآن مترع » ، وأشير في حواشيا إلى رواية « بالماء » عن نسخة . ٢٥

ولم تُسِنِّي أَوْفَى المصِيبَاتِ بَعْدَهُ وَلَكِنَّ نَكَءَ القَرَحِ بِالْقَرَحِ أَوْجَعُ
وقال متمم :

قَعِيدِكَ أَلَا تُسْمِعِينِي مَلَامَةً وَلَا تُنَكِّئِي قَرَحَ الفَوَادِ فَيَسْجَعَا ^(١)
وقال آخر ^(٢) :

٥ قَلِيلُ التَّشَكُّيِّ لِلْمَصِيبَاتِ ذَاكِرٌ مِنْ اليَوْمِ أَعْقَابَ الْأَحَادِيثِ فِي غَدٍ
وقالوا : « أَشَدُّ مِنَ الْمَوْتِ مَا يُتَمَنَّى لَهُ الْمَوْتِ » .

وقال الفرزدق وهو يصف طعنة :

يُودُّ لَكَ الْأَدْنُونَ لَوْ مُتَّ قَبْلَهَا يُرُونَ بِهَا شَرًّا عَلَيْكَ مِنَ الْقَتْلِ
وقال : وقيل للأخنف : ما بلغ من حزمك ؟ قال : لا أُلِيَّ مَا كُفِّيت ،
ولا أُضِيعَ مَا وُلِّيتُ .

١٠

وقال آخر : لا تقيموا ببلادٍ ليس فيها نهر جارٍ ، وسوقٌ قائمة ، وقاضٍ عدلٌ .
وقالوا : لا تُبْنِي المَدْنَ إِلَّا عَلَى الْمَاءِ وَالْمَرْعَى وَالْمُحْتَطَبِ ^(٣) .

وقال مالك بن دينار ^(٤) : لربما رَأَيْتُ الْحَجَّاجَ يَتَكَلَّمُ عَلَى مَنَبْرِهِ ، وَيَذْكُرُ
٣٤٩ حُسْنَ صَنِيعِهِ إِلَى أَهْلِ الْعِرَاقِ ، وَسُوءَ صَنِيعِهِمْ إِلَيْهِ ، حَتَّى إِنَّهُ لَيُخَيَّلُ إِلَى السَّامِعِ
أَنَّهُ صَادِقٌ مَظْلُومٌ .

١٥

أبو عبد الله التَّقَفَى عَنْ عَمِّهِ قَالَ : سَمِعْتُ الْحَسْنَ يَقُولُ : لَقَدْ وَقَدْتَنِي كَلِمَةً
سَمِعْتُهَا مِنَ الْحَجَّاجِ . قُلْتُ : وَإِنَّ كَلَامَ الْحَجَّاجِ لَيَقْذُكُ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، سَمِعْتُهُ

(١) البيت في الخزانة (١ : ٢٣٤) . وقصيدة متمم في المفضليات (٢ : ٦٥ - ٧٠) .
وقعيدك ، أى قعيدك الله ، هو من أيمان العرب ، كقولهم : نشدتك الله . نكأ القرحة : قشرها . ويجمع ،
بكسر الباء : لغة في يوجع . انظر حواشئ ص ١٦١

٢٠

(٢) هودريد بن الصمة . انظر الحماسة (١ : ٣٣٩) . وقصيدة البيت في الأصمعيات ٢٣ - ٢٤ ليسك .

(٣) انظر الحيوان (٥ : ٩٩) .

(٤) سبقت ترجمته في (١ : ١٢٠) .

على هذه الأعواد يقول ^(١) : إِنَّ أَمْرًا ذَهَبَتْ سَاعَةٌ مِنْ عَمْرِهِ فِي غَيْرِ مَا خُلِقَ لَهُ ،
لَخَلِيقٍ أَنْ تَطُولَ عَلَيْهَا حَسْرَتُهُ .

وقال بعضهم : ما وجدت ^(٢) أَحَدًا أَبْلَغَ فِي خَيْرٍ وَشَرٍّ مِنْ صَاحِبِ .
عبد الله بن سَلَمَةَ ^(٣) . قال : دخل الزُّبْرَقَانُ بن بدرٍ على زيادٍ وقد كَفَّ
بصره ، فسَلَّمَ تسليمًا جافيًا ، فأدناه زيادٌ فأجلسه معه ، وقال : يا أبا عِيَّاش :
القَوْمُ يَضْحَكُونَ مِنْ جَفَائِكَ ! قال : وَإِنْ ضَحِكُوا فَوَاللَّهِ إِنْ مِنْهُمْ رَجُلٌ إِلَّا يُوَدُّهُ ^(٤)
أَتَى أَبُوهُ دُونَ أَبِيهِ لِعِغَّةٍ أَوْ لِرِشْدَةٍ ^(٥) .

وقال : ونظر هشامُ بن عبد الملك إلى قبر عثمان بن حيان المُرِّي ^(٦)
فقال : جُنُودٌ مِنْ جُنَى النَّارِ ^(٧) .

قالوا : وكان يقال : صاحب السَّوِّءِ قِطْعَةٌ مِنَ النَّارِ ^(٨) ، والسَّفَرِ قِطْعَةٌ مِنَ الْعَذَابِ .
وقال بعضهم ^(٩) : عَذَابَانِ لَا يَكْتَرِثُ لهما الدَّخْلُ فِيهِمَا ^(١٠) : السَّفَرُ
الطَّوِيلُ ، وَالْبِنَاءُ الْكَبِيرُ ^(١١) .

(١) ل : « يقول على هذه الأعواد » .

(٢) فيما عدل : « وقال بعضهم : كان يقال ما وجدنا » .

(٣) ل ، هـ : « سلم » تحريف . وهو عبد الله بن سلمة المرادى الكوفي . في الطبقة الأولى من
فقهاء الكوفة بعد الصحابة . روى عن عمر وعلى وابن مسعود . وقال النسائي : لا أعلم أحد روى عنه
غير عمرو بن مرة . انظر ترجمة كل منهما في تهذيب التهذيب .

(٤) فيما عدل : « يود » .

(٥) لغية ، بفتح الغين وكسر ها ، أى لزنية ، وهو نقيض قولك : لرشدة .

(٦) عثمان بن حيان المرى ، كان والياً على المدينة سنة ٩٤ من قبل الوليد بن عبد الملك ، ثم عزله
سليمان سنة ٩٦ . الطبرى (٨ : ٩٢ ، ١٠٢) .

(٧) الجنوة ، مثلثة الجيم : الحجارة المجموعة .

(٨) بقية القول ساقط من هـ .

(٩) فيما عدل : « قال آخر وكان يقال » .

(١٠) ل : « لا يكثر لهما الرجل » .

(١١) ما عدا هـ : « الكثير » .

وقال رجلٌ من أهل المدينة : مَنْ ثَقُلَ عَلَى صَدِيقِهِ خَفَّ عَلَى عَدُوِّهِ ، وَمَنْ أَسْرَعَ إِلَى النَّاسِ بِمَا يَكْرَهُونَ قَالُوا فِيهِ بِمَا لَا يَعْلَمُونَ .

وقال سهل بن هارون : ثلاثة يعودون إلى أَجَنِّ المجانين ، وإن كانوا أَعْقَلَ العقلاء : الغضبان ، والغَيْران ، والسُّكْران . فقال له أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الشَّاعِرُ المَخْلَعُ ^(١) : ما تقول في المنعِظ ؟ فضحك حتَّى اسلَنَقَى ^(٢) ، ثم قال :

وما شَرُّ الثلاثةِ أَمُّ عمرو بصاحبك الذي لا تَصْبَحِينَا

وقال أبو الدرداء : « أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ غَضَبِ اللَّهِ إِذَا غَضِبَ » .

وقال : قال إِيَّاس ^(٣) : الْبُخْلُ قَيْدٌ ، وَالْعَصَبُ جُنُونٌ ، وَالسُّكْرُ مِفْتَاحُ الشَّرِّ .

وقال بعضُ الْبُخْلَاءِ : مَا نَصَبَ النَّاسُ لَشَيْءٍ نَصَبَهُمْ لَنَا ^(٤) ، هَبْهُمْ

يُلْزِمُونَا الذَّمَّ فِيمَا بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ ، مَا لَهُمْ يُلْزِمُونَا التَّقْصِيرَ فِيمَا بَيْنَنَا وَبَيْنَ أَنْفُسِنَا .

قال : وقال إبراهيم بن عبد الله بن حسن لأبيه : ما شعر كُثِيرٌ عِنْدِي كَمَا يَصِفُ النَّاسُ ^(٥) . فقال له أبوه : إِنَّكَ لَمْ تَضَعْ كُثِيرًا بِهَذَا ، إِنَّمَا تَضَعُ بِهَذَا نَفْسَكَ .

قال : وأنشد رجل عمر بن الخطاب ، رحمه الله ، قولَ طَرْفَةٍ :

فلولا ثلاثُ هُنَّ من عَيْشَةِ الْفَتَى وَجَدَّكَ لَمْ أَحْفَلْ مَتَى قَامَ عُودِي

فقال عمر : « لَوْلَا أَنْ أُسِيرَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، وَأَضَعَ جَبْهَتِي لِلَّهِ ، وَأُجَالِسَ أَقْوَامًا

يَنْتَقُونَ أَطْيَابَ الْحَدِيثِ كَمَا يَنْتَقُونَ أَطْيَابَ التَّمْرِ ، لَمْ أَبَالِ أَنْ أَكُونَ قَدْ مُتُّ ^(٦) » .

(١) ل : « الشَّاعِرُ المَخْلَعُ » .

(٢) فِيمَا عَدَا ل ، هـ : « اسلَنَقَى » ، وَكَلَامُهُمَا بِمَعْنَى .

(٣) ل : « قَالَ إِبْرَاهِيمُ » ، مَا عَدَا ل : « قَالَ نَاسٌ » ، وَوَجْهُهُ مَا أَثْبِتَ مِنْ حَوَاشِي هـ عَنْ نَسْخَةٍ .

(٤) نَصَبَ فُلَانٌ لِفُلَانٍ نَصْبًا ، إِذَا قَصَدَ لَهُ وَعَادَاهُ وَتَجَرَّدَ لَهُ .

(٥) فِيمَا عَدَا ل : « كَمَا يَصِفُهُ النَّاسُ » .

(٦) عِيُونَ الْأَخْبَارِ (١ : ٣٠٨) .

وقال عامر بن عبد قيس ^(١) . « ما آسى من العراق إلا على ثلاث : على ظمًا الهواجر ، وتجاوب المؤذنين ، وإخوان لي منهم الأسود بن كلثوم ^(٢) » .
وقال آخر : « ما آسى من البصرة إلا على ثلاث : رطب السكر ، وليل الحزير ^(٣) ، وحديث أبى بكر ^(٤) » .

وقال سهل بن هارون :

تكتفنى همّان قد كسفا بالي وقد تركا قلبي محلّة بلبال
هما أذريا دمعى ولم تُذِر عبرى ربيبة حدير ذات سيمط وخلخال ^(٥)
ولكننى أبكى بعين سخينة على جلّ تبكى له عين أمثال
فراق خليل ، أو شجى يستشيفنى لخلّة مرء لا يقوم لها مالى ^(٦)
فواكيدى حتّى مئى القلب موجع بفقد حبيب أو تعذر إفضال
وما العيش إلا أن تطول بنائل وإلا لقاء الخلل ذى الخلق العالى ^(٧)

وقال آخر :

لولا ثلاث هُنَّ عيشُ الدهر الماء والتوم وأُم عمرو
* كما خشيّت من مضيق القبر *

قال : وقال الأحنف : أربع من كُنَّ فيه كان كاملاً ، ومن تعلّق بخصلة

(١) سبق ترجمته فى (١ : ٨٣) .

(٢) مضت ترجمته فى (١ : ٣٦٣) .

(٣) الحزير ، بزاعين معجمتين : موضع بالبصرة ، كما فى معجم البلدان وهامش التيمورية . وفى معجم ما استعجم : « هو الموضع الذى بين العقيق وأعلى المريد بالبصرة » . وهذا ما فى ل . وفى هـ : « الحزير » وسائر النسخ : « الحزير » .

(٤) ما عدل ، هـ : « أبى بكر » صوابه منهما ومن عيون الأخبار (١ : ٣٠٨) حيث ورد هذا الخبر وسابقه ، ومما سيقا فى (٣ : ١٥٨) . وهذا استدراك لما وقع فى الطبعة الأولى .

(٥) هذا البيت والبيت قبله من ل فقط .

(٦) الخلّة ، بالفتح : الحاجة . فيما عدل : « لخلّة أمر » ، تحريف .

(٧) هـ : « لقاء الأخ » .

منهنَّ كان من صالحى قومه : دينٌ يُرشدُه ، أو عقلٌ يُسدِّدُه ، أو حسب يصونه ، أو حياءٌ يقناه ^(١) .

٣٥١

وقال : المؤمن بين أربع : مؤمنٌ يحسده ، ومنافقٌ يُبغضه ، وكافرٌ يجاهده ، وشيطانٌ يقْتِنه . وأربع ليس أقلُّ منهن : اليقين ، والعدل ، ودرهمٌ حلال ، وأخٌ فى الله .

وقال الحسن بن على : مَنْ أتانَا لم يَعدِم خصلةٌ من أربع : آيةٌ محكمة ، أو قضيةٌ عادلة ، أو أخا مستفاداً ، أو مجالسةَ العلماء ^(٢) .

وقالوا : مَنْ أُعْطِيَ أربعاً لم يُمنَع أربعاً : مَنْ أُعْطِيَ الشُّكْرَ لم يُمنَع المَزِيد ، ومن أُعْطِيَ التَّوْبَةَ لم يُمنَع القَبول ، وَمَنْ أُعْطِيَ الاستِخارة لم يُمنَع الخَيْرَ ، وَمَنْ أُعْطِيَ المشورة لم يَعدِم الصَّواب ^(٣) .

وقال أبو ذرِّ الغِفَارى : كان الناس ورقاً لا شوكَ فيه ، فصاروا شوكاً لا ورقَ فيه ^(٤) .

وقالوا : تعاملَ النَّاسُ بالَّذين حتى ذهبَ الدِّين ، وبالحياء حتى ذهبَ الحياء ، وبالمروءة حتى ذهبَت المروءة ، وقد صاروا إلى الرَّغبة والرَّهبة ، وأُخْرِجَ بهما أن يذهبا . وقال بعضهم : دَعَا رجلٌ علىَّ بن أبى طالبٍ رضى الله عنه إلى طعام ، فقال : نأتيك على أن لا تتكلَّفَ لنا ما ليس عندك ، ولا تدَّخرَ عَنَّا ما عندك ^(٥) .

وقال آخر : كان شيخٌ يأتى ابنَ المقفَّع ، فألَحَّ عليه يسأله الغَداءَ عنده وفى ذلك يقول : إنَّكَ تَظُنُّ أنَّى أتَكلَّفُ لك شيئاً ؟ لا والله لا أقَدِّمُ إليك إلَّا ما عندى . فلما أتاه إذا ليس عنده ^(٦) إلَّا كِسرةٌ يابسةٌ ومِلحٌ جَرِيش . ووقف سائلاً

(١) ل : « وعقل .. وحسب .. وحياء » . قنى الحياء ، كرضى ورمى : لزمه .

(٢) ل : « وقضية .. وأخا .. ومجالسة » ، أى بالواو بدل « أو » .

(٣) فيما عدل : « لم يمنع الصواب » .

(٤) نسب فى (٣ : ١٢٧) إلى أبى الدرداء .

(٥) هذه الجملة من ل ، هـ فقط .

(٦) فيما عدل : « ليس فى منزله » .

بالباب فقال له : بُورِكَ فيكَ ! فلمَّا لم يذهب قال : والله لئن خَرَجْتُ إليك لأدُقَّنَّ سَاقِيكَ ! فقال ابن المقفَّع للسَّائل : إِنَّكَ لو تعرَّفَ مِن صدق وعيده مثل الذى أعرِفَ مِن وَعده لم تُرَادَّهُ كلمة ، ولم تَقِفْ طَرْفَةً ^(١) .

قال : وكان يقال : أوَّل العلم : الصَّمت ، والثانى : الاستماع ، والثالث : الحفظ ، والرابع : العمل به ، والخامس : تشرُّه .

وقال آخر : كان يقال : لا وَحْشَةَ أَوْحَشُ من عُجْبٍ ، ولا ظَهِيرَ أَعون من مشورة ، ولا فَقْرَ أَشَدُّ من عدم العقل .
وقال مُورِّقُ العِجْلَى ^(٢) : ضاحكٌ معترفٌ بدنيه ، خيرٌ من باكٍ مُدِلٍّ على ربِّه ^(٣) .

وقال : خير من العُجب بالطاعة ، ألا تأتَى بالطاعة ^(٤) .

وقال شبيبٌ لأبى جعفر : إنَّ الله لم يجعل فوقَكَ أحداً ، فلا تجعلَنَّ فوق ٥٢ شُكْرَكَ شُكْراً .

وقال آخر لأبى جعفرٍ فى أوَّل رَكْبَةٍ ركبها : إنَّ الله قد رأى ألا يجعل أحداً فوقَكَ ^(٥) ، فَرِ نَفْسَكَ أهلاً ألا يكونَ أحدٌ أطوَعَ لله منك .

وسَفَّهَ رجلٌ على ابنٍ له فقال له ابنه : والله لأنَّا أَشْبَهَ بك منك بأبيك ، ولأنت أَشَدُّ تحصيئاً لأُمى من أبيك لأُمِّك .

وقال عمرو بن عُبيد لأبى جعفر : إنَّ الله وَهَبَ لك الدُّنيا بأسْرِها ، فاشترِ نَفْسَكَ ^(٦) منه ببعضها .

(١) ما عدل : « مثل ما أعرف » والخير فى البخلاء ١١٠ والعقد (٦ : ١٨٦) .

(٢) سبقَت ترجمته فى (١ : ٣٥٣) .

(٣) هـ : « من الباكى المدل على ربه » .

(٤) فيما عدل ، هـ : « ألا يأتى » . وفى ل : « خ : بطاعة » إشارة إلى نسخة . وهى رواية

ما عدل : وهذا الخير وسابقه سيعادان فى (٣ : ١٥٨) .

(٥) ل : « قدر ألا يجعل فوقَكَ أحداً » .

(٦) فيما عدل ، : « فاشتر لنفسك » .

وقال الأحنف : ثلاثة لا أناةَ فيهنَّ عندي . قيل : وما هنَّ يا أبا بحر ؟
قال : المبادرة بالعمل الصالح ، وإخراجُ ميّتك ، وأن تُنكح الكفءَ أيّك .
وكان يقول : لأفْعَى تَحَكُّكُ في ناحية بيتي أحبُّ إليّ من أيّم رددتُ عنها
كُفْئاً .

وكان يقال : ما بعد الصّواب إلا الخطأ ، وما بعد منعهنَّ من الأكفاء
إلا بذلهنَّ للسفلة والعوغاء .

وكان يقال : لا تطلبوا الحاجة إلى ثلاثة : إلى كذوب ؛ فإنّه يُقَرِّبُها وإن
كانت بعيدة ، ويباعدها وإن كانت قريبة . ولا إلى أحمق ؛ فإنّه يريد أن ينفعل
فيضرك . ولا إلى رجلٍ له إلى صاحب الحاجة حاجة ؛ فإنّه يجعل حاجتك وقايةً
لحاجته .

وكان الأحنف بن قيس يقول : لا مُروءة لكذوب ، ولا سُودد لبخيل ،
ولا ورعٌ لِسَيِّئِ الخلق .

وقال الشعبي : عليك بالصدق حيث تُرى أنّه يضرك ؛ فإنّه ينفعل .
واجتنب الكذب في موضع ترى أنّه ينفعل ؛ فإنّه يضرك .

وقالوا : لا تصرف حاجتك إلى مَنْ معيشته من رءوس المكايل ^(١) ،
وَالسنة الموازين .

وقالوا : تفرّد ^(٢) الله عزَّ وجل بالكمال ، ولم يبرِّء أحداً من التَّقْصان .
قالوا : وقال عامر بن الظَّرب العدواني ^(٣) : « يا مَعَشَرَ عَدُوَان ، إن الخيرَ
أَلُوفٌ عَزُوفٌ ، ولن يُفارق صاحبه حتّى يفارقه ، وإئني لم أكن حليماً حتّى اتبعت
الحلماء ، ولم أكن سيِّدكم حتّى تعبّدت لكم » .

(١) ل : « المكايل » ولكنها لا تساوق النص . والمكايل : جمع مِكْتَل ، وهو شبه الزنبيل يسع
خمسة عشر صاعاً .

(٢) هـ : « انفرد » .

(٣) سبق بعض الخطبة التالية والإشارة إلى مراجعها في (١ : ٤٠١) .

وقال الأحنف : « لَأَنْ أُدْعَى مِنْ بَعِيدٍ ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أُقْصَى مِنْ قَرِيبٍ » .

وكان يقال : إِيَّاكَ وَصَدَرَ الْمَجْلِسَ وَإِنْ صَدَّرَكَ صَاحِبُهُ ؛ فَإِنَّهُ يَجْلِسُ قُلْعَةٍ ^(١) . ٣٥٣

قال : وقال زيادٌ : مَا أَتَيْتُ مَجْلِسًا قَطُّ إِلَّا تَرَكْتُ مِنْهُ مَا لَوْ أَخَذْتُهُ كَانَ لِي .
وَتَرَكْتُ مَا لِي ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَخْذِ مَا لَيْسَ لِي .

وقال الأحنف : مَا كَشَفْتُ أَحَدًا عَنْ حَالِي عِنْدَهُ إِلَّا وَجَدْتُهَا دُونَ
مَا كُنْتُ أَظُنُّ .

قال : وَأَتْنِي رَجُلٌ عَلَى عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ فَأَفْرَطُ ، وَكَانَ عَلَى لَهُ مَتْنَمًا ،
فَقَالَ : أَنَا دُونَ مَا تَقُولُ ، وَفَوْقَ مَا فِي نَفْسِكَ .

قال : وكان يقال : خَمْسُ خِصَالٍ تَكُونُ فِي الْجَاهِلِ : الْغَضَبُ فِي غَيْرِ
غَضَبٍ ، وَالْكَلَامُ فِي غَيْرِ نَفْعٍ ، وَالْعَطِيَّةُ فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ ، وَالثَّقَةُ بِكُلِّ أَحَدٍ ،
وَأَلَّا يَعْرِفَ صَدِيقَهُ مِنْ عَدُوِّهِ . ١٠

وَأَتْنِي أَعْرَابِيٌّ عَلَى رَجُلٍ فَقَالَ : إِنْ خَيْرِكَ لَسَرِيحٍ ، وَإِنْ مَنَعَكَ لَمُرِيحٍ ، وَإِنْ
رَفَدَكَ لَرِيحٍ ^(٢) .

وقال سَعِيدُ بْنُ سَلَمٍ ^(٣) كُنْتُ وَالْيَأْ بِأَرْمِينِيَّةٍ ، فَقَبَّرَ أَبُو دُهْمَانَ الْغَلَّابِيُّ ^(٤)

(١) القلعة : بالضم : التحول والارتحال .

(٢) سبق هذا الكلام في (١ : ٢٩٨) .

(٣) فيما عدل ، هـ : « مسلم » ، تحريف . وقد سبقت ترجمة سعيد في ص ٤٠ .

(٤) غير : بقي ومكث . وأبو دهمان الغلابي : شاعر من شعراء البصرة ممن أدرك دولتي بني أمية
وبني هاشم ، ومدح المهدي . وكان طبيباً ظريفاً مليح النادرة . وهو القائل لما ضرب المهدي أبا العتاهية
بسبب عشقه عتبة : ٢٠

لولا الذي أحدث الخليفة في الـ عشاق من ضربهم إذا عشقوا

لبحت باسم الذي أحب ولكنـى امرؤ قد ثنائى الفرق

الأغاني (١٩ : ١٥١) . و « دهمان » بضم الدال . وفي النسخ : « زهمان » ، محرف . والغلابي بتشديد
اللام كما في السمعاني . فيما عدل ، هـ : « الغلابي » تحريف . وانظر الحيوان (٧ : ٢٣٧) .

عَلَى بَابِي أَيَّامًا ، فَلَمَّا وَصَلَ إِلَى مَثَلٍ بَيْنَ يَدَيَّ قَائِمًا بَيْنَ السَّمَاطَيْنِ وَقَالَ :

« وَاللَّهِ إِنِّي لَأَعْرِفُ أَقْوَامًا لَوْ عَلِمُوا أَنَّ سَفَّ التُّرَابِ يَقِيمُ مِنْ أَوْدِ أَصْلَابِهِمْ لَجَعَلُوهُ مُسْكَةً لَأَرْمَاقِهِمْ ^(١) ؛ إِثَارًا لِلتَّنَزُّهِ عَنْ عَيْشِ رَقِيقِ الْحَوَاشِي ^(٢) . أَمَّا وَاللَّهِ إِنِّي لَبَعِيدُ الْوَثْبَةِ ، بَطِيءُ الْعَطْفَةِ ^(٣) . وَإِنَّهُ وَاللَّهِ مَا يُثْنِينِي عَلَيْكَ إِلَّا مِثْلُ مَا يَصْرِفُنِي عَنْكَ . وَلَئِنْ أَكُونُ مُقِلًّا مُقَرَّبًا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَكُونَ مُكْثَرًا مُبْعَدًا . وَاللَّهِ مَا نَسْأَلُ عَمَلًا لَا نُضْطِطُّهُ ، وَلَا مَالًا إِلَّا وَنَحْنُ أَكْثَرُ مِنْهُ . وَهَذَا الْأَمْرُ الَّذِي صَارَ إِلَيْكَ وَفِي يَدَيْكَ ، قَدْ كَانَ فِي يَدَيَّ غَيْرِكَ ، فَأَمْسَوْا وَاللَّهِ حَدِيثًا ، إِنَّ خَيْرًا فَخِيرٌ وَإِنْ شَرًّا فَشَرٌّ . فَتَحَبَّبْتُ إِلَى عِبَادِ اللَّهِ بِحُسْنِ الْبِشْرِ ، وَلِإِنْ الْجَانِبَ ؛ فَإِنَّ حَبَّ عِبَادِ اللَّهِ مَوْصُولٌ بِحَبِّ اللَّهِ ، وَبُغْضُهُمْ مَوْصُولٌ بِبُغْضِ اللَّهِ ؛ لِأَنَّهُمْ شُهَدَاءُ اللَّهِ عَلَى خَلْقِهِ ، وَرُقَبَاؤُهُ عَلَى مَنْ عَاجَ عَنْ سَبِيلِهِ ^(٤) » .

١٠

وَدَخَلَ عُتْبَةُ بْنُ عَمْرِو بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ ، عَلَى خَالِدِ ابْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْقَسْرِيِّ بَعْدَ حِجَابٍ شَدِيدٍ ، وَكَانَ عُتْبَةُ سَخِيًّا ، فَقَالَ خَالِدٌ يَعْزُضُ بِهِ : إِنَّ هَاهُنَا رَجَالًا يَدَّائُونَ فِي أُمُورِهِمْ ، فَإِذَا فَنَيْتَ آدَانَا فِي أَعْرَاضِهِمْ . فَعَلِمَ الْقُرَشِيُّ ^(٥) أَنَّهُ يَعْزُضُ بِهِ ، فَقَالَ الْقُرَشِيُّ ^(٦) : أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ ، إِنْ رَجَالًا مِنَ الرِّجَالِ تَكُونُ أُمُورُهُمْ أَكْثَرَ مِنْ مُرُوءَاتِهِمْ ، فَأُولَئِكَ تَبْقَى لَهُمْ أُمُورُهُمْ ، وَرَجَالًا تَكُونُ مُرُوءَاتُهُمْ أَكْثَرَ مِنْ أُمُورِهِمْ ، فَإِذَا نَفِدَتْ آدَانَا عَلَى سَعَةِ مَا عِنْدَ اللَّهِ ! فَخَجَلَ خَالِدٌ وَقَالَ : إِنَّكَ لِمِنْهُمْ مَا عَلِمْتَ !

٣٤٥

(١) الأرماق : جمع رمق ، بالتحريك ، وهو بقية الحياة . فيما عدل ، هـ : « لازماً فيهم » ،

تحريف . وانظر رسائل الجاحظ (٢ : ٤٢) بتحقيقنا .

٢٠

(٢) التنزه : الابتعاد .

(٣) العطفة : الرجعة .

(٤) عاج : رجع . فيما عدل : « اعوج عن سبيله » .

(٥) القرشي ، هو عتبة بن عمر ، فإنه مخزومي ، ومخزوم من قريش ، هو مخزوم بن يقظة بن مرة

ابن كعب بن لؤي بن غالب . جد واليتمورية : « القسري » تحريف . وفي ب : « عتبة » مع أثر تصحيح .

٢٥

(٦) هذه الكلمة في ل فقط .

قال : وقيل لعبد الله بن يزيد بن أسد بن كُزُر (١) : هَلَّا أُجِبْتَ أمير المؤمنين إذ سألك عن مالك ؟ فقال : إِنَّهُ كَانَ لَا يَعْدُو إِحْدَى حَالَتَيْنِ (٢) : إِنْ اسْتَكْتَرَهُ حَسَدُنِي ، وَإِنْ اسْتَقَلَّهُ حَقْرُنِي .

أبو الحسن قال : وَعَظَ عُرْوَةُ (٣) بَنِيهِ فَقَالَ : « تَعْلَمُوا الْعِلْمَ فَإِنَّكُمْ إِنْ تَكُونُوا صَغَارَ قَوْمٍ فَعَسَى أَنْ تَكُونُوا كِبَارَ قَوْمٍ آخَرِينَ » . ثُمَّ قَالَ : « النَّاسُ بِأَزْمَانِهِمْ أَشْبَهُ مِنْهُمْ بِآبَائِهِمْ . وَإِذَا رَأَيْتُمْ مِنْ رَجُلٍ خَلَّةَ (٤) فَاحْذَرُوهُ ، وَاعْلَمُوا أَنَّ عِنْدَهُ لَهَا أُنْحَوَاتٌ » .

قال : وقال رجلٌ لرجل (٥) : هَبْ لِي دُرِيهِمَا . قَالَ : أَتَصَغَّرُهُ ، لَقَدْ صَغُرْتُ عَظِيماً ! الدَّرْهَمُ عَشْرُ الْعَشْرَةِ ، وَالْعَشْرَةُ عَشْرُ الْمِائَةِ ، وَالْمِائَةُ عَشْرُ الْأَلْفِ ، وَالْأَلْفُ عَشْرُ الدِّيَّةِ .

قال الأصمعيّ : خَرَجْتُ بِالْدَارِمِيِّ (٦) قَرَحَةً فِي جَوْفِهِ ، فَبَزَقَ بَرَقَةً خَضِرَاءَ ،

(١) عبد الله هذا هو والد خالد بن عبد الله بن يزيد القسري ، المترجم في (١ : ٣٠٩) . والخبر يتأمله في الكامل ١١٠ ليسك : « وكان عبد الله بن يزيد أبو خالد من عقلاء الرجال ، قال له عبد الملك يوماً : ما مالك ؟ فقال : شيئا لا عيلة على معهما : الرضا عن الله ، والغنى عن الناس . فلما نهض من بين يديه قيل له : هلا خبرته بمقدار مالك ؟! فقال : لم يعد أن يكون قليلا فيحقرني ، أو كثيرا فيحسدني » . فيما عدا ل ، ه : « بن كوز » تحريف ، انظر ضبط نسبه في ترجمة ابن خلكان لخالد بن عبد الله القسري .

(٢) كان لا يعدو إحدى حالتين ، من ل فقط .

(٣) هو عروة بن الزبير بن العوام .

(٤) الخلة ، بالفتح : الخصلة . أراد خلة مستهجنة .

(٥) المستول خالد بن صفوان ، كما في كتاب البخلاء ١٢٦ . قال : سأل خالد بن صفوان رجل فأعطاه درهما ، فاستقله السائل : يا أحمق إن الدرهم عشر العشرة » إلخ .

(٦) اسمه سعيد الدارمي ، كما ذكر أبو الفرج في الأغاني (٢ : ١٧٥) ، حيث ساق الخبر التالي . وهو أحد شعراء أهل مكة وظرفافهم وأصحاب الغناء . كان في أيام عمر بن عبد العزيز وهو الذي روج لصديقه التاجر الكوفي تجارته في الخمر السود ، بما أشاع من غنائه وقوله :

قل للمليحة في الخمار الأسود ماذا صنعتِ براهب متعب

قد كان شمر للصلاة ثيابه حتى وقفت له بياض المسجد

قالوا : فلم تبق في المدينة ظريفة إلا ابتاعت خماراً أسود ، حتى نفذ ما كان مع التاجر منها .

فَقِيلَ لَهُ : قَدْ بَرَأْتُ ، إِذْ قَدْ بَرَّقَتْهَا خَضْرَاءُ ^(١) . قَالَ : وَاللَّهِ لَوْ لَمْ تَبْقَ فِي الدُّنْيَا زَمْرُودَةً خَضْرَاءَ إِلَّا بَرَّقَتْهَا لَمَّا نَجَوْتُ ^(٢) .

مَرَّ الْوَلِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ بِمَعْلَمٍ صَبِيَّانٍ فَرَأَى جَارِيَةً فَقَالَ : وَيْلَكَ مَا هَذِهِ الْجَارِيَةُ ؟ فَقَالَ : أَعْلَمُهَا الْقُرْآنَ . قَالَ : فَلْيَكُنِ الَّذِي يَعْلَمُهَا أَصْغَرَ مِنْهَا .

٥ إِسْحَاقُ بْنُ أَيُّوبَ قَالَ : هَرَبَ الْوَلِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ مِنَ الطَّاعُونَ ، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ : ﴿ قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفِرَارُ إِنْ قَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوْ الْقَتْلِ وَإِذَا لَا تُمْتَعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ . قَالَ : ذَلِكَ الْقَلِيلُ تُرِيدُ .

وَهَرَبَ رَجُلٌ مِنَ الطَّاعُونَ إِلَى النَّجَفِ ، أَيَّامَ شُرَيْحٍ ^(٣) . فَكَتَبَ إِلَيْهِ شُرَيْحٌ : « أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ الْفِرَارَ لَنْ يُبْعِدَ أَجَلًا ، وَلَنْ يَكْثُرَ رِزْقًا . وَإِنَّ الْمُقَامَ لَنْ يَقْرُبَ أَجَلًا ، وَلَنْ يَقْلُ رِزْقًا . وَإِنَّ مَنْ بِالنَّجَفِ ^(٤) مِنْ ذِي قُدْرَةٍ لَقَرِيبٌ » . ١٠

قَالُوا : وَدَخَلَ عَلَى الْوَلِيدِ فَتَى مِنْ بَنِي مَخْزُومٍ ، فَقَالَ لَهُ : زَوَّجْنِي ابْنَتَكَ . فَقَالَ لَهُ : هَلْ قَرَأْتَ الْقُرْآنَ ؟ قَالَ : لَا . قَالَ : أَذْنُوهُ مِنِّي . فَأَذْنُوهُ فَضَرَبَ عِمَامَتَهُ بِقَضِييبٍ كَانَ فِي يَدِهِ ، وَقَرَعَ رَأْسَهُ بِهِ قَرَعَاتٍ ، ثُمَّ قَالَ لِرَجُلٍ : ضُمَّهُ إِلَيْكَ فَإِذَا قَرَأَ الْقُرْآنَ زَوَّجْنَاهُ ^(٥) .

١٥ وَلَمَّا اسْتَعْمَلَ يَزِيدُ بْنُ أُمَيٍّ مُسْلِمٌ ^(٦) بَعْدَ الْحِجَّاجِ قَالَ : أَنَا كَمَنْ سَقَطَ مِنْهُ ^(٧) دِرْهَمٌ فَأَصَابَ دِينَارًا .

(١) فِي الْأَعْيَانِ : « فَقَالَ لَهُ : أَبْشِرْ ، قَدْ اخْضَرَّتِ الْقَرْحَةُ وَعُوفِيَتْ » .

(٢) فِيمَا عَدَا لَ : « مَا نَجَوْتُ » .

(٣) شُرَيْحُ بْنُ الْحَارِثِ الْقَاضِي الْمَشْهُورُ ، تَرْجَمَ فِي (١ : ٢٦٣) .

(٤) لَ : « وَإِنَّ النَّجَفَ » .

(٥) كَلِمَةُ « الْقُرْآنَ » مِنْ لَ فَقَطْ . فِي هـ : « فَإِذَا اقْرَأَهُ » .

(٦) انْظُرْ تَرْجُمَةَ يَزِيدَ بْنِ أُمَيٍّ مُسْلِمٍ فِي (١ : ٣٩٥) .

(٧) لَ : « عَنْهُ » . وَفِي هـ : « فَوَجَدَ دِينَارًا » .

- وقال (١) ليزيد بن أبي مُسلم : قال أبي للحجاج (٢) : إنما أنت جلدة ما بين عيني (٣) ! قال الوليد : يا يزيد (٤) ، وأنا أقول : أنت جلدة وجهي كله . ٣٥٥
- ومع هذا إنه صعد المنبر فقال : علي بن أبي طالب لُصُّ ابن لُصِّ ، صُبَّ عليه شُوبُوبٌ عذاب . فقال أعرابيٌّ كان تحت المنبر : ما يقول أميركم هذا ؟!
- وفي قوله لُصُّ ابن لُصِّ أعجوبتان : إحداهما رَمِيَهُ علي بن أبي طالب أنه لُصٌّ ، والأخرى أنه بلغ من جهله ما لم يجهله أحد ، أنه ضم اللام من لُصِّ (٥) . ٥
- بكر بن عبد العزيز الدمشقي (٦) ، قال : سمعت الوليد بن عبد الملك على المنبر ، حين ولي الخلافة ، وهو يقول : « إذا حَدَّثْتُكُمْ فكذَّبْتُكُمْ فلا طاعة لي عليكم ، وإذا وعدتكم فأخلفتكم فلا طاعة لي عليكم ، وإذا أغزيتكم فجمرتكم فلا طاعة لي عليكم (٧) » . فيقول مثل هذا الكلام ثم يقول لأبيه : « يا أمير المؤمنين ، اقتل أبي فديك (٨) » . وقال مرة أخرى : « يا غلامُ رُدِّ الفُرسانِ الصَّادَّانِ عن المَيدانِ » . ١٠

(١) وقال ، أي الوليد . انظر ما سيأتي في ص ٢٠٧ ، وفي النسخ ما عداه : « وقيل » ، تحريف .
 (٢) أي ، أي عبد الملك . ل : « قال لك الحجاج » ، تحريف .
 (٣) يقال هو جلدة ما بين العينين ، أو ما بين العين والأنف ، أي هو مثلها في مكان العزة والقرب . وقال عبد الله بن عمر ، وكان يلام في شدة حبه لابنه سالم :
 يديروني عن سالم وأديرهم وجلدة بين العين والأنف سالم
 انظر اللسان (حوز ٢٠٩ ، سلم ١٩١) ، وثمار القلوب ١٧٤ والمعارف ٧٠ .
 (٤) قال الوليد يا يزيد ، من ل فقط .
 (٥) الحق أن ضم اللام لغة . ٢٠

(٦) ترجم له ابن عساکر في تاريخ دمشق (٧ : ١٣٣) نسخة المكتبة التيمورية ، وذكر أنه روى عن أبيه عبد العزيز ، وعمه عبد الغفار بن إسماعيل ، وروى عنه عبد الرحمن بن يحيى .
 (٧) الكلمتان الأخيرتان ساقطتان من ح . أغزيتكم : أخرجتكم للغزو . وتجمير الجيش : حبسه في أرض العدو ، ومنعه من الرجوع .

(٨) ل : « قتل أبي فديك » . وأبو فديك الخارجي ، هو عبد الله بن ثور بن سلمة ، من بني سعد بن قيس ، من بكر بن وائل . المعارف ١٨٥ . وكان خروجه على عبد الملك في سنة ٧٢ . الطبری =

قال : وقال عبد الملك : أضرب بالوليد حُبنا له ، فلم نوجَّهه إلى البادية ^(١) .
 قال : ولحن الوليد على المنبر فقال الكروّس : لا والله إن رأيته على هذه
 الأعواد قطّ فأمكنني أن أملاً عيني منه ، من كثرة في عيني ، وجلالته في
 نفسي ^(٢) . فإذا لحن هذا اللحن الفاحش صار عندى كبعض أعوانه .

- ٥ . وصلى يوماً الغداة فقرأ السورة التي تُذكر فيها الحاقة فقال : « يا ليتها
 كانت القاضية » ، فبلغت عمر بن عبد العزيز فقال : أما إنّه إن كان قالها إنّه
 لأحد الأَحْدِين ^(٣) .

قالوا : وكان الوليد ومحمد ، ابنا عبد الملك ، لحائنين ، ولم يكن في ولده
 أفصح من هشام ومسلمة .

- ١٠ . قال : وقال صاحب الحديث الأوّل ^(٤) : أخبرني أئى ، عن إسحق بن
 قبيصة ^(٥) قال : كانت كتب الوليد تأتينا ملحونة ، وكذلك كتبُ محمد ، فقلت
 لمولى محمد : ما بال كتبكم تأتينا ملحونة وأنتم أهل الخلافة ؟ فأخبره المولى
 بقولى ، فإذا كتابٌ قد ورد على : « أمّا بعد فقد أخبرني فلانٌ بما قلت ،
 وما أحسبك تشكُّ أن قريشاً أفصح من الأشعرين ^(٦) . والسلام » .

- ١٥ . = (٧ : ١٩٤) . وقد وجه إليه عبد الملك أمية بن عبد الله بن خالد ، فهزمه أبو فديك وفضحه
 وأخذ أثقاله وحرمه ، ثم وجه إليه عمر بن عبيد الله بن معمر ، فلقى أبا فديك بالبحرين ، فقتل أبا فديك
 واستنقذ منه حرم أمية بن عبد الله سنة ٧٤ . اليعقوبى (٣ : ١٨) والطبرى (٧ : ٢٠٥) .

(١) المقد (٢ : ٤٨) .

(٢) هاتان الكلمتان من ل فقط .

- ٢٠ . (٣) يقال هو أحد الأَحْدِين ، وواحد الآحاد ، أى إنه واحد لا مثل له . اللسان (وحد ٤٤٦) .
 وفى حواشى هـ : « لأحد الأَحْدِين ، أى لأحد اللحنين » .

(٤) هذه الكلمة من ل ، هـ فقط . يعنى بذلك بكر بن عبد العزيز الدمشقى .

(٥) فيما عدل ، هـ : « قصبة » تحريف . وهو إسحاق بن قبيصة بن ذؤيب الخزاعى الشامى .

أحد ثقات المحدثين ، وكان ممن غزا مع معاوية ، وكان على ديوان الزمّنى فى أيام الوليد ، ثم صار عاملاً
 لهشام بن عبد الملك على الأردن . تهذيب التهذيب .

٢٥

(٦) يقال الأشعرين يحذف ياء النسب ، كما يقال يمانون . ل : « الأشعرين » ، والأشعر أبو قبيلة

من اليمن ، وهو أشعر بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان .

ومن بنى صَرِيم : الصُّدِيُّ بن الحَلَق ، وفَدَّ به الحَجَّاج على الوليد بن عبد الملك ، فقال له : مَعَنَ أنت ؟ قال : من بنى صَرِيم . قال له : ما اسمُك ؟ قال : الصُّدِيُّ بن الحَلَق . قال : دُعَا في عنقه ^(١) ! خارجي خبيث .

هذا يدل على أَنَّ عامَّة بنى صَرِيم كانوا خوارج ، وكان منهم البرك ٣٥٦
الصَّرِيمِي ^(٢) ، واسمه الحَجَّاج ، وهو الذي ضَرَب معاويةَ بالسيف . وله حديث .
والخَزرج بن الصُّدِيُّ بن الحَلَق ، كان خطيباً . وقال الشاعر في بنى صَرِيم :
أصَلَّى حيثُ تدرِكُنِي صلاتي وبئس الدِّينُ دينَ بنى صَرِيم ^(٣)
قياماً يطعنون على مَعَدٍ وكلُّهم على دين الخطيم
والخطيم باهلي ^(٤) .

قال الأصمعيُّ وأبو الحسن : دخل على الوليد بن عبد الملك شيخان ، فقال
أحدهما : نَجِدُكَ تملك عشرين سنة . وقال الآخر : كذبتْ بل نَجِدُهُ يملك ستين سنة ^(٥) .
قال : فقال الوليد : ما الذي قال هذا لائطُ بصَفَرِي ^(٦) ، ولا ما قال هذا يعرُّ مثلي .

(١) الدع : الدفع العنيف . وضبط في ب « دعا » على المصدرية .

(٢) هو الحجاج بن عبد الله الصريمي ، كان أحد الثلاثة الذين عهد إليهم بقتل على ومعاوية وعمر بن العاص في ليلة ، ثانيهم : عبد الرحمن بن ملجم الذي تكفل بقتل على ، وثالثهم : عمرو بن بكر التميمي الذي نصب نفسه لعمر . وقد ضرب البرك معاوية مصلياً ، فأصاب مأكمته ، وقبض عليه فقال لمعاوية : إن عندي خيراً أسرك به ، فإن أخبرتك فنافعي ذلك عندك ؟ قال : نعم . قال : إن أخاك قتل علياً في مثل هذه الليلة . قال : فلعله لم يقدر على ذلك . قال : بلى إن علياً يخرج ليس معه من يجرسه . فأمر به معاوية فقتل . الطبري (٦ : ٨٦) وكتب التاريخ في حوادث سنة ٤٠ .

(٣) ل : « وليس آلدن » .

(٤) في الاشتقاق ١٦٧ : « ومن رجالهم الخطيم ، كان أول خارجي في زمن عبد الله بن عامر » .
وكان ذلك سنة ٤١ كما ذكر الطبري وابن الأثير . وسماه الطبري وابن الأثير يزيد بن مالك . قال : ابن الأثير : « وإنما قيل له الخطيم لضربة ضربها على وجهه » . وقد خرج الخطيم مرة أخرى سنة ٤٦ وقتل في تلك السنة بأمر زياد .

(٥) فيما عدل ، هـ : « بل نجدك تملك ستين سنة » .

(٦) الصفر ، بالتحريك : الروح ولب القلب ، لائط : عالق لازق .

والله لأجمعنَّ المالَ جمعَ من يعيش أبداً ، ولأقرقنه تفريقَ من يموت غداً .
 وخطب الوليد فقال : إنَّ أمير المؤمنين عبدَ الملك كان يقول : إنَّ الحجاج
 جلدة ما بين عيني ، ألا وإِنَّه جلدة وجهي كُلِّه ^(١)

- آخر الجزء الأول من كتاب البيان والتبيين ، ويتلوه في النصف الثاني :
- « باب اللحن : حدثنا غنام أبو علي عن الأعمش عن عمارة بن عمير .
 الحمد لله وحده وصلى الله على محمد النبي وعلى آله » .
- وافق الفراغ من كتابته يوم الجمعة تاسع ذى الحجة من سنة ثلاث وثمانين
 وستائة . علقه الفقير إلى الله أحمد بن سلامة بن سالم المعري ، حامداً لله على
 نعمه وعونه ، ومصلياً على نبيه محمد وآله ومسلماً ^(٢) .
-

(١) انظر ما سبق في ٢٠٤ .

(٢) هذه خاتمة نسخة الأصل وهي ل . أما خاتمة ب ، جـ والتيمورية فهي : « تم الجزء الأول من

البيان والتبيين » . وخاتمة هـ : هنا كمل نصف الديوان بحمد الله .

الجزء الثاني

البيان والتبيين

تأليف

أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله ، وسلام على عباده الذين اصطفى

باب اللحن

حَدَّثَنَا عَثَامٌ أَبُو عَلِيٍّ (١) عَنْ الْأَعْمَشِ ، عَنْ عُمَارَةَ بْنِ عُمَيْرٍ (٢) ، قَالَ :
كَانَ أَبُو مَعْمَرٍ (٣) يَحْدِّثُنَا فَيَلْحَنُ ، يَتَّبِعُ مَا سَمِعَ .

أَبُو الْحَسَنِ قَالَ : أَوْفَدَ زِيَادٌ عَبِيدَ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ إِلَى مُعَاوِيَةَ ، فَكُتِبَ إِلَيْهِ
مُعَاوِيَةَ : « إِنَّ ابْنَكَ كَمَا وَصَفْتَ ، وَلَكِنْ قَوْمٌ مِنْ لِسَانِهِ » . وَكَانَتْ فِي عُبَيْدِ اللَّهِ
لُكْنَةٌ ؛ لِأَنَّهُ كَانَ نَشَأَ بِالْأَسَاوِرَةِ (٤) مَعَ أُمِّهِ « مَرْجَانَةَ » ، وَكَانَ زِيَادٌ قَدْ زَوَّجَهَا مِنْ
شَيْبَرَوَيْهِ الْأَسْوَارِيِّ (٥) وَكَانَ قَالَ مَرَّةً : افْتَحُوا سَيْوَفَكُمْ (٦) ، يَرِيدُ: سَلُّوا
سَيْوَفَكُمْ ، فَقَالَ يَزِيدُ بْنُ مَفْرُغٍ (٧) :

(١) هُوَ أَبُو عَلِيٍّ عَثَامُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ هَجِيرِ الْكُوفِيِّ ، رَوَى عَنْ الْأَعْمَشِ وَهْشَامِ بْنِ عُرْوَةَ وَالثَّوْرِيِّ ،
وَكَانَ مِنْ ثِقَاتِ أَهْلِ الْحَدِيثِ ، تَوَفَّى سَنَةَ ١٩٥ . تَهْذِيبُ التَّهْذِيبِ . ل : « عَثَامُ أَبُو عَلِيٍّ » ، وَفِيهِمَا عَدَال :
« هْشَامُ أَبُو يَحْيَى » ، كِلَاهُمَا مُحَرَّفٌ عَمَّا أُثْبِتَ .

(٢) هُوَ عُمَارَةُ بْنُ عُمَيْرٍ التَّمِيمِيُّ الْكُوفِيُّ . رَوَى عَنْ جَمَاعَةٍ مِنْهُمْ أَبُو مَعْمَرٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَخِيرَةَ
الْأَزْدِيَّ ، تَوَفَّى سَنَةَ ٩٨ . تَهْذِيبُ التَّهْذِيبِ .

(٣) هُوَ أَبُو مَعْمَرٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَخِيرَةَ الْأَزْدِيُّ الْكُوفِيُّ . رَوَى عَنْ عُمَرَ ، وَعَلِيٍّ ، وَابْنِ مَسْعُودٍ ،
وَعَنْهُ عُمَارَةُ بْنُ عُمَيْرٍ ، وَجَاهِدٌ ، وَإِبْرَاهِيمُ النَّخَعِيُّ . تَوَفَّى فِي وَلايَةِ عَبِيدِ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ . تَهْذِيبُ التَّهْذِيبِ .
(٤) الْأَسَاوِرَةُ : قَوْمٌ مِنَ الْعَجَمِ بِالْبَصْرَةِ نَزَلُوها قَدِيمًا ، كَالْأَحَامِرَةِ بِالْكُوفَةِ .

(٥) زَادَ ابْنُ قَتِيْبَةَ فِي الْمَعَارِفِ ١٥١ : « وَدَفَعَ إِلَيْهَا عَبِيدُ اللَّهِ » .

(٦) ذَكَرَ أَبُو الْفَرَجِ فِي الْأَغَانِي (١٧ : ٦٦) أَنَّ الَّذِي قَالَ هَذِهِ الْكَلِمَةَ هُوَ عَبَادُ بْنُ زِيَادٍ ، أَخُو
عَبِيدِ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ . قَالَ : « وَكَانَ عَبَادٌ فِي حُرُوبِهِ ذَاتَ لَيْلَةٍ نَائِمًا فِي عَسْكَرِهِ ، فَصَاحَتْ بَنَاتُ آوَى ،
فَنَارَتِ الْكِلَابُ وَنَفَرَ بَعْضُ الدَّوَابِّ ، فَفَزَعَ عَبَادٌ وَظَنَهَا كِبْسَةً مِنَ الْعَدُوِّ ، فَرَكَبَ فَرَسَهُ وَدَهَشَ فَقَالَ :
« افْتَحُوا سَيْفِي » .

(٧) سَبَقَتْ تَرْجُمَتُهُ فِي (١ : ١٤٣) .

ويومَ فتحتَ سيفك من بعيد أضغَت وكلُّ أمرِك للضياع

ولما كَلَّمَهُ سُويد بن مَنجوف ^(١) في الهَثْهَث بن ثور ^(٢) ، وقال له :
يا ابن البُضراء ^(٣) ! قال له سُويد : كذبت [على ^(٤)] نساءِ بنى سُدوس .
قال : اجلس على استِ الأرض . قال سُويد : ما كنت أُحسِب أن للأرض استاً !
قالوا : وقال بشر بن مروان ^(٥) ، وعنده عُمر بن عبد العزيز ، لغلام له :
اذنُ لي صالحاً . فقال الغلام : يا صالحاً . فقال له بشر : ألقِ منها أَلِف . قال له
عُمر : وأنت فِرْد في أَلِفك أَلِفاً ^(٦) .

وزعم يزيدُ مولى ابن عون ، قال : كان رجلٌ بالبصرة له جاريةٌ تسمَّى
ظَمياء ، فكان إذا دعاها قال : يا ضَمياء ، بالضاد . فقال ابنُ المقفَّع : قل :
يا ظَمياء . فنادها : يا ضَمياء . فلما غيَّر عليه ابنُ المقفَّع مرَّتين أو ثلاثاً قال له :
هي جاريتي أو جاريترك ؟

قال نصر بن سيار ^(٧) : لا تُسمِّ غلامَكَ إلا باسم يخفُّ على لسانك .
وكان مُحَمَّد بن الجهم وَلَّى المَكِّيَّ ^(٨) صاحبَ التَّظَام ، مَوْضِعاً من مواضع

(١) سبقت ترجمة سويد بن منجوف السدوسي في (١ : ٣٢٦) .

(٢) ل : « والهَثَث بن ثور » ، وفي الاشتقاق ٣٢٧ : « الهَثَث أحد رجال بنى تميم » .

(٣) البُضراء : الطويلة البُضر ، والبُضر ، بفتح الباء وسكون الضاد : لغة في البُظر ، وهي هنة بين الإسكتين . فيما عدل : « البُضراء » .

(٤) هذه الكلمة ساقطة من ل ، هـ والتيمورية : وجاءت في ب مع علامة إلحاق ، وهي في صلب حـ .

(٥) هو أبو مروان بشر بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس . وكان أخوه
عبد الملك بن مروان قد ولاه على الكوفة ، ثم ضم إليه البصرة بعد عزله خالد بن عبد الله القسري ،
فشخص إليها وشرب الأذريطوس ، ومات بها بعد قليل . وهو أول أمير مات بالبصرة . المعارف ١٥٥
والطبرى (٧ : ٢٠٦ - ٢٠٧) .

(٦) الخبر برواية أخرى في العقد (٢ : ٤٨٠) .

(٧) سبقت ترجمته في (١ : ١٥٨) .

(٨) أورد له الجاحظ أخباراً كثيرة في الحيوان ولم يصرح باسمه .

كسكر ، وكان المكثي لا يحسن أن يسمي ذلك المكان ولا يتهجاه ، ولا يكتبه ، وكان اسم ذلك الموضع شائمنا (١) .

وقيل لأى حنيفة : ما تقول فى رجل أخذ صخرة فضرب بها رأس رجل فقتله ، أتقيده به ؟ قال : لا ولو ضرب رأسه بأبا قبيس (٢) .

وقال يوسف بن خالد السميتى (٣) ، لعمر بن عبيد : ما تقول فى دجاجة ذبحت من قفائها ؟ قال له عمرو : أحسين . قال : من قفاؤها . قال : أحسين . قال : من قفائها . قال عمر : ما عتاك بهذا ؟ قل : من قفاها واسترخ (٤) . قال : وسمعت من يوسف بن خالد يقول : لا ، حتى يشجّه ، بكسر الشين . يريد : حتى يشجّه ، بضم الشين .

وكان يوسف يقول : هذا أحمر من هذا . يريد : هذا أشد حمرة من هذا . وقال بشر المريسي (٥) : « قضى الله لكم الحوائج على أحسن الوجوه وأهونها » ، فقال قاسم التمار : هذا على قوله :

(١) فيما عدل ، هـ : « شائمنا » .

(٢) أبو قبيس : جبل مشرف على مكة . وانظر الخبر فى العقد (٢ : ٤٨٢) .

(٣) ذكره الجاحظ فى الحيوان (١ : ٩٢) . فيما عدل : « التيمى » تحريف . ونسبته إلى « السميت » أى الهيفة ، كما فى الأنساب وتهذيب التهذيب . وهو أبو خالد يوسف بن خالد بن عمير السميتى اللبثى ، وكان له بصر بالرأى والفتوى ، وهو أول من جلب رأى أى حنيفة إلى البصرة ، كما أنه أول من وضع كتابا فى الشروط ، وهذا العلم يتناول أدب القضاء والشروط والمواثيق . وكان أحد رجال الجهمية . توفى سنة ١٩٠ . تهذيب التهذيب ، والسمعاني ٣٠٦ ، وكشف الظنون (علم الشروط والسجلات) .

(٤) هذه الكلمة مما عدل . وهى فى ل كلمة مطموسة لم يظهر منها إلا آخرها وهو قاف مكسورة وعين .

(٥) اختلف فى ضبطه ، فذكر السمعانى أنه « المريسي » بفتح الميم وكسر الراء ، نسبة إلى مريس : قرية بمصر . وكذلك ذكر ابن حجر فى لسان الميزان ، ثم قال : « وضبطها الصغاني بتثنية الراء » . وذكر ياقوت أنه « المريسي » بفتح الميم وتشديد الراء المكسورة : نسبة إلى قرية بمصر وولاية من ناحية الصعيد تسمى مريسة . أما صاحب القاموس فقال : ومريسة كسيكينة : قرية منها بشر بن غياث المريسي . قال ياقوت : ويغداد درب يعرف بدرب المريسي ، ينسب إليه . وهو أبو عبد الرحمن بشر بن غياث بن أبى كريمة المريسي ، =

إِنَّ سُلَيْمِي وَاللَّهُ يَكْلُوهَا ضَنْتَ بَشِيءٍ مَا كَانَ يَرْزُوهَا (١)

فصار احتجاج قاسمٍ أطيب من لحنٍ بشر (٢) .

وقال مُسْلِمٌ بن سَلَامٍ (٢) : حَدَّثَنِي أَبَانُ بن عَثْمَانَ (٣) قَالَ : كَانَ زِيَادُ النَّبْطِيِّ أَخُو حَسَّانِ النَّبْطِيِّ ، شَدِيدَ اللَّكْنَةِ ، وَكَانَ نَحْوِيًّا . قَالَ : وَكَانَ بَخِيلًا ، وَدَعَا غَلَامَهُ ثَلَاثًا فَلَمَّا أَجَابَهُ قَالَ : فَمِنْ لَدُنْ دَاوُودَكَ إِلَى أَنْ قُلْتَ لَيْتِي (٤)

مَا كُنْتُ تَصْنَعُ ؟ يَرِيدُ : مِنْ لَدُنْ دَعَوْتُكَ إِلَى أَنْ أَجِبْتَنِي مَا كُنْتُ تَصْنَعُ .

قَالَ : وَكَانَتْ أُمُّ نُوْحٍ وَبِلَالُ ابْنِ جَرِيرٍ أَعْجَمِيَّةً ، فَقَالَا لَهَا : لَا تَكَلِّمِي إِذَا كَانَ عِنْدَنَا رِجَالٌ . فَقَالَتْ يَوْمًا : يَا نُوحُ ، جُرْدَانٌ دَخَلَ فِي عِجَانِ أَمْلِكَ ؟ وَكَانَ الْجُرْدُ أَكَلَ مِنْ عَجِينِهَا .

قَالَ أَبُو الْحَسَنِ : أَهْدَيْتَنِي إِلَى فَيْلٍ مَوْلَى زِيَادٍ حِمَارٌ وَحَشٍ ، فَقَالَ لَزِيَادٍ : أَهْدُوا لَنَا هِمَارًا وَهَشًا . قَالَ : أَيُّ شَيْءٍ تَقُولُ وَيْلَكَ ؟ قَالَ : أَهْدُوا إِلَيْنَا أَيْرًا - يَرِيدُ غَيْرًا - قَالَ زِيَادٌ : الثَّانِي شَرٌّ مِنَ الْأَوَّلِ (٥) .

وَقَالَ يَحْيَى بن نَوْفَلٍ (٦) :

= تفقه على أبي يوسف ، وكان أحد دعاة الجهمية ، وأبوه كان يهودياً قصيراً صبغاً . قال العجلي : رأيته مرة واحدة ، شيخاً قصيراً دميم المنظر ، وسخ الثياب وافر الشعر ، أشبه شيء باليهود . وكان يقول بخلق القرآن . وإليه تنسب فرقة المريسية . توفي سنة ٢١٨ . تاريخ بغداد ٣٥١٦ والسمعاني ٥٢٣ ولسان الميزان (٢ : ٢٩ - ٣١) .

(١) نسبه في تاريخ بغداد (٧ : ٥٧) إلى ابن هرمة .

(٢) القصة رويت في تاريخ بغداد ، وعيون الأخبار (٢ : ١٥٧) ، والعقد (٢ : ٤٨٢) .

(٣) هو أبو عبد الله مسلم بن سلام الحنفي ، ترجم له في تهذيب التهذيب .

(٤) أبو سعيد - ويقال أبو عبد الله - أبان بن عثمان بن عفان الأموي . ثقة من كبار التابعين .

توفي سنة ١٠٥ . تهذيب التهذيب .

(٥) فيما عدل : « دَاوُودُكَ فَقُلْتُ لَبِي إِلَى أَنْ أَجِبْتَنِي » .

(٦) في الحيوان (٧ : ٢٣٤) : « فَقَالَ زِيَادٌ : الْأَوَّلُ أَمْثَلُ » . وفي عيون الأخبار (٢ : ١٥٩) :

« الْأَوَّلُ خَيْرٌ » .

(٦) سبقت ترجمته في (١ : ٣٣٦) .

إِنْ يَكْ زَيْدٌ فَصِيحُ اللِّسَانِ خَطِيئاً فَإِنَّ اسْتَهُ تَلَحُّنٌ
عَلَيْكَ بَسُكٌ وَرُمَانَةٌ وَمِلْجٌ يُدَقُّ وَلَا يُطْحَنُ (١)
وَحِلْتَيْتَ كَرَمَانَ وَالتَّانَخَاهِ وَشَمْعٌ يُسَخَّنُ فِي مُدْهَنٍ (٢)
وهذا الشعر في بعض معانيه يشبه قول ابن مناذر (٣) :

إِذَا أَنْتَ تَعَلَّقْتَ بِحَبْلٍ مِنْ أُنَى الصَّلْتِ
تَعَلَّقْتَ بِحَبْلٍ هِيَ الْقُوَّةُ مُنْبَتٌ
فَتُخَذُ مِنْ شِعْرِ كَيْسَانَ وَمِنْ أَظْفَارِ سُبْحَتِ (٤)
أَلَمْ يَلْعُكْ نَسَالَى لَدَى الْعَلَّامَةِ الْبِرْتِ (٥)
وَقَالَ الْمَرْءُ مَا سَرَّجُو يَهْ دَاءُ الْمَرْءِ مِنْ تَحْتِ (٦)
وَقَالَ الْبَرْدُخْتُ (٧) :

(١) السك ، بالضم : ضرب من الطيب يركب من مسك ورامك .
(٢) كرمَان بالفتح وقد يكسر : إقليم بين فارس وسجستان . والتانخاه ، أو التانخواه حب في حجم الخردل
قوى الرائحة والحرافة ، يسمى الكمون الملوكي ، وأهل مصر يسمونه « نخوة هندية » . ل : « والتانخات » وما عدا
ل : « وتانخاة » صوابهما ما أثبت . وانظر تذكرة داود ومعجم استينجاس ١٣٨١ . وفي هذا البيت إقواء .
(٣) هو محمد بن مناذر ، المترجم في (١ : ١٨) .
(٤) كيسان ، هو والد أبي الحسن محمد بن أحمد كيسان النحوي ، فكيسان لقب أبيه أحمد ،
وكان كيسان معاصراً لخلف الأحمر . ابن النديم ٧٤ . وابنه أبو الحسن ابن كيسان ممن أخذ عن المبرد
وثعلب . توفي سنة ٢٩٩ . نزهة الألباء وابن النديم ١٢٠ . وسبخت ، بضم السين والباء المشددة : لقب
أبي عبيدة . كما في اللسان . وفي الأغاني (١٧ : ١٩) أن « سبخت » اسم من أسماء اليهود ، لقب به
تعريضاً بأن جده كان يهودياً . والرواية المشهورة : « من سلح كيسان » . انظر مجالس ثعلب ٤٢٤ . وفي
الأغاني : « من جعر كيسان » .

(٥) البرت ، بتثنية الباء : الرجل الدليل الماهر . وهذا البيت في ل مقدم على سابقه .
(٦) ماسرجويه ، أو ماسرجيس : متطبخ البصرة ، اليهودي السرياني : أحد الأطباء الناقلين من
السرياني إلى العربي . ابن النديم ٤١٣ . وذكر ابن أبي أصيبعة (١ : ١٦٣) أنه كان في أيام بني أمية ،
وتوفي في الدولة المروانية .

(٧) اسمه علي بن خالد الضبي العكلى . قال ياقوت : « صحراء البردخت هي محلة بالكوفة نسبت إلى
البردخت » . وذكر ابن قتيبة في الشعر والشعراء أنه جاء إلى جرير فقال له : أتأهجنى ؟ قال : ومن أنت ؟ قال :
البردخت . قال : وما البردخت ؟ قال : البردخت : الفارغ بالفارسية . قال : ما كنت لأشغل نفسي =

لقد كان في عينيك يا حفصُ شاغلٌ وأُنفِ كَيْبِلَ العُودِ عَمَّا تَتَّبِعُ (١)
تَتَّبِعُ لَحْنًا في كلامٍ مُرْقَشٍ وَخَلَقْتَ مَبْنًى على اللَّحْنِ أَجْمَعُ
فَعَيْنُكَ إِقْوَاءٌ وَأُنْفُكَ مُكْفَأٌ وَوَجْهَكَ إِيطَاءٌ فَأَنْتَ مُرْقَعُ (٢)
وقال المَيْسَانِيُّ في هجائه أهلَ المدينة :

وَلَحْنُكُمْ بَتَقْعِيرٍ وَمَدٍّ وَالْأُمُّ مِنْ يَدْبُ عَلَى الْعَفَّارِ (٣)
عَلَى بنِ معاذٍ قال : كَتَبْتُ إلى فَتًى كِتَابًا ، فإِجَابَنِي فإِذَا عُنْوَانُ كِتَابِهِ (٤) :
« إلى ذاك الذي كَتَبَ إلى » .

وَقَرَأْتُ على عُنْوَانِ كِتَابٍ إلى أُمِّيَّةَ الشُّمْرِيِّ : « لأُمِّي أُمِّيَّةٌ ، لِلْمَوْتِ أَنَا قَبْلَهُ » (٥) .

وَكَتَبَ ابنُ المِرَاكِبِيِّ (٦) إلى بعضِ ملوكِ بَغْدَادِ : « جُعِلْتُ فِدَاكَ بِرَحْمَتِهِ » .
وَقَالَ إبراهيمُ بنُ سَيَّابَةَ (٧) : أَنَا لَا أَقُولُ مِتُّ قَبْلَكَ ، لِأَنِّي إِذَا [قُلْتُ (٨)]
مِتُّ قَبْلَكَ مَاتَ هُوَ بَعْدِي ، وَلَكِنْ أَقُولُ مِتُّ بَدَلَكَ .

= بفرأغك ! وأنشد له هذا الشعر في ترجمته . وكذلك أنشده صاحب الوساطة ١٥ وذكر أنه قاله لبعض النحويين . وفي العقد (٢ : ٤٨١) أن حفصاً كان من المتفصحين ، وكان به اختلاف في عينيه ، وتشويه في وجهه . وحفص هذا هو ابن أبي بردة ، كما في الأغاني .
١٥ (١) الثيل ، بالكسر : الفضيب . والعود ، بالفتح : الجمل المسن . ونسب في الأغاني (١٦) :
(١٦٢) إلى مساور الوراق .

(٢) الإقواء : اختلاف حركة الروي . والإكفاء : اختلاف حرف الروي . والإيطاء : تكرار القافية باللفظ والمعنى . ما عدل : « المرقع » . وفي العقد : « فما فيك مرقع » .
(٣) فيما عدل ، هـ : « بتقصير ومد » . والعفار ، أراد به العفر ، وهو التراب ؛ ولم يذكر في المعاجم . وفي اللسان (٦ : ٢٦٧) : « وحكى ابن الأعرابي : عليه العفار والدبار وسوء الدار . ولم يفسه » .
(٤) فيما عدل : « عنوان الكتاب » .
(٥) هذا ما في ل ، هـ مع حذف « لأُمِّي أُمِّيَّة » في هـ . وفي سائر النسخ : « لأُمِّي أُمِّيَّة الشمرى للموت أنا قبله » .

(٦) فيما عدل : « ابن المرادي »
٢٥ (٧) ترجم في (١ : ٤٠٥) . ما عدل : « بن سيار » . وإبراهيم بن سيار ، هو النظام .
(٨) بها يلثم الكلام .

- وكتب عَقَالُ بن شُبَّة بن عَقَالٍ ، إلى المسيَّب بن زهير ^(١) :
- للأمير المُسيَّب بن زهير من عَقَالِ بن شُبَّة بن عَقَالِ
ولما كتب بشير بن عُبيد الله على خاتمه :
- بَشِيرُ بنُ عبيد الله به بالرحمن لا يشرك ^(٢)
- وقرأ أبوه هذا البيت على خاتمة ^(٣) قال : هذا أقبح من الشُّرك !
- وقال عبد الملك بن مروان : اللَّحْنُ هُجْنَةٌ على الشَّريف ، والعُجْبُ آفَةٌ
الرَّأى ^(٤) . وكان يقال : اللَّحْنُ في المنطق أقبح من آثار الجُدْرَى في الوجه ^(٥) .
- وقال يحيى بن نُوفَل ، في خالد بن عبد الله القسريّ :
- وألحْنُ الناسِ كُلِّ الناسِ قاطبةً وكان يولعُ بالتشديق في الخطب ^(٦)
- وزعم المدائنيّ أن خالد بن عبد الله قال : « إن كنتم رجبون فإننا رمضانيون » .
- ولولا أن تلك العجائب قد صحَّت عن الوليد ^(٧) ما جَوِّزَتْ هذا على خالد .
- قال : وكتب الحُصَيْن بن أُمَيِّ الحَرَّ ^(٨) إلى عُمَرَ كتاباً ، فلحن في حرف

- (١) في النسخ هنا : « زهير بن المسيب » ، تحريف . وقد ذكر الطبري في (٩ : ١٧٨) أنه كان من ولاة السند في أيام المنصور . وانظر (٩ : ١٨٣) .
- (٢) ل : « لا تشرك » . وانظر محاضرات الراغب (١ : ٤٢) . والبيت من المزج .
- (٣) ما عدا ل : « وقرأه أبوه على خاتمه » . وفي حواشي هـ : « وإنما انتقده عليه أبوه لأنه لا يكتب على خاتم إلا حسبي الله ، وما أشبهه من اللفظ المختصر » .
- (٤) كلام عبد الملك هذا ساقه صاحب العقد في (٢ : ٤٧٩) بلفظ : « الإعراب جمال للوضع ، واللحن هجنة على الشريف » .
- (٥) في العقد (٢ : ٤٧٨) : « وقال عبد الملك بن مروان : اللحن في الكلام أقبح من التفنيق في الثوب ، والجدرى في الوجه » . وفي عيون الأخبار (٢ : ١٥٨) : « وقال مسلمة بن عبد الملك : اللحن في الكلام أقبح من الجدرى في الوجه . وقال عبد الملك : اللحن أقبح من التفنيق في الثوب النفيس » .
- (٦) سبق البيت مع قرين له في (١ : ١٢٢) .
- (٧) الوليد بن عبد الملك . ما عدا ل : « قد صححت على الوليد » .
- (٨) ل : « الحصين بن الحر » ، هـ : « حصين بن الحر » ، وسائر النسخ : « بن حر » ، والصواب ما أثبت . وأبو الحر : كنية والده مالك ، وهو أبو القلوص الحصين بن أبي الحر مالك بن الخشخاش التيمي العنبري البصري . كان عاملاً لعمر على ميسان ، وبقي حتى أدرك الحجاج ، فأُتي به فهُم بقتله ، ثم خلاه وحبسه حتى مات . تهذيب التهذيب .

منه ، فكتب إليه عمر : أن قَنَّعَ كَاتِبَكَ سَوطاً ^(١) .
 وبلغني عن كُثَيْرِ بن أحمد بن زُهَيْر بن كَثِير بن سَيَّار ^(٢) أنه كان ينشد
 بيت أُمِّي دُلْف ^(٣) :

أَلَيْسَيْنِي الدَّرْعُ قَدْ طَا لَ عَنْ الْحَرْبِ جَمَامِي
 فسألته عن ذلك فحلف أنه إنما قال :

أَلَيْسَيْنِي الدَّرْعُ قَدْ طَا لَ عَنْ الْحَرْبِ جُمَامِي ^(٤)
 قال الله تبارك وتعالى : ﴿ وَتَعْرِفْنَهُمْ فِي لَحَنِ الْقَوْلِ ﴾ . واللحن في هذا
 الموضع غير اللحن في ذلك .

وكان سليمان بن عبد الملك يقول : المغيرة بن عبد الرحمن بن الحارث ^(٥)
 يفحّم اللحن كما يفحّم نافع بن جُبَيْر ^(٦) الإعراب .
 وقال الشاعر في نحو ذلك :
 لَعَمْرِي لَقَدْ قَعَبْتُ حِينَ لَقَيْتَنَا وَأَنْتَ بَتَقْعِيبِ الْكَلَامِ جَدِيرُ

(١) أى اضربه سوطاً . والخبر في اللسان (قنع ١٧٥) .

(٢) فيما عدل ، هـ : « بن زهير بن سيار » .

(٣) هو أبو دلف القاسم بن عيسى بن إدريس العجلي . أحد قواد المأمون ثم المعتصم . وكان كريماً
 سرياً ممدحاً شجاعاً ، ذا وقائع مشهورة ، وصنائع منشورة . وله صنعة في الغناء . وله من الكتب ؛ كتاب
 البراة والصيد ، وكتاب السلاح ، وكتاب سياسة الملوك ، وغير ذلك . قال ابن خلكان : « وله أيضاً أشعار
 حسنة ، ولولا خوف التلويل لذكرت بعضها » . توفي سنة ٢٢٥ ببغداد . ابن خلكان وتاريخ بغداد
 ٦٨٦٩ . وقد أنشد الخطيب بعض أشعاره .

(٤) كذا ورد في ل مضبوطاً بضم الجيم . يريد أنه سجل على نفسه اللحن إذ ضم الجيم وحققها
 الفتح . والجمام ، بالفتح : الراحة . ما عدل : « جماصى » .

(٥) هو أبو هاشم - ويقال أبو هشام - المغيرة بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام بن المغيرة
 المخزومي . كان أحد الأجواد . توفي بالمدينة في ولاية هشام بن عبد الملك . تهذيب التهذيب .

(٦) هو أبو عبد الله نافع بن جبير بن مطعم بن عدى بن نوفل بن عبد مناف التوفلي ، مدني تابعي
 ثقة ، كان يحج ماشياً وناقته تقاد . وكان فصيحاً ، عظيم النخوة ، جهير الكلام . توفي سنة ٩٩ . تهذيب
 التهذيب .

وقال خلف الأحمر :

وَفَرَقَهُنَّ بِتَقْعِيهِ كَفَرَقَةِ الرَّعْدِ بَيْنَ السَّحَابِ (١)

- وقال الأصمعي : خاصم عيسى بن عمر النحوي الثقي رجلاً إلى بلال بن ٦
أبي بردة ، فجعل عيسى يتتبع الإعراب (٢) ، وجعل الرجل ينظر إليه ، فقال له بلال : لأن
يذهب بعض حق هذا أحب إليه من ترك الإعراب ، فلا تشاغل به واقصد لحجتك . ٥
وقدّم رجل من النحويين رجلاً إلى السلطان في دين له عليه . فقال : أصلح الله
الأمير ، لي عليه درهمان . فقال خصمه : لا والله أيها الأمير ؛ إن هي إلا ثلاثة دراهم ،
ولكن لظهور الإعراب ترك من حقه درهماً .
قال : خاصم رجل إلى الشعبي أو إلى شريح رجلاً فقال : إن هذا باعني غلاماً
فصيحاً صبيحاً . قال : هذا محمد بن عمير (٣) بن عطارد بن حاجب بن زُرارة . ١٠
قال : مرّ ماسرجويه الطبيب ، بجَدّ مُعَاذِ بن سعيد بن حميد الحميري ،
فقال : يا ماسرجويه ، إني أجد في حلقي بَحْحاً . قال : إنه عمل بُلْعَم (٤) . فلما
جازه قال : أنا أحسن أن أقول بُلْعَم ، ولكنه كلمني بالعربية فكلمته بالعربية .
وروى أبو الحسن أن الحجاج كان يقرأ : إنا من المجرمون منتقمون (٥) .

(١) ورد بعده فيما عدل إنشاد سبق في ص ٢١٥ وهو : وقال الميساني :

١٥

ولحنكم بتقعيير ومد وألأم من يدب على العقار

(٢) فيما عدل : « يشيع الإعراب » ، تحريف .

(٣) فيما عدل ، هـ : « عمر » .

(٤) كذا ورد في ل مضبوطا بضم الباء والغين ، وفي هـ بضم الباء وفتح الغين . فهو إما تنذر منه ، وإما

ظن منه أن هذه لغة أفصح من فتح الباء والغين . ٢٠

(٥) فيما عدل ، هـ : « المنتقمون » .

وقد زعم رؤية بن العجاج وأبو عمرو بن العلاء ، أنهما لم يريا قَرَوَيْنِ أفصح من الحسن والحجاج .

وغلط الحسن في حرفين من القرآن مثل قوله : ص والقرآن . والحرف الآخر : وما تنزلت به الشياطين .

- أبو الحسن قال : كان سابق الأعمى يقرأ : الخالق الباري المصور .
 فكان ابن جابان إذا لقيه قال : يا سابق ، ما فعل الحرف الذي تُشرك بالله فيه ؟
 قال : وقرأ : ولا تُنكِحُوا المشركين حتى يؤمنوا . قال ابن جابان : وإن آمنوا أيضاً لم تُنكِحْهُم (١) .

وقال مسلمة بن عبد الملك : إني لأحُبُّ أن أسأل هذا الشيخ - يعني عمرو بن مسلم - فما يمتنعني منه إلا لحته .

- قال : وكان أيوب السختياني يقول : تعلّموا التحو؛ فإنه جمال للوضع ، وتركه هُجنة للشريف (٢) .

وقال عمر رضى الله عنه : تعلّموا التحو كما تعلّمون السنن والفرائض .
 وقال رجل للحسن : يا أبا سعيد (٣) . فقال : أكسب الدوانيق (٤)
 شعلك عن أن تقول يا أبا سعيد ؟

- قالوا : وأوّل لحن سُمِعَ بالبادية : هذه عصاتي ، وأوّل لحن سُمِعَ بالعراق :
 حَيَّ عَلَى الْفَلَاح (٥) .

(١) في حاشية التيمورية : « قوله وإن آمنوا أيضاً لم تنكحهم ، لأنه في القراءة : ولا تنكحوا ، بضم التاء . يقال نكحت المرأة وأنكحتها غيرى . وفسره المفسرون على معنى ولا تنكحوا المشركين بناتكم . فلما قرأ هذا بالفتح التبس فيه المذكر بالمؤنث ، فجأوبه ابن جابان على ذلك » .

(٢) انظر ما سبق في الحاشية رقم ٤ ص ٢١٦ .

(٣) في العقد (٢ : ٤٨٠) : « يا أبو سعيد » .

(٤) الدائق ، بفتح النون وكسرهما : سدس الدرهم والدينار ، يجمع دوانق ودوانيق ، الأخيرة شاذة . معرب من « دانق » الفارسية . المعرب للجواليقي ومعجم استنجاس .

(٥) هكذا ضبط في هـ ، حـ على اللحن . وضبطها الصحيح بفتح الياء المشددة .

باب

ومن اللحنين البلغاء

خالد بن عبد الله القسري ، وخالد بن صفوان الأهمشي ، وعيسى بن
المُدَوَّر
وقال بعض السَّكَّ (١) : أَعْرَبْنَا فِي كَلَامِنَا فَمَا نَلْحَنَ ، وَلَحْنًا فِي أَعْمَالِنَا
فَمَا نُعَرِّبُ .

وقال : أَخْبَرَنِي الرَّبِيعُ (٢) بن عبد الرحمن السُّلَمِيُّ قال : قُلْتُ لِأَعْرَابِي :
أَتَهْمَزُ إِسْرَائِيلَ ؟ قال : إِنْ إِذَا لَرَجُلٍ سَوَاءٍ . قال : قُلْتُ : أَتَجْرُ فِلَسْطِينَ ؟ قال :
إِنِّي إِذَا لَقَوِيَّ .

وكان هُشَيْمٌ (٣) يقول : حَدَّثَنَا يُونُسُ (٤) عن الحسن . يَقُولُهَا بَفَتْحِ الْيَاءِ
وَكَسْرِ النَّونِ .

وكان عبد الأعلى بن عبد الأعلى السَّامِيُّ (٥) يقول : فَأَخَذَهُ فَصْرَعَهُ فَذَبَحَهُ
فَأَكَلَهُ ، بِكَسْرِ هَذَا أَجْمَعُ .

-
- (١) هو إبراهيم بن أدهم ، كما سبق في (١ : ٢٦٠) وورد الخبر بدون نسبة في عيون الأخبار (٦ : ١٥٩) بلفظ : « لَمَّا أَعْرَبْنَا فِي كَلَامِنَا حَتَّى مَا نَلْحَنَ ، لَقَدْ لَحْنَا فِي أَعْمَالِنَا حَتَّى مَا نُعَرِّبُ » .
- (٢) في الحيوان (٣ : ١٨) : « الرَّبِيعُ » فقط . والخبر كذلك في عيون الأخبار (٢ : ١٥٧) .
- (٣) هو أبو معاوية هشيم بن بشير بن القاسم بن دينار السلمى الواسطي ، كان ورعا من كبار الحفاظ ، وكان من أروى الناس عن يونس بن عبيد . ولد سنة ١٠٥ وتوفي سنة ١٨٣ . تذكرة الحفاظ (١ : ٢٢٩) وتاريخ بغداد ٧٤٣٦ وصفة الصفوة (٣ : ٦) والمعارف ٢٢١ وتهذيب التهذيب .
- (٤) هو الحافظ أبو عبد الله يونس بن عبيد بن دينار العبدي البصري الخزاز . وكان من أثبت الناس في الحسن ، وكان يقول : ما كتبت شيئا قط . توفي سنة ١٣٩ . تذكرة الحفاظ (١ : ١٣٧) وصفة الصفوة (٣ : ٢٢٢) والمعارف ٢١١ ، وتهذيب التهذيب .
- (٥) السامي : نسبة إلى بني سامة بن لؤي . ل : « الشامي » تحريف . وهو أبو محمد عبد الأعلى =

وكان مهديّ بن هُليل^(١) يقول : حدثنا هشام^(٢) ، مجزومة ؛ ثم يقول ابن ويجزومه ؛ ثم يقول حسّان ويجزومه ؛ لأنّه حين لم يكن نحوياً رأى السلامة في الوقف .
وأما خالد بن الحارث^(٣) ، وبشر بن المفضل^(٤) ، فإنّهما كانا لا يلحنان .
وممّن كان لا يلحن البتّة حتّى كأنّ لسانه أعرابيّ فصيح : أبو زيد
النحويّ ، وأبو سعيد المُعلّم^(٥) .
وقال خَلَفٌ^(٦) : قلت لأعرابيّ : ألقى عليك بيتاً ؟ قال : على نفسك
فألّقه^(٧) !

وقال أبو الفضل العنبريّ^(٨) لعلّ بن بشير^(٩) إني التقطت كتاباً من
الطريق فأنبئت أن فيه شعراً أفترده حتى آتيك به ؟ قال : نعم ، إن كان مقيِّداً .
قال : والله ما أدري أمقيدٌ هو أم مغلول .
الأصمعيّ قال : قيل لأعرابيّ : أتهمز الرُّمَح ؟ قال : نعم . قيل له : فقلها
مهموزة^(١٠) .

= ابن عبد الأعلى بن محمد القرشي البصري السامي ، بصرى ثقة ، وكان ممن يرى القدر . توفي سنة
١٩٨ . تهذيب التهذيب .

١٥

(١) فيما عدل : « بن مهلهل » . ولم أعثر له على ترجمة .

(٢) هشام بن حسان البصري ، المترجم في (١ : ٢٩١) .

(٣) هو أبو عثمان خالد بن الحارث بن عبيد بن سليمان الهجيمي البصري ، كان من عقلاء الناس
ودهاتهم ، وكان يقال له « خالد الصدق » . ولد سنة ١٢٠ وتوفي سنة ١٨٦ . تهذيب التهذيب .

(٤) هو أبو إسماعيل بشر بن المفضل بن لاحق الرقاشي . قال ابن حنبل : كان إليه المنتهى في
الثبت بالبصرة . توفي سنة ١٨٧ . تهذيب التهذيب .

(٥) انظر (١ : ٢٥٢ س ١) .

(٦) خلف الأحمر ، المترجم في (١ : ١٢٩) .

(٧) ل : « فألق » .

(٨) انظر ما مضى في (١ : ١٦٣ - ١٦٤) . وهذا الاسم يرد أحيانا بلفظ « أبو المفضل » .

٢٥

انظر الحيوان (٣ : ٥٠٨ / ٥ : ٢٨٣ ، ٢٨٤) .

(٩) ل : « بن بشر » .

(١٠) يقال همزت الحرف فانهمز ، أى ضغطته .

فقالها مهموزة . قيل له : أتهمز التُّرس ؟ قال : نعم . فلم يَدْعُ سيفاً ولا ثُرساً إلا هَمَزَه . فقال له أخوه وهو يهزأ به : دَعُوا أخِي فَإِنَّهُ يَهْمز السِّلَاحَ أَجْمَعَ .

وقال بعضهم ^(١) : ارتفع إلى زيادٍ رجلٌ وأخوه في ميراث ، فقال : إِنَّ أبونا مات ، وإن أخينا وثَّب على مال أبانا فأكله . فأَمَّا زياد فقال ^(٢) : الذي أَضَعْتُ من لسانك أَضُرُّ عليك مما أَضَعْتُ من مالك . وأمَّا القاضي فقال : فلا رحم الله أباك ، ولا تَنِيحَ عَظْمَ أَخِيكَ ^(٣) ! قُمْ في لعنة الله !

٨ وقال أبو شَيْبَةَ قاضي واسط : أَتَيْتُمُونَا بعد أن أردنا أن نَقُم .

قد ذكرنا - أكرمك الله - في صَدْر هذا الكتاب من الجزء الأوَّل وفي بعض الجزء الثاني ، كلاماً من كلام العقلاء البلغاء ، ومذاهب من مذاهب الحكماء والعلماء ، وقد روَّينا نوادرَ من كلام الصَّبِيان والمُحَرِّمين من الأعراب ^(٤) ، ونوادرَ كثيرةً من كلام المجانين وأهل المِرَّة من المُوسَّوسين ^(٥) ، ومن كلام أهل الغفلة من التَّوَكَّى ، وأصحاب التَّكَلُّف من الحمقى ، فجعلنا بعضها في باب الاتعاظ والاعتبار ، وبعضها في باب الهزل والفكاهة ^(٦) . ولكلِّ جنسٍ من هذا موضعٌ يصلح له . ولا بد لمن استكَّده ^(٧) الجُدُّ ، من الاستراحة إلى بعض الهزل .

(١) الخبر أيضاً في عيون الأخبار (٢ : ١٥٩) ونزهة الألباء ١٢ .

(٢) وكذا في هـ والتيمورية ، وهو الوجه . وبدله في حـ وب مع أثر تبديل في الأخيرة : « فقال زياد » .

(٣) يقال لا نِيحَ الله عظامه : لا صليها ولا شد منها . وهذا الصواب من هـ واللسان . ل : « تنح »

وسائر النسخ : « تنح » ، تحريف . وفي حواشي هـ : « معنى نِيح خَصَب » .

(٤) المحرم ، من قولهم ناقة محرمة : لم تُرَضْ ولم تذلل . وفي حاشية هـ والتيمورية : « المحرم : الذي

لم يرض ولم يؤدب ، كما قيل ناقة محرمة ، وهى التى لم ترض » .

(٥) المرة ، بالكسر : خلط من أخلاط البدن الأربعة ، وهى الدم ، والبلغم ، والمرة الصفراء ،

والمرة السوداء . وإذا غلبت المرة السوداء على شخص ، اختلط عقله وسمى ممروراً .

(٦) ب ، ح : « فجعلنا بعضها في باب الهزل والفكاهة » ، تحريف .

(٧) استكَّده : أحجده وأتعبه ، وأصل استكَّده طلب منه الكد .

قال أبو عبيدة : أرسل ابن لعجل بن لجيم^(١) فرساً له في حلبه ، فجاء سابقاً ، فقال لأبيه : يا أبة ، بأي شيء أسميه ؟ فقال : افقاً إحدى عينيه ، وسمه الأعور .

وشعراء مضر يحمقون رجال الأزد ويستخفون أحلامهم . قال عمر بن لجا :
تصطك ألحيتها على دلائها تلاطم الأزد على عطائها

وقال بشار :

وكأن غلى دنانهم في دورهم لقط العتيك على خوان زياد

وقال الراجز :

لبيك بي أفل في بجادي^(٢) حازم حقوى وصدري باد^(٣)

أفرج الظلماء عن سواي^(٤) أقوى لشول بكرث صواد^(٥)

كأتما أصواتها بالوادي أصوات حج من عمان غاد^(٦)

وقال الآخر في نحوه :

فإذا سمعت هديلهن حسيته لقط المَقاول في بيوت هداد^(٧)

وبسبب هذا^(٨) يُدْخِلُونَ في المعنى قبائل اليمانية . وقال ابن أحرر :

(١) عجل بن لجيم بن صعب بن علي بن بكر بن وائل . وانظر عيون الأخبار (٢ : ٤٣) .

(٢) كلمة « في » مبيضة لها في ل . البجاد ، بالكسر : كساء مخطط .

(٣) الحقو ، بالفتح والكسر : الكشح ، وقيل معقد الإزار .

(٤) سواد الإنسان : شخصه . ما عدل : « سواد » ، تحريف .

(٥) يقول : هو ذو قوة عليها في الرحلة . ل ، هـ : « أقرى » وليس بشيء .

(٦) أنشده في اللسان (حجج) مع سابقه وقال : « هكذا أنشده ابن دريد بكسر الحاء » .

والحج : الحجاج .

(٧) المَقاول : جمع يقول ، بالكسر ، وهو الملك من ملوك حمير . وهداد ، كسحاب : حي من

اليمن . في اللسان (١٥ : ٤٣) : « قال ابن بري : وقد جاء الحقام مؤنثاً في بيت زعم الجوهري أنه يصف حماما ، وهو قوله :

فإذا دخلت سمعت فيها رجة لفظ المَقاول في بيوت هداد .

(٨) ل : « وبسبب الأزد » ، تحريف .

إِخَالَهَا سَمِعَتْ عَزْفًا فَتَحَسَّبُهُ إِهَابَةَ الْقَسْرِ لَيْلًا حِينَ تَنْتَشِرُ (١)

وقال الكميّ .

كَأَنَّ الْعُطَامِطَ مِنْ غَلِيهَا أَرَاغِيزُ أَسْلَمَ تَهْجُو غِفَارًا (٢)

فجعل الأراجيز ، التي شَبَّهَهَا في لُغَطِهَا وَالتَّفَافِهَا بِصَوْتِ غَلِيَّانِ الْقَدْرِ ،
لَأَسْلَمَ دُونَ غِفَارٍ .

★ ★ ★

(١) العزف : صوت في الرمل لا يدري ماهو . والإهابة : الدعاء والصرخ ، وأصلها الصوت بالإبل ودعاؤها . والقسر : بطن من بجيلة في اليمن ، إليهم ينسب خالد بن عبد الله . وفي هامش التيمورية : « القسر قبيلة من اليمنية » . وأنشده في اللسان (قسر) ، وقال : « والقسر : اسم رجل قيل هو راعي ابن أحمر » . وروايته هناك :

أَظْنَهَا سَمِعَتْ عَزْفًا فَتَحَسَّبُهُ إِشَاعَةَ الْقَسْرِ لَيْلًا حِينَ يَنْتَشِرُ
(٢) العظامط ، بالضم : صوت الغليان . أسلم وغفار : قبيلتان كانت بينهما مهاجاة . والبيت له قصة في الأغاني (١ : ١٣٤) .

باب التَّوَكَّى

- قال : ومن التَّوَكَّى : مالك بن زيد مناة بن تميم ، الذى لما أُدْخِلَ على امرأته فرأت ما رأت من الجَفَاءِ والجَهْلِ ^(١) ، وجَلَسَ فى ناحية منقبضاً مشتجلاً ، قالت : ضع عُلبَتَكَ . قال : يدى أحفظُ لها . قالت : فاخلع نعليك . قال : رجلاى أحفظُ لهما . قالت له : فَضَعْ شَمْلَتَكَ . قال : ظهرى أولى بها . فلماً رأت ذلك قامت فجلست إلى جنبه ^(٢) . فلماً شم ريح الطَّيْبِ وثبَ عليها . ومن المجانين والمُوسِسِينَ والتَّوَكَّى : ابن قَنَانٍ ^(٣) ، وصَبَّاحُ المُوسِسِ ، وِدِيسِيمُوسُ اليونانى ^(٤) ، وأبو حَيَّةَ التَّمِيرِ ^(٥) ، وأبو يَسَ الحاسب ^(٦) ، وجُعيفران الشاعر ^(٧) ، وجَرْنَفَشُ ^(٨) . ومنهم سارية الليل . ومنهم رَيْطَةُ بنت كعب بن سعد ابن تَيْم بن مُرَّة ^(٩) ، وهى التى نَقَضَتْ غَزْلَهَا أَنْكَاثًا ، فضرب الله تبارك وتعالى بها

- (١) ل : « والجهد » . تحريف . والخبر فى العقد (٦ : ١٥٦) .
 (٢) ما عدل ، هـ : « إلى جانبه » .
 (٣) فى اللسان (قنن) : « وابن قنن : رجل من الأعراب » . ما عدل : « ابن قنن » تحريف . وانظر ما سأتى فى ص ٢٤٦ .
 (٤) ل ، هـ : « ريسيموس » . وسائر النسخ « ريسموس » صوابه بالدال ، كما فى الحيوان (١ : ٢٧٩) .
 (٥) اسمه الهيثم بن ربيع ، شاعر مجيد من مخضرمى الدولتين الأموية والعباسية ، ومدح الخلفاء فيهما ، وكان أهوج جباناً بخيلاً كذاباً ، معروفاً بذلك أجمع . الأغانى (١٥ : ٦١ - ٦٢) والخزانة (٣ : ١٥٤) .
 (٦) انظر ترجمته فى حواشى الحيوان (٦ : ٢٤٩) .
 (٧) هو جعيفران بن على بن أصغر بن السرى بن عبد الرحمن الأنبارى ، مولده ومنشؤه ببغداد ، وكان يتشيع ، وكان ممن مدح أبا دلف العجلي . وغلبت عليه المرة السوداء فاختلط فى أكثر أوقاته ، وله شعر يفند فيه من ادعى اختلاطه وجنونه . انظر الأغانى (١٨ - ٦١ - ٦٥) .
 (٨) مأخوذ من قولهم رجل جرنفش ، وهو العظيم البطن أو الجنين ، أو قولهم : رجل جرنفش اللحية : عظيمها ضخمتها .
 (٩) فيما عدل : « تيم بن مرة » تحريف ، صوابه فى الاشتقاق ٥٩ وتفسير أى حيان (٥ : ٥٣١) ، حيث ذكر فى الأخير أن لقب ريطه هو « الجفراء » .

المثل (١) ، وهى التى قيل لها : « خرقاءُ وجدت صُوفًا » .

ومنهم: دُعَّةُ (٢) ، وَجْهِيْزَةُ (٣) ، وَشَوْلَةُ (٤) ، وَدُرَّاعَةُ الْقَدِيْدِ الْمَعْدِيَّةِ (٥)

ولكل واحدٍ من هؤلاء قصَّةٌ سنذكرها فى موضعها ، إن شاء الله .

فأما ديسيموس (٦) فكان من مُوسوسى اليونانيين ، قال له قائل : ما بال ديسيموس يعلم الناس الشعر ولا يستطيع قوله ؟ قال : مثله مثل المسن الذى يشخذ ولا يقطع .

ورآه رجلٌ وهو يأكل فى السُّوق فقال : ما بال ديسيموس يأكل فى السُّوق ؟ فقال : إذا جاع فى السُّوق أكل فى السُّوق .

١٠ (١) فى قوله تعالى فى سورة النحل : (ولا تكونوا كالتى نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا تتخذون أيمانكم دخلاً بينكم) . وذكر أبو حيان أنها كانت تغزل هى وجواربها من الغداة إلى الظهر ، ثم تأمرهن فينقضن ما غزلن .

(٢) دغة ، بضم الدال وفتح الغين ، وأصل معنى الدغة الفراشة ، أو دُوَيْثَةٌ . وهذا لقب لها ، واسمها مارية بنت منعج - أو منعج - وهذا لقب ربيعة بن عجل . ومن حمقها أنها نظرت إلى يافوخ ولدها يضطرب ، وكان قليل النوم كثير البكاء ، فقالت لضرتها : أعطبنى سكيناً ، فناولتها وهى لا تعلم ما انطوت عليه ، فمضت وشقت به يافوخ ولدها فأخرجت دماغه ، فلحققتها الضرة فقالت : ما الذى تصنعين ؟ فقالت : أخرجت هذه المدة من رأسه ليأخذه النوم ، فقد نام الآن . الميدانى فى (أحق من دغة) .

(٣) قال ابن السكيت : هى أم شبيب الحرورى . ومن حمقها أنها لما حملت شبيبا فأثقلت قالت لأحمائها : إن فى بطنى شيئاً ينقر . فنشروا عنها هذه الكلمة فحمقت . وقيل هى أمة حمقاء ، وكان قوم قد اجتمعوا يخطبون فى صلح بين حين قتل أحدهما من الآخر قتيلاً ، ويسألون أن يرضوا بالدية . فبينما هم فى ذلك إذ أقبلت جهيزة فقالت : إن القاتل قد ظفر به بعض أولياء المقتول فقتله . فقالوا : « قطعت جهيزة قول كل خطيب » . وضرب ذلك مثلاً لمن يقطع على الناس ما هم فيه بحمافة يأتي بها . الميدانى فى (أحق من جهيزة) ، و (قطعت جهيزة قول كل خطيب) .

(٤) فى اللسان : « ابن السكيت : من أمثالهم فى الذى ينصح القوم : أنت شولة الناصحة . قال : وكانت أمة لعدوان رعاء تنصح لمواليها فتعود نصيحتها وبالا عليهم لحمقها » .

(٥) ما عدل : « ذراعة المعدية » .

(٦) ل ، هـ « ريسيموس » وسائر النسخ : « ريسيموس » فى هذا الموضع والمواضع التالية . وانظر

وَأَلَحَّ عَلَيْهِ رَجُلٌ بِالشَّتِيمَةِ ^(١) وَهُوَ سَاكِتٌ فَقِيلَ لَهُ : أَيَشْتُمُكَ مِثْلُ هَذَا وَأَنْتَ سَاكِتٌ ؟ فَقَالَ : أَرَأَيْتَ إِنْ نَبَحَكَ كَلْبٌ أَتَنْبَحُهُ ، وَإِنْ رَمَحَكَ حِمَارٌ أَتَرْمَحُهُ ؟ وَكَانَ إِذَا خَرَجَ مَعَ الْفَجْرِ يَرِيدُ الْفِرَاتَ أَلْقَى فِي دَوَّارَةِ بَابِهِ حَجْرًا ، حَتَّى لَا يُعَانِيَنَّ دَفْعَ بَابِهِ إِذَا رَجَعَ . وَكَانَ كُلَّمَا رَجَعَ إِلَى بَابِهِ وَجَدَ الْحَجَرَ مَرْفُوعًا وَالبَابَ مَنْصُفَقًا ، فَعَلِمَ أَنَّ أَحَدًا يَأْخُذُ الْحَجَرَ مِنْ مَكَانِهِ ، فَكَمَنَ لِصَاحِبِهِ يَوْمًا ، فَلَمَّا رَأَاهُ قَدْ أَخَذَ الْحَجَرَ قَالَ : مَا لَكَ تَأْخُذُ مَا لَيْسَ لَكَ ؟ قَالَ : لَمْ أَعْلَمْ أَنَّهُ لَكَ . قَالَ : فَقَدْ عَلِمْتَ أَنَّهُ لَيْسَ لَكَ ^(٢) .

وَأَمَّا جُعَيْفِرَانُ الْمَوْسُوسُ الشَّاعِرُ ^(٣) ، فَشَهِدْتُ رَجُلًا أَعْطَاهُ دَرَاهِمًا وَقَالَ لَهُ : قُلْ شِعْرًا عَلَى الْجِيمِ . فَأَنْشَأَ يَقُولُ :

عَادَنِي الْهَمُّ فَاعْتَلَجْتُ كُلُّ هَمٍّ إِلَى فَرْجٍ
سَلَّ عَنْكَ الْهَمُومَ بِالْكَاسِ وَالرَّاجِ تَنْفَرُجُ

وَهِيَ أَيْبَاتٌ ^(٤) .

وَكَانَ يَتَشَبَّهُ ، فَقَالَ لَهُ قَائِلٌ : أَتَشْتُمُ فَاطِمَةَ وَتَأْخُذُ دَرَاهِمًا ؟ قَالَ : لَا ، بَلْ أَشْتُمُ عَائِشَةَ وَآخُذُ نِصْفَ دَرَاهِمٍ . وَهُوَ الَّذِي يَقُولُ ^(٥) :

مَا جَعَفَرٌ لِأَبِيهِ وَلَا لَهُ بِشِيءٍ
أَضْحَى لِقَوْمٍ كَثِيرٍ فَكُلُّهُمْ يَدَّعِيهِ
فَذَا يَقُولُ بُنَيٌّ وَذَا يَخَاصِمُ فِيهِ

(١) الشَّتِيمَةُ وَالْمَشْتَمَةُ وَالشَّتْمُ بِمَعْنَى ، وَهُوَ السَّبُّ .

(٢) الْخَبَرُ بِتَفْصِيلٍ فِي الْحَيَوَانَ (١ : ٢٩٠) .

(٣) سَبَقَتْ تَرْجُمَتُهُ فِي ص ٢٢٥ .

(٤) الْقِصَّةُ بِرَوَايَةٍ أُخْرَى فِي الْأَغَانِي (١٨ : ٦٢) .

(٥) ذَكَرَ أَبُو الْفَرَجِ أَنَّهُ اطَّلَعَ يَوْمًا فِي جُبٍّ فَرَأَى وَجْهَهُ قَدْ تَغَيَّرَ ، وَعَفَا شَعْرَهُ ، فَقَالَ وَأَنْشَدَ

الْأَيْبَاتِ التَّالِيَةَ . وَالشَّعْرُ فِي مُحَاضَرَاتِ الرَّاعِبِ (١ : ١٧٢) .

والأُمُّ تضحكُ منهم لعلمها بأبيه

وهو الذى يقوم فى قوم لَاطَةِ :

كَأَنَّهُمْ وَالْأَيُّورُ عَامِدَةٌ صَيَّاقِلٌ فى جِلَالَةِ التَّصَلُّ

وأما أبو يَس الحاسب فإنَّ عقله ذهب بسبب تفكره فى مسألة ، فلما جُنَّ
كان يهذى بأنَّه سيصير مَلِكاً وقد أَلِهَمَ ما يحدث فى الدُّنيا من الملاحم .

وكان أبو نواس والرَّقَاشِيُّ يَقُولَانِ على لسانِهِ أشعاراً ، على مذاهب أشعار ابن
عَقْب اللَّيْثِي ، وَيُرَوِّيانِها أبا يَس ، فإذا حفظها لم يَشْكُ أَنَّهُ الذى قالها . فمن تلك
الأشعار قول أبى نواس :

مَنَعَ النَّوْمَ ادِّكَارِي زَمناً ذَا تَهَاوِيلَ وَأَشْيَاءَ تُكْثِرُ

واعتراكُ الرُّومَ فى معمعةٍ ليس فيها لجبانٍ من مَقَرٍّ (١)

كائناتٌ ليس عنها مذهبٌ خَطَّها يُوشَعُ فى كُتُبِ الرُّبْرِ (٢)

وعلاماتٌ ستأْنى قَبْلَهُ جَمَّةٌ أَوَّلُها سَكْرُ النَّهْرِ (٣)

ويلهم رجلاً من هاشمٍ أَقْتَصُ النَّاسِ جَمِيعاً لِلْحُمْرِ

يَتَنى فى الصَّحْنِ من مسجدهم للمصلِّين من الشمس سُرٌّ (٤)

وَرَجاءٌ يَتَنى مِطْهَرَةً ضَخْمةً فى وسطها طُسْتُ صُفْرِ (٥)

(١) المقر ، بالقاف ، أى الاستقرار . هـ : « من مقر » و « مقر » معا .

(٢) أراد بالكائنات الحوادث . والزبر : جمع زبور ، كرسل جمع رسول ، وهو الكتاب ، كما فى قول لبيد :

وجلا السيول عن الطلول كأنها زبر تجد متوتها أعلامها

وقد غلب استعماله فى صحف داود عليه السلام .

(٣) سكر النهر سكرأ : سد فاه . ل : « شكر » تحريف .

(٤) الصحن : ساحة وسط اندار ونحوها . ما عدل : « من مسجدهم » . والستر بضمتيْن :

جمع ستر ، بالكسر . وقد جرى على لغة ربيعة فى الوقوف بالسكون على المنصوب .

(٥) المطهرة ، بالكسر : البيت الذى يتطهر فيه . والطست : بالفتح : إناء من الصفر ، مؤنث

وقد يذكر . قال فى القاموس : « وحكى بالشين المعجمة » . وبهذه اللغة الأخيرة ورد فيما عدل ، هـ :

« طشت » . والصفر ، بالضم : النحاس الأصفر ، وضم الفاء للشعر .

فُهناكُمْ حين يَفْشُو أَمْرُكُمْ وَهناكُمْ ينزل الأَمْرُ التُّكْرُ
فَاتَّبِعُوهُ حَيْثُ ما سارَ بِكُمْ أَتَيْها الناسَ وَإِنْ طالَ السَّفَرُ
وَدَعُوا ، بالله ، أَنْ تَهْزُوا بِهِ لَعَنَ الرَّحْمَنُ مَنْ مِنْهُ سَخِرَ (١)

والبَصْرِيُّونَ يَزْعَمُونَ أَنَّ أبا يَسَ كانَ أَحسَبَ الناسِ .

وأما أَبُو حَيَّةَ التُّمَيْرِيُّ فَإِنَّهُ كانَ أَجَنًّا مِنْ جُعِيفَرانَ ، وكانَ أَشْعَرَ الناسِ . وهو
الَّذي يَقولُ (٢) :

أَلّا حَيَّ أَطْلالَ الرِّسومِ البوالِيا لَيْسَنَ البِلَى مِمّا لَيْسَنَ اللَّيالِيا
وفى هَذِهِ القَصيدة يَقولُ :

إِذا ما تَقاضَى المَرءُ يَوْمَ وَليلَةٍ تَقاضاهُ شَيْءٌ لا يَمِلُ التَّقاضِيا (٣)
وهو الَّذي يَقولُ :

فأَرخَتْ قِناعاً دَوْنَهُ الشَّمْسُ واتَّقَتْ بأَحسَنِ مَوْصُولينَ : كَفِّ وَمِعصَمِ
وَحَدَّثَنِي أَبُو المَنجوفِ (٤) قالَ : قالَ أَبُو حَيَّةَ : عَنَّ لِي ظَبْيٌ فَرَمِيتَهُ ، فَرَاغَ
عَنْ سَهْمِي ، فَعارَضَهُ وَاللَّهِ السَّهْمُ ، ثُمَّ رَاغَ فَرَاوَعَهُ حَتَّى صَرَعهَ بِيَعَضِ
الحَبَّاراتِ (٥) .

وقالَ : رَمِيتُ وَاللَّهِ ظَبِيَّةً ، فَلَمّا نَفَذَ السَّهْمَ ذَكَرْتُ بِالظَّبِيَّةِ حَبِيبَةً لِي ،
فَشَدَدْتُ وَراءَ السَّهْمِ حَتَّى قَبِضْتُ عَلَى قُدْذِهِ (٦) .

(١) هزئ منه وبه يهزأ ، من باى سمع ومنع : سخر ، وقد سهل الهزمة ثم أجرى الفعل مجرى المنقوص .

(٢) الخير والشعر في العقد (٦ : ١٦٤) .

(٣) هذا البيت وعبارة الإنشاد قبله من ل ، هـ والتميمورية .

(٤) أبو المنجوف السدوسي ، روى عنه الجاحظ في البخلاء ١٣٥ والحيوان (٦ : ٥٣) وهو

أحد الأخباريين . وقد ذكره ابن النديم في الفهرست باسم « المنجوف السدوسي » .

(٥) الخبار ، كسحاب : ما استرخى من الأرض وتحفر . ب ، ح : « الجنارات » والتميمورية :

« الحبارات » ، صوابها ما أثبت من ل ، هـ وعيون الأخبار (٢ : ٢٧) .

(٦) شددت من الشد ، وهو العدو والجرى . والقذذ : ريش السهم .

وكان يكلم العُمَّار ، ويخبر عن مفاوضته للجن^(١) .
 وأما جَرَنَفَشُ فَإِنَّهُ لما خلع الفرزدقَ لجامَ بغلته ، وأدنى رأسها من الماء ،
 قال له جَرَنَفَشُ : نَحْ بَغْلَتَكَ^(٢) حَلَقَ اللهُ سَاقِيكَ^(٣) ! قال : وَلِمَ عَافَاكَ اللهُ ؟
 قال : لِأَنَّكَ كَذُوبُ الحَنْجَرَةِ ، زَانِي الكَمَرَةِ^(٤) !
 قال أبو الحسن : وبلغني أَنَّ الفرزدقَ لما أن قال له الجَرَنَفَشُ ما قال
 نادى : يا بنى سدوس . فلما اجتمعوا إليه قال : سَوِّدُوا الجَرَنَفَشَ عَلَيْكُمْ ؛ فَإِنِّي
 لم أرَ فيكم أَعْقَلَ منه .

ومن مجانين الكوفة : عيناوة^(٥) ، وطاق البصل .
 حَدَّثَنِي صَدِيقٌ لِي قال : قلت لعيناوة^(٦) : أَيُّمَا أَجْنُ ، أَنْتَ أَوْ طَاقُ
 البصل ؟ قال : أَنَا شَيْءٌ وَطَاقُ البصل شَيْءٌ !
 ومن مجانين الكوفة : بُهْلُولُ ، وكان يتشيع ، فقال له إسحاق بن الصَّبَّاحِ : أَكْثَرُ
 اللهُ فِي الشَّيْعَةِ مِثْلَكَ . قال : بَلْ أَكْثَرُ اللهُ فِي المَرْجُئَةِ مِثْلِي ، وَأَكْثَرُ فِي الشَّيْعَةِ مِثْلَكَ !
 وكان جَيِّدَ القفا^(٧) ، فَرَبَّمَا مَرَّةً به من يَحْبُ العَبَثَ فَيَقْفِدُهُ^(٨) ، فَحَسَا
 قَفَاهُ خِرَاءً ، وَجَلَسَ عَلَى قَارِعَةِ الطَّرِيقِ فَكَلَّمَا قَفَدَهُ إِنْسَانٌ تَرَكَهُ حَتَّى يَجُوزَ ، ثُمَّ
 يَصِيحُ بِهِ : يَا فَتَى ، شَمَّ يَدَكَ ! فلم يَعُدْ بَعْدَهَا أَحَدٌ يَقْفِدُهُ .

(١) العمار : جمع عامر ، وهم سكان البيت من الجن . والمفاوضة : المحادثة . ما عدا ل :
 « معارضته » ، تحريف .

(٢) ل : « نعليك » ، وما أراها صحيحة .

(٣) في حواشي هـ عن نسخة : « شَأْفَتَكَ » ، وكذا في العقد (٦ : ١٥٥) وفي البغال : « وَجَدَّ
 اللهُ سَاقِيكَ » .

(٤) ما عدا هـ : « المنجرة » تحريف . وفي الكنايات للجرجاني ١١٢ : « ويقولون في الكناية عن
 الكذب : هو قموص الحنجرة » . وانظر العقد (٦ : ١٥٥) .

(٥) ما عدا ل ، هـ : « عيناذه » . وانظر العقد (٦ : ١٥٤) .

(٦) ما عدا ل ، هـ : « العيناذه » .

(٧) ما عدا ل ، هـ : « القفاء » بالمد ، وهما لغتان . وهى مؤنثة ، وقد تذكر .

(٨) القفد : الصفع ، وبابه ضرب .

وكان يغنى بقيراط ويسكت بدائق^(١) .

وكانت بالكوفة امرأة رعاء يقال لها مُجبية ، فققد بُهلولا فتى كانت مجبية أرضعته ، فقال له بُهلول : كيف لا تكون أرعن وقد أرضعتك مُجبية ؟ فوالله لقد كانت تزُق لى الفرخ فأرى الرُعونة فى طيرانه !

قال : وحدثنى حُجر بن عبد الجبار قال : مرَّ موسى بن أبى الرُّقَاء^(٢) فناده صَبَّاحُ الموسوس : يا ابن أبى الرُّقَاء^(٣) ! أَسَمَنْتَ بِرَدَوْنِكَ ، وأهزلت دينك ، أما والله إنَّ أَمَامَكَ لَعَقَبَةٌ لا يجاوزها إلا المُخَفُّ ! فحبس موسى برذونه وقال : مَنْ هذا ؟ فقيل له^(٤) : هذا صَبَّاحُ الموسوس . فقال : ما هو بموسوس ، هذا نذير .

قال أبو الحسن : دعا بعضُ السلاطين مجنوبين ليحرَّكهما فيضحك مِمَّا يحىء منهما ، فلما أسمعاه وأسمعهما غضب ودعا بالسيف ، فقال أحدهما لصاحبه : كنَّا مجنوبين فصرنا ثلاثة !

وقال عمر بن عثمان^(٥) : شِيعَت عبد العزيز بن المُطَّلَب الخزومى^(٦) وهو قاضى مكة ، إلى منزله ، وبباب المسجد مجنونة تصفَّق وتقول :

أَرَقَّ عَيْنِي ضُرَاطُ الْقَاضِي^(٧) هذا المقيم ليس ذاك الماضى^(٨)

(١) سبق تفسيره فى ٢١٩ . والقيراط : نصف دانق .

(٢) ما عدا ل ، هـ : « أبى ردقا » . وفى العقد (٦ : ١٥٠) : « أبى الزرقاء » .

(٣) ما عدا ل ، هـ : « أبى الردقا » .

(٤) ل : « قال » .

(٥) هو أبو حفص عمر بن عثمان بن عمر بن موسى التيمى المدنى ، كان من وجوه قریش وبلغائها وفصحائها وعلماؤها . ولاء الرشيد القضاء بالبصرة ، فخرج حاجا وأقام بالمدينة ، فلم يزل بها حتى مات . تهذيب التهذيب . هـ والعقد (٦ : ١٦٢) : « عمرو بن عثمان » .

(٦) هو عبد العزيز بن عبد المطلب بن عبد الله بن حنطب الخزومى المدنى . كان جوادا ذا معرفة بالقضاء والحكم ، ولى قضاء المدينة فى زمن المنصور ثم المهدي ، وولى قضاء مكة . تهذيب التهذيب . فيما عدا ل : « عبد العزيز بن عبد الملك » ، تحريف .

(٧) فيما عدا ل : « طراطر القاضى » ، تحريف .

(٨) هذا الشطر مما عدا ل .

فقال : يا أبا حفص ، أتراها تعنى قاضى مكة ؟
 قال : وتذاكرُوا اللُّثْغَ فقال قوم : أَحْسَنُ اللُّثْغِ ما كان على السَّيْنِ ، وهو أن
 تصير ثاء . وقال آخرون : على الرَّاء ، وهو أن تصير غيناً . فقال مجنون البكرات :
 أنا أيضاً اللُّثْغُ ، إذا أردتُ أن أقول شَرِيط ^(١) قلت : رَشِيط !
 قال : وبعث عُبيد الله بن مروان ، عمَّ الوليد ، إلى الوليد بقطيفة
 حمراء ^(٢) ، وكتب إليه : « إئني بعثتُ إليك بقطيفة حمراء حمراء » . فكتب إليه
 الوليد : « قد وصلتُ إلى القطيفة ، وأنت يا عمُّ أحمق أحمق » .
 وقال محمد بن بلال لوكيله دَبَّة ^(٣) : اشترِ لى طيباً سيراقياً . قال : تريده
 سيراقي ، أو سيراقي سيراقي ؟

وقال محمد بن الجهم ^(٤) للمكِّي ^(٥) : إني أراك مستبصراً في اعتقاد الجزء
 الذى لا يتجزأ ، فينبغى أن يكون عندك حقاً حقاً . قال : أما أن يكون عندي
 حقاً حقاً فلا ، ولكنه عندي حق .

ودخل أبو طالب ، صاحبُ الطَّعام ، على هاشمية جارية حمدونة بنت
 الرِّشيد ^(٦) ، على أن يشتري طعاماً من طعامها في بعض البيادر ، فقال لها : إئني
 قد رأيتُ متاعك . قالت هاشمية : قل طعامك . قال : وقد أدخلتُ يدي فيه ،
 فإذا متاعك قد خَمَّ وخَمِيَ ^(٧) وقد صار مثل الجيفة ^(٨) . قالت : يا أبا طالب ،
 أَلَسْتُ قَلْبْتُ الشَّعِير ، فأعطنا ما شئت وإن وجدته فاسداً .

(١) ما عدل ، هـ : « شرائط » ، تحريف .

(٢) القطيفة : دثار أو كساء أو فراش مخمل . والمخمل : ذو الخمل ، وهو هذب القطيفة ونحوها ،
 مما ينسج وتفضل له فضول ، كخمل الطنفسة .

(٣) ما عدل : « زيد » . وفي حواشي هـ عن نسخة : « دبة » .

(٤) سبقت ترجمته في (١ : ٣٨) .

(٥) تقدمت ترجمته في ص ٢١١ .

(٦) هو الخليفة هارون الرشيد . انظر الطبري (١٠ : ١٢١) ، وانظر خبراً آخر لفاجرة تسمى

« دفاق » كانت منقطعة كتلك إلى حمدونة بنت هارون الرشيد ، في الأغاني (١١ : ٩٥) .

(٧) خَمَّ : أثنى . ل : « خم وجهي » ، تحريف .

(٨) ل : « الحيقة » ، وانظر العقد (٦ : ١٦٢) وكتاب بغداد لابن طيفور ٦١ .

ودخل أبو طالب على المأمون فقال : كان أبوك يا أبا (١) ، خيراً لنا منك ، وأنت يا أبا ، ليس تعدنا ولا تبعث إلينا ، ونحن يا أبا ، نَجَارُك وجِرائك . والمأمون في كل ذلك يتبسّم .

وقيل للمثنى بن يزيد بن عمر بن هبيرة (٢) ، وهو على اليمامة : إن ها هنا مجنوناً له نوادر . فأتوه به فقال : ما هجاء النَّشَّاش (٣) ؟ فقال : الفلج العادي (٤) . فغضب ابنُ هبيرة وقال : ما جئتموني به إلا عمداً ، ما هذا بمجنون . والنَّشَّاش : يومٌ كان لقيس على حنيفة . والفلج : يومٌ كان لحنيفة على قيس (٥) . وأنشدوا :

ترى القومَ أسواءَ إذا جلسوا معاً وفي القوم زيفٌ مثل زيف الدراهم (٦)
وقال :

فتى زاده عُرُ المهابة ذلَّةً وكلُّ عزيزٍ عنده متواضعٌ
وقال :

قد ينفع الأدبُ الأحداثَ في مهلٍ وليس ينفع بَعْدَ الكِبَرَةِ الأدبُ
إنَّ العُصُونَ إذا قَوْمَتَهَا اعتدلت ولن تَلينَ إذا قَوْمَتَهَا الحُشْبُ (٧)

١٥ (١) أراد أن يكنيه فذهل عن كنيته . وكنية المأمون أبو جعفر .

(٢) سبقت ترجمة والده في (١ : ١٩٩) .

(٣) النشاش ، كشّاد : واد كثير الحمض ، كان به ذلك اليوم بين بني عامر بن صعصعة وبني حنيفة أهل اليمامة . ياقوت والميداني (٢ : ٣٥٣) .

(٤) الفلج العادي ، ويقال له أيضاً فلج الأفلاج : مدينة باليمامة من قرى عامر بن صعصعة . وكان به يومان : الفلج الأول لبني عامر على بني حنيفة ، والآخر لبني حنيفة على بني عامر . ياقوت والميداني (٢ : ٢٥٢) . ما عدال : « القادي » تحريف . قال ياقوت : « وكان فلج هذا من مساكن عاد القديمة » . وأنشد للفحيف :

وبالفلج العادي قتل إذا التقت عليها ضباغ الغيل باتت وظلت

(٥) مضى في الحاشية السابقة أنهما يومان تبودلت فيها الغلبة . ويعني بقيس عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان .

٢٥ (٦) أسواء : جمع سواء ، وسواء الشيء : مثله . وأنشده في اللسان (سوا) .

(٧) ما عدال : « ولا تَلين » . وانظر (٣ : ٨٣) .

باب في العي

قال جعفر بن أخت واصل : كتب رجل إلى صديق له : « بلغني أن في بستانك أشياء تهمني ، فهب لي منه أمراً من أمر الله عظيماً ^(١) » .

وقال أبو عبد الملك ، وهو الذي كان يقال له عَنَّا : كان عيَّاش ^(٢) وثمامة ^(٣) حتى يعظمني تعظيماً ليس في الدنيا مثله .

وقال له عيَّاش بن القاسم : بأي شيء تزعمون أن أبا عليّ الأسواريّ ^(٤) أفضل من سلام أبي المنذر ^(٥) ؟ قال : لأنه لما مات سلام أبو المنذر ذهب أبو عليّ في جنازته ، فلما مات أبو عليّ لم يذهب سلام في جنازته .

وكان يقول : فيك عشر خصال من الشر . فأما الثانية كذا ، وأما الرابعة كذا ، وأما السابعة كذا ، وأما العاشرة كذا .

قال : وقلنا للفقعي : كيف ثناؤك على حمدان بن حبيب ؟ فقال : هو والله الكذا الكذا .

وقال الخرداذي : آجركم الله وأعظم أجركم وأجركم ^(٦) فقليل له ذلك فقال : هذا

(١) ما عدل : « عظيم » .

(٢) هو عيَّاش بن القاسم ، كما سيأتي .

(٣) ثمامة بن أشرس ، ترجم في (١ : ١٠٥) .

(٤) هو أبو عليّ الحسين بن علي بن يزيد الأسواري ونسبته إلى « أسوارية » بفتح الهمزة وضمها ، وهي قرية من قرى أصبهان . ذكره أبو نعيم الأصفهاني في أخبار أصفهان (١ : ٢٨١) والسمعاني في الأنساب ٣٨ .

(٥) هو أبو المنذر سلام بن سليمان . وهو من أصحاب القراءات غير السبع . ابن النديم ٤٥ والمعارف ٢٣٢ . وقد عده ابن النديم في عداد المجبرة وقال : « ويكنى أبا المنذر ، ويلقبه أهل العدل (يعني المعتزلة) أبا المدير » ، وروى له خبراً في الإخبار : أنه أصاب غلاماً على جاريته فقال له : ما هذا ويلك ؟ قال : كذا قضاء الله . فقال : أنت حر لعلمك بالقضاء والقدر . وزوجه الجارية . ابن النديم ٢٥٦ .

(٦) ل : « آجركم الله وأعظم أجركم » فقط . وانظر العقد (٦ : ١٦١) .

كما قال عثمان بن الحكم ^(١) : بارك الله لكم وبارك عليكم وبارك فيكم . قالوا له : ويلك : إنَّ هذا لا يشبه ذلك .

وكتب إلى بعض الأمراء : « أبقاك الله ، وأطال بقاءك ، ومدَّ في عمرك » .
وكان أبو إدريس السَّمَّان يقول : « وأنت فلا صَبَّحَكَ اللهُ إِلَّا بِالْخَيْرِ ^(٢) »

ويقول : « وأنتم فلا حياً الله وجهكم ^(٣) إِلَّا بِالسَّلام ، وأنتم فلا بَيْتَكُمْ اللهُ إِلَّا بِالْخَيْرِ » .
ومرَّ ابن أبي علقمة ، فصاح به الصَّبَّيَّانُ فهرب منهم ، وتلقاه شيخٌ عليه
ضفيرتان ، فقال له : ﴿ يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ ﴾ .
وقال المهلبُ لرجل من بنى مُلْكان ، أحد بنى عدى : متى أنت ؟ قال :

أَيَّامَ عُتَيْبَةَ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ شَهَابٍ ^(٤) . وأقبل على رجلٍ من الأزْد فقال : متى
أنت ؟ فقال : أكلتُ من حياة رسول الله ﷺ عامين . فقال له المهلبُ :
أطعمك الله لَحْمَكَ !

وأنشدني المَعِيطِيُّ ^(٥) :

وَأَنْزَلَنِي طَوْلَ التَّوَى دَارَ غَرْبَةٍ إِذَا شِئْتُ لَا قِيْتُ الَّذِي لَا أَشَاكُلُهُ ^(٦)
فَحَامِقْتُهُ حَتَّى يَقَالَ سَجِيَّةٌ وَلَوْ كَانَ ذَا عَقِيلٍ لَكُنْتُ أَعَاقِلُهُ

قالوا : وخطب عَتَابُ بْنُ وَرْقَاءَ ^(٧) فحثَّ على الجهاد ، فقال : هذا كما
قال الله تبارك وتعالى :

(١) هو عثمان بن الحكم بن صخر الثقفي ، أورد له أبو الفرج خبرين في الأغاني (٩ : ٢٣ / ١٧ : ١٧) كما روى له الجاحظ خبراً في الحيوان (١ : ١٠٤) .

(٢) العقد (٦ : ١٦١) .

(٣) ما عدل : « وأنت فلا حيا الله وجهك » .

(٤) سبقت ترجمته في (١ : ٢١) .

(٥) هـ : « وأنشد المعيطي » .

(٦) البيتان أنشدتهما ابن قتيبة في عيون الأخبار (٣ : ٢٤) ، وسبقا في (١ : ٢٤٥) ،
وسيعادان في (٣ : ٢١) . والغربة ، بالفتح : البعد .

(٧) عتاب بن ورقاء الرياحي : أحد شجعان العرب وفرسانهم ، وكان يكنى أبا ورقاء ، وكان من
سادات الكوفة . وكان الفرخان صاحب الرى قد ارتد ، فوجه إليه عتاب فقتله ، وولى أصهبان أيام فتنه ابن =

كُتِبَ القتل والقتال علينا وعلى الغانيات جرّ الذّبول (١)
 وخطب والى اليمامة فقال (٢): « إن الله لا يُقَارُّ عباده على المعاصي ، وقد أهلك
 الله أمة عظيمة في ناقة ما كانت تساوي مائتي درهم » ، فسمي مقوم ناقة الله .
 وهؤلاء الجفأة والأعراب المحرمون (٣) ، وأصحاب العجرفية ، ومن قلّ
 فقهه في الدين ، إذا خطبوا على المنابر فكأنهم في طباع أولئك المجانين .
 وخطب وكيع بن أبي سود (٤) بخراسان ، فقال : « إنّ الله خلق السموات
 والأرض في ستة أشهر » . فقليل له : إنها ستة أيام . قال : وأبيك لقد قلّ لها وإني
 لأستقلّها !

= الزبير ، ثم ولّى المدائن وناحيها ، وبعثه الحجاج في جيش من الكوفة لقتال الأزارقة ، ثم في جيش
 منهم لقتال شبيب الخارجي ، وذلك في سنة ٧٧ ، فبيّته شبيب ففرق عنه جيشه فقتل . الطبري (٧ :
 ٢٤٢) والمعارف ١٨٢ . وقيل فيه لما نعى :

وقائلة هل كان بالمصر حادث نعم قتل عتاب من الحدّاث

وابنه خالد بن عتاب له أخبار بخراسان . حواشي الاشتقاق ١٣٦ .

(١) البيت من أبيات قالها عمر بن أبي ربيعة في شأن عمرة بنت النعمان بن بشير ، وكانت تحت
 المختار بن أبي عبيد الثقفي ، فأخذها مصعب بعد قتله المختار ، وطلب إليها البراءة منه ، فأبت ، فحفر لها
 حفيرة وأقيمت فيها فقتلت ، فقال في ذلك عمر :

إن من أعجب العجائب عندي قتل بيضاء حرة عطبول

قتلت حرة على غير جرم إن الله درها من قتيل

كتب القتل والقتال علينا وعلى الغانيات جرّ الذّبول

الأغاني (٨ : ١٣٣) وزهر الآداب (٣ : ٧٦) وعيون الأخبار (٢ : ٤٩) .

(٢) الخبر في عيون الأخبار (٢ : ٤٥) .

(٣) سبق الكلام على المحرمين في ص ٢٢٢ . ما عدل : « من الجفأة والأعراب المحرمين » .

(٤) هو أبو مطرف وكيع بن حسان بن قيس بن أبي سود الغداني التميمي ، وكان عبد العزيز بن
 عبد الله بن عامر قد ولي سجستان ، فغضب عليه وحيسه ، فاحتال لنفسه حتى أفرج عنه . ثم تحول إلى
 خراسان فكان رأساً . فكتب الحجاج إلى قتيبة يأمره بقتله . وكان أبلى معه بلاء حسناً في مغازيه معه .

فعرله قتيبة عن الراسة فقط ، فلما ملك الوليد وخلع قتيبة بايع الناس وكيعا . فقتل قتيبة وأخذ رأسه
 فبعث به إلى سليمان ، ومكث وكيع غالباً على خراسان تسعة أشهر حتى ولها يزيد بن المهلب . المعارف
 ٨٣ والطبري (٨ : ١١٦) وجمهرة ابن حزم ٢٢٦ . وانظر الخبر في عيون الأخبار (٢ : ٤٨) .

- وصعد المنبر فقال : إن ربيعة لم تزل غضاباً على الله مذ بعث الله نبيه في مضر . ألا وإن ربيعة قومٌ كُشِفَ^(١) ، فإذا رأيتموهم فاطعنوا الخيل في مناخرها ، فإن فرساً لم يطعن في منخره إلا كان أشدَّ على فارسه من عدوه .
- وضربت بنو مازن الحُتَات بن يزيد المُجاشعي^(٢) ، فجاءت جماعة منهم ، فيهم غالبُ أبو الفرزدق ، فقال : يا قوم ، كونوا كما قال الله : لا يعجز القومُ إذا تعاونوا .
- وتزعم بنو تميم أن صبرة بن شَيْمان^(٣) قال في حرب مسعود^(٤) والأحنف : إن جاء حُتَاتٌ جئت ، وإن جاء الأحنف جئت ، وإن جاء جارية^(٥) جئت ، وإن جاءوا جئنا ، وإن لم يجيئوا لم نجيء .
- وهذا باطلٌ ؛ قد سَمِعْنَا لَصَبْرَةَ كلاماً لا ينبغي أن يكون صاحبُ ذلك الكلام يقول هذا الكلام .
- ولمَّا سَمِعَ الأحنفُ فتیانَ بنی تميم يضحكون من قول العرندس^(٦) :
لَحَا الله قوماً شوَّوا جارَهُمْ إذِ الشَّاةُ بالدَّرْهَمِينِ الشَّصِيبِ^(٧)
أرى كلَّ قومٍ رَعَوْا جارَهُمْ وجارُ تميم دُحَانٌ ذَهَبُ

١٥

(١) الكُشِفُ : جمع أكَشَفَ ، وهو الذي لا يصدق القتال ، وقيل الأكَشِفُ : الذي لا ترس معه في الحرب ، كأنه منكشف غير مستور .

(٢) سبقت ترجمته في (١ : ٥٩) .

(٣) مضت ترجمته في (١ : ٣٠٠) . وضبطت الباء في هـ بالكسر والسكون معاً .

(٤) هو مسعود بن عمرو العتكي ، المترجم في ص ٦٨ .

(٥) هو جارية بن قدامة التميمي السعدي ، كان الأحنف بن قيس يدعوه عمه على سبيل التعظيم .

الإصابة ١٤٦ . وفي النسخ : « حارثة » ، تحريف .

(٦) العرندس هذا هو العرندس العوذى ، من الأزد ، بصرى إسلامى . ذكر المرزبانى في معجمه

٣٠٦ أنه يقول الشعر التالى لبنى تميم حين أحرقوا عامر بن الحضرمى . والعرندس هذا غير العرندس الكلانى .

(٧) ل : « والشاة » وهذا العجز كتب في هامش أصل معجم المرزبانى برواية :

٢٥

« بأحدود فيه الغثا والخشب » .

قال : أتضحكون ؟ أما والله إن فيه لمعنى سوء .
 قال : وكان قبيصة ^(١) يقول : رأيتُ غُرفةً فوق البيت .
 ورأى جراداً يطير فقال : لا يَهُولُكُم ما ترون ، فإنَّ عامَّتَها موقى .
 وإنَّه في أوَّل ما جاء الجرَّاد قَبْل ^(٢) جرادةً ووضعتها على عينيه ، على أنَّها
 من الباكورة .

وهذه الأشياء ولدها الهيثم بنُ عدِيٍّ ، عند صنيع داود بن يزيد ^(٣) في أمر
 تلك المرأة ما صنع ^(٤) .

قال أبو الحسن : وتعدَّى أبو السَّرايا ^(٥) عند سليمان بن عبد الملك ، وهو
 يومئذ ولَّى عهد ، وقدَّامه جدِّي ، فقال : كل من كُلَّيته فإنَّها تزيد في الدماغ ^(٦) .

(١) هو قبيصة بن المهلب ، كما في عيون الأخبار (٢ : ٤٥) حيث الخبر مع تاليه .

(٢) ل : « قتل » .

(٣) داود بن يزيد بن حاتم المهلبى ، أحد قواد الرشيد . ل : « بن زيد » تحريف . ولاء الرشيد
 السند سنة ١٨٤ ومات وهو وال عليها في زمان المأمون سنة ٢٠٥ . تاريخ الطبرى .

(٤) في الأغاني (١٨ : ١٠٩) أن الهيثم كان تزوج امرأة من بنى الحارث بن كعب ، فركب

محمد بن زياد بن عبيد الله بن عبد المدان الحارثى أخو يحيى بن زياد ، ومعه جماعة من أصحابه الحارثيين إلى
 الرشيد ، فسألوه أن يفرق بينهما ، فقال الرشيد : أليس هو الذى يقول فيه الشاعر :

إذا نسبت عديا في بنى ثعل
 فقدم الدال قبل العين في النسب

قالوا : بلى يا أمير المؤمنين . فأمر الرشيد داود بن يزيد أن يفرق بينهما . فأخذه فادخلوه داراً وضربوه
 بالعصى حتى طلقها . والبيت من أبيات لأبى نواس ، هى مع خبرها في ترجمة الهيثم في وفيات الأعيان . وفي

حواشى ه : « كان هشام بن عبد الملك قد أمر الهيثم بن عدى أن يضع تأليفاً يذكر فيه مثالب العرب ويبالغ في
 ذلك وألا يذكر قريشاً . وكان داود بن يزيد بن المهلب قد فتك بامرأة من قريش ، فذكرهم الهيثم في مثالبه » .

(٥) السرايا : جمع سرية . وأبو السرايا هذا غير أبى السرايا الخارجى . وقد خرج هذا الأخير في زمان المأمون ،

واسمه السرى بن منصور ، وكان يذكر أنه من ولد هانىء بن قبيصة بن هانىء بن مسعود . خرج بالكوفة مع ابن طباطبا ،
 وكان هو القيم بأمره في الحرب وتديرها وقيادة الجيش . كان سبب الخروج ما كان من أمر صرف المأمون طاهر بن

الحسين عما كان إليه ، وتوليته ذلك الحسن بن سهل وكان ذلك سنة ١٩٩ . وانتهت حروبه بمصر سنة ٢٠٠ ،
 حيث أمر الحسن بن سهل بضرب عنقه . انظر الطبرى في حوادث هاتين السنتين . وقد ورد الخبر الذى رواه الجاحظ

في كتاب البغال (٢ : ٢٣٨) كما ورد في عيون الأخبار (٢ : ٤٧) بلفظ : « تعدى رجل عند سليمان » .

(٦) ل ، ه : « كليته » وأثبت ما في سائر النسخ والعيون . ما عدل : « فإنه يزيد في الدماغ » .

فقال : لو كان هذا هكذا ، لكان رأس الأمير مثل رأس البغل .

وقال أبو كعب : كُنَّا عند عِيَّاشِ بْنِ الْقَاسِمِ ، وَمَعْنَا سَيْفَوِيهِ الْقَاصُّ ، فَأَتَيْنَا بِفَالْوَدَجَةِ حَارَةً ، فَأَبْتَلَعَ مِنْهَا سَيْفَوِيهِ لَقْمَةً فَعُشِيَ عَلَيْهِ ^(١) مِنْ شِدَّةِ حَرِّهَا ، فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ : لَقَدْ مَاتَ لِي ثَلَاثَةُ بَنِينَ مَا دَخَلَ جَوْفِي عَلَيْهِمْ مِنَ الْحُرْقَةِ مَا دَخَلَ جَوْفِي مِنْ حُرْقَةِ هَذِهِ اللَّقْمَةِ !

٥

سَعِيدُ بْنُ أَبِي مَالِكٍ ^(٢) قَالَ : جَالَسَنِي رَجُلٌ ، فَغَبِرَ ^(٣) لَا يَكْلُمُنِي سَاعَةً ، ثُمَّ قَالَ لِي : جَلَسْتُ قَطُّ عَلَى رَأْسِ ثَنُورٍ فَخَرِيتُ فِيهِ أَمْنًا مَطْمَئِنًا ؟ قَالَ : قُلْتُ : لَا . قَالَ : فَإِنَّكَ لَمْ تَعْرِفْ شَيْئًا مِنَ التَّعِيمِ قَطُّ !

قَالَ : وَقَالَ هِشَامُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ ذَاتَ يَوْمٍ لَجَلَسَائِهِ : أَيُّ شَيْءٍ أَلَذُّ ؟ قَالَ الْأَبْرَشُ بْنُ حُسَّانٍ ^(٤) : هَلْ أَصَابَكَ جَرَبٌ قَطُّ فَحَكَّكَتَهُ ! قَالَ : مَالِكٌ ! أَجْرَبَ اللَّهُ جِلْدَكَ ، وَلَا فَرْجَ اللَّهُ عَنْكَ ! وَكَانَ آتَسَ النَّاسَ بِهِ .

* * *

وَمِنْ غَرَائِبِ الْحُمَقِ : الْمَذْهَبُ الَّذِي ذَهَبَ إِلَيْهِ الْكَمِيتُ بْنُ زَيْدٍ ، فِي مَدِيحِ النَّبِيِّ ﷺ ، حَيْثُ يَقُولُ ^(٥) :

١٧

فَاعْتَبِ الشُّوقَ مِنْ فَوَادَى وَالشَّعْدَ رُ إِلَى مِنْ إِلَيْهِ مُعْتَبَبُ
إِلَى السَّرَاجِ الْمُنِيرِ أَحْمَدُ لَا تُعِدِّلُنِي رَغْبَةً وَلَا رَهْبُ
عَنْهُ إِلَى غَيْرِهِ ، وَلَوْ رَفَعَ النَّأَى سُ إِلَى الْعَيُونِ وَارْتَقَبُوا
وَقِيلَ أَفْرَطْتُ ، بَلْ قَصَدْتُ وَلَوْ عَنَفَنِي الْقَائِلُونَ أَوْ ثَلَبُوا

١٥

(١) ل : « غشى عليه » .

(٢) فيما عدل ، ه : « سعد بن مالك » . وانظر رسائل الجاحظ بتحقيقنا .

٢٠

(٣) غبر : بقى ومكث . ما عدل ، ه : « فقير » ، تحريف

(٤) ترجم في (١ : ٣٤٥) .

(٥) الأبيات أنشدها في الحيوان (٥ : ١٧٠) .

إليك يا خيرَ مَنْ تَضَمَّنْتَ الأرَضُ ولو عاب قولِي العُيُبُ
لَجَّ بتفضيلك اللسان ولو أَكْثَرَ فيكَ اللَّجْاجُ واللَّجْبُ
فمن ^(١) رأى شاعراً مدح النبي ﷺ فاعترض عليه واحدٌ من جميع
أصناف الناس ، حتَّى يزعمَ هو أنَّ ناساً يعيِّبونه ويثلبونه ويعتفونه ؟!
ولقد مدح النبي ﷺ ، فما زاد على قوله :
وبورك قَبْرُ أَنْتَ فيه وبوركت به ، وله أهلٌ بذلك يثربُ
يعنى قبر النبي ﷺ . ويثرب ، يعنى المدينة .
لقد غيَّبوا بُرّاً وحزماً ونائلاً عشيَّةً واراها الصَّفِيحُ المُنْصَبُ ^(٢)
وهذا شعر يصلح في عامَّة الناس .

وكتب مَسْلَمَةُ بن عبد الملك ، إلى يزيد بن المهلب : إِنَّكَ وَاللَّهِ مَا أَنْتَ
بصاحب هذا الأمر ، صاحبُ هذا الأمرِ مغموراً مَوْتُورٌ ، وَأَنْتَ مشهور غير
موتور . فقال له رجلٌ من الأزد يقال له عثمان بن المفضل : قَدِّم ابْنَكَ مَخْلَداً حتَّى
يُقْتَلَ فتصير موتوراً ^(٣) .

وقال : جاء ابنُ لُجْدَيْعِ بن علي ^(٤) وكان ابن خالٍ ليزيد بن المهلب ^(٥) ، فقال

(١) ل : « فمتى » .

(٢) روى أيضاً : « وارك » . والصفحة : جمع صفيحة ، وهى الحجارة العريضة . والمنصب : الذى
نصب بعضه على بعض ، يعنى حجارة القبر . والبيتان فى الحيوان (٥ : ١٧١) .

(٣) الخبر فى عيون الأخبار (٢ : ٤٤) .

(٤) جديع بن على الأزدي المعنى الكرمانى ، شيخ خراسان وفارسها ، وأحد الرؤساء الدهاء : ولد
بكرمان ، وأقام بخراسان إلى أن وليها نصر بن سيار ، فخاف شر الكرمانى فسجنه ، ثم فر من السجن وأقام زمنا
يؤلف الجموع سرا ، ثم خرج من جرجان وتغلب على مرو ، وفى أثناء ذلك ظهر أبو مسلم الخراسانى فاتفق معه
على قتال نصر ، ثم اجتذبه نصر إليه وخادعه بطلب الصلح ، وخرج ليكتب المعاهدة ومعه مائة فارس ، فوجه
إليه نصر مائة فارس قتلوه فى الرحبة . وذلك فى سنة ١٢٩ . الطبرى (٩ : ٩١) . ل ، هـ « لجديع » ،
وفى سائر النسخ : « لجديع » صوابه بالجيم والبدال المهملة .

(٥) هـ : « ابن خال يزيد بن المهلب » .

ليزيد : زَوْجَنِي بَعْضَ وَلَدِكَ . فقال له عثمان بن المفضل : زَوْجُهُ ابْنُكَ مَخْلُوداً ،
فإنه إنما طلبَ بَعْضَ الْوَلَدِ ولم يستثن شيئاً .

ومن الحمقى ^(١) : كُثِيرَ عَزَّة . ومن حُمَقِهِ أَنَّهُ دَخَلَ عَلَى عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ مَرْوَانَ ،
فَمَدَحَهُ بِمَدِيحِ اسْتِجَادِهِ ، فقال له : سَلْنِي حَوَائِجَكَ . قال : تَجْعَلُنِي فِي مَكَانِ
ابْنِ رُمَّانَةَ ^(٢) . قال : ويلك ، ذاك رجلٌ كاتبٌ وأنت شاعر ! فلما خرج ولم ينل
شيئاً قال في ذلك :

عَجِبْتُ لِأَخَذِي خُطَّةَ الْعَمَى بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ مِنْ عَبْدِ الْعَزِيزِ قَبُولُهَا
فَإِنْ عَادَ لِي عَبْدُ الْعَزِيزِ بِمِثْلِهَا وَأُمَكْنِي مِنْهَا إِذَا لَا أُقِيلُهَا

قال أبو الحسن : قال طارق ^(٣) : قال ابن جابان ^(٤) : لقي رجلٌ رجلاً
ومعه كلبان ، فقال له : هب لي أحدهما . قال : أيُّهما تريد ؟ قال : الأسود .
قال : الأسود أحبُّ إليَّ من الأبيض ! قال : فهب لي الأبيض . قال : الأبيض
أحبُّ إليَّ من كليهما !

قال : وقال رجلٌ لرجل : بكم تبيع الشاة ؟ قال : أخذتها بسِتَّة ، وهي
خيرٌ من سبعة ، وقد أعطيتُ بها ثمانية ، فإن كانت حاجتك ^(٥) بتسعة فزِنْ عشرة .

قال أبو الحسن : قال طارق بن المبارك : دخل رجلٌ على بلالٍ فكساه
ثوبين ، فقال : كساني الأمير ثوبين ، فأنزرتُ بالآخر ، وارتديتُ بالآخر .

قال : ومريضٌ فتى عندنا فقال له عمُّه : أيُّ شيءٍ تشتي ؟ قال : رأسَ
كباشين . قال : لا يكون ! قال : فرأسَي كَبَشٍ ^(٦) !

(١) ما عدال ، هـ : « الحمقاء » تحريف .

(٢) ما عدال ، هـ : « ابن زمانة » بالزاي .

(٣) هو طارق بن المبارك ، كما سيأتي .

(٤) ل : « جلجان » وانظر ما مضى في ص ٢١٩ س ٦ .

(٥) هـ : « من حاجتك » .

(٦) العقد (٦ : ١٦٠) .

طارق قال : وقع بين جاري لنا وجاري له يُكنى أبا عيسى ، كلامٌ ، فقال :
اللهم خُذْ مِنِّي لأبي عيسى . قالوا (١) : أَدْعُو اللَّهَ عَلَى نَفْسِكَ ؟ قال : فَخُذْ لَأَبِي
عيسى مِنِّي !

أبو زكريّا العَجَلَانِي ، قال : دخل عمرو بن سعيد (٢) على معاوية وهو
ثَقِيلٌ ، فقال : كيف أصبحت يا أمير المؤمنين ؟ قال : أصبحتُ صالحاً . قال :
أصبحتُ عَيْنُكَ غائِرةً ، وَلَوْ لَكَ كَاسِفًا ، وَأَنْفُكَ ذَابِلًا ، فاعهدْ عَهْدَكَ وَلَا تُخْذَعَنَّ
عَنْ نَفْسِكَ .

قال : وقال عُبيد الله بن زياد بن ظَبْيَانَ التيمي : يرحم الله عمر بن
الخطاب ، كان يقول : اللهم إني أعوذ بك من الزَّانِيَاتِ ، وَأَبْنَاءِ الزَّانِيَاتِ ! فقال
عُبيد الله بن زياد بن أبيه : يرحم (٣) الله عمر كان يقول : لم يُقَمَّ جَنِينٌ في بطن
حمقاء تسعة أشهرٍ إِلَّا خرج مائِقا !

وكان أصحاب رسول الله ﷺ يقولون : « كونوا بُلْهًا كَالْحَمَامِ (٤) » .
وقال آخر : حماقة صاحبي علىَّ أشدُّ ضرراً منها عليه (٥) .

وقالوا : شَرَدَ بعيرٌ لهبَنَقَةُ القيسي (٦) - وبجنونه يُضرب المثل - فقال : مَنْ
جاء به فله بعيران . فقيل له : أتجعل في بعير بعيرين ؟ فقال : إنكم لا تعرفون
فَرْحَةَ الْوِجْدَانِ (٧) . واسمه يزيد بن ثروان ، وكنيته أبو نافع .

(١) ل : « قيل » .

(٢) عمرو بن سعيد الأشدق ، المترجم في (١ : ٣١٤) .

(٣) ما عدل ، هـ : « رحم » .

(٤) انظر للخبر وتحقيقه ما كتبت في حواشي الحيوان (٣ : ٨٩) .

(٥) هـ : « وقال قائل » . ل : « حماقة صاحبي أشد ضرراً على منها عليه » .

(٦) سبقت ترجمته في ص ١٣٢ .

(٧) الفرحة ، بالضم ، وبالفتح : المَسَرَّة .

وقال الشاعر :

عِشْ بِجَدِّ وَلَا يَضُرَّكَ نَوَكُ إِنَّمَا عِشْ مَنْ تَرَى بِالْجُدُودِ
عِشْ بِجَدِّ وَكُنْ هَبْتَقَةً الْقَيْدِ سَيِّئُ نَوَكًا أَوْ مَشِيَّةً بِنِ الْوَلِيدِ (١)
وَهَبْتَقَةٌ هُوَ يَزِيدُ بِنِ ثُرَوَانِ ، أَحَدُ بَنِي قَيْسِ بْنِ ثَعْلَبَةَ .

* * *

ولما نَحَلَ قَتِيْبَةُ بْنُ مُسْلِمٍ سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ بِخُرَاسَانَ (٢) ، قَامَ خَطِيْبًا
فَقَالَ : « يَا أَهْلَ خُرَاسَانَ ، أَتَدْرُونَ مَنْ وَلِيَّكُمْ ؟ إِنَّمَا وَلِيَّكُمْ يَزِيدُ بْنُ ثُرَوَانَ » . كُنِيَ
بِهِ (٣) عَنْ هَبْتَقَةٍ . وَذَلِكَ أَنَّ هَبْتَقَةَ كَانَ يُحْسِنُ مِنْ إِبْلِهِ إِلَى السَّمَانِ وَيَدْعُ الْمَهَازِيلَ ،
وَيَقُولُ : إِنَّمَا أَكْرِمُ مَنْ أَكْرَمَ اللَّهُ وَأَهْيَنُ مَنْ أَهَانَ اللَّهُ (٤) . وَكَذَلِكَ كَانَ سُلَيْمَانُ يُعْطِي
الْأَغْنِيَاءَ وَلَا يُعْطِي الْفُقَرَاءَ ، وَيَقُولُ : أَصْلِحْ مَا أَصْلَحَ اللَّهُ ، وَأُفْسِدْ مَا أَفْسَدَ اللَّهُ .
وَقَالَ الْفَرَزْدَقُ : مَا عَيَّيْتُ بِجَوَابِ أَحَدٍ قَطُّ مَا عَيَّيْتُ بِجَوَابِ مَجْنُونٍ بِذِيرِ
هَزْقَلٍ (٥) ، دَخَلْتُ إِلَيْهِ فَإِذَا هُوَ مُشْدُودٌ إِلَى أُسْطُوَانَةٍ (٦) ، فَقُلْتُ : بَلِّغْنِي أَنَّكَ حَاسِبٌ .

(١) البَيْتَانِ رَوَاهُ مَعَ أَرْبَعَةِ بَعْدَهُمَا فِي أُمَالِ الرَّجَاجِيِّ ٦١ مَعَ النِّسْبَةِ إِلَى يَحْيَى بْنِ الْمُبَارَكِ الْيَزِيدِي .
وَهُمَا فِي عَيُونِ الْأَخْبَارِ (١ : ٢٤٢ - ٢٤٣) بِرَوَايَةٍ : « أَوْ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ » . وَهُمَا مَعَ قَرِينِ ثَالِثٍ فِي
أَمْثَالِ الْمِيدَانِيِّ وَاللَّسَانِ (هَبْتَقَ) :

١٥ رَبُّ ذِي إِرْبَةِ مَقْلٍ مِنَ الْمَا لَ وَذِي عُنْجَهِيَةِ مَجْدُودِ
وَرَابِعٌ فِي اللَّسَانِ (هَبْتَقَ) ، وَهُوَ :

شَيْبٌ يَا شَيْبُ يَا سَخِيفَ بَنِي الْقَعْدِ قَاعَ مَا أَنْتَ بِالْحَلِيمِ الرَّشِيدِ
وَذَكَرَ الْمِيدَانِيُّ أَنَّ « شَيْبَةَ بْنَ الْوَلِيدِ » هَذَا رَجُلٌ مِنْ رَجَالَاتِ الْعَرَبِ .

٢٠ (٢) انْظُرْ لَخَبْرِ الْخَلْعِ ص ١٣٢ حَيْثُ سَاقُ الْجَاحِظِ « خُطْبَةُ قَتِيْبَةٍ » .
(٣) لَ . « كُنْيَا » .

(٤) لَ : « مَا » بَدَلَ « مَنْ » فِي الْمَوْضِعَيْنِ .

(٥) دِيرُ هَزْقَلٍ : دِيرٌ مَشْهُورٌ بَيْنَ الْبَصْرَةِ وَعَسْكَرِ مَكْرَمٍ ، يُقَالُ هُوَ الْمُرَادُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى :
(أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ) . وَهُوَ بِكَسْرِ الْهَاءِ وَسُكُونِ الزَّيِّ وَكَسْرِ الْقَافِ . أَصْلُهُ حَزْقِيلٌ ثُمَّ نَقَلَ إِلَى
هَزْقَلٍ ، كَمَا ذَكَرَ يَاقُوتُ . وَفِي الْأَصُولِ : « هَزْقَلٌ » تَحْوِيلٌ . وَجَاءَ فِي قَوْلِ دَعْبِلٍ :

٢٥ فَكَأَنَّهُ مِنْ دِيرِ هَزْقَلٍ مَقْلَتِ حَرْدٍ يَجْرِي سِلَاسِلُ الْأَقْيَادِ
(٦) هـ : « أُسْطُوَانَةٌ » بِالضَّادِ ، وَلَمْ أَجِدْهَا . وَالْأُسْطُوَانَةُ : السَّارِبَةُ .

قال : ألقِ عليّ ما شئت . قال : فقلت : أمسك معك خمسة وجُلِدَتْهَا ^(١) . قال : نعم . قلت : وأمسك أربعة وجُلِدَتْهَا . قال : نعم . قلت : كم معك ؟ قال : تسعة وجُلِدَتْهَا مرتين .

وكان زُرَيْقُ الْفَزَارِيِّ يَمُرُّ بِاللَّيْلِ وهو شارب ، فيشتم أهل المجلس ، فلما أن كان بالغداة عاتبوه ^(٢) ، قال : نعم ، زُنَيْتُ أمهاتكم فماذا عليكم ؟

قالوا : وخطب يوماً عَتَّابُ بْنُ وَرْقَاءَ ^(٣) فقال : هذا كما قال الله تبارك وتعالى : « إِنَّمَا يَتَفَضَّلُ النَّاسُ بِأَعْمَالِهِمْ ، وكل ما هو آتٍ قريب » . قالوا له : إن هذا ليس من كتاب الله ! قال : ما ظننتُ إلاَّ أَنَّهُ من كتاب الله ^(٤) .

قال : وخطب عَدِيُّ بْنُ وَثَّادٍ ^(٥) الإيَادِيَّ فقال : أقول كما قال العبدُ الصالح : ﴿ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴾ . قالوا له : ليس هذا من قول عبد صالح ، إِنَّمَا هو من قول فرعون . قال : ومن قاله فقد أحسن ! وقال أعرابي :

خَلَقَ السَّمَاءَ وَأَهْلَهَا فِي جُمُعَةٍ وَأَبُوكَ يَمْدُرُ حَوْضَهُ فِي عَامٍ ^(٦)

* * *

وقالوا : وكان عبدُ الملكِ بنُ مُرْوَانَ أَوَّلَ خَلِيفَةٍ من بنى أُمَيَّةَ منع الناسَ من الكلامِ عند الخلفاء ، وتقدّم فيه وتوعّد عليه ، وقال : إنَّ جامعةَ عمرو بن سعيد ابن العاصي عندي ^(٧) ، وإني والله لا يقولُ أَحَدٌ ^(٨) هكذا إلاَّ قلت به هكذا.

(١) هكذا ورد ضبطه في ل ، ه .

(٢) ل : « فإذا كان » .

(٣) سبقت ترجمته قريبا في ص ٢٣٥ .

(٤) ل : « في كتاب الله » في الموضعين .

(٥) كذا ورد مضبوطا في ل . وفيما عداها . « زياد » .

(٦) مدر الحوض : سد خصاص حجارته بالدر ، وهو قطع الطين اليابس .

(٧) ما عدل ، ه : « العاص » . والجامعة : الغل ؛ لأنها تجمع اليدين إلى العنق .

(٨) ما عدل ، ه : « أحذكم » .

وفي خطبة له أخرى : إني والله ما أنا بالخليفة المستضعف (وهو يعنى عثمان بن عفان رحمه الله) ، ولا أنا بالخليفة المدهن (يعنى معاوية) ، ولا أنا بالخليفة المأبون (يعنى يزيد بن معاوية) .

- قال أبو إسحاق ^(١) : والله لولا نسبك من هذا المستضعف ، وسببك من هذا المدهن ، لكنت منها أبعد من العيوق ^(٢) . والله ما أخذتها من جهة الميراث .
ولا من جهة السابقة ، ولا من جهة القرابة ، ولا تدعى شورى ولا وصية .

* * *

- قال أبو الحسن : دخل كَرْدَم السدوسي ، على بلال بن أبي بردة فدعاه إلى الغداء فقال : قد أكلت . قال : وما أكلت ؟ قال : قليل أرز فأكثر منه ^(٣) .
ودخل كَرْدَم الذَّرَاغ أرض قوم يذرُعها ، فلما انتهى إلى زَنْقَةٍ ^(٤) لم يحسن يذرُعها ^(٥) ، قال : هذه ليست لكم ! قالوا : هي لنا ميراث وما ينازعنا فيها إنسان قط . قال : لا والله ما هي لكم . قالوا : فحصل لنا حساب ما لا تشكُّ

(١) أى أبو إسحاق إبراهيم بن سيار النظام ، قال ذلك تعليقاً على ما سبق من الخطبة .
(٢) العيوق : كوكب أحمر مضئ في طرف المجرة الأيمن بحيال الثريا في ناحية الشمال ، يعوق الدبران عن لقاء الثريا .

(٣) الخبر بعبارة أخرى في عيون الأخبار (٢ : ٥٣) .
(٤) الزنقة ، بالتحريك : السكة الضيقة فيها التواء . ذكرت في اللسان وليست في القاموس .
(٥) التذريع : التقدير بالذراع . وقد حذف « أن » قبل الفعل ، وذلك قليل ، وقد سمع ، فقال البصريون : إنه شاذ . وذهب الكوفيون وبعض البصريين إلى القياس عليه . وأجازه الأخفش بشرط رفع الفعل . انظر مع الموامع (٢ : ١٧) والإنصاف لابن الأنباري ٢٣٢ - ٢٣٥ والتصریح بشرح التوضيح (٢ : ٢٤٥) واللسان (ريث) والمغنى (٢ : ١٧٢) والرسالة للشافعي ١٦٧ ، ٧٣١ ، ٧٣٢ والخزانة (٣ : ٦٢٣) . وقد ورد نحو هذا التعبير في الحيوان (٦ : ٤٦٥) : « وإن كان لا يحسن يبنى » . وانظر كذلك (٥ : ٢٢٥) . فيما عدل : « لم يحسن تذرِعها » .

فيه . قال : عشرون في عشرين مائتان ^(١) ، قالوا : من أجل هذا الحساب صارت الزَّئِقَةُ ليست لنا ؟

قالوا : ودخل عُكَابَةُ بن ثُمَيْلَةَ التُّمَيْمِيُّ دارَ بلال بن أبي بردة ، فرأى ثوراً مُجَلَّلًا ، فقال : ما أفرههُ من بَعْلٍ لولا أَنَّ حوافره مشقوقة .

* * *

ومن التَّوَكَّى ، ومن ربما عدَّوه من المجانين : ابن قَتَانٍ الأزدِيُّ ^(٢) ؛ وضرب ٢١ به المثل ابنُ ضَبِّ العَتَكِيِّ ، في قوله لجُدَيْعِ بن عَلِيٍّ ^(٣) ، خالِ يزيدَ بنِ المهلب حيث يقول :

لولا المهلبُ يا جُدَيْعُ ورُسُلُهُ تغدو عليك لكنتَ كابنِ قَتَانٍ ^(٤)

أنت المردَّدُ في الجيادِ وإنَّما تأتي سَكِينًا كُلَّ يومٍ رِهَانٍ ^(٥)

وقال آخر يهجو امرأةً بأنها مضياغٌ خرقاء :

وإنَّ بلائي من رَزِينَةٍ كُلَّما رجوتُ انتعاشاً أدركتني بِعَاثِرٍ ^(٦)

تبرِّدُ ماءَ السُّعْنِ في ليلة الصِّبَا وتستعمل الكركورَ في شهر ناجِرٍ ^(٧)

(١) ما عدل : « عشرين في عشرين مائتين » . وانظر العقد (٦ : ١٦٠) .

(٢) ما عدل ، هـ : « ابن قَتَانٍ الأزدِيُّ » . وانظر ما سبق في ص ٢٢٦ .

(٣) سبقت ترجمته في ص ٢٤٠ . وفي هـ : « لجديع » بالذال المعجمة .

(٤) ما عدل ، هـ : « كَابِنِ قَتَانٍ » .

(٥) السكيت ، بضم ففتح ، وقد تشدد الكاف : آخر خيل الحلبة .

(٦) ما عدل ، هـ : من درينة » .

(٧) السعن ، بالفتح ، وبالضم : شبه دلو يتخذ من أدم يرد فيه الماء . والكركور : واد بعيد القعر يتكرر فيه الماء . وفي حواشي هـ عن نسخة « الكانون » . وناجر ، من شهور الصيف . وقد أنشد هذا البيت في اللسان (نجر) منسوباً إلى عركة الأسدى برواية :

تبرد ماء الشن في ليلة الصبا وتسقيني الكركور في حر آجر

وذكر قبله : « وشهرا ناجر وآجر أشد ما يكون من الحر . ويعزم قوم أنهما حزيان وتُمُوز . قال : وهذا غلط ، إنما هو وقت طلوع نجمين من نجوم القيط » .

وفى خطأ العلماء

قال أبو الحسن : قال الشَّعْبِيُّ : ساءرت أبا سلمةَ بن عبد الرحمن بن عوف ^(١) فكانَ بينى وبين أئى الزُّنَاد ^(٢) ، فقال : بينكما عالم أهل المدينة . فسألته امرأةٌ عن مسألةٍ فأخطأَ فيها .

وقال طرفة بن العبد يهجو قابوسَ بن هندِ الملك :

لعمرك إنَّ قابوسَ بنَ هندٍ ليخلطُ مُلكُهُ نوكٌ كثيرٌ ^(٣)
 قَسَمْتُ الذَّهْرَ فى زمَنِ رِخْوٍ كذاك الحُكْمُ يَقْصِدُ أو يَجُورُ ^(٤)
 لنا يومٌ وللِكِرْوَانِ يومٌ تطير البائِساتُ وما نظيرُ ^(٥)
 فأما يومُنا فنظُلُ رَكْباً وقوفاً مائِحلُ وما تَسِيرُ
 وأما يومُهنَّ فيومُ بُوسٍ يطاردُهنَّ بالحدبِ الصَّقُورُ ^(٦)

(١) أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف الزهرى المدنى . قيل اسمه عبد الله وقيل إسماعيل ، وقيل اسمه كنيته . كان ثقة فقيها كثير الحديث ، وكان من سادات قريش ، توفى سنة ١٠٤ . تهذيب التهذيب (١٢ : ١١٥) .

(٢) هو أبو الزناد عبد الله بن ذكوان القرشى المدنى ، تابعى ثقة فقيه صالح الحديث ، وكان فصيحاً بصيراً بالقرية ، توفى سنة ١٣٠ . تهذيب التهذيب .

(٣) الأبيات فى ديوان طرفة ٦ - ٧ والخزانة (١ : ٤١٢) . وهى من قصيدة له يهجو بها عمرو بن المنذر بن امرئ القيس ، وأخاه قابوس بن المنذر . وأمهما هند بنت الحارث بن حجر الكندى . والنوك ، بالضم والفتح : الحمق والجهل .

(٤) قسمت ، التفات إلى عمرو بن هند المذكور فى الشعر قبل ، وكان له كما ذكروا يومان : ففى يوم خروجه للصيد يقتل أول من يلقي ، وفى يوم نعيمه يقف الناس ببابه فيأذن لمن شاء منهم ، ومن لم يأذن له ظل بالباب واقفاً .

(٥) الكروان ، بالكسر : جمع كروان بالتحريك ، ومثله ورشان وورشان ، وشقذان وشقذان . والبائِسات يروى أيضاً بالنصب بالقطع على معنى الترحم . ويروى أيضاً : « ولا نظير » ، وهى رواية هـ والديوان .

(٦) ويروى : « فيوم سوء » . والحدب ، بالتحريك : ما ارتفع من الأرض وغلظ . وفى الشعر إشارة إلى أنه كان يستعمل الصقر فى الصيد .

الفَلُوشَكِيُّ قال : قلتُ لأعرابيٍّ : أئى شئٍ تقرأ فى صلاتك ؟ قال : أم الكتاب ، ونسبة الرّب ، وهجاء أبى هب .

وكان الفَلُوشَكِيُّ البُكَراوِيَّ (١) أجَنّ الناس وأعياء الخلق لساناً ، وكان شديد القمار ، شديد اللعب بالودع (٢) . قال ابنُ عمِّ له : وقفت على بقية تمرٍ فى يدي ٢٢
لى ، فأردتُ أن أعرفهُ بالخَزَر ، ومَعنا قومٌ يجيدون الخَرْص (٣) ، وقد قالوا فيها واختلفوا ، فهجم علينا الفَلُوشَكِيُّ فقلتُ له : كم تحزُرُ هذا التَّمَر (٤) ؟ قال : أنا لا أعرف الأكرار وحساب القُفْزان (٥) ، ولكن عندى مِرْجَلٌ أطبخ فيه تمر نبيذى ، وهو يسع مَكْوكين (٦) ، وهذا التمر يكون فيه مائتين وستين مِرْجلاً .
قال : فلا والله إن أخطأ بقفيز واحد .

قالوا : وقال المهلب يوماً والأزد حوله : رأيتم قول الشاعر :
إذا غَزُرُ المَحَالِبِ أتأقته يمجُّ على مناكبه الثُمَلا (٧)
وإلى جنب غيلان بن خَرَشَة (٨) شيخٌ من الأزد ، فقال له : قل لَبَن
الفحل (٩) . فقال المهلب : ويلكم ، أما جالستم الناس !؟

(١) البُكَراوِيَّ : إما نسبة إلى بكَراباذ ، وهى ضاحية جرجان ، ينسب إليها بكَراوى وبكَراباذى ،
وإما نسبة إلى أبى بكرة الثقفى الصحابى ، وهو صحابى نزل البصرة . انظر السمعانى ٨٨ . وما عدل :
« البكرادى » ، تحريف .

(٢) الودع ، بالفتح والتحريك : خرز بيض جوف فى بطونها شق كشق النواة ، وفى جوفها
دوية كالحلمة . وكانت تستعمل فى القمار . وجاء فى وصية عثمان الخياط للصوص : « والودع رأس مال
كبير ، وأول منابعه الحذف باللقف » . الحيوان (٢ : ٣٦٧) .

(٣) الخرص : الخزر ، وهو تقدير الشئ بالظن .
(٤) ما عدل ، هـ : « فى هذا التمر » .

(٥) الأكرار : جمع كر ، بالضم ، وهو مكىال لأهل العراق ، وهو ستون قفيزاً أو أربعون أردباً .
والقُفزان : جمع قفيز ، وهو مكىال يسع ثمانية مكاكيل .

(٦) المكوك ، كتنور : مكىال يسع صاعاً ونصف صاع ، أو هو نصف الوية .
(٧) الغزر : جمع غزيرة . ل : « غر » ، وهى فى حواشى هـ عن نسخة . ب ، جـ والتيمورية :
« غرز » ، والوجه ما أثبت من هـ . أتأقته : ملأته كله . والثمال ، بالضم : رغبة اللين .

(٨) سبقت ترجمته فى (١ : ٣٤١ ، ٣٩٤) .
(٩) كذا فهم غيلان أو أراد أن يفهم . وإنما عنى الشاعر وطب اللين أو نحوه .

وأنشد بعض أصحابنا :

الكنى إلى مولى أكيمة وإنه
وهل ينتهى عن أول الزجر أحق^(١)
وزعم الهيثم بن عدي عن رجاله ، أن أهل يبرين^(٢) أخف بنى تميم
أحلاماً ، وأقلهم عقولاً .

* * *

قال الهيثم : ومن التوكى : عبيد الله بن الحر^(٣) وكنيته أبو الأشوس^(٤) .
قال الهيثم : خطب قبيصة^(٥) ، وهو خليفة أبيه على خراسان وأتاه كتابه ،
فقال : هذا كتاب الأمير ، وهو والله أهل لأن أطيعه ، وهو أئى وأكبر منى .
وكان فيما زعموا ابن لسعيد الجوهري^(٦) يقول : صلى الله تبارك وتعالى على
محمد ﷺ .

قال أبو الحسن : صعد عدى بن أرطاة على المنبر ، فلما رأى جماعة الناس
حصير فقال : الحمد لله الذى يطعم هؤلاء ويسقيهم !
وصعد روح بن حاتم المنبر ، فلما رآهم قد شقنوا أبصارهم^(٧) ، وفتحوا
أسماعهم نحوه ، قال : « نكسوا ربوسكم ، وغضوا أبصاركم ؛ فإن المنبر مركب
صعب ، وإذا يسر الله فتح قفيل تيسر » .

(١) ألاكه يليكه : تحمل ألوكته ، وهى الرسالة .

(٢) يبرين ، ويقال لها أبرين بالهمز : قرية كثيرة النخل بجذاء الأحساء من بلاد بنى سعد بالبحرين .
وفى مقدمة معجم البكرى : « ونفذت بنو سعد بن زيد مناة بن تميم إلى يبرين . وتلك الرمال ، حتى خالطوا
بنى عامر بن عبد القيس فى بلادهم قطر ، ووقعت طائفة منهم إلى عمان ، وصارت قبائل منهم بين أطراف البحرين
إلى ما بلى البصرة ، ونزلوا هنالك إلى منازل ومناهل كانت لإياد بن نزار ، فرفضتها إياد وساروا عنها إلى العراق .

(٣) سبقت ترجمته فى (١ : ٢١) .

(٤) ما عدل : « أبو الأبرش » .

(٥) قبيصة بن المهلب بن أئى صفرة .

(٦) ما عدل ، هـ : « ابن السعيد الجوهري » .

(٧) الشفن : أن يرفع طرفه ناظراً إلى الشيء كالمتعجب . ل : « شفت » ، تحريف .

٢٣ قالوا : وصعد عثمان بن عفان ، رحمه الله ، المنبر فأرتج عليه فقال : « إِنَّ أبا بكر وعمر كانا يُعَيِّدان لهذا المقام مقالاً ، وأنتم إلى إمام عادلٍ أحوَجُ منكم إلى إمام خطيبٍ » .

قال : وقالوا لزياد الأعجم : لم لا تهجو جريراً ؟ قال : أليس الذى يقول :
كَأَنَّ بَنِي طُهَيَّةٍ رَهْطَ سَلَمَى حَجارة خارية يرمى الكِلاباً (١)

قالوا : بلى . قال : ليس بينى وبين هذا عمل .

قال أبو الحسن : خطب مُصعب بن حَيَّان أخو مقاتل بن حيان ، خطبةً نكاح ، فَحَصِرَ فقال : لَقْنُوا موتاكم قول لا إله إلا الله . فقالت أُمُّ الجارية : عَجَل الله موتك ، ألهذا دعوناك ؟!

١٠ وخطب أمير المؤمنين الموالى (٢) - وهكذا لقبه - خطبةً نكاح ، فَحَصِرَ فقال : اللهم إِنَّا نَحْمَدُكَ ونُسْتَعِينُكَ ، ونشرك بك (٣) .

وقال مولى لخالد بن صفوان : زَوَّجْنِي أَمَتَكَ فلانة . قال : قد زَوَّجْتُكِهَا ، قال : أَفَادْخِلِ الْحَيَّ حَتَّى يَحْضُرُوا الْخُطْبَةَ ؟ قال : أَدْخِلْهُمْ . فَلَمَّا دَخَلُوا ابْتَدَأَ خالد فقال : أَمَّا بعد فَإِنَّ اللهَ أَجَلٌ وَأَعَزُّ من أَنْ يُذَكَّرَ فى نكاح هذين الكلبين ، وقد زَوَّجْتُ (٤) هذه الفاعلة من هذا ابن الفاعلة

١٥ وقال إبراهيم التَّحْمِصِيُّ لمنصور بن المعتمر : سل مسألةَ الْحَمَقَى ، واحْفَظْ حِفْظَ الْكَيْسَى (٥) .

(١) ديوان جرير ٦٦ وما عدل : « يرمى كلاباً » . وسلمى : امرأة من طهية هى بنت عم أبى البلاد الطهورى الشاعر ، وكان قد خطبها فاعتل عليه أبوها وزوجها رجلاً آخر ، فلما علم بذلك قصد إليها فقتلها . فغير جرير بنى طهية بذلك . وبعد البيت :

رَأَيْنَ سَوَادَهُ فَدَنُونُ مِنْهُ فِيرْمِيهِمْ أَخْطَأَ أَوْ أَصَابَا

(٢) كذا ضبط فى هـ . وضبط فى ل بضم الميم .

(٣) ما عدل : « ولا نشرك بك » .

(٤) ما عدل ، هـ : « زوجنا » .

(٥) ما عدل : « الأكياس » .

قال : ودخل كثير عزة - وكان محمقا ، ويكنى أبا صخر - على يزيد بن عبد الملك فقال : يا أمير المؤمنين ، ما يعنى الشماخ بن ضيرار بقوله :
إذا الأرتى توسد أبرديه خدود جوازى بالرمل عين^(١)
قال يزيد : وما يضّر أمير المؤمنين ألا يعرف ما عنى هذا الأعرابى الجلف ؟ فاستحمله وأخرجه .

قالوا : وكان عامر بن كرز^(٢) يحمق . قال عوانة^(٣) : قال عامر لأمه :
مسيست اليوم برد العاصى بن وائل السهمى . فقالت : ثكلتك أمك ، رجل بين عبد المطلب بن هاشم وبين عبد شمس بن عبد مناف ، يفرح أن تصيب يده برد رجل من بنى سهم ؟

ولما حصّر عبد الله بن عامر على منبر البصرة ، فشق ذلك عليه قال له ٢٤
زياد : أيها الأمير ، إناك إن أقمت عامة من ترى أصابه أكثر مما أصابك .
وقيل لرجل من الوجوه : قم فاصعد المنبر وتكلم . فلما صعد حصّر وقال : الحمد لله الذى يرزق هؤلاء ! وبقي ساكتا ، فأنزلوه .

وصعد آخر فلما استوى قائما وقابل بوجهه وجوه الناس وقعت عينه على ١٥
صلعة رجل^(٤) فقال : اللهم العن هذه الصلعة !

وقيل لوازع الشكرى : قم فاصعد المنبر وتكلم . فلما رأى جمع الناس قال : لولا أن امرأتى حملتنى على إتيان الجمعة اليوم ما جمعت^(٥) ، وأنا أشهدكم أنها منى طالق ثلاثا !

(١) ديوان الشماخ ٩٤ . الأبردان : الغداة والعشى . والجوازى : بقر الوحش .

(٢) هو والد عبد الله بن كرز ، المترجم فى (١ : ٣١٨) .

(٣) عوانة بن الحكم الكلبي الأخبارى ، المترجم فى (١ : ٣١٦) .

(٤) الصلعة بالتحريك ، موضع الصلح .

(٥) جمع الرجل ، بتشديد الميم : صلى الجمعة . وفى الحديث : « أول جمعة جمعت بالمدينة » .

ولذلك قال الشاعر :

وما ضُرَّني أن لا أقوم بخطبة وما رَغِبْتِي في ذا الذي قال وَازِعُ
قال : ودخلْتُ على أنس بن أُمى شيخ ^(١) ، وإذا رأسه على مِرْفَقَةٍ ،
والحجَّام يأخذ من شعره ، فقلت له : ما يَحْمِلُكَ على هذا ؟ قال : الكسل .
قال : قلت : فإن لقمان قال لابنه : إِيَّاكَ والكسل ، وإِيَّاكَ والضَّجَرُ ؛ فإنَّكَ إذا
كَسَلْتَ لم تَوُدَّ حَقًّا ^(٢) ، وإذا ضَجِرْتَ لم تصبِرْ على حَقٍّ . قال : ذاك والله أَنَّهُ لم
يعرف لَذَّةَ الكُسُولَةِ ^(٣) .

قال : وقيل لبحر بن الأحنف : ما يمنعك أن تكون مثل أهلك ؟ قال :
الكسل ^(٤) .

وقال الآخر :

أطال الله كيس بنى رزين وحُمَقي أن شَرِبْتُ لهم بِدْنِينَ ^(٥)
أَكْتَبَ إبْلَهُمْ شَاءَ وفيها بَرِيعَ فِصَالِهَا بِنْتَا لَبُونِ ^(٦)
فما تُخْلِقُوا بِكَيْسِهِمْ دُهَاءَ ولا مُلْحَاءَ بَعْدَ فِيعْجَبُونِ ^(٧)
وذكر الآخر الكَيْسَ ، في معاتبته ^(٨) لبني أخيه ، حين يقول :

١٥ (١) كان أنس بن أُمى شيخ من البلغاء الفضلاء ، وكان كاتباً للبرامكة ، وقتله الرشيد على الزندقة سنة سبع وثمانين ومائة ، وهى سنة نكبة البرامكة ، صبح الليلة التى قتل فيها يحيى . انظر لسان الميزان والطبرى (١٠ : ٨٥) والبداية لابن كثير (١٠ : ١٩٠ - ١٩١) .

(٢) ل : « لم ترج حقاً » . وانظر ما سبق فى ٧٤ .

(٣) ل : « الفسولة » . والفسولة : الرذالة والنذالة . لكن يبدو أنه عبر عن الكسل بالكسولة .

(٤) الخير فى عيون الأخبار (٢ : ٥٩) .

(٥) فى البيت سناد . شرى بمعنى باع . ما عدل : هـ : « شربت لهم » ، تحريف . وانظر (٤ : ٥٧) .

(٦) الريع : الزيادة . والفصيل : ولد الناقة . وبنت اللبون : التى ألقى عليها سنتان ودخلت فى

الثالثة ، فصارت أمها لبونا ، أى ذات لبن ، لوضعها أخرى .

(٧) ملحاء : جمع مليح . ما عدل ، هـ : « ملحاء » بالميم . والمليح : الرجل الجليل .

(٨) ما عدل ، هـ : « معاتبه » .

عفاريئاً علىَّ وأكلَ مالى وعجزاً عن أناسٍ آخرينا ^(١)
 فهلاً غير عَمَّكُمْ ظَلَمْتُمْ إذا ما كُنْتُمْ متظلميننا
 فلو كنتم لِكَيْسَةٍ أَكَّاسَتْ وَكَيْسُ الأُمِّ أَكَيْسُ اللَّيْنِنا

٢٥

وقال بعضهم : عيَادَةُ التَّوَكَّى الجلوس فوق القَدَر ، والحجىء فى غير وقت .
 وعاد رجلٌ رَقَبَةً بن الحُرِّ ، فَتَعَى رجالا اعتلُّوا من علَّتِهِ ، فنعى بذلك إليه
 نفسه ، فقال له رَقَبَةٌ ، إذا دخلت على المرضى فلا تُنْعِ إليهم الموتى ، وإذا خرجت
 من عندنا فلا تُعِدِّ إلينا .

وسأل معاوية ابنَ الكَوَّاء ^(٢) عن أهل الكوفة ، فقال : أبحثُ الناس عن
 صغيرة ، وأتركه لِكَبِيرَةٍ ^(٣) .

وسئل شريك ^(٤) عن أئى حنيفة فقال : أعلم الناس بما لا يكون ، وأجهل
 الناس بما يكون ^(٥) .

وسأل معاوية دَغَفَلاً النَّسَّابَةَ عن اليمن ، فقال : سَيِّدٌ وَأَثْوَكُ .
 وَذَكَرَ عُيَيْنَةُ بن حِصْن ^(٦) ، عند النبى ﷺ فقال : « الأحمق المطاع » .

(١) سبقت الأبيات مع نسبتها إلى رافع بن هريم فى (١ : ١٨٥) . وانظر (٤ : ٥٧) .
 (٢) ابن الكواء ، هو عبد الله بن عمرو ، من بنى يشكر ، كان ناسباً عالماً من شيعة على . وفيه
 يقول مسكين الدارمى :

هلم إلى بنى الكواء تقضوا بحكمهم بأنساب الرجال

ابن النديم ١٣٣ والمعارف ٢٣٣ . وفى الاشتقاق ٢٠٥ : « وكان خارجياً وكان كثير المساءلة لعل بن أئى
 طالب رضى الله عنه ، كان يسأله تعتاً » . وفى الأغاني (١٣ : ٥٢) أنه كان مع الشراة الذى حاربهم المهلب .
 (٣) هـ : « عن صغير وأتركه لكبير » .

(٤) هو شريك بن عبد الله بن أئى شريك النخعى الكوفى القاضى . ولد ببخارى سنة ٩٠ ومات سنة
 ١٧٧ ، وولى القضاء بواسط سنة ١٥٥ . تهذيب التهذيب والمعارف ٢٢٢ وتذكرة الحفاظ (١ : ٢١٤) .
 (٥) ورد هذا الخبر فى الحيوان (١ : ٣٤٧ / ٣ : ١٩) والمسئول فيه « حفص بن غياث »
 لا « شريك » .

(٦) ما عدل ، هـ : « عتبة بن حصين » تحريف . والخبر رواه ابن حجر فى الإصابة =

٢٦ وَجَنَّ أَعْرَافِيٌّ مِنْ أَعْرَابِ الْمِرْبَدِّ ، وَرَمَاهُ الصَّبِيَّانِ ، فَرَجَمَ ، فَقَالُوا لَهُ : أَمَا كُنْتَ وَقُوراً حَلِيماً ؟ فَقَالَ : بَلَى بَأْنَى أَنْتُمْ وَأُمِّي ، وَاللَّهِ مَا اسْتُحْجِمْتُ إِلَّا قَرِيباً . وَكَانَ أَوَّلَ جَنُونِهِ مِنْ عَيْثُ النَّاسِ بِهِ .

وَرَمَى إِنْسَاناً فَشَجَّهَ ، فَتَعَلَّقَ بِهِ ، وَهُوَ لَا يَعْرِفُهُ وَضَمَّهُ إِلَى الْوَالِي فَقَالَ لَهُ الْوَالِي : لِمَ رَمَيْتَ هَذَا وَشَجَجْتَهُ ؟ فَقَالَ : أَنَا لَمْ أَرْمِهِ ، هُوَ دَخَلَ تَحْتَ رَمِيَّتِي . وَكَانَ وَكَيْعُ بْنُ الدَّوْرَقِيَّةِ ^(١) يَحْمَقُ ، قَالَ الْوَلِيدُ بْنُ هِشَامٍ الْقَحْذَمِيُّ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ ^(٢) ، قَالَ : أَخْبَرَنِي أَبِي ، قَالَ : لَمَّا قَدِمَ أُمِّيَّةُ ^(٣) خُرَّاسَانَ قِيلَ لَهُ : لِمَ لَا تُدْخِلُ وَكَيْعُ بْنُ الدَّوْرَقِيَّةِ فِي صِحَابَتِكَ ؟ قَالَ : هُوَ أَحْمَقُ . فَرَكِبَ يَوْماً وَسَايِرَهُ فَقَالَ : مَا أَعْظَمَ رَأْسَ بِرْذَوْنِكَ ! قَالَ : قَدْ كَفَاكَ اللَّهُ حَمْلُهُ ^(٤) . ثُمَّ سَايِرَهُ قَلِيلاً فَقَالَ : أَصْلَحَكَ اللَّهُ ، أَرَأَيْتَ يَوْمَ لَقِيتَ أَبَا فُذَيْلٍ ^(٥) مَا مَنَعَكَ أَنْ تَكُونَ قَدْ قَدَّمْتَ رِجْلاً وَأَتَحَرَّتْ رِجْلاً ، وَدَاعَسْتَ بِالرَّحِمِ حَتَّى يَفْتَحَ اللَّهُ عَلَيْكَ ؟ قَالَ : أَغْرَبَ قَبْحَكَ اللَّهُ ! وَأَمَرَ بِهِ فَتُحَّى .

وساير سعيد بن سليم ^(٦) موسى أمير المؤمنين ^(٧) ، والحربة في يد عبد الله بن

= ٦١٤٦ عند ترجمة عيينة . وهو أبو مالك عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر الفزاري . كان من المؤلفة قلوبهم ، أسلم قبل الفتح ، وشهدها وشهد حينئذ والطائف ، ثم ارتد في عهد أبي بكر ومال إلى طليحة وبايعة ، ثم عاد إلى الإسلام . وكان فيه جفاء أهل البوادي ، جاء إلى الرسول ﷺ وعنده عائشة ، فقال : من هذه - وذلك قبل أن ينزل الحجاب - فقال : هذه عائشة . فقال : ألا أنزل لك عن خير منها ؟! فغضبت عائشة فقالت : من هذا ؟ فقال ﷺ : « هذا الأحق المطاع » ، أي في قومه . وانظر (١ : ٣١٧) .

(١) هو وكيع بن عميرة القريني المعروف بابن الدورقية ، وهي أمه ، كانت من سبي دورق : بلد بخوزستان ، يقال لها دورق الفرس . ووكيع هذا هو الذي تولى قتل عبد الله بن خازم السلمي الخارج على عبد الملك سنة ٧٢ . انظر الطبري (٧ : ١٩٦) وكامل المبرد ٢٧٦ ليسك .

(٢) ترجمة الوليد بن هشام في (١ : ٦١ ، ٢٤٣) .

(٣) هو أمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد ، أحد ولاة خراسان .

(٤) هـ : « قد كفأك الله » .

(٥) سبقت ترجمته في ص ٢٠٤ .

(٦) ترجم في ص ٤٠ .

(٧) هو موسى الهادي بن محمد المهدي . أخو الرشيد هارون بن محمد المهدي .

مالك^(١) ، وكانت الرِّيحُ تُسْفِي التُّرابَ الذى تثيره دَابَّةُ عبد الله بن مالك فى وجه موسى ، وعبد الله لا يشعر بذلك ، وموسى يَحِيدُ عن سَنَنِ التُّرابِ ، وعبد الله فيما بين ذلك يلحظ موضعَ مسير موسى ، فيتكَلَّفُ أن يسير على محاذاته ، وإذا حاذاه ناله ذلك التُّرابُ ، فلمَّا طال ذلك عليه أقبل على سعيد بن سَلَمَ فقال : ألا تَرَى ما نلقى من هذا الحائن^(٢) فى مسيرنا هذا ؟ قال : والله يا أمير المؤمنين ما قَصَّرَ فى الاجتهاد ، ولكنه حُرِمَ التوفيق .

وسايرَ البطريقُ الذى خَرَجَ إلى المعتصم من سور عَمُورِيَّةَ^(٣) ، مُحَمَّدَ بْنَ عبد الملك ، والأَنْثِيَيْنِ بَنِ كَأُوسَ ، فساوم كلَّ واحدٍ منهما ببردونه ، وذكر أنه يرغِّبهما أو يُرْجِئهما^(٤) . فإذا كان هذا أدبُ البطريق ، مع محلِّه من المُلْكِ والمملكة ، فما ظَنُّكَ بمن هو دونهُ منهم !

ولما استجلس المعتصمُ بِطريقِ خَرْشَنَةِ ، تَرَبَّعَ ثم مد رجله^(٥) . وقال زياد : ما قرأتُ مثلَ كُتُبِ الرَّبيعِ بن زياد الحارثي ، ما كَتَبَ إلىَّ إلَّا فى اجترارِ منفعة^(٦) ، أو دفعِ مَضَرَّةٍ ، وما كان فى مَوَكِبِي^(٧) قَطُّ فتقدم عِنَانُ دَابَّتِهِ عِنَانَ دَابَّتِي ، ولا مَسَّتْ ركبتهُ ركبتي ، ولا شاورتُ الناسَ فى أمرٍ قَطُّ إلَّا سَبَقَهُم إلى الرَّأْيِ فيه .

(١) كان عبد الله بن مالك من قواد موسى الهادى ، وكان ممن طلبوا إلى الهادى أن يخلع هارون ويبيع جعفرًا ابنه . وقد أوقع به الفضل بن سهل فى خطبة ذكرها الجهشيارى ، وضربه المأمون فى تهمة ساقها إليه الفضل . انظر الجهشيارى ١٧٤ ، ٣١٤ - ٣١٦ .

(٢) الحائن : المالك . ما عدل ، هـ : « الحائن » تحريف .

(٣) عمورية : بلد من بلاد الروم ، غزاه المحصم سنة ٢٢٣ بسبب أسر العلوية واستصراخها ، وكان فتح عمورية من أعظم فتوح الإسلام .

(٤) ل : « ويرجئهما » .

(٥) هذا ما فى هـ . وفى ل : « ثم مد رجله » ، وسائر النسخ : « ومد رجله » .

(٦) ل : « اجتلاب منفعة » .

(٧) ل : « من مركبى » ، تحريف .

وكان على شُرط زيادٍ ، عبدُ الله بن حصن التغلبي ^(١) ، صاحب مقبرة بني حصن ^(٢) ، والجعد بن قيس التميمي ^(٣) صاحب طاق الجعد ، وكانا يتعاقبان مجلسَ صاحب الشرطة ، فإذا كان يومَ حَمَلِ الحربة سارا بين يديه معاً ، فجرى بينهما كلامٌ وهما يسيران بين يديه ، فكان صوتُ الجعد أرفعَ وصوتُ عبد الله أخفض ، فقال زياد لصاحب حرسه ^(٤) : تناول الحربة من يد الجعد ، ومُره بالانصراف إلى منزله .

وعَدَا رجلٌ من أهل العسكر بين يدي المأمون ، فلما انقضى كلامه قال له بعض من يسير بقربه : يقول لك أمير المؤمنين : اركب . قال : قال المأمون : لا يقال لمثل هذا اركب ، إنما يقال لمثل هذا انصرف .

وكان الفضل بن الربيع يقول : مسألة الملوك عن حالهم من تحية التوكي . فإذا أردت أن تقول : كيف أصبح الأمير فقل : صَبَحَ الله الأمير بالكرامة والتعمة ! وإذا أردت أن تقول : كيف يجد الأمير نفسه فقل : أنزل الله على الأمير الشفاء والرحمة ! والمسألة توجبُ الجواب ، فإن لم يجيبك اشتد عليك ، وإن أجابك اشتد عليه ^(٥) .

وقال محمد بن الجهم : دخلت على المأمون فقال لي : ما زال أمير المؤمنين إليك مشتاقاً ! فلم أدر جوابَ هذه الكلمة بعينها ، وأخذتُ لا أقصر فيما قدرت عليه من الدعاء ثم الثناء ^(٦) .

قال أبو الحسن : قال ابن جابان : قال المهديّ : كان شبيب بن شيبة ^(٧) يسايرني في طريق خراسان ، فيتقدمني بصدر دابته ، فقال لي يوماً : « ينبغي لمن سائر

(١) ما عدل ، هـ : « ابن الحصن التغلبي » . وانظر الاشتقاق ٢٠٢ أولى ٣٣٥ ثانية .

(٢) ما عدل ، هـ : « بني حصن » . ٢٠

(٣) كذا في هـ . وفي ل : « التمرى » ، وسقطت من سائر النسخ .

(٤) ما عدل ، هـ : (حربته) .

(٥) انظر (٣ : ٢٧٥ ، ٢٨٦) .

(٦) ثم الثناء ، ساقطة من ل .

(٧) ترجم في (١ : ٢٤) . ٢٥

خليفة أن يكون بالموضع الذى إذا أراد الخليفة أن يسأله عن شيء لا يلتفت إليه ، ويكون من ناحية إن التفت لم تستقبله الشمس » . قال : فبينما نحن كذلك إذ اتبهينا إلى مَحَاضَةِ ، فأقحمت دابتي ، ولم يقف وأتبعنى ، فملاً ثيابى ماءً وطيناً . قال : فقلت : يا أبا معمر ، ليس هذا فى الكتاب ؟

٥ قال الهيثم بن عدي : كنت قائماً إلى جنب حُميد بن قَحطبة ^(١) وهو على بردون ، فتفاجَّ البردُونُ ليبول ، فقال لى : تنحَّ لا يُهرق ^(٢) عليك البردُونُ الماء . وجاء رجلٌ إلى محمد بن حرب الهلالى ^(٣) بقوم فقال : إنَّ هؤلاء الفساق مازالوا فى مَسيس هذه الفاجرة . قال : ما ظننت أنه بلغ من حُرمة الفواجر ما ينبغي أن يُكُنَى عن الفجور بهنَّ .

١٠ وقلت لرجل من الحُسَّاب : كيف صار البردُونُ المتحصن ^(٤) ، على البغلة أحرصَ منه على الرَّمكة ^(٥) ، والرَّمكة أشكل بطبعه ؟ قال : بلغنى أنَّ البغلةَ أطيَّبَ خلوة .

وقال صديقٌ لنا : بعثَ رجلٌ وكيله إلى رجلٍ من الوجوه يقتضيه مالاً له

(١) كان حميد بن قحطبة من ولاية الدولة العباسية وقوادها ، ولى إمرة مصر سنة ١٤٢ ووجهه المنصور لقتال محمد بن عبد الله بن الحسن عند خروجه بالمدينة سنة ١٤٥ ، ولغزو أرمينية سنة ١٤٨ ، وكابل سنة ١٥٢ . وولاه المنصور خراسان سنة ١٥٢ ، وكان المنصور بنفسه عليه نفوذه ورجاهه ، ففكر فى التخلص منه ، فكتب له كتاباً إلى زفر بن عاصم وإلى حلب ، وأمره بأن يسير إليه ويسلمه الكتاب ، وكان فيه : « إذا قدم عليك حميد فاضرب عنقه » . فارتاب فى ذلك ، حتى إذا كان ببعض الطريق فض الكتاب وعرفه ، فعدل عن طريقه وعاد إلى العراق . وتوفى حميد وهو عامل المهدي على خراسان سنة ١٥٩ . الطبرى وابن الأثير فى حوادث ١٤٢ - ١٥٩ والمعارف ١٦٥ .

(٢) هـ : « لا يهرق » .

(٣) ذكر أبو الفرج فى الأغاني (١٧ : ٨٨) أنه كان على شرطة محمد بن سليمان العباسي .

(٤) يتحصن : تبدو منه أمارات الذكورة . وفى القاموس : « وتحصن : صار حصاناً بين

التحصن » . وقد استعمل الجاحظ هذه الكلمة فى الحيوان (٢ : ١٤١ / ٤ : ٤٠٢) .

(٥) الرمكة : الفرس والبرذونة التى تتخذ للنسل ، فارسى معرب . والبراذين من الخيل : ما كان

من غير نتاج العراب .

عليه ، فرجع إليه مضروباً ، فقال : مالك وملك ^(١) ؟ قال : سبك فسبته
فضربني . قال : وبأى شيء سبني ؟ قال : قال : هن الحمار في حر أم من
أرسلك . قال : دعني من افترائه على ، أنت كيف جعلت لأير الحمار من
الحرمة ما لم تجعله لحر أمي ؟ فهلا قلت: أير الحمار في هن أم من أرسلك ؟!

- ٢٨ أبو الحسن قال : كان رجل من ولد عبد الرحمن بن سمره ^(٢) ، أراد
الوثوب بالشام ، فحمل إلى المهدي ، فخلّى سبيله وأكرمه وقرب مجلسه ، فقال له
يوماً : أنشدني قصيدة زهير ، التي على الراء وهي التي أولها :
لِمَنْ الدِّيَارُ بِقَنَةِ الْجَنْجَرِ أَقْوَيْنَ مِنْ جَجِجٍ وَمِنْ شَهْرٍ
فأنشده ، فقال المهدي : ذهب والله من يقول مثل هذا . قال السمرى :
وذَهَبَ والله مَنْ يقال فيه مثل هذا . فغضب المهدي واستجهله ونحاه ولم يعاقبه ،
واستحمقه الناس .
ولما دخل خالد بن طليق ^(٣) على المهدي مع خصومه ، أنشد قول شاعرهم :

(١) ما عدل : ما بالك وملك .

(٢) عبد الرحمن بن سمره بن حبيب بن عبد شمس ، أحد الصحابة الذين أسلموا يوم الفتح .
وكان اسمه عبد كلال ، فسماه النبي ﷺ عبد الرحمن . سكن البصرة وافتتح سجستان ، وكابل ،
وغيرهما ، ورجع إلى البصرة فمات بها سنة خمسين . الإصابة ١٥٢٥ وتهذيب التهذيب .
(٣) خالد بن طليق بن محمد بن عمران بن حصين الخزاعي ، ذكر ابن النديم في الفهرست ١٣٩
أنه كان أخبارياً نسابة ، وكان معجباً بياها ، ولاء المهدي قضاء البصرة بعد أن عزل عبيد الله بن الحسن بن
الحر العبدي . وذكر أبو الفرج في الأغاني أنه ولي قضاء البصرة على حين ولي عيسى بن سليمان الإمارة بها ،
فقال ابن منذر يهجوها :

الحمد لله على ما أرى خالد القاضي وعيسى أمير
لكن عيسى نوكة ساعة ونوك هذا منجنون يدور

الأغاني (١٧ : ٢٧) . وفيه يقول ابن منذر (الأغاني ١٧ : ٢٤) :

أصبح الحاكم بالنا س من آل طليق
جالساً يحكم في النا س بحكم الجاثليق

وانظر لسان الميزان (٢ : ٣٧٩) .

إذا القرشئ لم يَضْرِبْ بعرق خزاعيم فليس من الصميم
فغضب المهديّ وقال : أحق . فأنشد خالد فقال :
إذا كنت في دارٍ فحاولت رحلةً فدعها وفيها إن أردت معادُ
فسكن عند ذلك المهديّ .

٥

وقال بشّار :
خليليّ إن العُسرَ سوف يفيقُ وإن يساراً من غدٍ لخليقُ
وما كنتُ إلا كالزّمانِ إذا صحا صحوتُ وإن ماقَ الزّمانِ أموقُ

* * *

قالوا : ومن التّوكي : أبو الرّبيع العامريّ ^(١) ، واسمه عبد الله ، وكان وليّ
بعض منابر الإمامة . وفيه يقول الشاعر :

١٠

شهدتُ بأنّ الله حقّ لقاءه وأنّ الرّبيع العامريّ رقيعُ
أقاد لنا كلباً بكلب ولم يدعْ دماء كلاب المسلمين تُضيّعْ

قالوا : ومن التّوكي : ربيعة بن عسّل ^(٢) ، أحد بنى عمرو بن يربوع ، وأخوه
صبيغ بن عسّل ^(٣) . وفد ربيعة على معاوية فقال له معاوية : ما حاجتك ^(٤) ؟

٢٩

١٥ (١) كذا في النسخ ، وهو ما يقتضيه الكلام بعد ، أن اسمه « عبد الله » . لكن الشعر وما ورد في
عيون الأخبار (٢ : ٤٩) يشعر بأن اسمه « الربيع » لا « أبو الربيع » . وصرح في العقد (٦ : ١٥٨) أنه
الربيع العامري .

(٢) عسل ، بكسر العين ، كما في هـ والاشتقاق ١٣٩ . قال ابن دريد : « ومنهم ربيعة أخو صبيغ ،
وكان مع عائشة رضي الله عنها يوم الجمل . فأتى به على أسيراً ، فمن عليه على رضي الله عنه والحق بمعاوية » .

٢٠ (٣) صبيغ ، بفتح الصاد المهملة وآخره غين معجمة . قال ابن دريد « كان يحرق فوفد على
معاوية وكان صبيغ هذا أتى عمر بن الخطاب رضي عنه فقال له : خبرني عن الذاريات ذروا . فقال :
افحص عن رأسك . فإذا له صفيرتان فقال : فلم يزل بشر حتى قتل في بعض الفتن » . وقد ذكره ابن حجر
فيمن له إدراك من الصحابة ٤١٨ . فيما عدل : « صبيغ » تحريف .

(٤) هـ : « حاجتك » .

قال : زُوِّجْنِي ابْنَتَكَ . قال : اسْقُوا ابْنَ عِيسَى عَسَلًا . فَأَعَادَ عَلَيْهِ فَأَعَادَ عَلَيْهِ
الْبَسَلُ ثَلَاثًا ، ففتركه وقد كَادَ يَنْقُدُّ بَطْنَهُ ^(١) . قال : فاستعملني على خراسان .
قال : زِيَادٌ أَعْلَمُ بِثَغْوِهِ . قال : فاستعملني على شرطة البصرة . قال : زِيَادٌ أَعْلَمُ
بشُرْطَتِهِ ^(٢) . قال : فاكسني قطيفة . أو قال : هَبْ لِي مِائَةَ جِذْعٍ لِدَارِي .
[قال : وَأَيْنَ دَارِكَ ؟ قال : بالبصرة . قال : كَمْ ذَرَعُهَا ؟ قال : فرسخان في
فرسخين ^(٣)] . قال : فدارك في البصرة أو البصرة في دارك ؟!

قال عَوَانَةُ : استعمل معاوية رجلاً من كلبٍ فذكر يوماً المجوس وعنده
الناس ، فقال : لَعَنَ اللَّهُ الْمَجُوسَ يَنْكِحُونَ أُمَّهَاتِهِمْ ، وَاللَّهِ لَوْ أُعْطِيتُ مِائَةَ أَلْفِ
دِرْهَمٍ مَا نَكَحْتُ أُمِّي ! فبلغ ذلك معاوية فقال : قَاتِلْهُ اللَّهُ أَتُرَوُّهُ لَوْ زَادَهُ عَلَى
مِائَةِ أَلْفٍ فَعَلَّ ! فَعَزَلَهُ . ١٠

[أبو الحسن : وفد ربيعة بن عِيسَى على معاوية - وهو من بني عمرو بن
يربوع - فقال لمعاوية : أَعِنِّي بِعَشْرَةِ آلَافِ جِذْعٍ فِي بِنَاءِ دَارِي بِالْبَصْرَةِ . فقال له
معاوية : كَمْ دَارِكَ ؟ قال : فرسخان في فرسخين . قال معاوية : هِيَ فِي الْبَصْرَةِ أَمْ
الْبَصْرَةُ فِيهَا ؟ قال : بَلْ هِيَ فِي الْبَصْرَةِ . قال معاوية : فَإِنَّ الْبَصْرَةَ لَا تَكُونُ
هَذَا ^(٣)] . ١٥

وقال أبو الأَحْوَصِ الرِّيَاحِيُّ ^(٤) :

لَيْسَ يَرْبُوعٌ إِلَى الْعَقْلِ حَاجَةٌ سِوَى دَنْسٍ تَسُوذُ مِنْهُ ثِيَابُهَا

(١) ينقد : ينقطع . ما عدل ، هـ : « تنقد » ، تحريف . والبطن مذكر .

(٢) ما عدل : « أعرف بشرطته » .

(٣) هذه التكملة مما عدل .

(٤) ما عدل ، هـ : « الرِّياحِيُّ » تحريف . على أن النسخ جميعها اتفقت في الخطأ في اسم
الشاعر ، فالصواب أنه « الأَحْوَصُ الرِّياحِيُّ » . والأَحْوَصُ ، بالخاء المعجمة لقب له ، واسمه زيد بن عمرو
ابن قيس بن عتاب بن هرمي بن رياح بن يربوع بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم . وهو شاعر
إسلامي كما ذكر البغدادي في الخزانة (٢ : ١٤٢ - ١٤٣) .

فكيف بنوكى مالك إن كفرتمْ لهم هذه أم كيف بعد خطائبها ؟
مشائيم ليسوا مصلحين عشيرة ولا ناعب إلا بين غرائبها (١)

الهيثم ، عن الضحّاك بن زميل (٢) قال : بينا معاوية بن مروان (٣) واقف بدمشق ينتظر عبد الملك على باب طحّانٍ وحمارٍ له يدور بالرّحى وفي عنقه جُلجل إذ قال للطحّان : لِمَ جعلت في عنق هذا الحمارِ هذا الجُلجل ؟ قال :
ربّما أدركتني سامةٌ أو نَعَسَةٌ ، فإذا لم أسمع صوت الجُلجل علمتُ أنه قد قام فصحت به . قال معاوية : أفرأيت إن قامَ ثم قال برأسه هكذا وهكذا - وجعل يحرك رأسه يمنةً ويسرةً - ما يُدريك أنت أنه قائم ؟ فقال الطحّان : ومن لى بحمارٍ يَعْقِلُ مثل عَقْل الأمير (٤) ؟

- ١٠ ومعاوية بن مروان هذا هو الذى قال لأبى امرأته : ملائنا ابنتك البارحة بالدم ! قال : إناها من نسوةٍ يَحْبَبْنَ ذلك لأزواجهنَّ (٥).
- ٣٠ وصعد يوسف بنُ عمر المَنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : قد قتل الله زيدا ونَصَرَ بن سيار - يريد نصر بن خزيمة .
- وقال على الأسوارى : عمر بن الخطاب معلقٌ بشعرة ! قلت : وما صيرُهُ إلى ذلك ؟ قال : لِمَا صَنَعَ بنصر بن سيار - يريد نصر بن الحجاج بن علاط .
- ١٥ وقالوا : أحبُّ الرشيد أن ينظر إلى أبى شُعيب القلال كيف يعمل القلال ، فأدخلوه القصر ، وأتوه بكلِّ ما يحتاج إليه من آلة العمل ، فينا هو يعمل إذا هو بالرشيد

(١) البيت من شواهد الرضى في الخزانة (٢ : ١٤٠) ، وسيبويه (١ : ١٥٤ ، ٤١٨) . يستشهد به على أن « ناعب » معطوف بالجر على مصلحين لتوهم دخول الباء عليه .

(٢) ب : « رمل » مع وضع ضمة على الراء . ح : « رمل » ، التيمورية : « زلل » .
(٣) هو معاوية بن مروان بن الحكم ، أخو عبد الملك بن مروان . وهذا الخبر رواه ابن قتيبة في المعارف ١٥٥ وعيون الأخبار (٢ : ٤٢) .

(٤) في المعارف : « ومن له بمثل عقل الأمير » . وفي عيون الأخبار : « ومن لحمارى بمثل عقل الأمير » . وفي حواشى هـ عن نسخة : « ومن لحمارى بعقل مثل عقل الأمير » . وانظر الطبرى (٦ : ١٨٣) .

(٥) انظر العقد (٦ : ١٥٨) .

قائم فوق رأسه ، فلما رآه نهض قائماً ، فقال له الرشيد : دُونَكَ ما دُعيتَ له ؛
فإني لم آتِكَ لتقوم إليّ ، وإنما أتيتُكَ لتعملَ بين يديّ . قال : وأنا لم آتِكَ لیسوءَ
أدبي ، وإنما أتيتُكَ لأزداد بك في كثرة صوابي . قال له الرشيد : إنما تعرّضتَ لي
حين كسدت صنعتك^(١) . فقال أبو شعيب : يا سيّد الناس ، وما كساد عملي
في جلال وجهك ؟ فضحك الرشيد حتّى غطّى وجهه ثم قال : والله ما رأيْتُ
أنطقَ منه أولاً ، ولا أعيا منه آخرأ ، ينبغي لهذا أن يكون أعقل الناس أو أجنّ
الناس .

عبد الله بن شدّاد^(٢) قال : أرى داعي الموت لا يُقْلَع ، وأرى مَنْ مضى
لا يرجع ، وَمَنْ بَقِيَ فاله ينزع . لا تَرْهَدَنَّ في معروف ، فإنّ الدهر ذو صروف ؛
فكم من راغب^(٣) قد كان مرغوباً إليه ، وطالبٍ قد كان مطلوباً مالدیه . والزّمانُ
ذو ألوان ، وَمَنْ يصحب الزّمانَ يرى الهوان .

الفرج بن فضالة^(٤) ، عن يحيى بن سعيد^(٥) ، عن محمد بن علي^(٦) ،
عن أبيه ، عن النبي ﷺ قال : إذا فعلتُ أمتي خمسَ عشرةَ خصلةً

(١) ما عدال : « سوقك » .

(٢) سبقت ترجمته في ١١٣ حيث سلفت الخطبة له .

(٣) ل : « كم راغبا » . وهو مذهب الكوفيين ، يميزون نصب تمييز كم الخيرية بدون فاصل .

(٤) فرج بن فضالة بن النعمان التنوخي ، روى عن يحيى بن سعيد ، ومسافر ، وهشام بن عروة ،
وروى عنه ابنه محمد ، وشعبة ، ووكيع ، والنضر بن شميل وغيرهم . سكن بغداد وكان على بيت المال
بها . ولولده سنة ٨٨ حديث في تاريخ بغداد ٦٨٥٦ . ومات ببغداد سنة ١٧٦ . وانظر تهذيب التهذيب
(٨ : ٢٦٠) .

(٥) هو أبو سعيد يحيى بن سعيد بن قيس بن عمرو الانصاري المدني ، سمع أنس بن مالك
وسعيد ابن المسيب وغيرهما . وروى عنه مالك بن أنس ، وابن جريج ، وشعبة . وهو تابعي ثقة فقيه ،
ولى القضاء بالأنباء وبغداد في عهد المنصور . وتوفي سنة ١٤٤ . تاريخ بغداد ٧٤٤٦ وتهذيب التهذيب .

(٦) هو محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب الهاشمي ، أبو جعفر الباقر . وهو من
التابعين فقهائ أهل المدينة . ولد سنة ٥٦ وتوفي سنة ١٢٨ . تهذيب التهذيب .

حلّ بها البلاء : إذا أكلوا الأموال دُولاً ، واتَّخَذُوا الْأَمَانَةَ مَعْنَمًا ، وَالزَّكَاةَ مَغْرَمًا ،
وأطاع الرجل زوجته وعقَّ أمّه ، وبرَّ صديقه وجفّاً أخاه ، وارتفعت الأصواتُ في
المساجد ، وأكْرِمَ الرَّجُلُ مَخَافَةَ شَرِّهِ ، وكان زعيمَ القومِ أَرْضْلَهُمْ ، وإذا لُبِسَ الْحَرِيرُ
وشُرِبَتِ الْخُمُورُ ، واتَّخَذَتِ الْقِيَانُ وَالْمَعَارِفُ ، ولعن آخرُ هذه الْأُمّةِ أَوْلَهَا ،
فليترقّبوا بعد ذلك ثلاثَ حِصَالٍ : ربحاً حمراء ، ومُسْحَاً ، وحَسَنًا .

٥

الهيثم قال أخبرنا الكلبي قال : كانت قريشٌ تُعَدُّ أَهْلَ الْجَزَالَةِ فِي الرَّأْيِ
الْعَبَّاسَ بْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ، وَأَبَا سَفْيَانَ ، وَثُبَيْهَا ^(١) ، وَأُمَيَّةَ بْنَ حُلَافٍ .

٣١

قال : وقال ابنُ عَبَّاسٍ : لم يكن في العربِ أَمْرٌ وَلَا أَشْيَبُ أَشَدَّ عَقْلًا مِنْ
السَّائِبِ بْنِ الْأَقْرَعِ ^(٢) .

قال : وحدثني الشَّعْبِيُّ أَنَّ السَّائِبَ شَهِدَ فَتْحَ مِهْرَجَانَ قَدَقَ ^(٣) ، ودخل
منزلَ الْهَرْمُزَانَ فِي دَارِهِ أَلْفَ بَيْتٍ ، فَطَافَ فِيهِ ، فَإِذَا ظَبْيٌ مِنْ جِصٍّ فِي بَيْتٍ مِنْهَا
مَادٌّ يَدَهُ ، فَقَالَ : أَقْسَمُ بِاللَّهِ إِنَّ هَذَا الظَّبْيَ يُشِيرُ إِلَى شَيْءٍ ^(٤) ! انظروا . فنظروا
فاستخرجوا سَقَطَ كَنْزِ الْهَرْمُزَانَ فَإِذَا فِيهِ يَاقُوتٌ وَزَبَرْجَدٌ . فكتب فيه السائب إلى
عُمَرَ ، وأخذ منه فَصًّا أَخْضَرَ ، وكتب إلى عمر : إِنَّ رَأْيَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَهَبَهُ لِي
فَلْيَفْعَلَ . فلما عرض عمر السَّقَطَ عَلَى الْهَرْمُزَانَ قَالَ : فَأَيْنَ الْفَصُّ الصَّغِيرُ ؟
قال : سَأَلْنِيهِ صَاحِبُنَا فَوَهَبْتُهُ لَهُ . قال : إِنَّ صَاحِبَكَ بِالْجَوْهَرِ لَعَالِمٌ .
قال : أَخْبَرَنَا مُجَالِدٌ ^(٥) عَنْ الشَّعْبِيِّ قَالَ : قَالَ السَّائِبُ لَجَمِيلِ بْنِ بَصْبَهْرَى ^(٦) :

١٥

(١) ما عدل ، هـ : « وبينهما » تحريف . وفي حواشي هـ : « تنبيه بن الحجاج كان من المطمعين
في غزاة بدر » . وانظر السيرة ٥١٠ - ٥١١ والاشتقاق ٧٨ .

(٢) السائب بن الأقرع بن عوف بن جابر ، الصحابي الجليل ، استعمله عمر على المدائن . ترجم في
الإصابة ٣٠٥٠ .

(٣) مِهْرَجَانُ قَدَقُ ، بكسر الميم ويفتح القاف وضمها أيضا ، قال ياقوت : كورة حسنة واسعة
قرب الصيمرة ، من نواحي الجبال ، عن يمين القاصد من حلوان العراق إلى همدان .

(٤) ما عدل : « إنه يشير إلى شيء » وفي هـ : « يشير » . وانظر نص الخبر في الإصابة

٢٥

(٥) مجالد بن سعيد ، مضت ترجمته في (١ : ٢٤٢) .

(٦) كذا ورد مضبوطا في هـ . وكذا في ل لكن بكسر الراء . وفيما عداها : « يصبري » .

أخبرني عن مكان من القرية^(١) لا يَخْرُب حتَّى أَسْتَقْطِعَ^(٢) ذلك المكان .
قال : ما بين الماء إلى دار الإمارة . قال : فاخْطَطْ لثَقِيفٍ في ذلك الموضع .
قال الهيثم : بَثَّ عندهم ليلةً ، فإذا لَيْلُهُمْ مثلُ النهار^(٣) .

أبو الحسن قال : قال عبد الرحمن بن خالد بن الوليد بن المغيرة ،
لمعاوية : أما والله لو كُنَّا على السَّوَاءِ بِمَكَّةَ لَعَلِمْتُ ! قال معاوية : إذا كُنْتُ أَكُونُ
معاوية بن أبي سفيان منزلي الأبطح^(٤) ينشئ عَنِّي سَيْلُهُ ، وكنت أنت عبد الرحمن
ابن خالد منزلك أجياد^(٥) ، أعلاه مَدْرَةٌ ، وأسفله عَذْرَةٌ . قال سهيل بن
عمرو : « أشبه امرؤُ بعضَ بَزه » . فصار مثلاً^(٦) .

وقال مُخَرِّز بن علقمة :

لقد وارى المقابر من شريك كثير تحلِّم وقليل عاب^(٧) ١٠
صموتا في المجالس غير عيٍ جديراً حين ينطق بالصواب
وقال ابن الرِّقَاع^(٨) :

(١) القرية ، بهيئة تصغير القرية : قال ياقوت : محلطان ببغداد ، إحداهما في حريم دار الخلافة ،
وهي كبيرة فيها محال وسوق كبير . والقرية أيضا : محلة كبيرة جدا كالمدينة من الجانب الغربي من بغداد
مقابل مشرعة سوق المدرسة النظامية . ١٥

(٢) ما عدل : « اقتطع » .

(٣) عني أنهم يصلون الليل بالنهار في العمل والتجارة وغير ذلك .

(٤) الأبطح والبطحاء : رمل منبسط يضاف إلى مكة حيناً وإلى مئى آخر .

(٥) أجياد : موضع بمكة بلى الصفا ، وكانت منزلاً لبنى مخزوم .

(٦) انظر (٣ : ٢٩٤) .

٢٠

(٧) العاب : العيب . وشريك هذا هو شريك بن عبد الله النخعي الكوفي القاضي . ولى القضاء
بواسط سنة ١٥٥ ثم بالكوفة ومات بها سنة ١٨٨ . تذكرة الحفاظ (١ : ٢١٤) وتهذيب التهذيب .

(٨) هو عدى بن زيد بن مالك بن عدى بن الرقاع العاملي . كان شاعراً مقدماً عند بني أمية
مداحاً لهم ، خاصاً بالوليد بن عبد الملك . وكان منزله بدمشق ، وهو من حاضرة الشعراء لا من باديتهم .
وقد تعرض لجرير وناقضه في مجلس الوليد ، ثم لم تتم بينهما مهاجاة إلا أن جريراً قد هجاه تعريضاً في قوله : ٢٥

« حى الهدملة من ذات المواعيس »

أَمْ تَدْخُلُ الْحُتُوفَ عَلَيْهِمْ أَبْوَابُهُمْ فَكَشَفْنَ كُلَّ غِطَاءٍ
فَإِذَا الَّذِي فِي حَصْنِهِ مَتَحَرَّرَ مِنْهُمْ كَأَخْرَ مُصْجِرٍ بِفَضَاءٍ
وَالْمَرْءُ يورث مَجْدَهُ أَبْنَاءَهُ وَيَمُوتُ آخِرُ وَهُوَ فِي الْأَحْيَاءِ
وَالْقَوْمُ أَشْبَاهُ وَبَيْنَ حُلُومِهِمْ بَوْنٌ كَذَاكَ تَفَاضُلُ الْأَشْيَاءِ

وقال بعضهم :

بِيضَاءُ نَاصِعَةُ الْبَيَاضِ كَأَنَّهَا قَمَرٌ تَوَسَّطَ جُنَحَ لَيْلٍ مُبَرِّدٍ
مُوسِمَةٌ بِالْحَسَنِ ذَاتُ حَوَاسِدٍ إِنَّ الْحِسَانَ مَظَنَّةٌ لِلْحُسَيْدِ
وَتَرَى مَا قِيَهَا ثِقَلُ مُقَلَّةٍ حَوْرَاءَ تَرْغَبُ عَنْ سَوَادِ الْإِثْمِ
خَوْذٌ إِذَا كَثُرَ الْحَدِيثُ تَعَوَّذَتْ بِحِمَى الْحَيَاءِ وَإِنْ تَكَلَّمْتَ تَقْصِيدُ^(١)

وقال آخر :

لَسَائِكَ خَيْرٌ وَحَدَهُ مِنْ قَبِيلَةٍ وَمَا عُدَّ بَعْدُ فِي الْفَتَى أَنْتَ فَاعِلُهُ
سَيُورِي طَبَعَ الْأَخْلَاقِ وَالْفُحْشِ وَالْحَنَّا أَبَتْ ذَاكُمُ أَخْلَاقُهُ وَشَمَائِلُهُ

وقال الآخر :

عَلَى أَمْرِي هَذَا عَرْشَ الْحَيِّ مَصْرَعُهُ كَأَنَّهُ مِنْ ذَوِي الْأَحْلَامِ مِنْ عَادٍ

وقال النابغة :

أَحْلَامُ عَادٍ وَأَجْسَادُ مَطْهَرَةٍ مِنْ الْمَعْقَةِ وَالْآفَاتِ وَالْأُثْمِ^(٢)

وقال الخنساء :

= ولم يصرح ، لأن الوليد حلف إن هو هجاه أسرجه وألجمه وحمله على ظهره . فلم يصرح بهجائه .
الأغاني (٨ : ١٨٢ - ١٨٧) .

(١) القصد : التوسط . وقبل هذا البيت فيما عدل : « وقال الآخر » .

(٢) المعقة : العقوق . والأثم ، بضمين : جمع أثم ، كسحاب وكتاب ، وهو الإثم .

ولم يرد هذا الجمع في المعاجم ولكنه قياسي . وقبل البيت في ديوانه ٧٤ :

هم الملوك وأبناء الملوك لهم فضل على الناس في اللأواء والنعم

خَطَّابُ مُعْضِلَةٍ فَرَّاجُ مُظْلَمَةٍ إِنْ جَاءَ مَفْطَعَةٌ هَيَّا لَهَا بَابَا (١)

٣٣

وَعَدَّدَ الْأَصْمَعِيُّ خَصَالَ مَعَدٍّ فَقَالَ :

كَانُوا أَدِيمًا مَاعِزًا شَانُهُ أَخْلَصَ فِيهِ الْقَرْطُ الْآهَبُ (٢)

أَوْ مُرْقِيَّ عِرْقٍ دَمٍ مُفْرِجٍ أَوْ سَائِلٌ فِي لُزْبَةٍ زَائِعِبُ (٣)

أَوْ ذِمَّةٌ يَوْفَى بِهَا عَاقِدٌ أَوْ عُقْدَةٌ يُحْكِمُهَا آرِبُ (٤)

أَوْ خَابِطٌ مِنْ غَيْرِ لَا نِعْمَةٍ أَوْ رَحِمٌ مَتَّ بِهَا جَانِبُ (٥)

أَوْ خُطَّةٌ بَزْلَاءُ مَفْصُولَةٍ يَرْضَى بِهَا الشَّاهِدُ وَالْغَائِبُ (٦)

وَقَالَ ابْنُ نَوْفَلٍ يَهْجُو (٧) :

وَأَنْتَ كَسَاقِطٌ بَيْنَ الْحَشَايَا يَصِيرُ إِلَى الْخَبِيثِ مِنَ الْمَصِيرِ (٨)

- ١٠ (١) ل : « إِنْ دَاءٌ مُعْضِلَةٌ » . وَفِي حَوَاشِي هـ عَنْ نَسْخَةٍ : « إِنْ هَابَ مُعْضِلَةٌ » .
 (٢) الْأَدِيمُ : الْجِلْدُ . وَالْقَرْطُ : شَجَرُ عِظَامٍ يَدْبِغُ بِوَرَقَةٍ وَثْمَرُهُ . وَالْآهَبُ : كَلِمَةٌ لَمْ تَذْكُرْهَا الْمَعَاجِمُ . وَفِي حَوَاشِي هـ : « الَّذِي يَدْبِغُ الْإِهَابُ » . وَالْإِهَابُ : الْجِلْدُ .
 (٣) أَرَقَا الدَّمَ : حَقَنَهُ . الْمَفْرِجُ : الْقَتِيلُ يَكُونُ فِي الْقَوْمِ مِنْ غَيْرِهِمْ ، فَيَحِقُّ عَلَيْهِمْ أَنْ يَعْقِلُوا عَنْهُ . وَاللُّزْبَةُ : السَّنَةُ الشَّدِيدَةُ . يَقُولُ : هُمْ فِي اللَّزَبَاتِ سَيْلُ زَاعِبٍ يَزْعَبُ الْوَادِيَّ : يَمْلُؤُهُ . ل : « رَاغِبٌ » وَلَيْسَ بِشَيْءٍ .
 (٤) أَرَبَ الْعُقْدَةَ : شَدَّهَا وَعَقَدَهَا .
 (٥) الْخَابِطُ : الَّذِي يُعْطَى غَيْرُهُ مِنْ غَيْرِ مَعْرِفَةٍ بَيْنَهُمَا . قَالَ عُلُقَمَةُ :

وَفِي كُلِّ حَيٍّ قَدْ خَبَطْتَ بِنِعْمَةٍ فَحَقَّ لَشَأْسٍ مِنْ نَدَاكَ ذُنُوبُ

مَا عَدَالَ ، هـ : « حَايِطٌ » تَحْرِيفٌ . وَالرَّحِمُ : الْقَرَابَةُ . مَتَّ بِهَا : تَوَسَّلَ . وَالْجَانِبُ : الْغَرِيبُ .

(٦) خُطَّةٌ بَزْلَاءُ : تَفْصِيلُ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ . وَالْبَزْلَاءُ : الرَّأْيُ الْجَيِّدُ وَالْعَقْلُ . وَفِي جَمِيعِ النُّسخِ :

« أَوْ خُطْبَةٌ » ، تَحْرِيفٌ . انْظُرِ اللَّسَانَ (بَزَل) . ٢٠

(٧) ل : « أَبُو نَوْفَلٍ » . وَهُوَ يَحْيَى بْنُ نَوْفَلٍ ، كَانَ شَاعِرًا مِنْ شُعَرَاءِ الدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ مُعَاصِرًا

لِلْحَكَمِ بْنِ عَبْدِ الْأَسَدِ ، وَلَهُ مَعَهُ خَيْرٌ فِي الْأَغَانِي (٢ : ١٤٤) . وَالشُّعْرُ النَّالِيُّ فِي الْحَيَوَانَ (٤) :

٣٢٢ / ٦ : ٣٩٠ / ٧ : ٢٠) مِنْ قَصِيدَةِ يَهْجُو بِهَا خَالِدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْقَسْرِيُّ .

(٨) جَعَلَهُ مِنْ يَلَازِمِ الْفَرَاشِ وَيَقْعَدُ عَمَّا تَقْتَضِيهِ الشُّجَاعَةُ وَالرَّجُولِيَّةُ . وَجَاءَ فِي حَدِيثٍ عَلَى : مِنْ

يَعْذُرُنِي مِنْ هَؤُلَاءِ الضَّيَاطِرَةِ ، يَتَخَلَّفُ أَحَدُهُمْ يَتَقَلَّبُ عَلَى حَشَايَاهُ . وَقَالَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ : « لَيْسَ

أَخُو الْحَرْبِ مِنْ يَضَعُ خَوَرِ الْحَشَايَا عَنْ يَمِينِهِ وَشِمَالِهِ » . ٢٥

ومثلُ نعامٍ تُدعى بغيراً تعاضمها إذا ما قيلَ طيرى^(١)
 وإن قيلَ احملى قالتِ فإتى منَ الطيرِ المُرِيَّةِ بالوكورِ^(٢)
 وكنتَ لدى المُغيرةِ غيرَ سَوِيٍّ يبول من الخافة للزئيرِ^(٣)
 لأعلاجِ ثمانيةٍ وشيخ كبيرِ السنِّ ذى بصرٍ ضريرِ^(٤)
 تقول لما أصابكَ : أطعمونى شرباً ثم بُلْتُ على السريرِ^(٥)

وقال عبد يغوث^(٦) :

ألا لا تلومانى كفى اللوم مايبا فما لكما فى اللوم خيرٌ ولا ليا
 ألم تعلمنا أن المَلامةَ نفعُها قليلٌ، ومالومى أخى من شِماليا^(٧)

- (١) تعاضمها : ادعاؤها العظمة والفوق على الطيور . ورويت هذه الكلمة بهذا اللفظ أيضاً فى أصل عيون الأخبار (٢ : ٨٦) ومحاضرات الراغب (٢ : ٢٩٨) . وعند الدميرى : « تعاصينا » . وفى اللسان (نعم) : « تعاضمه » أى هى تعاضم البعير .
- (٢) أربُّ الطائر بوكره إرباباً : لزمه ولم يفارقه .
- (٣) المغيرة هذا ، هو المغيرة بن سعيد ، صاحب فرقة المغيرة . وهى متنبئ خرج فى إمارة خالد ابن عبد الله القسرى ، وكان يقول بالإهية على وتكفير أى بكر وعمّر وسائر الصحابة ، إلا من ثبت مع على . وظفر به خالد بن عبد الله آخر الأمر ، فأحرقه وأحرق أصحابه سنة ١١٩ . والعر : الحمار الوحشى . جعله عند ملاقاته للمغيرة كالعير ، إذا سمع زئير الأسد حمله الذعر والفرع أن يهاجم هو الأسد ، مما طار من صوابه وضاع من رشده ، وذا معروف من طباع العير . ما عدل : « تبول » بالتاء .
- (٤) يشير إلى المغيرة وكبار أتباعه . والعليج : الرجل من كفار العجم . ونقد المرزبانى هذا البيت فى الموشح ٢٣٥ حيث ظاهره يوهم التناقض ؛ فإن ذا البصر لا يكون ضريراً . وأقول : إنه أراد بالبصر العين ثم وصف ذلك البصر بأنه ضرير .
- (٥) كان خالد قد اضطرب عند عيان المغيرة بن سعيد وقال : « أطعمونى ماء » لشدة ذهوله . انظر الحيوان (٢ : ٢٦٧ / ٦ : ٣٩٠) والبيان (١ : ١٢٢) .
- (٦) هو عبد يغوث بن وقاص الحارثى . شاعر جاهلى فارس ، كان قائد قومه بنى الحارث بن كعب يوم الكلاب الثانى . وفى ذلك اليوم أسر ، ثم قتل بعد ذلك اليوم . ويروون أنه قال قصيدته هذه حين جهز للقتل . انظر النفاضة ١٤٩ - ١٥٦ والأغانى (١٥ : ٦٩ - ٧٥) وكامل ابن الأثير والعقد فى يوم الكلاب الثانى (والمفضليات (١ : ١٥٣ - ١٥٦) وأمالى القالى (٣ : ١٢٢) .
- (٧) الشمال ، بالكسر : واحد الشمالى ، وهى الأخلاق والطباع .

- فيا راكباً إِمَّا عَرَضْتَ فَبَلَّغْنِ ندامى من تَجْرانَ أن لا تَلَقيا (١)
 أبا كربِ والأَيَّهَمَيْنِ كليهما وقيساً بأعلى حَضَرَمَوْتَ اليمانيا (٢)
 ٣٤ جزى الله قومي بالكلابِ مَلَامَةً صريحَهُم والآخِرِينَ المواليا (٣)
 أقول وقد شَدُّوا لسانى بِنِسْعَةٍ أَمَعَشَرَ تَيْمٍ أَطْلَقُوا من لسانيا (٤)
 وتَضَحَكُ مِنِّي شَيْخَةٌ عِبْشَمِيَّةٌ كأنْ لم تَرَى قَبْلِي أَسيراً يمانيا (٥)

قال أبو عثمان : وليس فى الأرض أعجبُ من طرفَةِ بنِ العبدِ وعبدِ يغوثِ ،
 وذلك أنا إذا قَسْنَا جودَةَ أشعارهما فى وقتِ إحاطةِ الموتِ بهما لم تكن دونِ سائرِ
 أشعارهما فى حالِ الأَمْنِ والرِّفاهِيَةِ (٦) .

أبو عبيدة (٧) قال : حدثنى أبو عبد الله الفَرَّارَى ، عن مالك بن دينار (٨)
 قال : ما رأيتُ أحداً أبَيَّنَ من الحجاجِ ، إنْ كان ليرقى المنبرَ فيذكرُ إحسانَهُ إلى

(١) عرضت : أتيت العروض ، بفتح العين ، وهى مكة والمدينة وما حولهما .
 (٢) أبو كرب ، هو بشر بن علقمة بن الحارث . والأَيَّهَمَانِ ، هما الأسود بن علقمة بن الحارث ،
 والعاقب ، وهو عبد المسيح بن الأبيض . انظر ابن الأثير . وقيس ، هو ابن معديكرب ، وهو والد
 الأشعث بن قيس .

(٣) الكلاب ، بالضم : يوم الكلاب الثانى كلاب أهل اليمن وتيم ، وفيه أسر عبد يغوث .
 صريحهم : خالصهم ومعضهم فى النسب . والموالى : الحلفاء ها هنا .

(٤) النسعة ، بكسر النون : القطعة من النسع ، وهو سير يضفر من جلد . ومما يروى أنهم بعد
 أن أسروه شدوا لسانه بنسعة ليجنوه الكلام . وقيل أراد أنهم فعلوا به ما منع لسانه أن ينطق بمدحهم .

(٥) عبشمية : نسبة إلى عبد شمس . والذى أسر عبد يغوث فتى من بنى عمير بن عبد شمس
 وكان أهوج ، فانطلق به إلى أهله فقالت أمه لعبد يغوث ، ورأته عظيماً جليلاً : من أنت ؟ قال : أنا سيد
 القوم . فضحكت وقالت : قبحك الله من سيد قوم حين أسرك هذا الأهوج ! فعن ذلك قول
 عبد يغوث : « وتضحك منى » . ما عدال ، هـ : « لم ترأى » ، وهى رواية نصّوا عليها ، جعل الهمزة بدلا
 من الياء : وفى الكلام التفات .

(٦) مثل هذا الكلام فى الحيوان (٧ : ١٥٧) ، وزاد هناك : هدبة العذرى .

(٧) ل : « أبو عبيد » .

(٨) ترجم فى (١ : ١٢٠) .

أهل العراق ، وصَفَّحَهُ عنهم وإساءتهم إليه ، حَتَّى أَقُولَ في نفسى : إئِنِّى لأَحْسِبُهُ صادقاً ، وإِنِّى لأُظَنُّهُمْ ظالمين له .

قال : وكانت العرب تَخْطُبُ على رواحِلِها . وكذلك رَوَى النَّبِيُّ ﷺ عن قُسَّ بن سَاعِدَةَ (١) .

- قال : وأخبرنى عبدُ الرحمن بن مهدى (٢) ، عن مالك بن أنس قال :
- الوقوف على ظهر الدَّوَابِّ بعِرفَةِ سَنَةِ ، والقيام على الأقدام رُخصة .
- وجاء فى الأثر : لا تجعلوا ظُهورَ دوابِّكم مجالس .

- ووقف الهيثم بن مطهر الفأفاء ، على ظهر دابَّته على باب الحَيْرِزَان (٣) ، ينتظر بعضَ من يخرج من عندها ، فلمَّا طال وقوفُه بعث إليه عُمَرُ الكَلَوَاضِى فقال له : انزل عن ظهر دابَّتِكَ . فلم يَرُدَّ عليه شيئاً ، فكَّرَ الرَّسُولُ إليه ، فقال : ١٠
- إِنِّى رجلٌ أعرج ، وإن خرج صاحِبِى من عند الحَيْرِزَان فى مَوَكِبِهِ خِفْتُ ألا أدركه . فبعث إليه : إن لم تنزل أنزلناك . فبعث إليه قال : هُوَ حَنِسٌ (٤) فى سبيل الله إن أنزلتنى عنه إن أقضمتُه (٥) شهراً ، فانظر أَيُّما خيراً له . أَرَأَيْتَ ساعة أم جوع شهر ؟ قالوا له : هذا الهيثم بن مطهر . قال : هذا شيطان (٦) .

(١) إِذ يَقُولُ ﷺ : « كَأَنِّى انظر إليه بسوق عكاظ على جمل له أَوْرَقٌ وهو يتكلم بكلام عليه حلاوة ، ما أجدنى أحفظه » . الأَعْنَى (١٤ : ٤٠) والخزانة (١ : ٢٦٨) . وانظر ما سبق فى (١ : ٥٢ س ١٠ - ١٥) .

(٢) هو أبو سعيد عبد الرحمن بن مهدى بن حسان العنبرى البصرى ، الحافظ . شهد له كثير من الأئمة أنه كان أعلم الناس بالحديث . مع ورع كان فيه وزهد . توفى سنة ١٩٨ وهو ابن ثلاث وستين سنة . تذكرة الحفاظ (١ : ٣٠١) وتهذيب التهذيب ، وصفة الصفوة (٤ : ٢) .

(٣) الحَيْرِزَان هى أم موسى الهادى وهارون الرشيد ، وهى أم ولد يقال لها الحَيْرِزَان ابنة عطاء . وكانت ذات نفوذ كبير عند زوجها المهدي ولولديها موسى وهارون ، وهى التى دبرت المؤامرة لاعتقال موسى ١٧٠ . وتوفيت سنة ١٧٤ فى خلافة الرشيد . تاريخ الطبرى .

(٤) ما عدل : « حبيس » . وعند الجهشيارى ٢٢١ : « حبس » كما هنا .

(٥) أقضمته : علفته القضم ، وهو الشعر . و « إن » قبله نافية .

(٦) فى عيون الأخبار (٦ : ١٦٠) : « هذا شيطان ، اتركوه » .

وقال أبو علقمة النحوى : يا آسى ^(١) ، إني رجعت إلى المنزل وأنا سِنُقُ
لِقَسٍّ ^(٢) ، فَأَتَيْتُ بِشِنْشَنِةٍ مِنْ لَوِيَّةٍ وَلَكِيكٍ ^(٣) ، وَقَطَّعَ أَقْرَنَ ^(٤) قَدْ غَدَرْنَ
هناك مِنْ سَمْنٍ ^(٥) ، وَرُقَاقٍ شِرْشِصَانٍ ^(٦) ، وَسَقِيطَ عُطْعُطٍ ^(٧) ، ثُمَّ تَنَاوَلْتُ
عَلَيْهَا كَأْسًا . قَالَ لَهُ الطَّبِيبُ : خُذْ حَرْقَقًا وَسَفْلَقًا وَجَرْقَقًا ^(٨) . قَالَ : وَبِئْكَ
أَيُّ شَيْءٍ هَذَا ؟ قَالَ : وَأَيُّ شَيْءٍ مَا قُلْتَ ؟

قال الزُّبَيْرُ قَان : أَحَبُّ صَبِيَانِنَا إِلَيَّ : الْعَرِيضُ الْوَرِكُ ، السَّبِيطُ الْعُرَّةُ ، الطَّوِيلُ
الْعُرْلَةُ ، الْأَبْلَهُ الْعُقُولُ ^(٩) . وَأَبْغَضُ صَبِيَانِنَا إِلَيَّ : الْأَفْيِصُ ^(١٠) الذَّكَرُ ، الَّذِي
كَأَنَّمَا يَنْظُرُ مِنْ جُحْرٍ ، وَإِذَا سَأَلَهُ الْقَوْمُ عَنْ أَبِيهِ هَرَّ فِي وَجْهِهِمْ .
قال الهَيْثَمُ : قَالَ الْأَشْعَثُ : إِذَا كَانَ الْغَلَامُ سَائِلَ الْعُرَّةِ ، طَوِيلَ الْعُرْلَةِ
مِلْتَاثَ الْإِزْرَةِ ^(١١) كَأَنَّ بِهِ لَوْنَةً ^(١٢) فَمَا يُشَكِّتُ فِي سُودِّهِه .

٣٥

١٠

(١) الآسى : الطَّبِيبُ . والخبر برواية أخرى في عيون الأخبار (٢ : ١٦٢) والعقد (٢ :
٤٨٩) ، وإرشاد الأريب (١٢ : ٢٠٩) .

(٢) السنق : الشبعان كالتخم . واللقس : ذو الغثيان .

(٣) الشنشنة : القطعة . واللوية : ما يجنبأ للضيف أو يدخره الرجل لنفسه . واللكيك : الصلب
المكتنز من اللحم .

١٥

(٤) الأقرن : الكبش الكبير القرنين .

(٥) غدر من باب سمع وضرب : شرب . حد : « قد غدرنا » ، التيمورية : « غدرون » ، وليس
لهما وجه من الصواب .

(٦) ما عدل ، : « سرشصان » ، ولم أهدأ إلى تحقيقها . وفي هـ : « وشرشصان » .

(٧) العطعط : الجدى .

٢٠

(٨) كذا وردت هذه الألفاظ في الأصول ، وليس أحدها صحيحا . وبدل الأول في العقد
« خريقا » وهو نبت كالسم يغشى على آكله وبدل الكلمة الثانية في العقد : « سلفقا » . وفي إرشاد
الأريب « سلفقا » وفي العيون « سلفقا » وكلها لا وجه له . وبدل الكلمة الثالثة في العقد و« عيون الأخبار
« شريقا » ، وهو نبت من جنس الشوك إذا كان رطباً فهو شريق ، فإذا يبس فهو الضريع .

(٩) انظر اللسان (بله ٣٦٩) . وفيه : « يعنى أنه لشدة حياته كالأبله ، وهو عقول » .

٢٥

(١٠) كذا في النسخ . وفي اللسان (فصع) : « الأفيصع » ، وهو البادى القلفة من الكمرة .

(١١) الملتاث : المختلط . والإزرة بالكسر : هيئة الاثترار .

(١٢) اللوثة ، بالضم والفتح : الحمق .

قال أبو المَحْشَر (١) : « كان المخشُّ أشدق حُرْطَمَانِيًّا ، سائلا لعبابه ،
كأنما ينظر من قَلَتَيْن ، كأنَّ تَرْقُوتَهُ بُوَانٌ أو خَالِفَةٌ ، وكأنَّ كَاهِلَهُ كِرْكِرَةٌ جمل .
فقأ الله عينيَّ إن كنتُ رأيتُ قبله ولا بعده مثله » .

قال : وكان زيادٌ حَوْلَ المنبرِ وبيوتِ المالِ والدَّوَابِ إلى الأزدِ ، وصَلَّى بهم ،
وخطب في مسجدِ الحُدَّانِ ، فقال عَمْرُو بنُ العرندس :

فأصبح في الحُدَّانِ يَخْطُبُ آمنا وللأزدِ عزٌّ لا يزالُ تِلَادُ

وقال الأعرج (٢) :

وكُنَّا نَسْتَطِيبُ إذا مَرِضْنَا فصار سَقَامُنَا بيدِ الطَّيِّبِ
فكيف نُجِيزُ غُصَّتَنَا بشيءٍ ونحن نَعَصُّ بالماءِ الشَّرِيبِ

وقال أيضاً (٣) :

والقائلين فلا يُعَابُ خطيبُهُم يومَ المَقَامَةِ بالكلامِ الفاصِلِ

وقال ابنُ مُفَرَّغ :

ومتى تَقُمُ يومَ اجتماعِ عشيرةٍ نُحْطَبُونا بينَ العشيرةِ تَفْصِيلِ

وقال أيضاً :

فيا رَبَّ حَصْمٍ قد كَفَيْتُ دِفَاعَهُ وَقَوِّمْتُ منه دِرَاهُ فَتَنَكَّبَا (٤)

وقال آخر :

وحامِلِ ضَبِّ ضِغْنٍ لم يَضِرْنِي بعيدِ قلبه حُلُوِ اللِّسَانِ (٥)

(١) سبق الخبر في (١ : ١٢١) .

(٢) هاتان الكلمتان والبيتان بعدهما من ل فقط .

(٣) ما عدا ل : « وقال الأعرج » .

(٤) الدرر : الميل . وتنكب : مال .

(٥) الضب : الحقد . وانظر ما في « بعيد قلبه » من جمال وقوة .

ولو أنى أشاء نَقَمْتُ منه بشَغْبٍ من لسانِ ثِيحَانٍ (١)
وقال :

عهدتُ بها هِنْدًا وهندٌ غَريرةٌ عن الفُحْشِ بلهَاءِ العِشَاءِ نَوْوُمٌ
رَدَّاحِ الضَّحَى مِيَالَةً بَخْتَرِيَّةٌ لها منطقٌ يُصِيبِي الحَلِيمَ رَحِيمُ (٢)
وقال :

وخصمٌ يركبُ العوصاء طاطٍ عن المثلَى قصَّاره القِرَاعُ (٣)
وملمومٌ جوانبُها رَدَّاح تُزجِّي بالرماح لها شَعَاعُ (٤)
وقال مُحَلَّمٌ بنِ فِرَاسٍ ، يرثى منصوراً وهَمَّاماً ابْنِي المِسْجَاح :
كم فيهمُ لو تَمَلَّينا حَيَاتَهُمْ من فارسِ يَوْمِ رَوْعِ الحَيِّ مِقْدَامِ (٥)
ومن فَتَى يَمَلُّ الشَّيْزَى مَكَلَّةً شَحَمَ السَّدِيفِ نَدَى الحَمْدِ مَطْعَامِ (٦)
ومن خَطِيبِ غَدَاةِ الحَفْلِ مُرْتَجِلٍ ثَبَّتَ المَقَامَ أَرِيبَ غَيْرِ مَفْحَامِ
وقال خَالِدٌ لِلْقَعْمَقِ (٧) : أَنَا فَرَكْتُ عَلَى (٨) أَتَيْنَا أَطْعُنُ بِالرَّمَا حَ ، وَأَطْعُمُ لِلشَّحَا حَ (٩)

(١) التِيحَانُ ، بفتح الياء المشدودة وكسرهما : الذى يتعرض لكل أمر .

(٢) الرَدَّاحُ ، هنا : التى لا تنبعث . والبَخْتَرِيَّةُ : ذات التبختر . والمنطقُ : الحديث .

(٣) الشعر لربيعه بن مقروم الضبى فى المفضليات (١ : ١٨٤ - ١٨٧) . وأنشد هذا البيت فى اللسان (طيط) شاهداً على أن « الطاط » بمعنى المتكبر . والمثلَى : خير الأمور . ما عدال ، هـ : « على المثلَى » . والقِرَاعُ ، هى فى المفضليات « القذاع » أى المقاذعة والمسابة .

(٤) عنى بالملموم جوانبها الكثبية . والرَدَّاحُ : الثقيلة الجِزارة . تُزجِّي : تساق وتُدفع . لها شَعَاع من كثرة بياض الحديد وصفائه .

(٥) أى لو تَمَتَّعْنَا بحياتهم . وفى اللسان (متع) : « ومتعه : مَلَأَهُ إِيَّاه » . ما عدال ، هـ : « تَمَتَّعْنَا بحياتهم » . وفيما عدال أيضاً : « يوم روح الحى » ، تحريف .

(٦) الشَّيْزَى : الجفنة تعمل من خشب الشيزى ، وهو الذى يقال له : « الآبُوس » . والسَدِيفُ : السنام . هـ : « بنى اللحم » . والثَّى بكسر النون وفتحها : الشحم . ل : « ندى الحمد » .

(٧) هما خَالِدُ بن مالِكِ النهشلى ، والقَعْمَقُ بن معبد بن زُرَّارة . انظر الاشتقاق ١٤٥ جوتنجن و ٢٣٧ بتحقيقنا .

(٨) ل : « عن » .

(٩) الشَّحَا حَ ، بكسر السين وضمها : جمع ساح ، يقال جزور ساحة وساح ، أى انتهت سَمَا . ل : « للشَّحَا حَ » ، ما عدال : « للشَّحَا حَ » صوابهما ما أثبت من هـ .

وَأَنْزَلَ بِالْبَرَّاحِ . قال : لا ، بل عن أَيْنَا أَفْضَلُ أَبَا وَجْدًا وَعَمَّا ، وَقَدِيمًا وَحَدِيثًا . قال خالد : أَعْطَيْتُ يَوْمًا مَنْ سَأَلَ ، وَأَطْعَمْتُ حَوْلًا مَنْ أَكَلَ ، وَطَعَنْتُ فَارِسًا طَعْنَةً شَكَّكَتْ فَخَذَيْهِ بِجَنْبِ الْفَرَسِ . قال القَعْقَاعُ وَأَخْرَجَ نَعْلَيْنِ فَقَالَ : رَبِّعْ عَلَيْهِمَا أَيْ أَرْبَعِينَ مِربَاعًا ^(١) لَمْ تَتَّكِلْ فِيهِنَّ تَمِيمَةً وَلَدًا .

- ٥ كان مالك بن الأخطل التغلبي - وبه كان يكنى - أتى العراق وسمع شعر جرير والفرزدق ، فلَمَّا قَدِمَ عَلَى أَبِيهِ سَأَلَهُ عَنْ شِعْرِهِمَا ، فَقَالَ : وَجَدْتُ جَرِيرًا يَغْرِفُ مِنْ بَحْرِ ، وَوَجَدْتُ الْفَرَزْدَقَ يَنْحِتُ مِنْ صَخْرٍ . فَقَالَ الْأَخْطَلُ : الَّذِي يَغْرِفُ مِنْ بَحْرِ أَشْعَرُهُمَا .

وقال بعضهم :

- ١٠ وما خَيْرُ مَنْ لَا يَنْفَعُ الْأَهْلَ عَيْشُهُ وَإِنْ مَاتَ لَمْ تَجْزَعْ عَلَيْهِ أَقَارِبُهُ
كَهَامٌ عَلَى الْأَقْصَى كَلِيلٌ لِسَانُهُ وَفِي بَشَرِ الْأَدْنَى حِدَادٌ مُخَالِبُهُ ^(٢)
- وقال العُمَانِيُّ :

- إِذَا مَشَى لِكُلِّ قَرْنٍ مُقَرِّنٌ ثُمَّ مَشَى الْقَرْنُ لَهُ كَالْأَرْعَنِ
بَصَارِمٌ يَفْرَى صَفِيحَ الْجَوْشَنِ ^(٣) مُقَرَّطُنٌ زَافٌ إِلَى مُقَرَّطَنِ ^(٤)
- يُفْضَى إِلَى أُمِّ الْفِرَاحِ الْكُمْنِ ^(٥) حَيْثُ تَقُولُ الْهَامَةُ : اسْقِنِي اسْقِنِي ^(٦)

٣٧

(١) المرباع : ما كان يأخذه الرئيس ، وهو ربع الغنيمة ، وقد ربعهم .

(٢) الكهام أصله في السيف الذي لا يقطع . والبشر : جمع بشرة ، وهي ظاهر الجلد .

(٣) يفرى : يقطع . والجوشن : الحديد الذي يلبس من السلاح .

(٤) المقرطن : لم أجده في المعاجم . ولعله أراد به الفحل المشدود عليه القرطان - ويقال له أيضاً

٢٠ القرطاط - وهو كالبرذعة لذوات الحافر . عنى أنه وقرنه فحلان يزيّف أحدهما إلى الآخر . يقال زاف البعير يزيّف : تبختر في مشيته .

(٥) أم الفراح ، عنى بها الرأس المشتمل على الدماغ . والدماغ : حشو الرأس . وفي اللسان : « وفرخ

الرأس : الدماغ ، على التشبيه » كما قيل له : العصفور . قال :

ونحن كشفتنا عن معاوية النى هى الأم تغشى كل فرخ منقش

٢٥ (٦) الهامة : الرأس . قال الأصمعي : العرب تقول : العطش في الرأس . وقال غيره : يقال إن الرجل =

* كم لأبى محمد من موطن^(١) *

وقال العُماني :

ومَقُولِ نِعَمَ لِزَارِ الحَصِمِ^(٢) أَلَدٌ يَشْتَقُّ لِأَهْلِ العِلْمِ^(٣)

بِباطِلٍ يَدْحَضُ حَقَّ الحَصِمِ حتى يصيروا كَسَحَابِ البُكْمِ^(٤)

وقال أبو عبيد في حديث على بن أبى طالب رضى الله عنه حين رأى
فلانا^(٥) يخطب فقال : « هذا الخطيب الشُّحْشَح » . قال : هو الماهر الماضي .

وقال الطِّرِمَاح :

كَأَنَّ المطايا لَيْلَةَ الخِمْسِ عُلِقَتْ بوَثَابَةٍ تَنْضُو الرِّوَاسِمَ شُحْشَحِ^(٦)

وقال ذو الرمة :

لَدُنْ غُدُوَّةٍ حَتَّى إِذَا امْتَدَّتْ الضُّحَى وَحَثَّ القَطِينُ الشُّحْشَحَانَ المَكْلَفُ^(٧)

= إذا قتل فلم يدرك بثأره خرجت هامة من قبره فلا تزال تصيح : اسقوني ! اسقوني ! حتى يقتل قاتله .

(١) أى موطن صالح مشهور . والموطن : المشهد من مشاهد الحرب ، قال الله : (لقد نصركم الله في مواطن كثيرة) . وقال طرفة :

على موطن يخشى الفتى عنده الردى متى تعترك فيه القرائص ترعد
(٢) المقول : اللسان ، والرجل الكثير الكلام البليغ . ويقال هو لزاز الخصم وملؤه ، أى يلزمه ويوكل به ويقدر عليه .

(٣) الألد : الخصم الجدل . واشتقاق الكلام : الأخذ فيه يمينا وشمالا .

(٤) الخصم يقال للواحد والجمع . والبكم ، أراد به الغيوم التى لا صوت لها فهى لا تسمح بماء . هـ : كشجاب البكم ، وفي حواشيا : « الشجاب المخزونون » . كما أشارت إلى رواية : « كسحاب الأكم » .

(٥) في اللسان (٣ : ٣٢٧) : « رأى رجلا يخطب .

(٦) الخمس : أن تَرَدَّ الإبل يوماً ثم لا تَرَدَّ ثلاثة أيام ثم تَرَدَّ اليوم الخامس . علقت بها ، أى علقتها وأولعت بها . وعنى بالوثابة القطاة السريعة . تنضو : تسبق . والرواسم : جمع راسم وراسمة ، وهى الإبل تسير الرسيم ، وهو ضرب من سيرها . والشحشح : الجاذ الماضى ، يكون الذكر والأنثى . والبيت في ديوان الطرماح ١٣٦ واللسان (شحج) وأساس البلاغة (علق) .

(٧) تقرأ : « غدوة » في هذا التعبير بالأوجه الثلاثة : الرفع بتقدير : كانت غدوة ؛ والنصب بتقدير : كان الوقت غدوة ؛ والجر بتقدير الإضافة . والضحى مؤنثة وقد تذكر . والقطين : المقيمون . والمكلف : اللهج بالأمر . والبيت في ديوان ذى الرمة ٣٧٤ واللسان (شحج) .

يعنى الحادى .

قال : وكان أسد بن كُرْزٍ ^(١) يقال له « خطيب الشيطان » ، فلما استعمل خالد ابنه ^(٢) على العراق قيل له : « خطيب الله » ، فجرت إلى اليوم . وقال أبو المثلّم الهذلى ^(٣) :

أصخر بن عبد الله إن كنت شاعراً فإنك لا تُهدى القريض لمفحم ^(٤)
وقال بلعاء بن قيس ^(٥) :

أبيث لنفسى الخسف لما رضوا به ووليتهم سمنى وما كنت مفحماً
وقال عبد الله بن مصعب : وقف معاوية على امرأة من كنانة ، فقال لها هل من قرى ؟ قالت : نعم . قال : وما قرأك ؟ قالت : عندي خبزٌ خمرٌ ، ولبن فطير ^(٦) ، وماء نمرٌ .
وقال أحيجة :

والصمت خيرٌ للفتى ما لم يكن عيً يشينه ^(٧)

- (١) هو أسد بن كرز بن عامر البجلي ثم القسرى ، وهو جد خالد بن عبد الله بن يزيد بن أسد القسرى .
كان يدعى في الجاهلية « رب بجيلة » ، وكان من حرم الخمر في الجاهلية تنزها عنها ، وكان شاعراً فاتكاً مغواراً .
وأدرك الإسلام وأسلم ، وأهدى إلى الرسول ﷺ قوساً . الإصابة ١٠٣ والأغانى (١٩ : ٥٣ - ٥٥) .
(٢) كلمة « خالد » من ل ، ه فقط . وقد أراد بكلمة « ابنه » ابن حفيده .
(٣) أبو المثلّم الهذلى : ذكره صاحب المؤلف ١٧٢ والأغانى (٢٠ : ٢٠ - ٢١) . ما عدل ، ه : « أبو المسلم » تحريف . وقصيده في شرح السكرى للهذليين ٢٢ ونسخة الشنقيطى ٩١ .
(٤) انظر (٣ : ٣٢٦) . وصخر هذا هو الملقب بصخر الغي . لخلاعه وشدة بأسه وكثرة شره .
وكان بينه وبين أبى المثلّم مناقضات ذكرت في أشعار الهذليين . وكان صخر يخشى بأس أبى المثلّم ، فلما صرع صخر في غزاة له رثاه أبو المثلّم بأبيات أولها :

لو كان للدهر مال كان يتلده لكان للدهر صخرٌ مال قُتينا

- الأغانى (٢٠ : ٢٠) والمؤلف ١٨٢ . لمفحم ، يقول : لست مفحماً .
(٥) كان بلعاء بن قيس رأس بنى كنانة في أكثر حروبهم ومغازيهم . وهو شاعر محسن ، وقد قال في كل فن أشعاراً جيداً . المؤلف ١٠٦ . ومات قبل يوم الحرية ، وهو اليوم الخامس من أيام الفجار الآخر . انظر المقد .

(٦) الفطير : اللبن ساعة يجلب .

(٧) ما عدل : « والصمت أكرم بالفتى » .

والقول ذو خَطَلٍ إذا ما لم يكن لُبُّ يُعِينُهُ

وقال أبو ثَمَامَةَ الضَّبِّي :

ومنا حصينٌ كان في كل خطبةٍ يَقُولُ أَلَا مِنْ نَاطِقٍ مُتَكَلِّمٍ ^(١)

وقال عُبيدُ بن أُمَيَّة الضَّبِّي ، واستَبَّ هو والحارث بن بُيَّيَّة المُجَاشَعِي ^(٢)

عند التُّعْمَان ، فقال :

تُرى بِيوتٌ وتُرى رِمَاحٌ وَنَعَمَ مَزَنَمٌ سِحَاحٌ ^(٣)

ومنطقٌ ليس له نِجَاحٌ يَاقَصِباً طَارَ بِهِ الرِّيَاحُ ^(٤)

* وَأَذْرَعاً لَيْسَتْ لَهَا أَلْوَاخُ ^(٥)

وقال قيس بن الخطيم :

وبعض القول ليس له حِصَاةٌ كَمَخْضِ الْمَاءِ لَيْسَ لَهُ إِتَاءٌ ^(٦)

وهذا شبيهه بقوله ^(٧) :

كُسَالَى إِذَا لَاقَيْتَهُمْ غَيْرَ مَنْطِقٍ يُلْهِى بِهِ الْمَتَبُولُ وَهُوَ عَنَاءٌ

وقال أبو ثَمَامَةَ :

أَخَاصِصُهُمْ مَرَّةً قَائِماً وَأَجْتَوْ إِذَا مَا جَعَلُوا لِلرُّكَبِ ^(٨)

إِذَا مَنْطِقٌ قَالَهُ صَاحِبِي تَعَقَّبَتْ آخَرَ ذَا مُعْتَقَبٍ

(١) هو الحصين بن ضرار الضبي، والدزيد الفوارس. حواشي الحماسة بشرح المرزوقي ٥٥٧ بتحقيقنا.

(٢) ما عدا هـ : « الحارث بن شيبه » ، وفي هـ : « بن نبيه » تحريف ، صوابهما من الاشتقاق

١٤٧ . قال : « والبيبة : المنصب الذي ينصب منه الماء إذا أفرغ من الدلو في الحوض » .

(٣) المزمن : صغار الإبل . والسحاح بالكسر والضم : السَّمان .

(٤) جعلهم كالقصب الأجوف الخوار .

(٥) الألواح من الجسد : كل عظم فيه عرض .

(٦) الحصاة : العقل والرأى . والإتاء هنا : الزيد . والبيت في ديوانه ٢٧ واللسان (أتي) . وانظر

ما سبق في (١ : ٢٠٣) .

(٧) سبق البيت في (١ : ٩) منسوباً للمكبر الضبي برواية أخرى .

(٨) البيتان من أبيات اختارها أبو تمام في الحماسة (١ : ٢٢٥) . المخاصمة : المنازعة والمغالبة .

والمجاثاة في القتال من أساليبهم .

وقال الشمّاخ :

ومرتبة لا تُستطاع ، بها الردى تركتُ بها الشكّ الذى هو عاجز^(١)

ويروى :

* تلافى بها حلمى عن الجهل حاجز *

◦

(١) ما عدل : « لا يستطاع » . والبيت ملفق من بيتين فى ديوانه ٤٣ . وهما :

ومرتبة لا يستقال بها الردى تلافى بها حلمى عن الجهل حاجز
وعوجاء مجذام وأمر صرمة تركتُ بها الشكّ الذى هو عاجز

باب من الكلام المحذوف

ثم نرجع بعد ذلك إلى الكلام الأول :

هَاشِمٌ ^(١) ، عن يونس ، عن الحسن يرفعه ، أَنَّ المهاجرين قالوا : يا رسول الله ، إِنَّ الْأَنْصَارَ قَدْ فَضَّلُونَا بِأَنْهُمْ آوَوْا وَنَصَرُوا ^(٢) ، وَفَعَلُوا وَفَعَلُوا . قال النبي عليه السلام : أتعرفون ذلك لهم ؟ قالوا : نعم . قال : « فَإِنَّ ذَاكَ ^(٣) » . ليس في الحديث غير هذا . يريد : إِنَّ ذَاكَ ^(٤) شكرٌ ومكافأة .

قال : وَكَلَّمْ رَجُلٌ مِنْ قَيْسِ عَمْرِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ فِي حَاجَةٍ ، وَجَعَلَ يَمْتُ بِقِرَايَةٍ ، فَقَالَ عَمْرٌ : « فَإِنَّ ذَاكَ » . ثم ذكر حاجته فقال : « لَعَلَّ ذَاكَ » . لم يزدْهُ عَلَى أَنْ قَالَ : فَإِنَّ ذَاكَ ، وَلَعَلَّ ذَاكَ . أَيْ إِنَّ ذَاكَ كَمَا قُلْتَ ، وَلَعَلَّ حَاجَتَكَ تُقْضَى ^(٥) . وقال : عَبْدُ اللَّهِ بْنُ قَيْسٍ ^(٦) :

(١) سبقت ترجمته وترجمة شيخه في ص ٢٢٠ من هذا الجزء .

(٢) ل : « آوَوْنا وَنَصَرُونَا » . وما في اللسان (١٧ : ١٧٦) يوافق ما في ل .

(٣) ل : « ذَلِكَ » .

(٤) ل : « ذَلِكُمْ » .

(٥) ما عدا ل : « أَنْ تُقْضَى » .

(٦) التزم المجاحظ أن يذكره باسم « عبد الله » . وكان لقيس ولدان : عبد الله وعبيد الله . واختلفا في الشاعر منهما . فقال ابن قتيبة والمبرد « في الكامل » : هو عبد الله . وقال المرزباني في « معجمه » : هو عبيد الله ، بالتصغير . قال : ومن الرواة من يقول الشاعر عبد الله ، وهو خطأ . وقال ابن السيد فيما كتب على الكامل : ذكر المبرد أن اسمه عبد الله بن قيس . وكذلك قال فيه ابن سلام ، والمجاحظ ، وابن قتيبة . وقال غيرهم : هو عبيد الله . حكاه أبو عبيد عن الأصمعي وغيره ، ومنهم الكلبي . وكذلك قال المصعب الزيري في أنساب قريش . هذا ما كتبه البغدادى في تحقيق الاسم . وأضيف إليه أن أبا الفرج رواه بالتصغير ، وكتب ترجمة مسهبة له في الأغاني (٤ : ١٥٤ - ١٦٦) . وأما البغدادى فقد ترجم له وكتب تحقيقاً مسهباً فيمن لقبه « الرقيات » فهو الشاعر أم أبوه ، كما ذكر سبب هذا اللقب . انظر الخزائنة (٣ : ٢٦٦ - ٢٦٩) وكذا ابن قتيبة في الشعراء . وكان ابن قيس الرقيات زيرى الهوى ، خرج مع مصعب على عبد الملك ، وظل عبد الملك يطلبه حتى قبض عليه ، ثم أَمَنَهُ .

بَكَرْتُ عَلَى عَوَازِلِي يَلْحَيْنِنِي وَالْوُمُهْنَةُ^(١)

وَيُقْلَنُ : شَيْبٌ قَدْ عَلَا لَكَ وَقَدْ كَبُرْتَ ، فَقُلْتُ : إِنَّهُ

وقال الأسدي^(٢) لعبد الله بن الزبير : لَا حُمِلْتُ نَاقَةً حَمَلْتَنِي إِلَيْكَ !

قال ابن الزبير : « إِنَّ وَرَاقِبَهَا^(٣) » .

- ٥ عبد الرحمن بن مهدي ، عن سفيان ، عن أبي هاشم القاسم بن كثير^(٤) ، عن قيس الخارقي^(٥) إنه سمع علياً يقول : « سبق رسول الله ﷺ وصلي أبو بكر ، وثلاث عمر^(٦) ، وخبطتنا فتنة فما شاء الله » . ليس في الحديث أكثر من هذا .

ولما كتب أبو عبيدة إلى عمر جواب كتاب عمر في أمر الطاعون ، فقرأ

- ١٠ عمر الكتاب واسترجع ، فقال له المسلمون : مات أبو عبيدة ؟ قال : « لا وكأن قد » .

(١) البيتان في ديوانه ١٤١ - ١٤٢ والخزانة (٤ : ٤٨٥) واللسان (١٦ : ١٧٢) .

(٢) هو فضالة بن شريك الأسدي ، مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام . أو ابنه عبد الله بن فضالة .

انظر الإصابة ٧٠٢١ . واللسان (١٦ : ١٧٢) .

- ١٥ (٣) إن هنا حرف جواب بمعنى « نعم » . وقص الخبر في اللسان : « أنه لقي ابن الزبير فقال : إن ناقتي قد نعب خفها فاحملني . فقال : ارفعها بجلد ، واخضفها بهلب ، وسر بها البردين . فقال فضالة : إنما أتيتك مستحملاً لا مستوصفاً . لاحمل الله ناقة حملتني إليك ! فقال ابن الزبير : إن وراقبها » .
- (٤) هو أبو هاشم القاسم بن كثير الخارقي الهمداني ، أحد الثقات ، روى عن قيس الخارقي ، وأبي البحرى الطائي ، وعنه : سفيان الثوري ، ومطرف بن طريف . تهذيب التهذيب . والخارقي . نسبة إلى خارف ، وهو لقب مالك بن عبد الله ، والد قبيلة من همدان القاموس (خرف) .
- ٢٠

(٥) سبق الكلام على هذه النسبة في الترجمة السالفة . وفيما عدال ، هـ : « الخارجي » ، وهو

قيس بن سعد الخارقي ، تابعي ، روى عن علي ، وعنه : أبو القاسم بن كثير . تهذيب التهذيب .

(٦) صلى : أتى مصلياً . والمصلي في الحلبة : الذي يلج السابح .

وقال النابغة :

أَزِفَ التَّرْحُلُ غَيْرَ أَنَّ رَكابَنَا لَمَّا تَزُلْ بِرَحَالِنَا وَكَأَنَّ قَدِ
وَأَنشَدَ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ :

إِذَا قِيلَ أَعْمَى قُلْتُ إِنَّ ، وَرَبِّمَا أَكُونُ ، وَإِنِّي مِنْ فَتَى لَبْصِيرُ
إِذَا أَبْصَرَ الْقَلْبُ الْمَرْوَةَ وَالتَّقَى فَإِنْ عَمَى الْعَيْنِينَ لَيْسَ يَضِيرُ
وَإِنَّ الْعَمَى أَجْرٌ وَذُخْرٌ وَعِصْمَةٌ وَإِنِّي إِلَى هَذِي الثَّلَاثِ فَقِيرُ

ابن أبي الزناد (١) قال : كنتُ كاتباً لعمر بن عبد العزيز ، فكان يكتب
إلى عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب في المظالم فيُراجعها ، فكتب
إليه : « إِنَّهُ يُخَيَّلُ إِلَى آتِي لَوْ كَتَبْتُ إِلَيْكَ أَنْ تَعْطَى رَجُلًا شَاةً لَكَتَبْتُ إِلَيَّ :
أَضَانُ أَمْ مَاعَزُ ؟ وَإِنْ كَتَبْتُ إِلَيْكَ بِأَحَدِهِمَا كَتَبْتُ إِلَيَّ : أَذْكَرُ أَمْ أَثْنَى ؟ وَإِنْ
كَتَبْتُ إِلَيْكَ بِأَحَدِهِمَا كَتَبْتُ إِلَيَّ : أَصْغِيرُ أَمْ كَبِيرُ ؟ فَإِذَا أَتَاكَ كِتَابِي فِي مَظْلَمَةٍ
فَلَا تَرَا جَعْنِي . وَالسَّلَامُ » .

وقال عمر بن الخطاب رحمه الله : « إِنِّي لِأَسْتَعِينُ بِالرَّجُلِ الَّذِي فِيهِ » (٢) .
ليس في الحديث غير هذا . ثم ابتدأ الكلام فقال : « ثُمَّ أَكُونُ عَلَى قَفَائِهِ » (٣) إِذَا
كَانَ أَقْوَى مِنَ الْمُؤْمَنِ الضَّعِيفِ وَأَرَدَ (٤) . وَهُوَ قَوْلُ الْأُسْدِيِّ (٥) :
سَوِيْدٌ فِيهِ ، فَابْعُونَا سِوَاهُ أَبِينَاهُ وَإِنْ بَهَّاهُ تَا جُ (٦)

(١) هو عبد الرحمن بن أبي الزناد عبد الله بن ذكوان . ترجم والده عبد الله في ص ٢٤٧ . وأما
هو فكان كثير التحديث ، حدث بالمدينة وبغداد ، وولى خراج المدينة فكان يستعين بأهل الخير والورع .
ولد سنة ١٠٠ وتوفي ببغداد ١٧٤ . تهذيب التهذيب وتاريخ بغداد ٥٣٥٩ .

(٢) في اللسان (قفف) : « وفي حديث عمر أن حذيفة - رضى الله عنهما - قال له : إنك
تستعين بالرجل الفاجر ! فقال : إِنِّي لِأَسْتَعِينُ بِالرَّجُلِ لِقَوْتِهِ ثُمَّ أَكُونُ عَلَى قَفَائِهِ » .

(٣) ب ، ج : « عَلَى قَفَائِهِ » صوابه في ل ، هـ : « وَالتَّيْمُورِيَّةُ وَاللِّسَانُ . أَيْ أَكُونُ عَلَى تَتَبِيعِ أَمْرِهِ
حَتَّى اسْتَقْصَى عِلْمَهُ وَأَعْرِفَهُ . فَكَفَايَتِهِ لِي تَنْفَعَنِي ، وَمِرَاقِبَتِي لَهُ تَمْنَعُهُ مِنَ الْخِيَانَةِ » .

(٤) أَرَدَ : أَنْفَع . مَاعِذُ ل ، هـ : « الضَّعِيفُ وَأَرَادَ هُوَ قَوْلُ الْأُسْدِيِّ » ، تَحْرِيفٌ .

(٥) أَيْ مِثْلُهُ وَشَبِيهِهِ .

(٦) بَغَاهُ الشَّيْءُ : طَلَبَهُ لَهُ .

ولم يُقَل : فيه كذا وفيه كذا . وقال الرَّاجِز ^(١) :

بِتْنًا بِحَسَّانَ وَمِعْزَاهُ تَتَطَّ ^(٢) فِي سَمَنِ جَمٍّ وَتَمْرِ وَأَقْط ^(٣)

حَتَّى إِذَا كَادَ الظَّلَامُ يَنْكَشِيطُ جَاءَ بِمَذْقٍ هَلْ رَأَيْتَ الذُّبَّ قَطَّ ^(٤)

وقيل للمتتبع بن نَبْهَان ^(٥) ، أو لأبي مَهْدِيَّة ^(٦) : ما التَّضَنُّاضُ ؟

فأخرج طَرْفَ لِسَانِهِ وَحَرَّكَه .

وقيل له : ما الدَّلَّنْطَى ؟ فَزَحَرَ وَتَقَاعَسَ وَفَرَّجَ مَا بَيْنَ مَنْكِبَيْهِ .

ومن الكلام كلامٌ يذهب السامع منه إلى معاني أهله ، وإلى قَصْدِ

صاحبه ، كقول الله تبارك وتعالى : ﴿ وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ

بِسُكَارَى ﴾ . وقال : ﴿ لَا يُمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَا ﴾ . وقال : ﴿ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ

كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ ﴾ . وسئل المفسر عن قوله : ﴿ لَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً

وَعَشِيًّا ﴾ فقال : ليس فيها بكرة ولا عشي . وقال لنبيه ﷺ : ﴿ فَإِنْ كُنْتُ فِي

شَكٍّ مِمَّا أُنْزِلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ ^(٧) . قالوا : لم يشكَّ

ولم يسأل ^(٨) .

(١) ذكر البغدادى فى الخزنة (١ : ٢٧٧) أن هذا الرجز لم ينسبه أحد من الرواة . وقيل : قائله العجاج .

وانظر الكامل ٥١٨ ليسك وشرح شواهد المغنى للسيوطى ٢١٤ وأمالى ابن الشجرى (٢ : ١٤٩) .

(٢) بحسان ، أى عند حسان . تتط : تصوت أجوافها من الجوع .

(٣) السمن ، بسكون الميم ، وفتحها هنا للضرورة . والجم : الكثير . والأقط : اللبن المخيض

يطبخ ثم يترك حتى يمتلئ . يقول : هو مع وفرة ماعنده يخيل شحيح .

(٤) يروى أيضاً : « جاءوا » . والمذق : بالفتح : اللبن الممزوج بالماء .

(٥) المتتبع بن نبهان ، أحد الأعراب الذين روى عنهم الأصمعى . انظر الحيوان (٣ : ٣٤١) .

(٦) أبو مهديّة الأعرابى - ويقال أبو مَهْدَى - أحد فصحاء الأعراب الذين روى عنهم

البصريون ، واختار له الأصمعى قصيدة فى الأصمعيّات ٦٧ ليسك . قال ابن النديم ٦٩ : « وكان يبيع

به المرة فى كل سنة مديدة » .

(٧) من الآية ٩٤ من يونس . وقراءة « فسل » هى قراءة ابن كثير والكسائى وخلف . وقرأ

الجمهور : « فاسأل » . إتحاف فضلاء البشر ٢٥٤ . وهى رواية ما عدا ل .

(٨) ما عدا ل : « ولم يسأل » .

- وقال عمر بن الخطاب رحمه الله في جواب كلامٍ قد تقدّم وقولٍ قد سلف منه: « مُتَعَتَانِ كَانَتَا عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَا أَنَهَى عَنْهُمَا وَأَضْرَبَ عَلَيْهِمَا ^(١) ». وهذا مِثْلُ قَائِلٍ لَوْ قَالَ : أَتَضَرُّنَا عَلَى الْكَلَامِ فِي الصَّلَاةِ ، وَعَلَى التَّطْبِيقِ إِذَا رَكَعْنَا ^(٢) ، فيقول : نعم أَشَدَّ الضَّرْبِ . إِذَا كَانَ قَدْ تَقَدَّمَ مِنْهُ إِعْلَامُهُ إِيَّاهُمْ بِحَالِ النَّاسِخِ وَالْمَنْسُوخِ ^(٣) .
- ٥ .
- وقد سأل رجل بلالاً مولى أُنَى بكرٍ رحمه الله ^(٤) وقد أقبل من جهة ٤١
الحلبة ، فقال له : من سَبَقَ ؟ قال : سَبَقَ الْمُقَرَّبُونَ . قال : إِنَّمَا أَسْأَلُكَ عَنِ الْخَلِيلِ . قال : وَأَنَا أَجِيبُكَ عَنِ الْخَيْرِ . فترك بلالٌ جوابَ لفظه إلى خَيْرٍ هو أَنْفَعُ لَهُ .
- حدثني عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ شَيْبَانَ ، قال : حدثني يعقوب بن الفضل الهاشمي ،
قال : كتب أَبُو جَعْفَرٍ إِلَى سَلَمٍ ^(٥) يَأْمُرُهُ بِهَذَا دُورٍ مَنْ خَرَجَ مَعَ إِبْرَاهِيمَ ، وَعَقَرِ ١٠

(١) الحديث في الحيوان (٤ : ٢٧٦) . والمتعتان هما متعة النساء ومتعة الحج ، كما جاء هذا الخبر مفصلاً في كتاب العباسية من رسائل الجاحظ ٣٠٢ الرحمانية . أما متعة النساء فهي ما يسميه الفقهاء نكاح المتعة ، وهو الزواج بأجل مسمى في العقد ، كيوم ، أو شهر ، أو سنة ، أو سنوات . وكان ذلك مباحاً في أول الإسلام . وفيه نزل قول الله : « فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً » ، ثم نسخ ذلك بنهى الرسول . وأما متعة الحج فهو ما يعرف بالتمتع . وعنى عمر تحريمها على سكان مكة ، إذ قيل في حديث آخر : « لَيْسَ لِأَهْلِ مَكَّةَ تَمَتُّعٌ وَلَا قِرَانٌ » . وقد عنى الجاحظ أن كلام عمر ليس على ظاهره ، بل المراد أنهما كانتا على عهد رسول الله ، وحرمتا أيضاً في عهد رسول الله . وكذلك قوله « أَنَا أَنَهَى عَنْهُمَا » فالمراد : أَنَا أَنَهَى عَنْهُمَا كَمَا نَهَى الرَّسُولُ .

(٢) التطبيق : أن يجمع بين أصابع يديه ويجعلهما بين ركبتيه في الركوع والتشهد . وقد كان ذلك من فعل المسلمين في أول ما أمروا بالصلاة ، ثم أمروا بإلزام الكفين رأس الركبتين . انظر اللسان (طبع) .

(٣) انظر الحيوان (٤ : ٢٧٧) .

(٤) بلال هذا ، هو بلال المؤذن ، واسمه بلال بن رباح الحبشي ، ويقال أيضاً بلال بن حمامة ، وحمامة أمه . اشتراه أبو بكر من المشركين إنقاداً له من التعذيب ، ثم أعتهق ، فلزم النبي ﷺ وأذن له ، وشهد جميع المشاهد ، وأخى الرسول بينه وبين أنى عبدة بن الجراح . توفي في طاعون عمواس سنة ١٨ .

٢٥ الإصابة ٧٣٢ . وسيأتي الخبر في (٣ : ١٦٠) منسوباً إلى عامر بن عبد قيس ، كما في عيون الأخبار (٢ : ٣٧)

(٥) هو سَلَمٌ بن قتيبة المترجم في (١ : ١٧٤) .

- نخلهم قال : فكتب إليه سَلَم : بأيّ ذلك نبدأ ؟ بالدُّور أم بالتَّحُل ؟ قال :
فكتب إليه أبو جعفر : « أَمَّا بَعْدُ فَإِنِّي لَوْ كَتَبْتُ إِلَيْكَ بِإِفْسَادِ ثَمَرِهِمْ لَكَتَبْتُ إِلَى
تَسْتَأْذِنِي بِأَيِّهِ نَبْدًا بِالْبَرْنِيِّ أَمْ بِالشُّهْرِيِّ ^(١) ؟ » . وعزله ووَلَّى مُحَمَّدَ بْنَ سَلِيمَانَ .
وقال ابن مسعود : « إِنَّ طُولَ الصَّلَاةِ وَقِصْرَ الْخُطْبَةِ مِثْنَةٌ مِنَ فِقْهِ الرَّجُلِ » .
مِثْنَةٌ كَقَوْلِكَ : مَخْلَقَةٌ وَمَجْدَرَةٌ وَمَحْرَاةٌ . قال الأصمعيّ : مِثْنَةٌ : علامة .
وقال عبد الله : « عَلَيْكُمْ بِالْعِلْمِ ؛ فَإِنْ أَحَدَكُمْ لَا يَدْرِي مَتَى يُحْتَلُّ إِلَيْهِ ^(٢) » .
ولما أقدم عمرُ بْنُ الخطابِ عَمَرُو بْنُ العاصِ عليه من مصر قال له عُمَرُ :
« لَقَدْ سِيرْتَ سَيْرَ عَاشِقٍ ^(٣) » . قال عمرو : « إِنِّي وَاللَّهِ مَا تَأَبَّطُنِي الْإِمَاءُ ،
وَلَا حَمَلْتُنِي الْبَغَايَا فِي غُفَرَاتِ الْمَالِ ^(٤) » . قال له عُمَرُ : « وَاللَّهِ مَا هَذَا بِجَوَابِ
الكَلَامِ الَّذِي سَأَلْتُكَ عَنْهُ ، وَإِنَّ الدَّجَاجَةَ لَتَفْخَصُ فِي الرَّمَادِ فَتَضَعُ لَغَيْرِ الْفَحْلِ ،
وَالْبَيْضَةُ مَنْسُوبَةٌ إِلَى طَرَقِهَا ^(٥) » . وقام عمر فدخل وقام عمرو فقال : لقد
أفحشَ أميرُ المؤمنين علينا .
وجاء في الأثر : « لَا يُمْنَعُ فَضْلُ الْمَاءِ لِيُمنَعَ بِهِ فَضْلُ الْكَلَاءِ ^(٦) » .
قال الأعراي : اللهم لَا تُنْزِلْنِي مَاءً سَوِيًّا فَأَكُونَ امْرَأً سَوِيًّا ^(٧) .

- ١٥ (١) البرني : ضرب من التمر أصفر مدور ، وهو أجود التمر : قال أبو حنيفة : أصله فارسي ، إنما
هو البارقي . فالبار الحمل ، و « نى » تعظيم ومبالغة . والشهريز : ضرب من التمر ، معرب أيضاً ، وهو
بكسر الشين وضمها ، وأنكر بعضهم الضم . ويقال كذلك شهريز بكسر السين المهملة .
(٢) هذا الصواب من هـ . يحتل إليه : يحتاج إليه . ل : يحتل ، وسائر النسخ : « يخيل » .
(٣) في حواشي هـ : « يعنى سيرا سريعا » .
٢٠ (٤) المالى : جمع مثلاة ، وهى خرقه الخائض . وغبراتها : بقاياها .
(٥) الطرق ، بالفتح : الفحل . ب ، ج : « طرفها » ، التيمورية : « ظرفها » تحريف . والخبر
منثور في اللسان (غير ، ألى ، طرق) .
(٦) معناه أن البئر تكون في البادية ، ويكون قريباً منها كلاً ، فإذا ورد عليها وارد فغلب على مائها
ومنع من يأتي بعده من الاستقاء منها ، فهو يمنع الماء مانع من الكلاء ، لأنه متى ورد رجل بإبله فأراعها
ذلك الكلاء ثم لم يسقها قتلها العطش . فالذى يمنع ماء البئر يمنع النبات القريب منه . انظر اللسان (كلاء) .
٢٥ وأخرجه البخارى في كتاب الحيل .
(٧) سبق الخبر في (١ : ٤٠٥) .

وقال بلعاء بن قيس (١) :

وَمَكَانٌ فِي آلِ الْمُلُوحِ مِنْ فَتَى مُنَادَى مَفْدَى حِينَ تُبْلَى سِرَائِرُهُ
وَمَكَانٌ فِي آلِ الْمُلُوحِ مِنْ فَتَى يُجِيبُ خَطِيئاً لَا تُخَافُ عَوَائِرُهُ (٢)
وقال الآخر (٣) :

وَمُخَاصِمٌ قَاوَمَتْ فِي كَيْدٍ مِثْلُ الدَّهَانِ فَصَارَ لِي الْعَذْرُ (٤)
وقال آخر :

وَجَهٌ قَبِيحٌ وَلِسَانٌ أَبْكُمُ وَمِشْفَرٌ لَا يَتَوَارَى أَضْجَعُمُ (٥)

ولما رأى الفرزدق دُرُسْتَ بنَ رِبَاطِ الْفُقَيْمِيِّ (٦) على المنبر - وكان أسود
دَمِيماً قَصِيراً - قال :

بَكَى الْمَنْبَرُ الشَّرْقِيُّ إِذْ قَامَ فَوْقَهُ أَمِيرٌ فُقَيْمِيٌّ قَصِيرُ الدَّوَارِجِ (٧)
وقال :

بَكَى الْمَنْبَرُ الشَّرْقِيُّ وَالنَّاسُ إِذْ رَأَوْا عَلَيْهِ فُقَيْمِيّاً قَصِيرَ الْقَوَائِمِ
وَلِنَّمَا كَانَ يِعَادِي بَنِي فُقَيْمٍ لَأَنَّهُمْ قَتَلُوا أَبَاهُ غَالِباً .

قال أبو عبيدة : قال رجل ليونس بن حبيب (٨) : إذا أخذتم في مذاكرة

(١) ترجم في ١٨٥ .

(٢) ما عدا هـ : « لا يخاف » .

(٣) هو مسكين الدارمي ، كما في سبط اللآل ١٨٦ - ١٨٧ واللسان (عذر) .

(٤) الكيد : الشدة والمشقة . والدهان بالدال كما في السمت وحواشي هـ عن نسخة . وفي صلب هـ وجميع النسخ : « الزهان » تحريف . والدهان : جلد أحمر لا تثبت فيه الأقدام للمسته . أى قاومته في مقام مزلة فثبتت قدمي فيه . والعذر هنا : النجس ، كما في اللسان (عذر) عند إنشاد البيت .

(٥) أضجم : مائل : ما عدل ، هـ : « أضجم » تحريف .

(٦) ذكر في القاموس أنه كان شاعراً . وفي ديوان الفرزدق ١٤٢ أن الشعر يقوله محمد بن رباط الفقيمي . واستعمله ابن هبيرة على البصرة ، فلما صعد المنبر قال : يا بني تميم ، اتقوا الله وكونوا كما قال الله في كتابه : انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً . فقال له بعض أصحابه : ليس هذا قول الله ، إنما هذا شعر . قال : اسكت ، فمن قاله فقد أحسن وأجمل ! ورباط ، بالباء الموحدة ، ووردت في هـ « رباط » ، بالمشناة .

(٧) الدوارج : جمع دارجة ، وهى الأرجل . وفي اللسان (درج) : « أن قام فوقه خطيب » .

(٨) ترجم في (١ : ١٧٤) .

- الحديث وَقَعَ عَلَى النَّعَاسِ . قَالَ : فَاعْلَمْ أَنَّكَ حِمَارٌ فِي مِسْلَاحِ إِنْسَانٍ ^(١)
- قال : ودخل عبد الله خازم ^(٢) على عُبيد الله بن زيادٍ وهو يَخْطِرُ في مِشِيَّتِهِ ، فقال للمنذر بن الجارود : حَرِّكْهُ . فقال : يا ابن خازم ، إِنَّكَ لتَجُرُّ ثَوْبَكَ كَمَا تَجُرُّ الْبَغْيُ ذَيْلَهَا . قال : أَمَا وَاللَّهِ لَأُنْفِذَ بِالسَّرِيَّةِ ، وَأَضْرِبُ هَامَةَ الْبَطْلِ الْمُشِيحِ ^(٣) ، وَلَوْ كُنْتُ وَرَاءَ هَذَا الْحَائِطِ لَوَضَعْتُ أَكْثَرَ شَعْرًا ^(٤) .
- وقد كان قبض عطاءه فَصَبَّهُ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ قَالَ : لَعَنَكَ اللَّهُ مِنْ دِرَاهِمٍ ، مَا تَقُومِينَ بِمُؤُونَةِ خَيْلِنَا !
- وقال عليُّ بن أبي طالب رضى الله عنه : خذ الحكمة أَنَّى أَتَيْتَ ؛ فَإِنَّ الْحِكْمَةَ تَكُونُ فِي صَدْرِ الْمَنَافِقِ فَتَتَلَجَّلِجُ فِي صَدْرِهِ حَتَّى تَخْرُجَ فَتَسْكُنَ إِلَى صَوَاحِبِهَا ^(٥) .
- وقال عمرو بن العاص لأهل الشام يوم صِفِّينَ ^(٦) : « أَقِيمُوا صَفُوفَكُمْ مِثْلَ قَصِّ الشَّارِبِ ، وَأَعِيرُونَا جَمَاعَتَكُمْ سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ ، فَقَدْ بَلَغَ الْحَقُّ مَقْطَعَهُ ، وَإِنَّمَا هُوَ ظَالِمٌ أَوْ مَظْلُومٌ » .
- وقال علي بن أبي طالب رضى الله عنه يومئذ ^(٧) : « عَضُّوا عَلَى التَّوَاجِذِ مِنَ الْأَضْرَاسِ ^(٨) ، فَإِنَّهُ أَتَيْنِي لِلسُّيُوفِ عَنِ الْهَامِ » .
- وقال رجل : طَدَّ رَجُلَكَ إِذَا اعْتَصَبْتَ بِالسَّيْفِ وَالْعَصَا ^(٩) ، وَأَنْتَ مُخَيَّرٌ فِي رَفْعِهَا سَاعَةَ الْمَسَالِمَةِ وَالْمَوَادَعَةِ .

(١) المِسْلَاحُ : الجُلْد . والخَيْرُ فِي عَيُونِ الْأَخْبَارِ (٢ : ١٢٠) .

(٢) تَرْجَمَ فِي ص ١٠٨ .

(٣) الْمُشِيحُ : الْحَازِمُ الْحَذَرُ .

(٤) يَعْنِي بِذَلِكَ رَأْسَهُ .

(٥) مَا عَدَالَ : « صَاحِبِهَا » .

(٦) الْخُطْبَةُ فِي وَقْعَةِ صَفِّينَ لِنَصْرِ بْنِ مِرْزَاحِمٍ ٢٥١ .

(٧) الْخُطْبَةُ فِي وَقْعَةِ صَفِّينَ ص ٢٦٤ - ٢٦٥ .

(٨) التَّوَاجِذُ : أَقْصَى الْأَضْرَاسِ ، وَهِيَ ضُرُوسُ الْحِلْمِ .

(٩) وَطَدَّ رَجُلَهُ يَطْدُهَا : أَثْبَتَهَا وَثَقَلَهَا . وَاعْتَصَى بِالسَّيْفِ : أَخَذَهُ أَخَذَ الْعَصَا ، وَضَرَبَ بِهِ ضَرَبَهُ بِهَا .

ولما أقاموا ابن قميئة ^(١) بين العُقايين قال له أبوه : طِد رجلك بالأرض ^(٢) ، وأصِرَّ إصرارَ الفرس ، واذكر أحاديث غِد ، وإِيَّاكَ وَذَكَرَ اللَّهُ فِي هَذَا الْمَوْضِع ، فَإِنَّهُ مِنَ الْفُشْلِ .

قال : وقيل للحجاج : مَنْ أخطب الناس ؟ قال : صاحب العمامة السوداء بين أخصاص البصرة ^(٣) . يعني الحسن .

وقال الأحنف : قال عمر : تفقَّهوا قبل أن تُسودُّوا . وقال عمر : احذرو من فَلَائِتِ الشَّبابِ كُلِّ ما أَوْرَثَكَ النَّبِيَّزَ وَأَغْلَقَكَ اللَّقَبَ ^(٤) ؛ فَإِنَّهُ إِنْ يَعْظُمَ بَعْدَهَا شَأْنُكَ يَشْتَدَّ عَلَى ذَلِكَ نَدَمُكَ .

ولما بنى عُتْبَةُ بْنُ غَزْوَانَ وَأَصْحَابُهُ بِالْبَصْرَةِ بِنَاءَ اللَّيْلِ ، كَتَبَ إِلَيْهِمْ عُمَرُ : « قَدْ كُنْتُ أَكْرَهُ لَكُمْ ذَلِكَ ^(٥) فَإِذَا فَعَلْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ فَعَرَّضُوا الْحَيَّاطَانَ ، وَارْفَعُوا السَّمَكَ ، وَقَارِبُوا بَيْنَ الْخُشْبِ » . وَلَمَّا بَلَغَهُ أَنََّّهُمْ قَدْ اتَّخَذُوا الضِّيَاعَ وَعَمَرُوا الْأَرْضَ كَتَبَ إِلَيْهِمْ : « لَا تَنْهَكُوا وَجْهَ الْأَرْضِ ، فَإِنَّ شَحْمَتَهَا فِيهِ » .
وقال عمر : « بَعِ الْحَيَّوَانَ أَحْسَنَ مَا يَكُونُ فِي عَيْنِكَ » : وقال : « فَرَّقُوا بَيْنَ الْمَنَايَا ، وَاجْعَلُوا الرَّأْسَ رَأْسِينَ » .

وقال : « اَمْلِكُوا الْعَجِينَ فَإِنَّهُ أَحَدُ الرَّيَعِينَ ^(٦) » .
وقال : « إِذَا اشْتَرَيْتَ بَعِيرًا فَاجْعَلْهُ ضَحْمًا ؛ فَإِنَّهُ إِنْ أَخْطَاكَ خُبِرَ لَمْ يَخْطُطْكَ سُوقٌ » .

(١) ابن قميئة هذا ليس هو عمرو بن قميئة ، ولعل في اسمه تحريفاً .

(٢) ما عدل ، هـ : « الأرض » تحريف .

(٣) الأخصاص : جمع خص ، بالضم ، وهو بيت من شجر أو قصب ، أو بيت يسقف عليه نخشة على هيئة الأرج .

(٤) النبيز ، بالتحريك : اللقب ، ويكثر النبيز فيما يكون ذماً .

(٥) بعده سقط في التيمورية ينتهي إلى منتصف صفحة ٢٩٠ .

(٦) ملك العجين يمكنه ملكاً بالفتح ، إذا شدد عجنه . والربع : الزيادة .

وقال عمر : « العمائم تيجان العرب » . وقال : « نعم المُسْتَنَد الاحتباء » .

وقال رسول الله ﷺ : « الناس كالإبل ، ترى المائة لا تجد فيها راحلة ^(١) » .

وأنشدوا :

وكأن من زهر الخُزامى والتدى والأقحوان عليه رِيطَة بُرُسي ^(٢)

فإذا ترنّم حوله ذبائنه أصغى تسمع خائف متوجّس ^٥

خرجت عليه من الضراءِ دواجنٌ تحتُ نحو ملاذٍ وإن أشوس ^(٣)

يسعى ويمثل والصفيّرُ كلامه ونحى يدها لهنّ ونحى الأخرس ^(٤)

وقال الراعى :

أبا خالد لا تنبذن نصاحه كوحى الصفا خطّ لكم فى فؤاديا ^(٥)

وقال الشاعر :

رُبَّ طَرَفٍ مُصَرِّحٍ عن ضَمِيرٍ بما هَجَسَ

وقال آخر :

(١) الراحلة من الإبل : القوى على الأسفار والأحمال ، التى يختارها الرجل على النجاة وتمام الخلق وحسن المنظر . ويروى : « تجدون الناس بعدى كإبل مائة ، ليس فيها راحلة » .

(٢) الرِيطَة : الملاية إذا كانت قطعة واحدة . والبرنس : كل ثوب رأسه منه ملتزق به . والأبيات فى صفة ثور . يقول : ذلك الثور المتوارى بين ذلك الزهر وقد تساقط الندى عليه كأنما ليس برنسا موشيا .

(٣) الضراء : جمع ضرر بالكسر ، وهو الضارى من السباع والكلاب . والدواجن ذوات الإلف ، عنى بها كلاب الصيد . تحت : تسرع ، وهو مطاوع استحنه واحتنه . والملاذ : الملجأ . والأشوس : الذى ينظر بمؤخر العين تكبرا أو غيظا . ل : « نحو ملاوسى » ، تحريف .

(٤) يمثل : يقف . يقول : هو يداول بين السعى والانتظار . يعنى الصائد . ب : « يسعى يمثل » . حد يسعى يمثل : « وحى يحى : أشار يشير » .

(٥) النصاحه ، بفتح النون : النصيح والإخلاص . ماعدا ل ، هـ : « لا تنبذنا » ، فصاحه تحريف . الوحى : الكتابة ها هنا . أى كتلك الكتابة الثابتة فى ذاك الحجر .

* بِلَحْنِ الْقَوْلِ وَالطَّرْفِ الْفَصِيحِ *

وقال المنقَّبُ العبدِيُّ ، في استماعِ الثورِ وتوجُّسِهِ وَجَمْعِ بَالِهِ إِذَا أَحَسَّ بِشَيْءٍ ٤٤
من أسبابِ القانصِ ، وَذَكَرَ نَاقَةً :

كَأَنَّهَا أَسْفَعُ ذُو جُدَّةٍ يَضُمُّهُ الْقَفْرُ وَلَيْلِ سِدِّ (١)
كَأَنَّمَا يَنْظُرُ مِنْ بُرْقِعٍ مِنْ تَحْتِ رَوْقِ سَلَبٍ مَذْوَدٍ (٢)
يُصِيخُ لِلنَّبَاةِ أَسْمَاعُهُ إِصَاخَةُ النَّاشِدِ لِلْمُنَشِّدِ (٣)
وَيُوجِسُ السَّمْعَ لِنَكَرَائِهِ مِنْ خَشْيَةِ الْقَانِصِ وَالْمُؤْسِدِ (٤)

وقال بعضُ العبيد شعراً يقع في ذكرِ الخطباءِ ، وفي ذكرِ أشدِّاقِهِم وتَشَادُقِهِم :

أَعْرَكَ مَنِيَّ أَنَّ مَوْلَايَ مَزِيداً سَرِيعٌ إِلَى دَاعِي الطَّعَامِ سَرُوطُ
غَلَامٌ أَتَاهُ الدُّلُّ مِنْ نَحْوِ شِدْقِهِ لَهُ نَسَبٌ فِي الْوَاعِلِينَ بَسِيطُ (٥)
لَهُ نَحْوُ دَوْرِ الْكَاسِ إِذَا دَعَوْتَهُ لِسَانٌ كَذَلَّتِ الزَّرَاعِيَّ سَلِيطُ (٦)

وقال الأوَّلُ :

* إِنَّ سَلِيطاً كَاسِمَهُ سَلِيطُ *

- (١) الأسفع : الثور الوحشي الذي في خديه سواد يضرب إلى الحمرة قليلاً . والجدّة ، بالضم : الخطة في ظهره تخالف لونه . والسدي : ذو السدى : وهو الندى . والبيت في اللسان (مسد ، سفع ، سدا) .
(٢) شبه السُّفْعَة في وجه الثور ببرقع أسود . والروق : القرن . والسلب : الطويل . والمذود : الكثير الذود والمدافعة .
(٣) الناشد : الذي يطلب الضالة ويسأل عنها . والمنشد : المرشد إلى الضالة . ما عدل : « تصيح » .
(٤) النكرء : الدهاء والفطنة . والمؤسد : الكلاب الذي يشلى كلابه للصيد ؛ يقال آسد الكلب وأوسده : أغراه بالصيد .
(٥) ل : « أتاه الدل » بالبدال المهملة . والواعل : الذي يدخل على القوم في طعامهم وشرابهم من غير أن يدعوه . والبسيط : المبسط الممتد .
(٦) ذلق الشيء : حده . والزراعي من الرماح : الذي إذا هرّ تدافع كله .

وقال بعض العبيد في بعض العبيد :

وقد كان مفتوقَ اللّٰهَةِ وشاعراً
وأشدّقَ يَفْرِى حين لا أحدٌ يَفْرِى

وقال مَورِقُ العَبْدُ يتوعّد مولاہ (١) :

لولا عجوز قَحْمَةٌ ودَرْدُقُ
وصاحبٌ جَمُّ الحديثِ مُونِقُ

كيف الفَوَاتِ والطلوبِ مَورِقُ
شيخٌ مَغِيظٌ وسِنَانُ يَريقُ

وحنجرٌ رَحْبٌ وصوتٌ مِصْلَقُ
وشِدْقُ ضِرغامٍ ونابٌ يَخْرُقُ

وسأل رجلٌ عمر بن عبد العزيز عن الجمل وصِفَيْن فقال : « تلك دماءٌ

كف اللّٰهُ يَدِي عنها ، فلا أَحِبُّ أن أغمس لسانِي فيها » .

ويقع في باب التطبيق :

لأنتم ببيع اللّٰحِمِ أعلَمُ منكمُ بضرب السيوفِ المَرَهَفَاتِ القَوَاطِعِ ٤٥

وقال عمرو بن هُدَّاب : « إِنَّمَا كُنَّا نَعْرِفُ سُوددَ سَلَمَ بن قُتَيْبَةَ (٢) أَنَّهُ

كَانَ يَرْكَبُ وَحْدَهُ وَيَرْجِعُ فِي خَمْسِينَ » .

قال الأصمعيّ : دخل حَبِيبُ بن شَوْذَبِ الأَسَدِيّ على جعفر بن سليمان

بالمدينة ، فقال : « أَصْلَحَ اللّٰهُ الأَمِيرَ ، حَبِيبُ بن شَوْذَبِ وادُّ الصَّدْرَ ، جَمِيلُ

الذَّكْرُ ، يَكْرَهُ الزِّيَارَةَ الْمُمِلَّةَ ، والقَعْدَةَ الْمُنْسِيَّةَ (٣) » . ١٥

وفي الحديث : « زُرْ غَبًّا تَزِدْ حُبًّا » .

وقال بعضهم : عن الثَّوْرِي ، عن محمد بن عَجْلان (٤) ، عن عِيَاضِ بن

(١) سبق إنشاد الأبيات التالية في ١٥٢ .

(٢) سبقت ترجمته في (١ : ١٧٤) .

(٣) يعني الطويلة . والخبر في عيون الأخبار (٣ : ٢٤) مع خلاف . ٢٠

(٤) هو أبو عبد الله محمد بن عجلان المدني القرشي ، كان ثقة كثير الحديث له حلقة كبيرة في

مسجد رسول الله ، قدم مصر وصار إلى الإسكندرية ، وتوفي بالمدينة سنة ١٤٨ . تهذيب التهذيب

وتذكرة الحفاظ (١ : ١٥٦) .

عبد الله ^(١) قال : « إِنَّ الدِّينَ مَجْمَعٌ لِكُلِّ هَمٍّ ، هَمٌّ بِاللَّيْلِ وَذُلٌّ بِالنَّهَارِ ، وَرَايَةُ اللَّهِ فِي أَرْضِهِ ، فَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يُذَلَّ عَبْدًا جَعَلَهُ طَوْقًا فِي عُنُقِهِ ^(٢) » .

عمر بن ذَرٍّ ^(٣) قال : الحمد لله الذى جعلنا من أمةٍ تُغفر لهم السيئات ، ولا تُقبل من غيرهم الحسنات .

ابن أبى الزناد ^(٤) قال : كنا لا نكتب إلا سنةً ، وكان الزهرى يكتب كلَّ شئٍ ، فلما احتيج إليه عرفت أنه أوعى الناس .

قال : وقال فيروزُ حُصَيْنٍ ^(٥) : إذا أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يُزِيلَ عَنْ عَبْدٍ ^(٦) نعمةً كان أوَّلُ ما يغيِّرُ منه عَقْلُهُ .

وقيل لمحمد بن كعب القرظي ^(٧) : ما علامة الخذلان ؟ قال : أن يستقبح الرجلُ ما كان عنده حسناً ، ويستحسن ما كان عنده قبيحاً .

وقال محمد بن حفص ^(٨) : كُنْ إِلَى الاستماع أسرعَ منك إلى القول ، ومن خطأ القول أشدَّ حذراً من خطأ السُّكُوت .

وقال الحسن : إذا جالست العلماء فكُنْ على أن تسمع أحرصَ منك على

(١) هو عياض بن عبد الله بن سعد بن أبى سرح القرشي المكي ، روى عن ابن عمر وأبى هريرة ، وروى عنه زيد بن أسلم ، ومحمد بن عجلان ، وسعيد المقبرى . ولد بمكة ثم قدم مصر مع أبيه ثم رجع إلى مكة ، فلم يزل بها حتى مات على رأس المائة . تهذيب التهذيب ، والتقريب .

(٢) في عيون الأخبار (١ : ٢٥٤) : « جعلها طوقاً » أى الراية . وهو الأوفق .

(٣) ترجم في (١ : ٢٦٠) .

(٤) سبقت ترجمة أبى الزناد عبد الله بن ذكوان في ٢٤٧ . وأما ابنه الذى عرف بهذه الكنية فهو عبد الرحمن ، كان من ثقات المحدثين ، ولى خراج المدينة ، وقدم بغداد ومات بها سنة ١٧٤ وهو ابن أربع وسبعين سنة . تهذيب التهذيب ، وتاريخ بغداد ٥٣٥٩ .

(٥) سبقت ترجمته في ٤٣ من هذا الجزء .

(٦) إلى هنا ينتهى سقط التيمورية الذى بدأ فى ص ٢٨٦ من ١٠ .

(٧) مضت ترجمته فى ص ٣٤ .

(٨) هو محمد بن حفص ، المعروف بابن عائشة . انظر ما سبق فى (١ : ١٠٢)

٥

١٠

١٥

٢٠

٢٥

أن تقول ، وتعلّم حسن الاستماع كما تتعلّم حسن القول ، ولا تقطع على أحد حديثه .

سفيان بن عُيينة ، قال : كان يقال : العالم مثل السراج ، من مرّ به اقتبس منه .

وقال الشاعر أبو ذُهْمَان الغَلَابِيّ (١) :

لئن مصرّ فاتتني بما كنتُ أرتجى وأخلقني منها الذي كنتُ أملُ
فما كُلُّ ما يخشى الفتى بمصيبه ولا كُلُّ ما يرجو الفتى هو نائلُ
فما كان بيني لو لقيتك سالماً وبين الغنى إلا ليالٍ قلائلُ (٢)

وقال الآخر :

وإنّ كلام المرء في غير كُنْهِه لكائنٌ لتهوى ليس فيها نصالُها (٣)

وقال كعبُ الأحبار : قرأت في بعض ما أنزل الله على أنبيائه عليهم السلام : « الهديةُ تفقاً عين الحكيم ، وتُسَفِّه عقل الحليم » .

قال : زَحَمَ رجلٌ سالم بن عبد الله (٤) فزحم سالم الذي يليه ، فقال له : يا شيخ ، ما حسبتك إلا شيخٌ سوء ! قال سالم : ما أحسبك أبعدت (٥) .

(١) سبقت ترجمته في ص ٢٠٠ من هذا الجزء . هـ : « قال الشاعر » فقط .

(٢) البيتان الأولان من هذه المقطوعة ، هما من أصوات الأغاني (١٩ : ١٥١) .
على أن البيت الأخير من قصيدة للحطيفة في ديوانه ٩٨ يذكر فيها علقمة بن علانة .

(٣) أنشده في اللسان (كنه) على أن الكنه بمعنى الوجه . وسيأتى في (٣ : ٢٠٣) منسوباً إلى هيرة بن أوى وهب .

(٤) هو سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب العدوي المدني ، فاق أهل المدينة علماً وتقى وعبادة وورعاً ، وكان يشبه أباه في السمات والهدى ، وأمه من سبي فارس من بنات يزيد جردتوف سنة ١٠٦ .
تهذيب التهذيب وصفة الصفوة (٢ : ٥٠) والمعارف ٩٣ .

(٥) الخبر أورده ابن الجوزي في صفة الصفوة (٢ : ٥١) . وأوله هناك : « زحم سالم بن عبد الله بن عبد الله بن عمر رجل فقال له سالم : بعض هذا رحلك الله ! فقال له الرجل : ما أراك إلا رجل سوء » .

قال : وسأل رجل محمد بن عمير بن عطار (١) وعتاب بن ورقاء (٢) في عشر ديات ، فقال محمد : عليّ دية : فقال عتاب : الباقي عليّ . فقال محمد : نعم العون على المروءة اليسار .

وقال الأحنف :

فلو مُدَّ سَرَوِي بِمَالٍ كَثِيرٍ لَجُدْتُ وَكُنْتُ لَهُ بِاذِلًا (٣)
فإن المروءة لا تُستطاع إذا لم يكن مألها فأضِلّا
وقال يزيد بن حُجَّية ، حين بلغه أن زياد بن خَصَفَةَ تَبِعَهُ (٤) ولم يلحق به :
أبلغ زياداً أننى قد كَفَيْتُهُ أُمُورِي وَخَلَيْتُ الَّذِي هُوَ غَالِبُهُ
وباب شديد دأؤه قد فَتَحْتُهُ عَلَيْكَ وَقَدْ أَعَيْتَ عَلَيْكَ مَذَاهِبُهُ
هُبْلِكَ فِيمَا تَرْجُو غَنَائِي وَمَشْهَدِي إِذَا كَانَ يَوْمٌ لَا تَوَارَى كَوَاكِبُهُ ١٠
وقال آخر :

* ومنطق خُرَّقَ بالعواسِلِ (٥) *

قال : تجردت الحضرمية (٦) لزوجها ثم قالت : هل تَرَى في خلق الرّحمن من تفاوت ؟ قال : أرى فُطُوراً .

وقال آخر : راودت امرأة شيخاً واستهدفت له ، وأبطأ عليه الانتشار
فلامته ، فقال لها : إِنَّكَ تَفْتَحِينَ بَيْتاً وَأَنَا أَنْشُرُ مَيْتاً !
عليّ بن محمد (٧) ، عن عمر بن مُجَاشِع (٨) ، أن عُمر كتب إلى أبي موسى ١٥

(١) كان محمد بن عمير من أجواد أهل الكوفة وأشرفهم ، وكان من أمراء على بصفين . وله أخبار مع الحجاج . وفيه يقول القائل :

علمت معد والقبائل كلها أن الجواد محمد بن عطار ٢٠

انظر لسان الميزان والإصابة ٨٥٢٧ . (٢) سبقت ترجمته في ص ٢٣٥ .

(٣) سيأتي البيتان في (٣ : ٢٠٦) . (٤) ل : « تركه » .

(٥) سبق في (١ : ٣٤٩) . (٦) ما عدال ، ه : « حضرمية » .

(٧) هو علي بن محمد المدائني ، المترجم في ص ٢٨٠ . (٨) هو عمر بن مجاشع

المدائني ، ذكره ابن حبان في الثقات ، وترجم له ابن حجر في لسان الميزان (٤ : ٢٢٤) . ٢٥

الأشعرى : « أما بعد ، فإن للناس نُفْرَةً عن سُلْطَانِهِمْ ، فَأَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ تَدْرِكَنِي وَإِيَّاكَ عَمِيَاءُ مَجْهُولَةٌ ، وَضَغَائُنُ مَحْمُولَةٌ ، وَأَهْوَاءُ مُتَّبَعَةٌ ، وَدُنْيَا مُؤَثَّرَةٌ . فَأَقِمِ الْحُدُودَ وَلَوْ سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ ، وَإِذَا عَرَّضَ لَكَ أَمْرَانِ أَحَدُهُمَا لِلَّهِ وَالْآخَرُ لِلدُّنْيَا ، فَآثِرْ نَصِيْبَكَ مِنَ الْآخِرَةِ عَلَى نَصِيْبِكَ مِنَ الدُّنْيَا ؛ فَإِنَّ الدُّنْيَا تَنْفَدُ ، وَالْآخِرَةُ تَبْقَى . وَكُنْ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ عَلَى وَجَلٍ ، وَأَخِفِ الْفُسَاقَ وَاجْعَلْهُمْ يَدًا يَدًا ، وَرِجْلًا رِجْلًا . »
 وإذا كانت بين القبائل نائرة ^(١) وتَدَاعَوْا : يَا لَ فُلَانٍ يَا لَ فُلَانٍ ، فَإِنَّمَا تِلْكَ تَجَوَّى الشَّيْطَانَ ^(٢) ، فَاضْرِبْهُمْ بِالسَّيْفِ حَتَّى يَفِيثُوا إِلَى أَمْرِ اللَّهِ ، وَتَكُونَ دَعْوَاهُمْ إِلَى اللَّهِ وَإِلَى الْإِمَامِ . وَقَدْ بَلَغَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّ ضَبَّةً تَدْعُو : يَا لَ ضَبَّةٍ ! وَإِنِّي وَاللَّهِ مَا أَعْلَمُ أَنَّ ضَبَّةً سَأَى اللَّهُ بِهَا خَيْرًا قَطَّ ، وَلَا مَنَعَ بِهَا مِنْ سُوءٍ قَطَّ ، فَإِذَا جَاءَكَ كِتَابِي هَذَا فَانْهَكْهُمْ عَقُوبَةً حَتَّى يَفْرُقُوا إِنْ لَمْ يَفْقَهُوا ^(٣) . وَاللَّصِقُ بَعِيلَانَ بْنِ خَرْشَةَ مِنْ بَيْنِهِمْ ^(٤) ، وَعُذِّ مَرْضَى الْمُسْلِمِينَ ، وَاشْهَدْ جَنَائِرَهُمْ ، وَافْتَحْ بَابَكَ ، وَبَاشِرْ أَمْرَهُمْ بِنَفْسِكَ ، فَإِنَّمَا أَنْتَ رَجُلٌ مِنْهُمْ ، غَيْرَ أَنَّ اللَّهَ جَعَلَكَ أَثْقَلَهُمْ حِمْلًا ، وَقَدْ بَلَغَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّهُ قَدْ فَشَا لَكَ وَلَأَهْلُ بَيْتِكَ هَيْئَةٌ فِي لِبَاسِكَ وَمَطْعَمُكَ وَمَرْكَبُكَ ، لَيْسَ لِلْمُسْلِمِينَ مِثْلُهَا . فَإِيَّاكَ يَا عَبْدَ اللَّهِ أَنْ تَكُونَ بِمَنْزِلَةِ الْبَيْمَةِ الَّتِي مَرَّتْ بِوَادٍ خَصِيبٍ ^(٥) ، فَلَمْ يَكُنْ لَهَا هِمَّةٌ إِلَّا السَّمْنُ ، وَإِنَّمَا حَتَفَهَا فِي السَّمْنِ . وَاعْلَمْ أَنَّ لِلْعَامِلِ مَرَدًّا إِلَى اللَّهِ ، فَإِذَا زَاغَ الْعَامِلُ زَاغَتْ رَعِيَّتُهُ . وَإِنَّ أَشَقَى النَّاسِ مَنْ شَقِيَتْ بِهِ رَعِيَّتُهُ . وَالسَّلَامُ » .

عَوَانَةٌ ^(٦) ، قَالَ : قَدِمَ عَلَيْنَا أَعْرَابِيٌّ مِنْ كُلِّبٍ ، وَكَانَ يَحْدُثُنَا الْحَدِيثَ فَلَا

(١) النَّائِرَةُ ، بِالنُّونِ : الْعِدَاوَةُ وَالشَّحْنَاءُ وَالْفِتْنَةُ . ل : « نَائِرَةٌ » ، تَحْرِيفٌ .

(٢) ل : « دَعَا الشَّيْطَانَ » .

(٣) فَرَّقَ يَفْرُقُ ، مِنْ بَابِ تَعَبٍ . خَافَ . وَالْفَقْهُ : الْفَهْمُ وَالْعِلْمُ .

(٤) تَرْجَمَ غِيلَانَ بْنِ خَرْشَةَ الضَّبِّيَّ فِي (١ : ٣٤١ ، ٣٩٤) . وَاللَّصِقُ ، مِنْ قَوْلِهِمْ أَلَصَقَ فُلَانٌ

بِعَرْقُوبٍ بَعِيرِهِ ، إِذَا عَقَرَهُ . وَفِي حَوَاشِي هـ : « كَانَ غِيلَانُ بْنُ خَرْشَةَ رَأْسَهُمْ » .

(٥) ل : « خَصِيبٌ » .

(٦) مَضَتْ تَرْجَمَتُهُ فِي (١ : ٣١٦) .

يكاد يقطعه ، فقال له رجل : أما لحديثك هذا آخر ؟ قال : إذا عجز وصلناه .
 قال : قال معاوية ليونس بن سعيد الثقفي ^(١) : أتق أن أطيّر بك طيرةً بطيئاً
 وقوعها . قال : أليس لي ولك المرجع بعد إلى الله ؟ قال : بلى ، فاستغفر الله .
 رقة بن مصقلة قال : ماسمعتُ عمر بن ذر ^(٢) يتكلم إلا ذكرت التفتح في
 الصور ، ولا سمعت أحداً يحكيه إلا تمنيت أن يجلد ثمانين .

قال : وتكلم عمر بن ذر فصاح بعض الرّفانين صيحة ^(٣) ، فلطمه رجلٌ
 فقال عمر بن ذر : ما رأيت ظُلماً قط أوفى لي من هذا .

قال : وقال طاوس : كنت عند محمد بن يوسف ^(٤) ، فأبلغه رجلٌ عن
 بعض أعدائه كلاماً ، فقال رجلٌ من القوم : سبحان الله ! فقال طاوس :
 ما ظننت أن قول سبحان الله معصية لله حتى كان اليوم . كأنه عنده إنما سبح
 ليظهر استعظام الذي كان من الرجل ، ليوقع به ^(٥) .

وقال الراجز :

لو كان غاداك البطيء المسهم ^(٦) إذا بدأ منك الذي لا يكتم
 وجه قبيح ولسان أبكم ومشفّر لا يتوارى أضجم

وقال آخر :

يقعّر القول لكيفا تحسبة ^(٧) من الرجال الفصحاء المعربة

(١) ما عدل : « ليونس الثقفي » .

(٢) ترجمة عمر بن ذر في (١ : ٢٦٠) .

(٣) الرّفانون : الذين يرفنون ، أى يرقصون .

(٤) هو محمد بن يوسف الثقفي ، أخو الحجاج بن يوسف . ولاة عبد الملك اليمن ، فلم يزل والياً

عليها حتى مات . المعارف ١٧٣ .

(٥) سبق الخبر في (١ : ٣٩٥) .

(٦) المسهم : الذي ذهب جسمه أو عقله . هـ والتيمورية : « عاداك » ، ب ، ح : « عدوك » .

وانظر ما سبق في ٢٨٤ .

(٧) ل : « يقصر القول » ، صوابه في سائر النسخ .

وهو ، إذا نسبته ، مِنْ كَرْبَةٍ (١) مِنْ نَخْلَةٍ نَابِتَةٍ فِي خَرِيبَةٍ

* * *

قالت امرأة الحُطَيْيَةِ للحُطَيْيَةِ ، حينَ تَحَوَّلَ عن بنى رِياحٍ إلى بنى كُليب (٢) : « بئس ما استبدلتُ من بنى رِياحٍ بَعْرُ الكَبْشِ » ؛ لأنَّهم متفرِّقون ، وكذلك بعر الكيش يقع متفرِّقاً .

علی بن محمد ، عن مَسْلَمَةَ بنِ محارب ، عن داود بن أبی هند ، عن أبی حرب ابن أبی الأسود عن أبيه قال : بعثنی وعِمرانَ بنَ حُصَيْنٍ (٣) عثمانُ بن حُنیف (٤) إلى عائشة فقال : يا أمَّ المؤمنین ، أخبرینا عن مَسیرِکَ ، أهذا عَهْدٌ عَهِدُهُ (٥) إِلَیکَ رسولُ اللَّهِ ﷺ أم رأیَ رأیتِهِ ؟ قالت : « بَلَى ، رأیَ رأیتُهُ حينَ قُتِلَ عثمان . إِنَّا نَقَمُنا علیه ضَرْبَةَ السَّوِطِ (٦) ، وموقعُ السَّحَابَةِ الْمُحَمَّاءِ (٧) ، وإمرة سَعِيدٍ والولید (٨) ، فعدوتم علیه فاستحللتم منه الحُرَمَ الثَّلاث : حُرَمَةَ البلد ، وحرمة

(١) الكرب : أصول السعف .

(٢) ل : « كلب » ، تحريف . وفي الموشح ٣٦٢ : « فمن ذلك قول بنت الحطيفة له لما نزل في

بيت بنى كليب بن يربوع » . وانظر مدحه لبنى كليب بن يربوع في ديوانه ٩٢ .

(٣) هو عمران بن حصين بن حصين بن عبيد بن خلف ، أسلم هو وأبو هريرة عام خير . واستقضاه عبد الله بن عامر على البصرة ثم استغفاه ، ومات بها سنة ٥٢ . الإصابة ٦٠٠٥ ، وتهذيب التهذيب ، وصفة الصفوة (١ : ٢٨٣) .

(٤) عثمان بن حنيفة الأنصاري ، شهد بدرًا ، وولاه عمر السواد مع حذيفة بن اليمان . وكان عليُّ قد استعمله على البصرة قبل أن يقدم إليها . ومات في خلافة معاوية . الإصابة ٥٤٢٧ وتهذيب التهذيب .

(٥) ما عدل ، هـ « مسيرك هذا ، أعهد » .

(٦) ما عدل : « ضربة بالسيف » . لكن في هـ : « ضربة بالسوط » .

(٧) في هامش ، هـ والتمورية : « قولها موقع السحابة المحمأة ، يعني موضعاً أمطره السحاب فحمى من الرعى . فعل ذلك عثمان ، وكذلك فعل عمر ، إلا أنه كان يرعى فيه إبل الصدقة ، فكان ذلك مما نقم على عثمان » .

(٨) سعيد هذا ، هو سعيد بن العاص بن سعيد بن أمية القرشي . ولي الكوفة لعثمان بن الوليد بن عقبة فشكا منه أهل الكوفة فعزله . وكان حليماً وقوراً ، وكان يقال له : « عكة العسل » . مات في قصره بالعقيق سنة ٥٣ ، وأما الوليد فهو الوليد بن عقبة ابن أبي معيط ، وكان قبل إسلامه شديد الأذى للمسلمين ، وكان ممن أسروا يوم بدر ، ونشأ في كنف عثمان إلى أن استخلف ، فولاه الكوفة بعد عزل سعد بن =

الخِلافة ، وحرمة الشهر الحرام ، بعد أن مُصْنَاهُ كما يماصُ الإِنَاءَ فَاسْتَنْقَى ^(١) ،
 فَرَكِبْتُمْ هَذِهِ مِنْهُ ظَالِمِينَ ، فغَضِبْنَا لَكُمْ مِنْ سَوْطِ عَثَانَ ، وَلَا نَغْضِبُ لِعَثَانَ مِنْ
 سَيْفِكُمْ ؟ » . قُلْتُ : وَمَا أَنْتَ وَسَيْفُنَا وَسَوْطُ عَثَانَ ، وَأَنْتَ حَبِيسُ رَسُولِ اللَّهِ
 ﷺ ، أَمَرَكَ أَنْ تَقْرَى فِي بَيْتِكَ فَجِئْتَ تُضَرِّبِينَ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ . قَالَتْ :
 وَهَلْ أَحَدٌ يِقَاتِلُنِي أَوْ يَقُولُ غَيْرَ هَذَا ؟ قُلْنَا : نَعَمْ . قَالَتْ : وَمَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ أَرْزِينُمْ
 ٥ بنى عامر ^(٢) ؟ ثُمَّ قَالَتْ : هَلْ أَنْتَ مَبْلُغٌ عَنِّي يَا عِمْرَانُ ! قَالَ : لَا ، لَسْتُ مُبْلَغًا
 عَنْكَ خَيْرًا وَلَا شَرًّا . فَقُلْتُ : لَكُنِّي مَبْلُغٌ عَنْكَ فَهَاتِي مَا شِئْتَ . فَقَالَتْ : اللَّهُمَّ
 ٤٩ اقْتُلْ مَذْمُومًا قِصَاصًا بَعَثَانًا : تَعْنِي مُحَمَّدَ بْنَ أَبِي بَكْرٍ - وَارِثَ الْأَشْتَرِ بِسَهْمٍ مِنْ
 سَهَامِكَ لَا يُشَوِّى ، وَأَدْرِكَ عَمَّارًا بِخَفَرَتِهِ فِي عَثَانَ ^(٣) .

١٠ حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا هِشَامُ بْنُ حَسَّانَ ، عَنْ الْحَسَنِ ، أَنَّ
 زِيَادًا بَعَثَ الْحَكَمَ بْنَ عَمْرِو ^(٤) عَلَى خُرَاسَانَ ، فَأَصَابَ مَغْنَمًا ، فَكُتِبَ إِلَيْهِ زِيَادُ :

= أُنَى وَقَاصُ ، فَاسْتَغْظَمَ النَّاسَ ذَلِكَ . وَكَانَ الْوَلِيدُ مِنْ شَجْعَانَ قَرِيشَ وَسُرَوَاتِهِمْ وَأَجْوَادِهِمْ ، وَلَكِنَّهُ كَانَ
 يَشْرَبُ الْخَمْرَ ، فَصَلَّى بِالنَّاسِ الصَّبْحَ أَرْبَعًا وَهُوَ سُكْرَانٌ ، فَعَزَلَهُ عَثَانُ عَنِ الْكُوفَةِ بَعْدَ أَنْ جَلَدَهُ . وَلَمَّا قُتِلَ عَثَانُ
 اعْتَزَلَ الْفَتَنَةَ وَلَكِنَّهُ كَانَ يَحْرُضُ عَلَى قِتَالِ عَلَى بَكْتَبَةِ وَشَعْرِهِ ، وَمَاتَ فِي خِلَافَةِ مُعَاوِيَةَ . الْإِصَابَةُ ٩١٤٨ .
 ١٥ (١) مَاصُ الْإِنَاءِ بِمَوْصِهِ : غَسَلَهُ . أَرَادَاتِ أَنْهُمْ اسْتَبَاوَهُ عَمَّا نَقَمُوا مِنْهُ ، فَلَمَّا أَعْطَاهُمْ مَا طَلَبُوا
 قَتَلُوهُ .

٢٠ (٢) الزَّيْنِمُ : الدَّعَى فِي النَّسَبِ . تَعْنِي بِهِ عِمَارُ بْنُ يَاسِرٍ بْنِ عَامِرٍ بْنِ مَالِكِ بْنِ كَثَّانَةَ بْنِ قَيْسِ بْنِ
 الْحَصِينِ بْنِ الْوَزِيمِ ، مِنْ بَنِي ثَعْلَبَةَ بْنِ حَارِثَةَ بْنِ عَامِرٍ . وَأُمُّهُ سَمِيَّةُ بِنْتُ خُبَاطٍ ، كَانَتْ أُمَةً لِأُنَى حَذِيفَةَ بْنِ
 الْمُغِيرَةِ الْخَزْرَمِيِّ ، ثُمَّ زَوْجَهَا يَاسِرًا فَوَلَدَتْ لَهُ عِمَارًا . الْإِصَابَةُ ٥٦٩٩ وَالْمَعَارِفُ ١١١ - ١١٢ وَوُقُوعَةُ
 صَفِين ٢٢٤ .

(٣) الْكَلَامُ إِشَارَةٌ إِلَى مَا كَانَ مِنْ عِمَارِ بْنِ يَاسِرٍ ، إِذْ كَانَ عَثَانُ قَدْ أَرْسَلَ رِجَالًا إِلَى الْأَمْصَارِ
 لِيَقْفُوا عَلَى بَوَاطِنِ الْأُمُورِ ، وَكَانَ مِنْ أَرْسَلِهِمْ عِمَارُ بْنُ يَاسِرٍ أَرْسَلَهُ إِلَى مِصْرَ ؛ فَرَجَعَ الرِّجَالُ جَمِيعًا إِلَّا
 عِمَارًا ، إِذْ اسْتَمَالَ أَهْلَ مِصْرَ النَّاقِمُونَ إِلَى جَانِبِهِمْ . انْظُرِ الطَّبْرِيَّ فِي حَوَادِثِ سَنَةِ ٣٥ . وَالْخَفَرَةُ : الْمَرَّةُ مِنْ
 الْخَفَرِ ، بِالْفَتْحِ : وَهُوَ الْغَدَرُ وَنَقْضُ الْعَهْدِ . مَا عَدَا هـ : « بِخَفَرَتِهِ » بِالْحَاءِ الْمَهْمَلَةِ .

(٤) هُوَ الْحَكَمُ بْنُ عَمْرِو بْنِ مَجْدَعٍ ، أَبُو عَمْرٍو الْغَفَّارِيُّ ، صَحَبَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ حَتَّى مَاتَ . ثُمَّ
 ٢٥ نَزَلَ الْبَصْرَةَ وَوَلَاهُ زِيَادُ خُرَاسَانَ فَمَاتَ بِهَا سَنَةَ ٥٠ . تَهْذِيبُ التَّهْذِيبِ وَالْإِصَابَةُ ١٧٧٩ .

« إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مُعَاوِيَةَ كَتَبَ إِلَيَّ يَا مُرُؤِي أَنْ أَصْطَفِيَ لَهُ كُلَّ صَفْرَاءَ وَبَيْضَاءَ ،
فَإِذَا أَتَاكَ كِتَابِي هَذَا فَانْظُرْ مَا كَانَ مِنْ ذَهَبٍ وَفِضَّةٍ فَلَا تَقْسِمْهُ ، وَاقْسِمْ مَا سِوَى
ذَلِكَ » . فَكَتَبَ إِلَيْهِ الْحَكَمُ : « إِنِّي وَجَدْتُ كِتَابَ اللَّهِ قَبْلَ كِتَابِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ .
وَوَاللَّهِ لَوْ أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا عَلَى عِيدٍ فَاتَّقَى اللَّهُ لَجَعَلَ اللَّهُ لَهُ مِنْهَا
مَخْرَجًا . وَالسَّلَامُ » . ثُمَّ أَمَرَ الْمُنَادِيَ فَنَادَى فِي النَّاسِ : أَنْ اغْدُوا عَلَى غَنَائِمِكُمْ .
فَعَدُّوا فَقَسَمَهَا بَيْنَهُمْ ^(١) .

قال : وقال خالد بن صفوان : « مَا رَأَيْنَا أَرْضًا مِثْلَ الْأُبْلَةِ أَقْرَبَ مَسَافَةً ،
وَلَا أَطْيَبَ نُطْفَةً ^(٢) ، وَلَا أَوْطَأَ مَطْيَةً ، وَلَا أَرِيحَ لَتَاجِرٍ ، وَلَا أَخْفَى لِعَابِدٍ » .
قال الكِسَائِيُّ : لَقِيتُ أَعْرَابِيًّا فَجَعَلْتُ أَسْأَلُهُ عَنِ الْحَرْفِ بَعْدَ الْحَرْفِ ،
وَالشَّيْءِ بَعْدَ الشَّيْءِ أَقْرَبُهُ بَغِيرِهِ ، فَقَالَ : تَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ رَجُلًا أَقْدَرَ عَلَى كَلِمَةٍ إِلَى
جَنْبِ كَلِمَةٍ أَشْبَهَ شَيْءًا بِهَا وَأَبْعَدَ شَيْءًا مِنْهَا مِنْكَ .
وَوَصَفَ أَعْرَابِيٌّ رَجُلًا فَقَالَ : ذَاكَ وَاللَّهِ مِمَّنْ يَنْفَعُ سِلْمُهُ ، وَيَتَوَاصَفُ
جِلْمُهُ ، وَلَا يُسْتَمِرُّ ظُلْمُهُ .

وقال آخر لخصمه : لئن هَمَلَجْتَ إِلَى الْبَاطِلِ إِنَّكَ لَقَطُوفٌ إِلَى الْحَقِّ ^(٣) .
قال : وَرَأَى رَقَبَةً بِنَ مَصْقَلَةِ الْعَبْدِيِّ ^(٤) جَارِيَةً عِنْدَ الْعِطَّارِ ، فَقَالَ لَهُ :
مَا تَصْنَعُ هَذِهِ عِنْدَكَ ؟ قَالَ : أَكِيلُ لَهَا حِنَاءً . قَالَ : أَظُنُّكَ وَاللَّهِ تَكِيلُ لَهَا كَيْلًا
لَا يَأْجُرُكَ اللَّهُ عَلَيْهِ .

(١) فعدوا ، ساقطة من ل .

(٢) النطفة : الماء الصافي ، أو الكثير .

(٣) الهملجة : حسن سير الدابة في سرعة . والقطاف ، بالكسر : تقارب الخطو في بطاء .

(٤) هو أبو عبد الله رقة بن مصقلة بن عبد الله العبدى الكوفى ، كان مفوهًا معدودًا في رجالات

العرب . قال الدارقطنى : ثقة إلا أنه كانت فيه دعابة . وذكر ابن الأثير وفاته سنة ١٢٩ . تهذيب التهذيب .

- محمد بن سعيد ، عن إبراهيم بن خويطب ^(١) ، قال : قال عمرو بن العاص لعبد الله بن عباس : إنَّ هذا الأمر الذي نحنُ وأنتم فيه ليس بأوَّل أمرٍ قاده البلاء ، وقد بَلَغَ الأمرُ بنا وبكم ^(٢) ما ترى ، وما أَبَقْتُ لنا هذه الحربُ حياةً ولا صبراً ، لسنّا نقول : ليثُ الحربِ عادت ، ولكننا نقول : ليتها لم تكن كانت . ٥٠
- فانظر فيما بقى بغير ما مضى ؛ فإنَّك رأسُ هذا الأمرِ بعدَ عليٍّ ، وإنما هو أميرُ مطاع ، ومأمورٌ مطيع ، ومشاورٌ مأمون ، وأنت هو .
- وقال عيسى بن طلحة ، لعروة بن الزبير حين ابتلى في رجله ^(٣) فَقَطَعَهَا : يا أبا عبد الله ، ذَهَبَ أَهْوَنُكَ علينا ، وبقي أَكْثَرُكَ لنا ^(٤) .
- وقالت عائشة : لا سَمَرُ إِلَّا لثلاثة : لمسافر ، أو مُصَلٍّ ، أو عروس ^(٥) .
- قال أبو الحسن : خطب الحجاج يوم جُمُعَةٍ فأطال الخطبة ، فقال رجل : ١٠ « إنَّ الوقت لا ينتظرك ، وإنَّ الربَّ لا يَعِذُّكَ » ، فحبسه ، فأتاه أهلُ الرجل وكَلَّمُوهُ فِيهِ ^(٦) وقالوا : إنَّه مجنون . قال : إنَّ أقرَّ بالجنون خَلِيتُ سَبِيلَهُ . فقيل له : أقرَّ بالجنون . قال : لا والله ، لا أزعُمُ أَنَّهُ ابتلاني وقد عافاني .
- قالت أمُّ هشامِ السُّلُولِيَّةِ : ما ذَكَرَ النَّاسُ مذكوراً خيراً من الإبل : أحناه ١٥ على أَحَدٍ بخير ، إنَّ حَمَلَتِ أَثْقَلَت ، وإنَّ مَشَتْ أَبْعَدَت ، وإنَّ نُحِرَتِ أَشْبَعَت ، وإنَّ حُلِبَتِ أَرْوَت .
- حدَّثني سليمانُ بن أحمد الخُرَشَنِيُّ ^(٧) ، قال : حدَّثني عبد الله بن محمد بن

(١) ما عدل ، هـ : « خويطب » بالخاء المعجمة .

(٢) ل : « منا ومنكم » .

(٣) ما عدل ، هـ : « برجله » . ٢٠

(٤) كان عروة بن الزبير قد أصابته الأكلة في رجله بالشام ، وهو عند الوليد بن عبد الملك ، فقطعت رجله والوليد حاضر ، فلم يتحرك ولم يشعر الوليد أنها تقطع ، حتى كويت فوجد رائحة الكى . وبقي بعد ذلك ثمانى سنين . المعارف ٩٨ .

(٥) هذا الخبر في ل فقط .

(٦) هذه الكلمة من هـ . ٢٥

(٧) ما عدل : « الخرشى » . لكن في هـ : « الخرشى » و « الخرشى » معا .

- حبيب ، قال : طلب زيادٌ رجلاً كان في الأمان الذي سألَه (١) الحسن بن علي لأصحابه ، فكتب فيه الحسنُ إلى زياد : « من الحسن بن علي إلى زياد . أمّا بعد فقد علمت ما كنّا أخذنا لأصحابنا ، وقد ذَكَرَ لي فلانٌ أنك عَرَضْتَ له ، فأُحِبُّ أن لا تعرض له إلّا بخير » . فلَمّا أتاه الكتابُ ولم ينسبه الحسنُ إلى أبي سفيان غَضِبَ فكتب : « من زياد بن أبي سفيان إلى الحسن . أمّا بعد فقد أتاني كتابك في فاسقٍ يؤويه الفُسّاق من شيعتك وشيعة أبيك ، وأيمُ الله لأُطْلِبَنَّهُم ولو بين جلدك ولحمك ، وإن أحبَّ الناس إليّ لحمًا أن آكلَهُ (٢) للحم أنت منه » . فلما وصل الكتابُ إلى الحسنِ وجّه به إلى معاوية ، فلما قرأه معاوية غَضِبَ وكتب : « من معاوية بن أبي سفيان إلى زياد بن أبي سفيان . أمّا بعد فإن لك رأيين : رأيًا من أبي سفيان ورأيًا من سُمَيَّة . فأما رأيك من أبي سفيان فحلّم وحزم ، وأما رأيك من سُمَيَّة فكما يكون رأيٌ مثُلها . وقد كَتَبَ إليّ الحسنُ بنُ عليّ أنك عَرَضْتَ لصاحبه ، فلا تُعَرِّضْ له ؛ فإنّي لم أجعل لك إليه سبيلا ، وإن الحسن بن عليّ ممن لا يُرمى به الرّجوان (٣) . والعجب من كتابك إليه لا تنسبه إلى أبيه ، أفأبى أمّه وكَلَّتْه ، وهو ابن فاطمة بنتِ محمّد رسول الله ﷺ ؟ فالآن حين اخترت له . والسلام » .

* * *

وقدّم مُصعَّبُ بنُ الزبير العراقي (٤) فصعيد المنير ثم قال :

بسم الله الرحمن الرحيم . ﴿ طَسَمَ . تلك آيات الكتاب المبين . نثلو عليك من نبأ موسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون . إن فرعونَ علا في الأرض ﴾

(١) ما عدل : « سأل له » ، تحريف .

(٢) ما عدل : « وإن أحب لحم إلى آكله » .

(٣) أى ممن لا يستهان به . والرجوان : مثني رجأ ، وهو الناحية من كل شيء .

(٤) وذلك إذ أرسله أخوه عبد الله واليا على البصرة سنة ٦٧ .

وَجَعَلَ أَهْلَهَا شَيْعًا يَسْتَضَعِفُ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ
كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿١﴾ . وأشار بيده نحو الشام . ﴿٢﴾ وَتُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ
اسْتَضَعَفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ﴿٣﴾ . وأشار نحو
الحجاز . ﴿٤﴾ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرَى فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ
مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ ﴿٥﴾ . وأشار بيده نحو العراق (١) .

قال : كتب محمد بن كعب : « الْقُرْطَى » (٢) ، فقليل له : والأنصارى ؟
فقال : أكره أن أمنَّ على الله بما لم أفعل .

المدائني (٣) قال : قام عمرو بن العاص بالموسم ، فأطرى معاوية ، وبنى
أمية ، وتناول بنى هاشم ، ثم ذكر مشاهدته بصيفين ، فقال له ابن عباس : يا عمرو ،
إِنَّكَ بَعَثَ دِينَكَ مِنْ مُعَاوِيَةَ فَأَعْطَيْتَهُ مَا فِي يَدِكَ ، وَمَتَّكَ مَا فِي يَدِ غَيْرِهِ ، فَكَانَ الَّذِي
أَخَذَ مِنْكَ فَوْقَ الَّذِي أَعْطَاكَ ، وَكَانَ الَّذِي أَخَذَتْ مِنْهُ دُونَ مَا أَعْطَيْتَهُ ، وَكُلٌّ رَاضٍ بِمَا
أَخَذَ وَأَعْطَى ، فَلَمَّا صَارَتْ مَصْرُ فِي يَدِكَ تَتَّبَعَكَ فِيهَا بِالْعَزْلِ وَالتَّنْقِصِ (٤) حَتَّى لَوْ أَنَّ
نَفْسَكَ فِيهَا أَلْقَيْتَهَا إِلَيْهِ ، وَذَكَرْتَ مَشَاهِدَكَ بِصَيْفَيْنِ فَمَا ثَقُلْتَ عَلَيْنَا يَوْمَئِذٍ
وَطَائِكَ (٥) ، وَلَا نَكُنَّا فِيهَا حَرْبُكَ (٦) . وَإِنْ كُنْتَ فِيهَا لَطَوِيلَ اللِّسَانِ ، قَصِيرَ

(١) انظر الخطبة أيضاً في تاريخ الطبري (٧ : ١٤٦) في حوادث سنة ٦٧ والعقد الفريد (٤) : ١٥

(٢) طبع لجنة التأليف . وقد عني بأهل الشام عبد الملك بن مروان والأمويين ، وبأهل الحجاز
أخاه عبد الله بن الزبير ومن معه من شيعته ، وبأهل العراق المختار ابن أبي عبيد الثقفي وأنصاره .

(٣) هو محمد بن كعب بن سليم بن أسد القرظي المدني ، وكان أبوه من سبي قريظة ، سكن

الكوفة ثم المدينة ، وروى عن العباس بن عبد المطلب ، وعلي بن أبي طالب ، وابن مسعود ، وعمرو بن
العاص . قالوا : وفيه جاء الحديث : « يخرج من أحد الكاهنين رجل يدرس القرآن دراسة لا يدرسها أحد
يكون بعده » . والكاهنان : قريظة والنضير . توفي سنة ١٠٨ الإصابة ٨٥٣٠ وتهذيب التهذيب . ٢٠

(٤) هذه الكلمة ساقطة من ب ، ح .

(٥) ل : « والتقص » .

(٦) ل : « فأثقلت علينا وطائتك » ، صوابه في سائر النسخ .

(٦) نكاه ينكيه نكاية : أصاب منه . ٢٥

السَّنان . آخِرَ الحرب إذا أَقبلتْ ، وَأَوَّلَهَا إذا أدبَرَتْ . لك يدان : يدٌ لا تَبسُطُها إلى خَيْرٍ ، ويدٌ لا تَقْبِضُها عن شَرٍّ . ووجهان : وجهٌ مؤنِسٌ ، ووجهٌ مُوجِسٌ . ولعمري إنَّ مَنْ باع دينه بدينٍ غيره لحرى أن يطول حزنه على ما باع واشترى . لك بيانٌ وفيك خَطَلٌ ، ولك رأىٌ وفيك نَكْدٌ ، ولك قدرٌ وفيك حَسَدٌ . فأصغُرْ عيبَ فيك أكبر عيبٍ في غيرك ^(١) .

٥

فقال عمرو : أما والله ما في قريش أحدٌ أثقلُ وطأةً علىَّ منك ، ولا لأحدٍ من قريش عندي مثلُ قدرك ^(٢) .

٥٢

* * *

قال : ورأى عمرو بنُ عتبةَ بنِ أبي سفيانَ ^(٣) رجلاً يشتم رجلاً ، وآخر يستمع له ، فقال للمستمع : نَزَّهَ سَمْعَكَ عن استماعِ الحَنَّا ، كما تُنْزَهُ لِسَانُكَ عن الكلامِ به ^(٤) ؛ فإن السَّامعَ شريكُ القاتلِ . وإنما نَظَرَ إلى شَرٍّ ما في وعائه فأفرغَه في وعائِكَ ، ولو رُدَّتْ كلمةُ جاهلٍ في فيه لسَعَدَ رَأدُها ، كما شَقِيَ قائلُها .

* * *

عَوانة قال : اختصم إلى زيادٍ رجلانِ في حقٍّ كان لأحدهما على الآخر ، فقال المُدَّعى عليه : أَيُّها الأمير ، إنَّه ليسطو علىَّ بِخاصَّةٍ ذَكَرَ أَنَّها له منك . فقال زيادٌ : صَدَقَ ؛ وسأخبرُكَ بِمنفعتِها له : إنَّ يكنَ الحقُّ له عليك أخذتُكَ به ، وإنَّ يكنَ لك عليه حكمتُ عليه ثُمَّ قضيتُ عنه .

* * *

(١) ما عدال : « أعظم عيب في غيرك » .

(٢) ما عدال ، هـ : « من قريش قدر مثل قدرك » .

٢٠

(٣) عمرو بن عتبة بن أبي سفيان ، هو ابن أخي معاوية بن أبي سفيان . وكان عمرو ممن خرج مع ابن الأشعث على الحجاج ، وقتل في تلك الحروب . المعارف ١٥١ . وكان خروج عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث بين سنتي ٨١ و ٨٣ .

(٤) ل : « عن القول به » .

قال : ولما تُوفِّي أبو بكر الصِّدِّيق رحمه الله ، قامت عائشةُ على قبره فقالت (١) : نَصَرَ الله وجهك ، وشَكَرَ لك صالح سَعِيكَ ، فلقد كنتَ للدُّنيا مُذِلًّا بِإِدْبَارِك عنها ، وللآخِرَةِ مُعِزًّا بِإِقْبَالِك عليها . وإنَّ كانَ لِأَجَلٍ (٢) الأَرْزاءَ بَعْدَ رسولِ الله ﷺ رُزُّوكَ ، ولأَكْبَرِ (٣) المصائبِ فَقْدُكَ . وإنَّ كِتَابَ الله لِيَعْدُ بِجَمِيلِ العِزِّاءِ عَنْكَ حُسْنَ العَوْضِ مِنْكَ . فَأَتَتَجِرُ (٤) مِنْ الله مَوْعِدَهُ فَيْكَ بِالصَّبْرِ عَنْكَ ، وَأَسْتَخْلَصُهُ بِالِاسْتِغْفَارِ لَكَ (٥) .

* * *

وقامت فَرَّغَانَةُ بنتُ أَوْسٍ بنِ حَجَرٍ على قَبْرِ الأَحْنَفِ بنِ قَيْسٍ وهى على راحِلَةٍ ، فقالت : إِنَّا لله وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ . رَحِمَكَ اللهُ أبا بَحْرِ مِنْ مُجَنٍّ فى جَنِّ (٦) ، وَمُدْرَجٍ فى كَفَنٍ ؛ فوالذى ابتَلانا بِفَقْدِكَ ، وَأَبْلَغَنَا (٧) يَوْمَ مَوْتِكَ ، لَقَدْ عِشْتِ حَمِيداً ، وَمُتِّ فَقِيداً ؛ وَلَقَدْ كُنْتَ عَظِيمَ الحِلْمِ ، فَاضِلَ السَّلَمِ ، رَفِيعَ العِمَادِ ، وَارِئَ الزُّنَادِ ، مَنِيعَ الحَرِيمِ ، سَلِيمَ الأَدِيمِ ؛ وَإِنْ كُنْتَ فى المَحَافِلِ لَشَرِيفاً ، وَعَلَى الأَرَامِلِ لَعَطُوفاً ، وَمِنَ النَّاسِ لَقَرِيباً ، وَفِيهِمْ لَغَرِيباً ؛ وَإِنْ كُنْتَ لِمَسْوَدَا ، وَلِىِ الخِلْفَاءِ لِمَوْفِدَا ، وَإِنْ كَانُوا لِقَوْلِكَ لِمُسْتَمِيعِينَ ، وَلِرَأْيِكَ لَمَتَّبِعِينَ . ثُمَّ انصَرَفَتْ .

* * *

أبو الحسن قال : قال عمرو بن العاصي : ما رأيتُ معاويةَ قطُّ مَتَكِيئاً على يساره ، واضعاً إحدى رجليه على الأخرى ، كاسراً إحدى عينيه ، يقول

(١) الخطبة فى العقد (٣ : ٢٤) وزهر الآداب (١ : ٣٢) ونهاية الأرب (٥ : ١٦٧) .

(٢) هـ : « أَجَل » .

(٣) هـ : « وَأَكْبَر » .

(٤) كذا وردت فى الأصول والعقد بتقديم النون على التاء . والمعروف فى كلامهم « أَتَتَجِرُ »

بتقديم التاء ، و « اسْتَتَجِرُ » .

(٥) فى زهر الآداب : « وَأَسْتَخْلَصُهُ » ، وفى العقد ونهاية الأرب : « واستعِضه » .

(٦) أَجْنَه فى الجنين ، أى وضعه فى القبر . أَجْنَه : ستره .

(٧) ما عدل : « وبلغنا » .

- للذى يكلمه : يا هناه (١) ، إلا رحمت الذى يكلمه .
- ٥٣ وقال عمر بن الخطاب رحمه الله : كونوا أوعية الكتاب (٢) ، وينابيع العلم ، وسلوا الله رزق يوم يوم ، ولا يضيركم ألا يكثركم .
- وكتب معاوية إلى عائشة : أن اكتبى إلى بشىء سمعته من أبى القاسم صلى الله عليه وسلم . فكتبته إليه : « سمعت أبا القاسم صلى الله عليه وسلم يقول : من عمل بما يسخط الله عاد حاسده من الناس له ذمًا » .
- أوصى بعض العلماء ابنه فقال : أوصيك بتقوى الله ، وليسغلك بيتك . وأملكك عليك لسانك ، وأبك على خطيئتك (٣) .
- بكر بن أبى بكر القرشى قال : قال أعرابى : ما غيبت قط حتى يغيب قومى . قيل : وكيف ؟ قال : لا أفعل شيئاً حتى أشاورهم .
- ١٠ قيل لرجل من عبس : ما أكثر صوابكم ! قال : نحن ألف رجل ، وفيها حازم ونحن نطيعه ، فكأننا ألف حازم .

* * *

- قال أبو الحسن (٤) : أول من أجرى فى البحر السفن المقيرة المسمرة ، غير المخززة المدهونة (٥) ، وغير ذوات الجآجى (٦) ، وكان أول من عمل
- ١٥ المحاميل (٧) : الحجاج . وقال بعض رُجّاز الأكرىاء (٨) :

(١) يا هناه ، كناية عن قولهم يارجل . وأصلها يا هن ، زيد فيها الألف وهاء السكت .

(٢) كونوا أوعية له ، أى احفظوه فى صدوركم .

(٣) ل : « من خطيئتك » .

(٤) هذا الكلام على السفن والمحامل تجده بعينه فى الحيوان (١ : ٨٢) .

(٥) المخززة : التى فيها نعمة وتعبير شبيه بالخرز .

(٦) جؤجؤ السفينة والطائر : صدرهما . والجمع جآجىء .

(٧) فى اللسان : « والمحمل : واحد محامل الحجاج ... قال ابن سيده : المحمل شقان على البعير

يحمل فيهما العدليان » . وضبطه كمجلس ومنير .

(٨) الأكرىاء : جمع كرى بوزن صبي ، وهو الذى يكرى دابته بالكرء ، أى بالأجر . ل : ٢٥

« بعض الرجّاز الأكرىاء » ، وأثبت ما فى الحيوان وسائر النسخ .

أَوَّلُ عَبْدٍ عَمِلَ الْمَحَامِلَا (١) أَخْزَاهُ رَبِّي عَاجِلًا وَآجِلًا
وقال آخر :

شَيْبَ أَصْدَاغِي فَهَنْ بِيضُ حَامِلٌ لِقَدْهَا نَقِيضُ (٢)

قال الأصمعي : سمعتُ أعرابياً يقول : لو تَنَحَّلَ (٣) رجلٌ أَخاً شقيقاً لم
يأمل أن يبدوَ منه ما يبدو من الثوب ذي الحَرَقِ (٤) ، فرحم الله رجلاً أغضى على
الأقْدَاءِ (٥) ، واستمتع بالظَّاهِرِ .

قال الأصمعي : سمعتُ أعرابياً يقول : مَنْ وَلَدَ الْخَيْرَ نُبِجَ (٦) له فِرَاحاً تَطِيرُ
بالسرور ، وَمَنْ وَلَدَ الشَّرَّ أَنْبَتَ له نَبَاتاً مُراً مذاقه ، قُضْبَائِهِ الْغَيْظُ ، وَثَمَرُهُ التَّدَمُّ .
وَأَنشَدَ النَّضْرُ بْنُ شَمِيلٍ (٧) :

يَحِبُّ بَقَائِي الْمَشْفِقُونَ وَمُدَّتِي إِلَى أَجَلٍ ، لو تعلمون ، قَرِيبُ
وَمَا أَرَبِي فِي أَرْدَلِ الْعُمَرِ بَعْدَمَا لَيْسَتْ شَبَابِي قَبْلَهُ وَمَشِيئِي (٨)

(١) وكذا روايته في اللسان (حمل) . وفي الحيوان : « أول خلق » .

(٢) القد ، بالكسر : سيور تقد من جلد فطير غير مدبوع فنشد بها الأقطاب والحامل . والنقيض
والإنقاض : الصوت .

(٣) التنحل : الاختيار . ما عدل : هـ : « تنحل » بالمهمله ، تحريف .

(٤) الحرق ، بالتحريك : النقب في الثوب من دق القصار ، كأنه احترق بالنار . ما عدل ،
هـ : « الحرق » تحريف .

(٥) أغضى عن القذى : صرف بصره عنه . والقذى : الأذى . وأغضى على القذى : صبر عليه
وسكت . ل : « عن الأقْدَاءِ »

(٦) ما عدل : هـ : « أنتج » .

(٧) هو النضر بن شميل بن خرشة بن يزيد بن كلثوم ، التميمي المازني ، النحوي اللغوي ولد بمرور
ونشأ بالبصرة ، وأخذ عن الخليل ، وأقام بالبادية زماناً طويلاً ، فأخذ عن فصحاء الأعراب . ويذكرون
أنه لما ضاقت عليه الأسباب في البصرة عزم على الخروج إلى خراسان ، فشيعه من أهل البصرة نحو ثلاثة
آلاف من المحدثين والفقهاء واللغويين . روى له ياقوت محاورات مسهبة مع المأمون . توفي سنة ٢٠٤ .
إرشاد الأريب (١٩ : ٢٣٨ - ٢٤٣) ووفيات الأعيان ، وبغية الوعاة .

(٨) أَرْدَلُ الْعُمَرِ ، أى آخره ، في حال الكبر والعجز ، والأردل من كل شيء : الرديء منه .

وَأُنْشِدْ ابْنَ الْأَعْرَابِيِّ :

- يا ابنَ الزُّبَيْرِ جَزَاكَ اللهُ لائِمَةً هَلَّا انْتَهَيْتُمْ فِي الْأَقْوَالِ تَعْتِيبُ (١)
تَنْزُرُوْا لَتَنْدَرِكَ مِنْ كَعْبٍ غَطَارِفَةٌ لَا تَسْتَوِي بُسْرَةُ الْعُرْجُونِ وَالطَّيِّبُ (٢)
كَمَا تَرَى فَرَحَ عُشْرٍ لَا حَرَكَ بِهِ وَفَوْقَهُ مِنْ نُسَالِ الرِّيشِ تَرْغِيبُ
مَا فِيكُمْ قَدْ عَلِمْنَا مِنْ مَحَافِظَةٍ يَوْمَ الْحِفَافِ وَلَا خَيْرَ لِمَنْكُوبِ (٣)
وَأَنْتُمْ تَحْتَ أَرْوَاقِ الْبُيُوتِ إِذَا هَبَّتْ شَامِيَةٌ دُزْنَ طَحَارِيبُ (٤)
أَنْتُمْ مُنَاخَ الْحَنَى قُبْحًا لَخُلَّتْكُمْ فَكُلُّكُمْ يَابِنَى الْبَلْقَاءِ مَقْشُوبُ (٥)
فِي ذِمَّتِي أَنْ تَضِجُوا مِنْ مَصَادِمَتِي كَمَا تَضِجُ مِنَ الْحَرِّ الْجَنَادِيبُ (٦)
مَا بَيْنَ أَدْبَسَ نَشَاجٍ لَهُ ذَفَرٌ وَمُقْصِدِ الْقَلْبِ ذِي سِتَيْنِ مَعْصُوبِ (٧)

- ١٠ (١) التعتيب : الإبطاء . عتب الرجل : أبطأ . قال ابن سيدة : « وأرى الباء بدلا من ميم عثم » .
ومن فسرهما بالعتاب فقد أخطأ .
(٢) النزو : الوثب . والغطريف : السيد الشريف السخي . والبسر : ما لون ولم ينضج من التمر .
والطيب ، بالكسر ، هو من كل شيء : أفضله . في ل : « فسوة العرجون » ، صوابه في سائر النسخ .
وفي حواشي ه : « قشرة العرجون » .
١٥ (٣) الحفاظ والمحافظة : الذب عن المحارم والمنع لها عند الحروب .
(٤) الأرواق : جمع روق ، وهو مقدم البيت . شامية : ريح تأتي من قبل الشام ، وهي ريح
الشمال ، وهذه معها الجلب . درن : جمع أدرن ، والدرون : الوسخ . وقد أراد درن طباعهم .
والطحاريب ، وقد زاد فيه الياء : جمع طحرب ، بكسر الطاء والراء ، وهو الغناء من يابس النبت ونحوه .
(٥) قبحا ، يقال بضم القاف وفتحها ، أى إبعاداً لكم من كل خير . والمقشوب : الملتطح
بالغيب ، والممزوج الحسب باللؤم . في ل : « منشوب » صوابه في سائر النسخ .
٢٠ (٦) المضادمة : المقارنة . في ل : « مصارمتي » وأثبت ما في سائر النسخ .
(٧) الأدبس : ما لونه بين السواد والحمرة . ل : « أدنس » ولم أجد هذا الوصف . والنشاج :
الذي يسلم كثيرا ، ومثله المُنشَج . ل : « نثاث » وفيما عداها : « نتاج » ، صواب هذه ما أثبت . عني
به صبيانهم . يقول : أنتم أنتم بين صبي هذه صفته وبين شيخ مقصد القلب ، أى ضعيف القلب كأنه
رمى بسهم فلم يخطئه . والمعصوب : الذي غُصِبَ حاجباه من الكبر ، وهما يسترخيان عند الشيخوخة .
٢٥ هـ : « ذى سبين » والسب ، بالكسر : العمامة . وفي حواشي هـ عن نسخة : « ستين » ، ل : « ذى
شنين مغضوب » ، وهذه محرفة . وفي البيت إقواء .

خالي سَمَاعَةٌ فاعلم ، لا خفاء به لقد هَوَى بك ياوُتَيْنُ شُنُخُوبُ (١)
صَعْبٌ مَنَاقِبُهُ تَهْوَى الكُمَاةُ به خوفاً وتَصْطَادُهُمْ مِنْهُ كَلَالِيْبُ (٢)
وَأُنْشِدُ ابْنَ الْمُعْدَلِ (٣) :

تَوَاعَدَ لِلْبَيْنِ الْخَلِيْطُ لِيَنْبُتُوا وَقَالُوا الرَّاعِي الظَّهْرُ : مَوْعِدُكَ السَّبْتُ (٤)
فَفَاجَأْنِي بَغْتًا وَلَمْ أَنْخَسَ بَيْنَهُمْ وَأَفْطَعُ شَيْءَ حَيْنٍ يَفْجُوكُ الْبَغْتُ
مَضَى لِسُلَيْمَى مِنْذُ مَا لَمْ الْأَقِيهَا سِتُونٌ تَوَالَتْ بَيْنَنَا خَمْسٌ أَوْ سِتٌ
وَفِي النَّفْسِ حَاجَاتٌ إِلَيْكُمْ كَثِيرَةٌ بَرُّبَانِنَا فِي الْحَيِّ لَوْ أُخِّرَ الْوَقْتُ (٥)
تَأَيَّمْتُ حَتَّى لَامَنِي كُلُّ صَاحِبٍ رَجَاءٌ لِسُلَيْمَى أَنْ تَتَّيَمَ كَمَا إِمْتُ (٦)
لَئِنْ بَعَثَ حَظِّي مِنْكَ يَوْمًا بَغِيرَهُ لَيْسَ إِذَا يَوْمَ التَّغَايُنِ مَا بَعْتُ (٧)
تَمَتَّى رَجَالٌ أَنْ أَمُوتَ وَعَهْدُهُمْ بَأَنْ يَتَمَتَّوْا لَوْ حَيَّيْتُ إِذَا مْتُ
وَقَدْ عَلِمُوا عِنْدَ الْحَقَائِقِ أَتَيْتُ أَخُو ثَقَةٍ مَا إِنْ وَنَيْتُ وَلَا إِنْ تُتُ (٨)

٥٥

(١) وتين ، كذا ورد في هـ . وفي حواشيا : « وتين : اسم رجل » ، وفي التيمورية « دقين » وفي حواشيا : « دقين : اسم رجل » ل : « وتيق » . ب ، ح : « دفين » بالفاء . والشنخوب : رأس الجبل .

(٢) ما عدل : « تعي الكُماة » من الإعياء .
(٣) هو أحمد بن المعدل ، كما سيأتي . وهو أخو عبد الصمد بن المعدل ، كلاهما كان شاعراً . وكان أحمد عفيفاً ذا مروءة ودين وتقدم في المعتزلة ، وجاه واسع في بلده وعند سلطانه ، لا يقاربه عبد الصمد فيه ، فكان يحسده ويهجوه ، فيحلم عنه . وعبد الصمد أشعرهما . الأغاني (١٢ : ٥٤) .
(٤) الخليط : القوم الذين أمرهم واحد . انتبوا : تفرقوا وانقطع بعضهم من بعض . الظهر ، بالفتح : الإبل التي يحمل عليها ويركب .

(٥) بربانها ، أى بجمعها ، أو بمحدثاتها وطرائفها وجدها .
(٦) تأيم : مكث زماناً لا يتزوج ، وقد استشهد بالبيت في اللسان (أيم) .
(٧) هذا البيت وتاليه ساقطان من ل . التغاين : أن يغيب القوم بعضهم بعضاً .
(٨) الحقائق : جمع حقيقة ، وهى ما يحق على المرء أن يحمله . وإنه ، بكسر الهمزة من آن بين أينا ، إذا أعيا ، وبضم الهمزة من آن يؤون ، إذا اتدع ولم يجعل .

١٥

٢٠

وَأَتَيْتُ قَدْ سَيَّرْتُ نَبِيلِي وَأَتْنِي كَأَنِّي وَقَدْ وَقَعْتُ أَنْصَالَهَا رِشْتُ ^(١)
 وقال أحمد بن المعذل : أنشدني أعرابي من طَيْمٍ :
 وَلَسْتُ بِمَيْالٍ إِلَى جَانِبِ الْغَنَى إِذَا كَانَتْ الْعَلْيَاءُ فِي جَانِبِ الْفَقْرِ ^(٢)
 وَإِنِّي لَصَبَّارٌ عَلَى مَا يَنْوِينِي وَحَسْبُكَ أَنَّ اللَّهَ أَتْنِي عَلَى الصَّبْرِ

خطبة للحجاج

حدثنا محمد بن يحيى بن علي بن عبد الحميد ^(٣) ، عن عبد الله بن أبي
 عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر ، قال ^(٤) :

خرج الحجاج يريد العراق والياً عليها ، في اثنتي عشر ركباً على التجائب ،
 حتّى دخل الكوفة فجأة ^(٥) حين انتشر النهار ؛ وقد كان بشر بن مروان بعث
 المهلب إلى الحرورية ^(٦) ؛ فبدأ الحجاج بالمسجد فدخله ، ثم صعد المنبر وهو

(١) النبل : السهام العربية لا واحد لها من لفظها ، وواحدتها سهم . وقال بعضهم : واحدتها نبلة .
 وسير السهام : جعل فيها خطوطاً . ل : « يسهل قبل » هـ « يسهل قبل » صوابهما في سائر النسخ .
 والأنصال : جمع نصل . والتوقيع : التحديد . وراش السهم : جعل له الريش . ل « كأني إذا » .
 (٢) في الأغاني (١٢ : ٥٥) أن البيت للمعذل بن غيلان ، والد أحمد وعبد الصمد . والبيتان في
 عيون الأخبار (١ : ٢٤٧) .

(٣) هو محمد بن يحيى بن علي بن عبد الحميد بن عبيد الكنانى المدنى ، روى عن مالك بن أنس ،
 وابن عيينة . قال عمر بن شبة : كان كاتباً ، وأبوه كاتباً ، وجداه كاتبين ، وكان أحد الثقات المشاهير ،
 يحمل الحديث والأدب والتفسير . تهذيب التهذيب . ما عدل : « عن عبد الحميد » ، تحريف .
 (٤) الخطبة في الكامل ٢١٥ ليسك والعقد (٤ : ١١٩) والطبرى (٧ : ٢١٠) وصبح
 الأعشى (١ : ٢١٨) وعيون الأخبار (٢ : ٢٤٣) وابن الأثير (٤ : ١٥٦) .

(٥) هـ : « فجأة » .
 (٦) الحرورية بفتح الحاء والراء ، ويقال بفتح الحاء وضم الراء : نسبة إلى حروراء ، بالمد
 والقصر ، وهى قرية بظاهر الكوفة ، وقيل موضع على ميلين منها . والحرورية هم أصل الخوارج . كانوا
 مع على عليه السلام ثم خالفوه بعد تحكيم الحكمين بينه وبين معاوية وأهل الشام وقالوا : لا حكم إلا لله ،
 وكفروه وتبرعوا منه وأمرؤا عليهم ذا الثدية - وهو حرقوص بن زهير - فخرج على فحاربههم بالنهروان ،
 فقاتلهم وقتل ذا الثدية ، فسموا الحرورية لوقعة حروراء . معجم الفرق الإسلامية .

مثلثم ^(١) بعمامة خَزَرٍ حمراء ، فقال : على بالناس ! فحسبوه وأصحابه خوارج ، فهموا به ، حتى إذا اجتمع الناس في المسجد قام فكشَفَ عن وجهه ، ثم قال : أنا ابنُ جَلَاً وطلّاعُ الثّنايا متى أضع العمامة تعرفوني ^(٢)

أما والله إني لأحتملُ الشرَّ بِجِملِهِ ، وأحذوه بِنَعْلِهِ ، وأجزيه بِمِثْلِهِ ، وإني لأرى رعوساً قد أينعت وحن قِطافُها ، وإني لأصاحِبُها ، وإني لأنظرُ إلى الدّماء تَرَفُّقُ بين العمام واللّحي .

* قد شمّرت عن ساقها فشمرّا ^(٣) *

ثم قال :

هذا أوانُ الشّدِّ فاشتدّي زَيْمٌ ^(٤) قد لَقَّها الليلُ بسَوّاقٍ حُطَمٌ ^(٥)

ليس براعى إبل ولا غَنَمٌ ولا بجزارٍ على ظَهرٍ وَصَمٌ ^(٦)

وقال أيضا :

قد لَقَّها اللَّيْلُ بِعَصْلِيٍّ ^(٧) أَرْوَغَ خَرَّاجٍ مِنَ الدَّوَى ^(٨)

(١) ل : ملثم .

(٢) من قصيدة لسحيم بن وثيل الرياحي ، رواها الأصمعي في الأصمعيات ٧٣ ليسك .

(٣) في العقد : فشمرى .

(٤) الرجز لرويشد (أو رشيد) بن رميض العنبري ، كما في حواشي الكامل ، واللسان (حطم) والأغانى (١٤ : ٤٤) يقول في الحطم القيسي ، واسمه شريح بن ضبيعة ، وكان شريح قد غزا اليمن ، فغنم وسبى ، ثم أخذ على طريق مفازة ، فضلّ بهم دليلهم ثم هرب منهم ، وهلك منهم ناس كثير بالعطش ، وجعل الحطم يسوق بأصحابه سوقا عنيفا حتى نجوا ووردوا الماء . فقال فيه رشيد الرجز مادحا ، فلقب « الحطم » بما في الرجز . وقد أدرك الحطم الإسلام فأسلم ثم ارتد بعد وفاة الرسول . الأغاني . وزيم : اسم ناقته أو فرسه .

(٥) الضمير في « لَهَا » للإبل . أى جمعها الليل بسائق شديد . عنى نفسه والراعية .

(٦) الوض : كل ما قطع عليه اللحم .

(٧) الرجز في اللسان والمقاييس (عصلب) . والعصلبي : الشديد الباق على المشي والعمل .

(٨) الأروغ : الكرم ذو الجسم والجهارة والفضل والسودد ، وقيل هو الجميل الذى يروعك

حسنه . والدوى : المفازة . وهى الدوى أيضا ، وزيد الباء فيها كما قيل في أحر : أحرى .

* مهاجر ليس بأعرابي *

٥٦

إِنِّي وَاللَّهِ يَا أَهْلَ الْعِرَاقِ ، وَالشُّقَاقِ وَالنَّفَاقِ ، وَمَسَاوِي الْأَحْلَاقِ ، مَا أَغْمَزُ
 نَغْمَارَ التِّينِ ، وَلَا يُقَعِّعُ لِي بِالشَّنَانِ ^(١) ، وَلَقَدْ فُرِّرتَ عَنْ ذِكَايَ ^(٢) ، وَلَقَدْ فُتِّشْتَ
 عَنْ تَجْرِيةِ ، وَجَرِّيتَ مِنَ الْغَايَةِ ^(٣) . إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ كَبَّ كِنَانَتَهُ ثُمَّ عَجَمَ
 عِيدَانَهَا ^(٤) ، فَوَجَدَنِي أَمْرَهَا عَوْدًا ، وَأَصْلَبَهَا عَمُودًا ، فَوَجَّهَنِي إِلَيْكُمْ ؛ فَإِنَّكُمْ
 طَالَمَا أَوْضَعْتُمْ فِي الْفِتَنِ ^(٥) ، وَاضْطَجَعْتُمْ فِي مَرَاقِدِ الضَّلَالِ ، وَسَنَنْتُمْ سُنَنَ الْقَمَى .
 أَمَّا وَاللَّهِ لِلْحَوَائِثِ لَحَوَ الْعَصَا ، وَلَأَعْصِبَنَّكُمْ عَصَبَ السَّلْمَةِ ^(٦) ، وَلَأُضْرِبَنَّكُمْ
 ضَرْبَ غَرَائِبِ الْإِبِلِ ^(٧) ؛ فَإِنَّكُمْ لِكَأْهَلِ قَرْيَةٍ كَانَتْ آمِنَةً مَطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا
 رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا
 يَصْنَعُونَ . إِنِّي وَاللَّهِ لَا أَعِدُّ إِلَّا وَفَيْتَ ، وَلَا أَهْمُ إِلَّا أَمْضِيَتَ ، وَلَا أَخْلُقُ
 إِلَّا فَرِيَتَ ^(٨) . فَإِيَّايَ وَهَذِهِ الْجَمَاعَاتِ ، وَقَالَ وَقِيلَ ، وَمَا تَقُولُونَ ^(٩) ؟ وَفِيمَ أَنْتُمْ وَذَلِكَ ؟

(١) الشَّنَان : جمع شَن ، بالفتح وهو القرية البالية ، وكانوا يحركونها إذا استحثوا الإبل للسير ؛ لتفزع فتسرع .

(٢) فر الدابة : كشف عن أسنانه ليعرف بذلك عمره . والذكاء : نهاية الشباب وتنام السن .

وهو في ذوات الحافر أن يجاوز القروح بسنة ، وإنما يقرح حينما يستتم الخامسة ويدخل في السادسة .

(٣) كأنه عني أنه جاوز الغاية ؛ والغاية : قصبة تنصب في الموضع الذي تكون المسابقة إليه ليأخذها السابق . وفي العقد : « وأجريت إلى الغاية القصوى » .

(٤) في بعض المراجع : « نثر كنانته » . وعجم العود : عضه ليعرف صلابته .

(٥) الإيضاع : السير بين القوم . وفي الكتاب : « ولأوضحوا خلالكم » .

(٦) السلمة : واحدة السلم ، وهو شجر ذو شوك يدبغ بورقه وقشره . والسلم يعسر خرط ورقه
 لكثرة شوكه ، فتعصب أغصانه ويشد بعضها ببعض بحبل ، ثم يهصرها الخابط إليه ويخطبها بعصاه ،
 فيتناثر ورقها للماشية .

(٧) ذاك إن الإبل إذا وردت الماء فدخل عليها غريبة من غيرها ضربت وطردت حتى تخرج عنها .

(٨) خلق الأديم : قدره لما يريد قبل القطع وقاسه ليقطع منه . والفري : القطع .

(٩) ل : « وقالوا وقيلوا » . وأثبت ما في سائر النسخ . وفيما عدل بعده : « وما تقول » .

أما والله لتستقيمَنَّ على طريق الحقِّ أو لَأَدْعَنَّ لكلَّ رجلٍ منكم شُغْلاً في جَسَدِهِ .
مَنْ وَجَدْتُ بعدَ ثَالِثَةِ ^(١) مِنْ بَعَثِ الْمَهْلَبِ سَفَكْتُ دَمَهُ ، وَانْتَهَيْتُ مَا لَهُ .
ثُمَّ دَخَلَ مَنْزِلَهُ .

* * *

أبو الحسن قال : كَتَبَ الْحَجَّاجُ بْنُ يَوْسُفَ إِلَى قَطَرِيٍّ بْنِ الْفُجَاعَةِ :
« سَلَامٌ عَلَيْكَ . أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّكَ مَرَقْتَ مِنَ الدِّينِ مُرَوِّقَ السَّهْمِ مِنَ الرَّمِيَةِ ، وَقَدْ
عَلِمْتَ حَيْثُ تَجَرَّمْتَ ^(٢) ، وَذَلِكَ أَنَّكَ عَاصَيْتَ اللَّهَ وَلَوْلَا أَمْرُهُ ، غَيْرَ أَنَّكَ أُعْرِئْتُ
جِلْفٌ أُمِّيٌّ ، تَسْتَطْعِمُ الْكِسْرَةَ وَتَسْتَشْفِي بِالثَّمَرَةِ ^(٣) ، وَالْأُمُورَ عَلَيْكَ حَسْرَةً ؛
خَرَجْتَ لَتَنَالَ شُبْعَةً ^(٤) فَلَحِقَ بِكَ طَغَامٌ صَلُّوا بِمَثَلِ مَا صَلَّيْتَ بِهِ مِنَ الْعَيْشِ ، فَهُمْ
يَهْزُونَ الرِّمَاحَ ، وَيَسْتَنْشَعُونَ الرِّيَّاحَ ^(٥) ، عَلَى خَوْفٍ وَجَهْدٍ مِنْ أُمُورِهِمْ .
وَمَا أَصْبَحُوا يَنْتَظِرُونَ أَعْظَمُ مِمَّا جَهِلُوا مَعْرِفَتَهُ ، ثُمَّ أَهْلَكَهُمُ اللَّهُ بِتَرْحَتَيْنِ . وَالسَّلَامُ » .

فَأَجَابَهُ قَطَرِيٌّ

« مِنْ قَطَرِيٍّ بْنِ الْفُجَاعَةِ إِلَى الْحَجَّاجِ بْنِ يَوْسُفَ . سَلَامٌ عَلَى الْهُدَاةِ مِنَ الْوَلَاةِ ،
الَّذِينَ يَرِغُونَ حَرِيمَ اللَّهِ وَيَرْهَبُونَ نِقْمَهُ . فَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى مَا أَظْهَرَ مِنْ دِينِهِ ، وَأَظْلَعَ بِهِ
أَهْلَ السُّفَالِ ^(٦) ، وَهَدَى بِهِ مِنَ الضَّلَالِ ^(٧) ، وَنَصَرَ بِهِ ^(٨) ، عِنْدَ اسْتِخْفَافِكَ

(١) مَا عَدَلَ ، هـ : « بَعْدَ ثَلَاثَةِ » .

(٢) تَجَرَّمْتُ : سَقَطَ مِنْ عُلُوٍّ إِلَى أَسْفَلٍ .

(٣) اسْتَطْعِمَهُ : سَأَلَهُ أَنْ يَطْعِمَهُ . اسْتَشْفَى : طَلَبَ الشِّفَاءَ ، أَوْ نَالَهُ .

(٤) الشُّبْعَةُ ، بِالضَّمِّ : مَقْدَارٌ مَا يَشْبَعُ بِهِ مَرَّةً مِنَ الطَّعَامِ . مَا عَدَلَ ، هـ : « لَتَنَاوَلَ شُبْعَةً » .

(٥) الْاسْتَنْشَاءُ : أَنْ يَشِمَ الرِّيحَ ، عَنِ أَنَّهُمْ يَتَسَمَّوْنَ رِيحَ الطَّعَامِ .

(٦) أَظْلَعَ ، مِنَ الظَّلْعِ ، وَهُوَ الْغَمَزُ فِي الْمَشْيِ . وَلَمْ أَجِدْ هَذَا الْفِعْلَ فِي مَعْجَمٍ . وَالسُّفَالُ بِالْكَسْرِ :

سُفُولُ الْخَلْقِ .

(٧) مَا عَدَلَ : « مِنَ الضَّلَالَةِ » .

(٨) هـ : « وَبَصَّرَ بِهِ » .

بِحَقِّهِ . كَتَبْتُ إِلَيَّ تَذَكُّرُ أَتَى أَعْرَافِي جِلْفٌ أُمِّي ، أَسْتَطْعِمُ الْكِسْرَةَ وَأَسْتَشْفِي
بِالْتَّمَرَةِ . وَلِعَمْرِي يَا ابْنَ أُمِّ الْحَجَّاجِ ^(١) إِنَّكَ لَمُتَّيَّةٌ فِي جِبِلَّتِكَ ^(٢) ، مُطْلَحِمٌ فِي
طَرِيقَتِكَ ^(٣) ، وَاهٍ فِي وَثِيقَتِكَ ^(٤) ، لَا تَعْرِفُ اللَّهَ وَلَا تُجَزَّعُ مِنْ خَطِيئَتِكَ ،
يَسْتُ وَاسْتِيَأَسْتُ مِنْ رَبِّكَ ، فَالشَّيْطَانُ قَرِينُكَ ، لَا تَجَاذِبُهُ وَثَاقُكَ ، وَلَا تَنَازِعُهُ
خِثَاقُكَ ^(٥) . فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَوْ شَاءَ أُبْرَزَ لِي صَفْحَتَكَ ، وَأَوْضَحَ لِي
صَلْعَتَكَ ^(٦) . فَوَ الَّذِي نَفْسُ قَطْرِي بِيَدِهِ ، لَعَرَفْتُ أَنَّ مَقَارَعَةَ الْأَبْطَالِ ، لَيْسَ
كَتَصْدِيرِ الْمَقَالِ ^(٧) . مَعَ أَتَى أَرْجُو أَنْ يَدْخُضَ اللَّهُ حُجَّتَكَ ، وَأَنْ يَمْنَحَنِي مُهْجَتَكَ ^(٨) .

* * *

خالد بن يزيد الطائفي ، قال : كتب معاويةً إلى عدى بن حاتم :
« حَاجَبْتُكَ مَا لَا يُنْسَى » يَعْنِي قَتَلَ عُثْمَانَ . فَذَهَبَ عَدِيُّ بِالْكِتَابِ إِلَى عَلِيٍّ فَقَالَ :
« إِنَّ الْمَرْأَةَ لَا تَنْسَى قَاتِلَ بَكْرُهَا ، وَلَا أَبَا عُذْرُهَا » . فَكَتَبَ إِلَيْهِ عَدِيُّ : « إِنَّ ذَلِكَ
مُنَى كَلِيلَةِ شَبَابٍ » ^(٩) .

وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله : « يَا غَلَامَ ، ارْفَعْ ذَلِكَ النَّثِيلَ ^(١٠) » ،
يَعْنِي رَوْتًا . وَقِيلَ لَهُ : أَيْنَ خَرَجَ هَذَا الْجِنُّ ؟ قَالَ : تَحْتَ مَنْكِبِي ^(١١) .

١٥ (١) نَسَبَهُ إِلَى أُمِّهِ طَاعِنًا فِي نَسَبِهِ .

(٢) الْمَتْنُ : الْمُضِلُّ . وَالْجِبْلَةُ : الطَّبِيعَةُ وَالسَّجِيَّةُ .

(٣) الْمَطْلَحِمُ : الْمَظْلَمُ ، وَالْمَتَكْبِرُ أَيْضًا .

(٤) الْوَثِيقَةُ : الثَّقَةُ ؛ يُقَالُ أَخَذَ بِالْوَثِيقَةِ فِي أَمْرِهِ .

(٥) الْخِثَاقُ ، بِالْكَسْرِ ، الْحَبْلُ الَّذِي يَخْنُقُ بِهِ .

٢٠ (٦) الصَّلْعَةُ ، بِالتَّحْرِيكِ وَالضَّمِّ : مَوْضِعُ الصَّلْعِ فِي الرَّأْسِ .

(٧) تَصْدِيرُ الْمَقَالِ : تَقْدِيمُهُ .

(٨) الْمَهْجَةُ : الرُّوحُ وَدَمُ الْقَلْبِ .

(٩) كَانَتْ الْعَرَبُ تَقُولُ لِلْبَكْرِ إِذَا زَفَتْ إِلَى زَوْجِهَا فَدَخَلَ بِهَا وَلَمْ يَفْتَرِعْهَا لَيْلَةَ زَفَافِهَا : بَاتَتْ بَلِيلَةَ حَرَةٍ .

وَأِنْ افْتَرَعَهَا تِلْكَ اللَّيْلَةَ قَالُوا : بَاتَتْ بَلِيلَةَ شَيْءٍ .

٢٥ (١٠) فِي اللَّسَانِ (نَثْلٌ) : « وَمَنْهُ حَدِيثُ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ ، أَنَّهُ دَخَلَ دَارًا فِيهَا رَوْتُ فَقَالَ :

أَلَا كُنْتُمْ هَذَا النَّثِيلَ ؟ ! » وَكَانَ لَا يُسَمَّى قَبِيحًا قَبِيحًا .

(١١) أَيْ وَلَمْ يَقُلْ : « فِي إِبْطِي » .

وقيل لقتيبة ^(١) : أين خرج بك هذا الخُراج ^(٢) ؟ قال : بين الرانفة والصَّفن ^(٣) .

قال : وقيل لرقبة ^(٤) : ما بال القرّاء أشدّ النَّاس نَهْمَةً وُعْلَمَةً ؟ قال : أما الغلّمة فإنّهم لا يَزْنون ، وأما النّهمة فلائّهم يصومون .

وعرض عليه رجلُ العَداء ، فقال : يا هذا ، إن أقسمتُ علىّ ، وإلاّ فدعني .
وقال مُورّق العِجَلِيّ ^(٥) : ما تكلمتُ بكلمة في الغضب أُنْذِمَ عليها في الرُّضاً . وقد سألتُ الله حاجةً منذ أربعين سنةً فما أجابني ولا يمست منها : ألاّ أتكلّم فيما لا يعنيني ^(٦) .

قال : مكتوب في حكمة داود : على العاقل أن يكون عالماً بأهل زمانه ، مالكا للسانه ، مُقبلاً على شانه .

قال : ولَمّا قَدِمَ الفرزدقُ الشَّامَ قال له جريرٌ - وكان هُنالك ^(٧) - ما ظننت أنّك تَقْدُمُ بلدًا أنا فيه ! فقال الفرزدق : إنّني طالما خالفْتُ رَأى العَجْزة .
وقال يونسُ بنُ حبيب : إذا قالوا : غُلِبَ الشاعر ، فهو الغالب ، وإذا قالوا مغلَّب ، فهو المغلوب . وقال امرؤ القيس :

وإنّك لم يفخّرْ عليك كفاخِرٍ ضعيفٍ ولم يَغْلِبْكَ مثلُ مُغْلَبٍ ^(٨)

(١) هو قتيبة بن مسلم ، المترجم في ٤٢ .

(٢) الخراج ، كغراب : ما يخرج في البدن من القروح . والحبن ، بالكسر : الدم .

(٣) الرانفة : أسفل الألية . والصفن ، بالتحريك : وعاء الخصى . ما عدل : « والصفة » وهي صحيحة أيضاً ، بالتحريك ، وبالفتح .

(٤) هو رقة بن مصقلة بن عبد الله العبدى ، ويقال في أبيه أيضاً « مسقلة » بالسين ، كما وقع في صحيح مسلم . كان ثقة مأموناً يعد في رجالات العرب ، وكانت فيه دُعاة . وأرخ بن الأثير وفاته سنة ١٢٩ . تهذيب التهذيب .

(٥) ترجم في (١ : ٣٥٣) .

(٦) ما عدل : « ألاّ أتكلّم إلا فيما يعنيني » وهما بيان .

(٧) ما عدل : « هناك » .

(٨) ديوان امرئ القيس ٧٧ واللسان (غلب) . وانظر ما سبق في (١ : ٣٧٤) ، وما سياتى

في (٣ : ١١) . والبيت وعبرة الإنشاد قبله لم يردا في هـ .

وقال بعضهم :

إِنِّي امرؤ ينفع قومي مَشْهَدِي أَذْبُ عَنْهُمْ بِلْسَانِي وَيَدِي

وقال قتيبة بن مُسلم^(١) : إِذَا غَزَوْتُمْ فَأُطِيلُوا الْأَظْفَارَ ، وَقَصِّرُوا الشُّعُورَ .

قال : ونظر مَخْنَثٌ إِلَى شَيْخٍ قَبِيحِ الْوَجْهِ فِي الطَّرِيقِ فَقَالَ لَهُ : أَلَمْ يَنْهَكُمُ

سليمان بن داودَ عَنِ الْخُرُوجِ بِالنَّهَارِ ؟

قال : وَعَزَى أَعْرَابِيٌّ نَاسِئاً فَقَالَ : يَرْحَمُ اللَّهُ فَلَاناً ، فَلَقَدْ كَانَ كَثِيرَ الْإِهَالَةِ

دَسِيمَ الْأَشْدَاقِ .

وقال الشاعر :

تَرَى وَدَكَ السَّدِيفِ عَلَى لِحَاهُمُ كُلُّونَ الرَّاءِ لَبْدُهُ الصَّقِيعُ^(٢)

وقال أعرابيٌّ : « رَحِمَ اللَّهُ فَلَاناً ، إِنْ كَانَ لَضَحَمَ الْكَاهِلِ » . ثم جلس

وسكت . وقال آخر : « كَانَ وَاللَّهِ نَقَى الْأَظْفَارِ ، قَلِيلَ الْأَسْرَارِ^(٣) » .

وقال صديقٌ لَنَا : رَأَيْتُ سَكْرَاناً وَقَدْ رَكَبَ رَدْعَهُ^(٤) ، ثُمَّ إِنَّهُ اسْتَقَلَّ

فَقَالَ : أَنَا السَّدِيفُ الْمُسْرَهُدُ^(٥) .

وَسَارَّ رَجُلٌ أَعْرَابِيًّا بِحَدِيثِ فَقَالَ لَهُ : أَفْهَمْتَ ؟ قَالَ : بَلْ نَسِيتُ !

قال واثلةُ بن خليفة السَّدُوسِيّ ، يَهْجُو عَبْدَ الْمَلِكِ بْنَ الْمُهَلَّبِ :

لَقَدْ صَبَّرْتُ لِلذَّلِّ أَعْوَادُ مِنْبِرٍ تَقُومُ عَلَيْهَا فِي يَدَيْكَ قَضِيبُ

(١) ترجم في ٤٢ . ل : « قتيبة بن مسلم » ، تحريف .

(٢) السديف : لحم السنام . والراء : شجر سهلى له ثمر أبيض . وقال أبو الهيثم : الراء : زبد

البحر . اللسان (روى) .

(٣) ل والتيمورية : « الأشرار » ، صوابه في هـ ، ب ، ح .

(٤) ل : « درعه » تحريف ، صوابه في هـ . ويقال : ركب ردعه ، أى خر صريعاً لوجهه ،

فكلما هم بالنهوض ركب مقاديعه . وأصل الردع العُنُق .

(٥) استقل ، أى نهض . المسرهد : المقطع قطعاً . وهذا الخبر في ل ، هـ فقط .

وكادت مسامير الحديد تذوبُ بكى الجنبُ الغربيُّ إذ قُمْتُ فوقه
يُصيب سَرَاةَ الأزدِ حين تشيبُ رأيْتُكَ لَمَّا شَبْتُ أدركك الذي
وفيك لمن عاب المَزُونُ عيوبُ ^(١) سفاهةُ أحلامٍ ويُخلُ بنائلُ
وبالمصرِ دُورٌ جَمَّةٌ ودُروبُ ^(٢) وقد أوحشتَ منكم رساتيقُ فارسِ
مَزُونِيَّةٌ ، إن التَّسِيبَ نَسِيبُ ^(٣) إذا غَضَبَةٌ ضَجَّتْ من الخُرجِ ناسبتُ

وقال بشَّارُ الأعْمى ، في عمرَ بنِ حفص ^(٤) :

ما بال عينك دمعها مسكوبُ حُرِبْتُ فَأَنْتَ بنومها محروبُ
وكذلكَ من صَحَبَ الحوادثَ لم تَزَلْ تأتني عليه سَلَامَةٌ وتُكوبُ
يا أرضُ ويحكِ أَكْرَمِيهِ فَإِنَّهُ لم يبقَ لِلْعَتَكِيِّ فيكَ ضريبُ
أبهى على خُشْبِ المنايرِ قائماً يوماً وأحزَمُ إذ تُشْبُ حُرُوبُ ^(٥)
إِنَّ الرِّزِيَّةَ لَا رَزِيَّةَ مِثْلَهَا يومَ ابْنِ حفص في الدِّماءِ خُضِبُ ^(٦)
لا يستجيبُ ولا يُحِيرُ لِسَانَهُ ولقد يُحِيرُ لِسَانَهُ وَيُجِيبُ
غَلِبَ العزاءُ على ابنِ حفصِ والأسَى إِنَّ العزاءَ بِمِثْلِهِ مَغْلُوبُ
إذ قيلَ أَصْبَحَ في المقابرِ ثاوياً عُمَرُ وشُقُّ لَوَاؤِهِ المَنْصُوبُ
فَظَلَلْتُ أَنْدُبُ سَيْفِ آلِ مُحَمَّدٍ عُمَرَا ، وَعَزَّ هَنَالِكَ المَنْدُوبُ

(١) الكلام بعد هذه إلى « القاص » من ص ٣١٧ س ١٢ ، ساقط من التيمورية . والمزون ، بفتح الميم وضمها : اسم من أسماء عمان واهلها من الأزد ، وهم رهط المهلب ابن أبي صفرة . وذلك أن جدهم الأعلى مازن ابن الأزد . اللسان (مزن) ومعجم البلدان (المزون) والحيوان (٦ : ١٥٧) . وانظر ما سبق في (١ : ٢٩٢) .
(٢) الرساتيق : جمع رستاق . ورساتيق فارس : سوادها ، أى قراها . ورستاق : مغرب « روستا » الفارسية ، وهى بمعنى القرية . استينجاس ٥٩٤ .

(٣) الخرج : الخراج ، وهو ما تؤديه الرعية إلى الولاة . ب ، ح : « من الجرح » .

(٤) هو عمر هزارمرد ، سبقت ترجمته في الأبيات التالية في (١ : ٢٩٤) .

(٥) ل : « إن تشب حروب » . وإلى هنا ينتهى الإنشاد فيما سبق .

(٦) ل : « في الديار » .

فعليك يا عُمَرُ السَّلَامُ فَإِنَّا بَاكوكَ مَا هَبَّتْ صَبَاً وَجَنُوبُ
قال إسماعيل بن عَزْوَان : الأصوات الحسنة والعقول الحسنة كثيرة ،
والبيان الجيد والجمال البارع قليل .

وذكر أبو الحارث ، صاحب مسجد ابن رُغْبَانَ ^(١) ، فقال : إن حَدَّثْتَهُ
سَبَقَكَ إلى ذلك الحديث ، وإن سَكَتَ عنه أخذ في التَّرهات .

وقال ابن وهب ^(٢) : أنا أَسْتَقِلُّ الكلامَ كما يَسْتَقِلُّ حُرَيْثُ السَّكُوتِ . كما
قال ابن شُبْرَمَةَ ^(٣) لِإِيَّاسِ بْنِ مَعَاوِيَةَ : شَكَلِي وَشَكْلُكَ لَا يَتَّفِقَانِ ، أَنْتَ
لَا تَشْتَبِي أَنْ تَسْكُتَ ، وَأَنَا لَا أَشْتَبِي أَنْ أَسْمَعَ .

وقال أبو عَقِيلِ بْنِ دُرُسْتٍ ^(٤) . إذا لم يكن المستمعُ أحرصَ على الاستماع
من القائلِ على القول ، لم يُلْغِ القائلُ في منطقهِ ، وكان التَّقْصَانُ الدَّاخلُ على قوله
بِقَدْرِ الحَلَّةِ بالاستماع منه .

وقال ابن بَشَّارُ الْبَرْقِيِّ : كان عندنا واحدٌ يتكَلَّمُ في البلاغة ، فسمعتُهُ
يقول : لو كنتَ ليسَ أنا ، وأنا ابنُ من أنا منه ، لكنتَ أنا أنا وأنا ابنُ من أنا
منه . فكيف وأنا أنا وابنُ من أنا منه .

وقالوا : ثلاثٌ يُسْرِعُ إِلَيْهِنَّ الْخَلْفُ : الحريق ، والتزويج ، والحجج .
وقال المهلب : « ليس أئْمَى من بَقِيَّةِ السَّيْفِ » ^(٥) . فوجد الناسُ تصديق

(١) مسجد ابن رُغْبَانَ ، كان في غربي بغداد ، كما ذكر ياقوت . واسمه محمد بن رُغْبَانَ كما في
الحيوان (٢ : ١٤٦) . وفي المعارف لابن قتيبة ٢٦٦ : « ابن رُغْبَانَ الذي ينسب إليه المسجد ببغداد ،
وهو مولى حبيب بن مسلمة ، وكان حبيب عظيم القدر ، يلي الولايات زمن عثمان ومعاوية » : هـ :
« وذكر أبا الحارث صاحب مسجد ابن رُغْبَانَ » .

(٢) ما عدل : « أبو وهب » .

(٣) هو عبد الله بن شبرمة المترجم في (١ : ٩٨) ، حيث سبق الخير .

(٤) ما عدل ، هـ : « أبو مقبل » تحريف . وقد مضى على الصواب في مواضع متعددة . وانظر

الحيوان (٥ : ١٧٨ / ٧ : ١٥٢ ، ٢٠٣) .

(٥) ل ، هـ : « من سيف » صوابه من ب ، ج .

قوله فيما نال ولده من السيف وصار فيهم من السماء (١).

وقال علي بن أبي طالب رحمه الله : « بَقِيَّةُ السَّيْفِ أُنْمَى عَدَدًا ، وَأَكْرَمَ وَلَدًا » . ووجد الناس ذلك بالعيان ، للذي صار إليه ولده من نَهْكَ السَّيْفِ ، وكثرة الذَّرءِ ، وكرم النَّجْلِ .

قال الله عزَّ وجلَّ : ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِيَ الْأَلْبَابِ ﴾ . وقال بعض الحكماء : « قَتَلَ الْبَعْضُ إَحْيَاءً لِلْجَمِيعِ » .

وقال هَمَّامُ الرَّقَاشِيِّ (٢) :

أَبْلُغْ أَبَا مِسْمَعٍ عَنِّي مُعْلَغَلَةً وَفِي الْعِتَابِ حَيَاةٌ بَيْنَ أَقْوَامِ (٣)
قَدَّمْتُ قَبْلِي رِجَالًا لَمْ يَكُنْ لَهُمْ فِي الْحَقِّ أَنْ يَلْجُوا الْأَبْوَابَ قَدَامِي
لَوْ عُدَّ قَبْرٌ وَقَبْرٌ كُنْتُ أَكْرَمَهُمْ قَبْرًا وَأَبْعَدَهُمْ مِنْ مَنْزِلِ الدَّامِ (٤)
فَقَدْ جَعَلْتُ إِذَا مَا حَاجَةٌ عَرَضَتْ بِيَابَ قَصْرِكَ أَدْلُوها بِأَقْوَامِ (٥)

* * *

وقال الحجاج لامرأة من الخوارج : « وَاللَّهِ لَأُعِدَّنَّكُمْ عَدًّا ، وَلَأُخْصِدَنَّكُمْ خَصِدًا » . قالت : أنت تحْصِدُ ، والله يزرع ، فانظر أين قدرة المخلوق من قدرة الخالق . ١٥

ولم يظهر من عدد القتلى مثل الذي ظهر في آل أبي طالب ، وآل الزبير ، ٦١ وآل المهلب . وقال الشاعر في آل الزبير :

(١) في المعارف ١٧٥ : « ويقال إنه وقع إلى الأرض من صلب المهلب ثلاثمائة ولد » .
(٢) في الحماسة ١١٢٠ بشرح المرزوق : « عصام بن عبيد الله » ، وعند التبريزي : « عصام بن عبيد الزماني » . ٢٠

(٣) المغلغلة : الرسالة تحمل من بلد إلى بلد . وأنشد البيت في اللسان (غلل) بدون نسبة .
وسيعاد الشعر في (٣ : ٣٠٢ / ٤ : ٨٥) .

(٤) الذام : العيب . عني أنه كريم الآباء والأسلاف ، وأنه كان جديرًا لذلك بالتقدمة .

(٥) يقال : دلوت بفلان إليك ، أي استشفعت به إليك .

أَلْ الزَّيْبِرُ بَنُو حُرَّةَ مَرَوْا بِالسُّيُوفِ صُدُورًا حِنَاقًا ^(١)
يَمُوتُونَ وَالْقَتْلُ مِنْ دَأْبِهِمْ وَيَغْشَوْنَ يَوْمَ السَّبَاقِ السَّبَاقَا ^(٢)
إِذَا فَرَجَ الْقَتْلُ عَنْ عِيصِهِمْ أَيْ ذَلِكَ الْعِيصُ إِلَّا اتَّفَاقًا ^(٣)

* * *

قال : احترقت دَارُ ثَمَامَةَ ^(٤) ، فقالوا له : ما أَسْرَعَ خَلَفَ الحريق ؟ قال :
فَأَنَا أَسْتَحْرِقُ اللَّهَ .

وقال ثَمَامَةُ : سمعت قاصباً بَعْبَادَانَ ^(٥) يقول في دعائه : اللهم ارزقنا الشهادة
وجميع المسلمين ^(٦) .

قال : وتساقط الدَّبَّانُ على وجهه فقال : الله أكبر ، كثر الله بكم القبور ^(٧) .
قال : وسمع أعرابياً رجلاً يقرأ سورة براءة فقال : ينبغي أن يكون هذا آخِرَ
القرآن . قيل له : ولم ! قال : رأيت عهداً تُنْبَذُ .

وقال عبد العزيز الغزالي القاص ^(٨) ، في قصصه : ليت الله لم يكن خلقتني وأنا

(١) المرى : الاستخراج . عنى أنهم يقتلهم قد شفا صدور أعدائهم . وأنشد في اللسان :

مَرَوْا بِالسَّيْفِ الْمَرْهَفَاتِ دِمَاءَهُمْ .

والحناق : جمع حنق ، وهو ذو الحنق ، بالتحريك ، أى الغيظ .

(٢) ما عدل ، هـ : « يغشون يوم السباق » تحريف .

(٣) العيص ، بالكسر : الآباء والأعمام والأخوال . وأصله منبت خيار الشجر .

(٤) ثَمَامَةُ بن أشرس . وقد ترجم في (١ : ١٠٥) .

(٥) عبادان : موضع تحت البصرة قرب البحر ، وهى منسوبة إلى عباد بن الحصين الحيطي . قال

ياقوت : « وأما إلحاق الألف والنون فهو لغة مستعملة في البصرة ونواحيها : أنهم إذا سمو موضعاً أو نسبوه
إلى رجل أو صفة يزيدون في آخره ألفاً ونوناً ، كقولهم في قرية عندهم منسوبة إلى زياد بن أبيه : زيادان .
وأخرى إلى عبد الله : عبد الليان . وأخرى إلى بلال بن أبى بردة : بلالان » . قلت : هذا مأخوذ من
الفارسية ، فإنهم يزيدون « آته » في آخر الاسم المنسوب ، كقولهم في مرد : مردانه ، وفي سر : سرانه .

(٦) الخبر في الحيوان (٣ : ٣٢٤) .

(٧) في الحيوان : « بكن القبور » .

(٨) إلى هنا ينتهى سقط التيمورية الذى بدأ في صفحة ٣١٤ . وفي النسخ « أبو عبد العزيز الغزالي

القاص » صوابه في الحيوان (٣ : ٣٤ / ٥ : ١٦٨) حيث ورد الخبر .

الساعة أعور . فحكيت ذلك لأبي عتاب الجزار ^(١) . فقال أبو عتاب : بشس ما قال ، وددت والله الذي لا إله إلا هو أن الله لم يكن خلقتني وأتى الساعة أعمى مقطوع اليدين والرجلين .

قال : ولما استعدى الزبرقان على الخطيئة فأمر عمر بقطع لسانه ، قال الزبرقان : نشدتك الله يا أمير المؤمنين أن تقطعه ^(٢) ، فإن كنت لابد فاعلاً فلا تقطعه في بيت الزبرقان . فقيل له : إنه لم يذهب هنالك ، إنما أراد أن يقطع لسانه عنك برغبة أو رهبة .

وتقول العرب : « قتلت أرض جاهلها ، وقتل أرضاً عالمها » . وتقول : ذبحني العطش » ، و « المسك الذبيح » ، و « ركب بنو فلان الفلاة فقطع العطش أعناقهم » .

وتقول : فلان لسان القوم ونابهم الذي يفترون عنه . وهؤلاء أنف القوم وخراطيمهم . وييسان ^(٣) لسان الأرض يوم القيامة . وفلان أصطمة الوادي ^(٤) وعين البلد .

وقال الأصمعي : قال رجل لأبي عمرو بن العلاء : أكرمك الله ! قال : مُحدثٌ . قال : وكان ابن عون ^(٥) يقول : كيف أنت أصلحك الله ؟ وكان الأصمعي يقول : قولهم جُعِلْتُ فداك ، وجعلني الله فداك ، مُحدثٌ . وقد روى علماء البصريين أن الحسن لما سمع صراخاً في جنازة أم عبد الأعلى

(١) ما عدل : « الجزار » ، تحريف .

(٢) نشدتك الله ، استخلفتك به . وقد حذف النافي بعد « أن » كما في قول الله : « بين الله لكم أن

تضلوا » .

(٣) بيسان ، بالفتح : مدينة بالأردن ، بين حوران وفلسطين ، وإليها ينسب القاضي الفاضل أبو علي عبد الرحيم بن علي البيسان . قال ياقوت : « ويقال هي لسان الأرض » .

(٤) أسطمة الشيء وأستمته وأصطمته : وسطه ومجمعه .

(٥) عبد الله بن عون ، ترجم في هذا الجزء ص ٩١ .

ابن عبد الله بن عامر ^(١) فالتفت ، قال له عبد الأعلى : جُعِلْتُ فداك ، لا والله ما أمرتُ ، ولا شَعَرْتُ ^(٢) .

وقال الأصمعي : صَلَّيْ أَعْرَابِيَّ فَأَطَالَ الصَّلَاةَ ، وَإِلَى جَانِبِهِ نَاسٌ ، فَقَالُوا : مَا أَحْسَنَ صَلَاتَهُ ! فقال : وَأَنَا مَعَ هَذَا صَائِمٌ ^(٣)

قال الشاعر

صَلَّيْ فَأَعْجَبْنِي وَصَامَ فَرَابْنِي عَدَّ الْقُلُوصَ عَنِ الْمَصَلِّيِّ الصَّائِمِ

وقال طاهر بن الحسين ^(٤) لأبي عبد الله المروزيّ : منذ كم صيرت إلى العراق يا أبا عبد الله ؟ قال : دخلتُ العراق منذ عشرين سنة وأنا أصوم الدهر منذ ثلاثين سنة . قال : يا أبا عبد الله ، سألتك عن مسألة فأجبتنا عن مسألتين ^(٥) .

★ ★ ★

١٠

(١) سبقت ترجمته في (١ : ٣٤٤) .

(٢) ل : « ولا شعرت ولا شعرت » ، بالتكرار .

(٣) ل : « وأنا مع ذلك صائم » .

(٤) هو طاهر بن الحسين بن مصعب الخزاعي ، من كبار الوزراء العباسيين . كان أديباً حكيماً شجاعاً ، وهو الذي وطد الملك للمأمون العباسي ، وهو الذي قتل الأمين وعقد البيعة للمأمون فولاه شرطة بغداد ، ثم جعله والياً على خراسان ، فحدثته نفسه بالاستقلال بها ، وحالت دون ذلك منيته . وسمى « ذا اليمينين » لأنه ضرب شخصاً في وقعته مع علي بن ماهان بالسيف ففقدته نصفين ؛ وكانت الضربة ييساره . ولد سنة ١٥٩ وتوفي سنة ٢٠٧ . وفيات الأعيان وثمار القلوب ٢٠٧ .

(٥) القصة في الحيوان (٣ : ٨ - ٩) .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال عوانة : قال زياد بن أبيه : من سعادة الرجل أن يطول عمره ، ويرى في عدوه ما يسره .

وقال الباهلي : قيل لأعرابي : ما بال المرائي أجود أشعاركم ؟ قال : لأننا نقول وأكبادنا تحترق .

قال أبو الحسن : كانت بنو أمية لا تقبل الراوية إلا أن يكون راوية للمرائي . قيل : ولم ذاك ؟ قيل ^(١) : لأنها تدل على مكارم الأخلاق .

وقال عمر بن الخطاب رحمه الله : من خير صناعات العرب الأبيات يقدّمها الرجل بين يدي حاجته ، يستنزل بها الكريم ^(٢) ، ويستعطف بها اللئيم .

وقال شعبة ^(٣) : كان سيماك بن حرب ^(٤) إذا كانت له إلى الوالي حاجة قال فيه أبياتاً ثم يسأله حاجته .

قال أبو الحسن : كان شظاظ ^(٥) لصاً ، فأغار على قوم من العرب فاطرد ^(٦)

(١) كذا في جميع النسخ .

(٢) يستنزل : يطلب منه النزول ، وهو يضم ويضمين : قرى الضيف . وهذا الفعل بمعنى المعنى

مما لم يرد في المعاجم .

(٣) سبقت ترجمة شعبة بن الحجاج في (١ : ٣٦٩) .

(٤) سيماك بن حرب بن أوس الذهل البكري الكوفي ، كان فصيحاً عالماً بالشعر وأيام الناس ، وأدرك ثمانين من الصحابة ، وتوفى سنة ١٢٣ . تهذيب التهذيب . وسماك هذا ، بكسر السين ، وفتح الميم الخفيفة . تقريب التهذيب .

(٥) شظاظ ، بالكسر : لص من بني ضبة ، كان قريباً لمالك بن الربيع وأبي حردبة اللصين . وقد صلبه الحجاج . وهو الذي يقال فيه : « ألس من شظاظ » . وفيه وفي مالك يقول القائل :
الله نجاك من القصيم ومن شظاظ فاتح المعوم

ومالك وسيفه المسموم

الأغاني (١٩ : ١٦٣ - ١٦٩) واللسان (شظظ) .

(٦) هـ : « فطرد » ، وهما سيان ، بمعنى إبعادها للاستيلاء عليها .

نَعْمَهُمْ^(١) فساقتها ليلته حتى أصبح ، فقال رجل من أصحابه : لقد أصبحنا على قَصْدٍ من طريقنا . فقال : « إِنْ الْمُحْسِنَ مُعَانٌ » .

وقال أبو الحسن : أرى غلاماً من بنى عليّ^(٢) ، على عبد الملك ، وعبد الملك يومئذ غلام ، فقال له كهّل من كهولهم لما رآه مُمْسِكاً عن جواب المزني عليه : لو شكوتّه إلى عمّه انتقم لك منه . قال : أمسِكْ يا كهّل ؛ فإنّي لا أُعَدُّ انتقامَ غيري انتقاماً .

قال أبو الحسن : خاضَ جُلُساءُ عبد الملك يوماً في قتل عثمان ، فقال رجلٌ منهم : يا أمير المؤمنين ، في أيّ سِينِكَ^(٣) كنت يومئذ ؟ قال : كنت دون المُحْتَلَمِ ، قال : فما بلغ من حُزْنِكَ عليه ؟ قال : شغلني الغضبُ له عن الحُزْنِ عليه .

وكان عمر بن الخطاب ، رحمه الله ، إذا اشترى رقيقاً قال : اللهم ارزُقني أنصحهم جيئاً^(٤) ، وأطولهم عُمرأً .

وكان إذا استعمل رجلاً قال : إن العمل كِبَرٌ^(٥) : فانظر كيف تخرجُ منه . قال : ومضى أبو عبد الله الكرخي^(٦) إلى الرِّبَضِ^(٧) ، فجلس على بابه وتَفَشَّ

(١) ما عدل : « فطرد نعمهم » . والطرْد والاطراد : الشل . قال طريح :

أُمسِت تصفّقها الجنوب وأصبحت زرقاء تطرد القذى بحباب

(٢) أرى عليه ، أي زاد عليه في الكلام والجدال . وبنو علي هؤلاء ، هم بنو علي بن بكر بن وائل .

(٣) فيما عدل ، هـ : « في أي سنك » .

(٤) ناصح الجيب ، نقى الصدر خالص القلب لا غش فيه . وأصل الجيب جيب القميص والدراع ، وهو شقه الذي يدخل منه الرأس .

(٥) أراد أنه مجلبة للكبر . ل : « كبير » ، ولعلها « كبر » وهو المنفاخ ، ومنه الحديث : « المدينة كالكبر تنفى خبيثها » .

(٦) هو أبو عبد الله الكرخي اللحياني ، من معاصري الجاحظ ، وكان ممن يدعى الفقه والعلم . وانظر الحيوان (٣ : ٧ - ٨) حيث الخبر بعبارة أخرى . ونحو هذا الخبر للشعبي في العقد (٦ : ١٥٢) .

(٧) الربض : ما حول المدينة من خارج . وقد أراد ربض حرب . قال ياقوت : « هي المحلة المعروفة اليوم بالحرية » . والحرية : محلة كبيرة مشهورة ببغداد ، عند باب حرب ، تنسب إلى حرب بن عبد الله البلخي الراوندي ، أحد قواد المنصور .

لحيته وادعى الفقه ، فوقف عليه رجل فقال له : إني أدخلت إصبعي في أنفي فخرج عليها دم . قال : احتجّم . قال : جلست طيباً أو فقيهاً ؟!

قالوا : بينا الشعبي جالسٌ وأصحابه يناظرونه في الفقه ، إذا شيخٌ بقره قد أقبل عليه بعد أن طال جلوسه ، فقال له : إني أجذ في قفائ حكمةً أفترى لي أن أحتجّم ؟ قال الشعبي : الحمد لله الذي حوّلنا من الفقه إلى الحجامة .

قال : وذكر ناسٌ رجلاً بكثرة الصوم وطول الصلاة وشدة الاجتهاد ، فقال أعرابيٌّ كان شاهداً لكلامهم : بئس الرجل هذا ، يظنُّ أن الله لا يرحمه حتّى يعذب نفسه هذا التعذيب .

وقال ابن عَوْن : أدركت ثلاثة يتشدّدون في السّماع ، وثلاثة يتساهلون في المعاني ^(١) . فأما الذين يتساهلون فالحسن ، والشّعبي ^(٢) ، والنخعي ^(٣) . وأما الذين يتشدّدون فمحمد بن سيرين ^(٤) ، والقاسم بن محمد ^(٥) ، ورجاء بن حيوة ^(٦) . وقال رجل من أصحاب ابن لهيعة ^(٧) : ما رأيت أحسن أدباً من عبد الله بن

(١) ما عدال والتمورية : « المعاني » بالغين المعجمة ، تحريف . وفي الكفاية في علم الرواية ١٨٦ طبع حيدر آباد ١٣٥٧ عن الأصمعي قال : « سمعت ابن عون يقول : أدركت ستة ، ثلاثة منهم يشددون في الحروف ، وثلاثة يرخصون في المعاني . وكان أصحاب الحروف : القاسم بن محمد ، ورجاء بن حيوة ، ومحمد بن سيرين . وكان أصحاب المعاني : الحسن والشعبي ، والنخعي . فمدار الأمر على رواية الحديث باللفظ أو بالمعنى . (٢) هو عامر بن شراحيل المترجم في (١ : ١٩٤) .

(٣) هو إبراهيم بن يزيد النخعي المترجم في (١ : ١٩٢) . (٤) هو أبو بكر محمد بن سيرين الأنصاري البصري . كان مولى لأنس بن مالك وروى عنه ، وكان ثقة صدوقاً ورعاً ، وكان يُقْبَرُ الرؤيا . قال ابن عون : ثلاثة لم أر مثلهم كأنهم التقوا فتواصوا : ابن سيرين بالعراق ، والقاسم بن محمد بالحجاز ، ورجاء بن حيوة بالشام . ولد قبل مقتل عثمان بستين ، وتوفي سنة ١١٠ . تهذيب التهذيب ، وصفة الصفوة (٣ : ١٦٤) ووفيات الأعيان .

(٥) هو القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق أحتضنته عائشة بعد مقتل أبيه ، وكان أشبه ولد أبي بكر به ، وكان فقيهاً إماماً كثير الحديث ، وكان ابن سيرين يأمر من يحج أن ينظر إلى هدى القاسم فيقتدي به . وكان القاسم أحد الفقهاء السبعة بالمدينة ، توفي سنة ١٠٧ . تهذيب التهذيب ، وصفة الصفوة (٢ : ٤٩) ووفيات الأعيان ، ونكت الهميان ٢٣٠ .

(٦) ترجم في (١ : ٣٩٧) .

(٧) هو عبد الله بن عقبة بن لهيعة ، المترجم في (١ : ٣٦٢) .

المبارك (١) ، والمُعافى بن عمران (٢) .

وقال أبو الحسن : حَدَّثَنِي عَبْدُ الْأَعْلَى (٣) قال : رَأَيْتُ الطَّرِمَاحَ مُؤَدِّبًا بِالرِّىِّ فَلَمْ أَرِ أَحَدًا آخِذًا لِعَقُولِ الرُّجَالِ ، وَلَا أُجْذَبَ لِأَسْمَاعِهِمْ إِلَى حَدِيثِهِ مِنْهُ ، وَلَقَدْ رَأَيْتُ الصَّبَّيَّانَ يَخْرُجُونَ مِنْ عِنْدِهِ وَكَأَنَّهُمْ قَدْ جَالَسُوا الْعُلَمَاءَ .

قال : كَانَ رَجُلٌ يُلْغُهُ كَلَامُ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ ، فَبَيْنَا الرَّجُلُ يَطُوفُ بِالْبَيْتِ إِذْ سَمِعَ رَجُلًا يَقُولُ : « عَجَبًا لِقَوْمٍ أَمْرُوا بِالزُّادِ وَتُودِي فِيهِمْ بِالرَّحِيلِ ، وَحُسِ أَوْلَهُمْ عَلَى آخِرِهِمْ ، فَلَيْتَ شَعَرَى مَا الَّذِي يَنْتَظِرُونَ (٤) » . قال : فَقُلْتُ فِي نَفْسِي : هَذَا الْحَسَنُ .

قال : وَأَرْبَعَةٌ مِنْ قَرِيشٍ كَانُوا رَوَاةَ النَّاسِ لِلْأَشْعَارِ ، وَعِلَمَاءُهُمْ بِالْأَنْسَابِ وَالْأَخْبَارِ : مَحْرَمَةُ بْنُ نُوْفَلٍ بْنِ وَهَيْبٍ (٥) ، بَنُ عَبْدِ مَنَافٍ بْنِ زُهْرَةَ ، وَأَبُو الْجَهْمِ بْنُ حَذِيفَةَ بْنِ غَاثٍ ، وَحُوَيْطِبُ بْنُ عَبْدِ الْعَزَى (٦) ، وَحُوَيْطِبُ بْنُ عَبْدِ الْعَزَى (٧) ،

(١) ترجم في ص ٢٤ من هذا الجزء .

(٢) هو أبو مسعود المعافى بن عمران بن عقيل الأزدي الفهمي ، وكان ممن رُحِلَ في طلب العلم إلى الآفاق وجالس العلماء ، ولزم الثوري ، وكان زاهداً فاضلاً شريفاً ، مع صدق لهجة وعظم قدر . توفي سنة ٢٠٤ . تهذيب التهذيب وصفة الصفوة (٤ : ١٥١) .

(٣) هو عبد الأعلى بن عبد الله بن عامر ، المترجم في (١ : ٣٤٤) .

(٤) هذه الجملة الأخيرة من ل فقط .

(٥) ل : « وهب » . وأثبت ما في سائر النسخ ؛ إذ في السيرة ٤٢٧ ، والإصابة ٧٨٣٤ ونكت الهميان ٢٨٧ : « أهيب » . والواو والهمزة يتعاورهما الإبدال . وقد أسلم مخزومة يوم الفتح ، وكف بصره في زمن عثمان . وتوفي سنة ٥٤ وله مائة وخمس عشرة سنة .

(٦) ترجم له في الإصابة ٢٠٦ في باب الكنى . ويقال إن اسمه « عامر » أو « عبيدة » . كان أبو الجهم من مسلمة الفتح كذاك ، وكان من معمرى قريش ومشيوخهم . حضر بناء الكعبة مرتين : حين بنتها قريش ، وحين بناها ابن الزبير . ومات في آخر خلافة معاوية . وذلك في سنة ٦٠ .

(٧) وأما حويطب بن عبد العزى ، فكان أيضاً ممن أسلم . عام الفتح ، وكان من المؤلفين قلوبهم ، عمر مائة وعشرين سنة ، ومات في خلافة معاوية سنة ٥٤ . الإصابة ١٧٧٨ .

وَعَقِيلُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ^(١) . وَكَانَ عَقِيلٌ أَكْثَرَهُمْ ذِكْرًا لِلثَّالِبِ النَّاسِ ^(٢) ، فَعَادَوْهُ
لِذَلِكَ ، وَقَالُوا فِيهِ وَحَقَّقُوهُ . وَسَمِعْتُ ذَلِكَ الْعَامَّةَ مِنْهُمْ ، فَلَا تَزَالُ تَسْمَعُ الرَّجُلَ
يَقُولُ : قَدْ سَمِعْتُ الرَّجُلَ يَحْمِقُهُ . حَتَّى أَلْفَ بَعْضِ الْأَعْدَاءِ فِيهِ الْأَحَادِيثَ ^(٣)
فَمِنْهَا قَوْلُهُمْ : ثَلَاثَةٌ حَمَقَى كَانُوا إِخْوَةً ثَلَاثَةَ عَقْلَاءَ ، وَالْأُمُّ وَاحِدَةٌ : عَلِيٌّ
وَعَقِيلٌ ، وَأُمُّهُمَا فَاطِمَةُ بِنْتُ أَسَدِ بْنِ هَاشِمٍ ؛ وَعَتَبَةُ وَمَعَاوِيَةُ ابْنَا أَبِي سَفْيَانَ ،
وَأُمُّهُمَا هِنْدُ بِنْتُ عَتَبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ ؛ وَعَبْدُ الْمَلِكِ وَمَعَاوِيَةُ ابْنَا مَرْوَانَ ، وَأُمُّهُمَا عَائِشَةُ
بِنْتُ مَعَاوِيَةَ بْنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ أَبِي الْعَاصِ . فَكَيْفَ وَجَعَدَةُ بْنُ هُبَيْرَةَ يَقُولُ :

أَبِي مِنْ بَنِي مَخْزُومٍ أَنْ كُنْتُ سَائِلًا وَمِنْ هَاشِمٍ أُمِّي ، لَخَيْرِ قَبِيلٍ
فَمَنْ ذَا الَّذِي يَبْأَى عَلِيَّ بِخَالِهِ وَخَالِي عَلِيٌّ ذُو النَّدَى وَعَقِيلٌ ^(٤)

وَقَالَ قُدَّامَةُ بْنُ مُوسَى بْنِ قُدَّامَةَ بْنِ مَظْعُونٍ :

وَخَالِي بُغَاةُ الْخَيْرِ تَعْلَمُ أَنَّهُ جَدِيرٌ يَقُولُ الْحَقَّ لَا يَتَوَعَّرُ ^(٥)

(١) وعقيل هذا هو أخو علي وجعفر ابني أبي طالب ، تأخر إسلامه إلى عام الفتح . وكان عالماً
بأنساب قريش ومآثرها ومثالبها ، وكان الناس يأخذون عنه ذلك بمسجد المدينة ، كانت له طففة تطرح
في المسجد يصل على عليها ، ويجمع إليه في علم النسب وأيام العرب ، وكان قد فارق علياً ووفد إلى معاوية في دين
لحقه . قال ابن عباس : « كان في قريش أربعة يتحاكم الناس إليهم في المنازعات : عقيل ، ومخرمة ،
وحويطب ، وأبو الجهم . وكان عقيل يعد المساوي ، فمن كانت مساوية أكثر ينفر صاحبه عليه . وكان
الثلاثة يعدون المحاسن ، فمن كانت محاسنه أكثر ينفره على صاحبه » . مات في خلافة معاوية . وكان أسن
من أخيه جعفر بعشر سنين ، وجعفر أسن من علي بعشر سنين . الإصابة ٥٦٢٢ ونكت الهميان ٢٠٠ .
(٢) انظر الحاشية السابقة .

(٣) زاد الصفدي : « وكان مما أعانهم عليه في ذلك مغاضبته لأخيه علي ، وخروجه إلى معاوية » .
وروى الصفدي أيضاً أن الرسول قال له : « يا أبا يزيد ، إني أحبك حين : حبا لقربائك مني ، وحبا لما
كنت أعلم من حب عمي إياك » .

(٤) يباي ، من البأو ، وهو الفخر والكبر .

(٥) كذا في هـ والتميمورية بالعين المهملة . يتوعر : يتعسر . وفي سائر النسخ . « يتوفر » تحريف .

- وجدى على ذو التقى وابن أمه
فنحن ولادة الخير في كل موطن
وقال حسان بن ثابت (٣) :
إن خالى خطيب جابية الجؤ
وهو الصقر عند باب ابن سلمى
وسطت نسبتي الذوائب منهم
وأنى في سميحة القائل الفا
يفصل القول بالبيان ، وذو الرأ
تلك أفعاله وفعل الزبى
رب جلم أضاعه عدم الما
- عقيل وخالى ذو الجناحين جعفر (١)
إذا ما وئى عنه رجال وقصروا (٢)
لأن التعمان حين يقوم (٤)
يوم نعمة في الكبول مقيم (٥)
كل دار فيها أب لى عظيم
صل يوم التف عليه الخصوم (٦)
ي من القوم ظالع مكعوم (٧)
خامل في صديقه مذموم (٨)
ل جهل غطى عليه التعم

(١) كان جعفر يلقب بذي الجناحين ، وبالطيار أيضاً . انظر حواشي (١ : ٣١٢) .

(٢) ل : « فقصروا » .

(٣) من قصيدة له في ديوانه ٣٧٦ - ٣٨٠ والسيرة ٦٢٥ يعدد فيها أصحاب اللواء يوم أحد . مطلعها :

منع النوم بالعشاء الموم وخيال إذا تغور النجوم

وفي السيرة أن حسان قال هذه القصيدة ليلاً ، فدعا قومه فقال لهم : خشيت أن يدركنى أجل قبل أن أصبح فلا ترووها عنى .

(٤) خاله ، هو مسلمة بن مخلد بن الصامت . والجابية : قرية من أعمال دمشق قرب الحولان .

وأراد بالنعمان بنى جفنة الغساسنة . وستر الأبيات مرة أخرى في (٤ : ٥٨) .

(٥) ابن سلمى ، هو النعمان بن المنذر اللخمي ، وسلمى أمه ، أبوها يهودى من أنباط الشام .

الحيوان (٤ : ٣٧٧) . ونعمان هذا ، هو نعمان بن مالك بن نوفل ، كان النعمان بن المنذر قد حبسه ،

فوفد فيه وفي غيره حسان ، فأطلقوا لأجله . فصواب رواية البيت : « وأنا الصقر » كما في الديوان والسيرة .

ما عدا ل : « سقيم » .

(٦) سميحة : بئر بالمدينة تحاكت عندها الأوس والخزرج في حروبهم إلى ثابت بن المنذر والد

حسان ، أو إلى جده المنذر .

(٧) هذا البيت ساقط من الديوان والسيرة . والظالع : من به الظلع ، وهو غمز شبيه بالعرج .

والمكعوم : الذى شد فوه بالكعام .

(٨) الزبى ، والد عبد الله بن الزبى ، وكان بين حسان وعبد الله مهاجرة .

- ولِي الْبَاسَ مِنْكُمْ إِذْ أُيْتِمَ أُسْرَةٌ مِنْ بَنِي قُصَيٍّ صَمِيمٌ (١)
 وقريشٌ تجولُ منا لَوْأْدًا أَنْ يُقِيمُوا وَتَحَفَّ مِنْهَا الْحُلُومُ (٢)
 لم تَطُقْ حَمَلَهُ الْعَوَاتِقُ مِنْهُمْ إِنَّمَا يَحْمِلُ اللَّوَاءُ النُّجُومُ (٣)

وكان عَقِيلٌ رجلاً قد كَفَّ بصره ، وله بعدُ لسائنه وأدبه ونسبه وجوابه ، فلما فَضَّلَ نُظَرَاءَهُ مِنَ الْعُلَمَاءِ بهذه الخصال ، صار لسائنه بها أطول . وغاضب علياً وأقام بالشَّامَ ، وكان ذلك أيضاً مما أَطْلَقَ لسانَ الباغي (٤) والحاسد فيه . وزعموا أَنَّهُ قال له معاوية : هذا أبو يزيد (٥) ، لولا أَنَّهُ عَلِمَ أَنِّي خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَخِيهِ لَمَا أَقَامَ عِنْدَنَا وَتَرَكَهُ . فقال له عَقِيلٌ : « أَخِي خَيْرٌ لِي فِي دِينِي ، وَأَنْتَ خَيْرٌ لِي فِي دُنْيَايَ » .

وقال له مرة بصيفين (٦) : أَنْتَ معنا يا أبا يزيدَ اللَّيْلَةَ (٦) . قال : ويوم بدرٍ قَدْ كُنْتُ مَعَكُمْ .

وقال معاوية يوماً : يا أَهْلَ الشَّامِ ، هل سمعتم قول الله تبارك وتعالى في كتابه : ﴿ تَبَيَّنَ يَدَايَ أَهْلِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾ ؟ قالوا : نَعَمْ . قال : فَإِنَّ أبا لهبٍ عَمَّهُ . فقال عَقِيلٌ : فهل سمعتم قول الله جلَّ وعزَّ : ﴿ وَأَمْرُهُ خَمَالَةٌ الْحَطَبِ ﴾ (٧) ؟ قالوا :

(١) ولي ، من الولاية . والبأس : الحرب . صميم : خالصة النسب .
 (٢) الديوان : « تلوذ منا لواءاً » . السيرة : « نفر منا لواءاً » . لواءاً : استتاراً ، والحلوم : العقول .
 (٣) الضمير في « حمله » يرجع إلى « اللواء » في بيت . لم يروه الجاحظ ، وموقعه بعد بيت « ولي البأس » . وهو :

تسعة تحمل اللواء وطارت في رعاغ من القنا مخزوم

والعواتق : جمع عاتق ، وهو ما بين الكتف والعنق . والنجوم : الأشراف المشهورون .

(٤) ما عدال ، هـ : « وكان ذلك أيضاً أطلق للسان الباغي » . وكلمة « أيضاً » ساقطة من ل .

(٥) أبو يزيد ، كنية عَقِيل بن أبي طالب .

(٦) هذه الكلمة من ل فقط .

(٧) قراءة الجمهور بالرفع . وقرأ الحسن ، وزيد بن علي ، والأعرج ، وأبو حيوه ، وابن أبي عبيدة ، وابن محيصن ، وعاصم : « حمالة » بالنصب على الذم . إتحاف فضلاء البشر وتفسير أبي حيان . وحمالة الخطب هذه هي أم جميل بنت حرب ، أخت أبي سفيان ، فهي عمة معاوية .

نعم : قال : فإنها عَمَّتْهُ . قال معاوية : حسبنا ما لقينا من أخيك .

وذكروا أَنَّ امرأة عَقِيل ، وهى فاطمة ابنة عتبة بن ربيعة قالت : يا بنى هاشم لا يَحِبُّكُمْ قلبى أبداً ! أين أُمى ، أين عُمى ، أين أخى ، كَأَنَّ أعناقَهُمْ أباريقُ الفِضَّة ، تَرِدُ آنفُهم قَبْلَ شِفاهِهِمْ ^(١) . قال لها عَقِيل : إذا دَخَلْتَ جَهَنَّمَ فخذى على شِمَالِكَ .

وقيل لعمرَ رحمه الله : فلان لا يعرف الشرَّ . قال : ذلك أَجْدَرُ أن يَقَعَ فيه ^(٢) .

قال : وسمِعَ أعرابى رجلاً يَقْرَأُ : ﴿ وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ ۝ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفِرَ ^(٣) ﴾ ، قالها بفتح الكاف ، فقال الأعرابى : لا يكون . فقرأها عليه بضم الكاف وكسر الفاء ، فقال الأعرابى : يكون . ١٠

(١) كان العرب يتأدحون بطول الأنف ، ويتهاجون بقصرها .

(٢) انظر الحيوان (٧ : ٢٥٩) .

(٣) من كان كفر ، أى نوح عليه السلام ، إذ كان هو نعمة أهداها الله إلى قومه فكفروا بها وجحدوا نبوته . وقراءة البناء للفاعل : « كفر » صحيحة أيضاً ، قرأها زيد بن رومان ، وقتادة ، وعيسى . أى جزاء لقومه على كفرهم . فالجزاء فى الأولى بمعنى الثواب ، وفى الثانية بمعنى العقاب . انظر تفسير أى حيان (٨ : ١٧٨) . ١٥

باب

من الشعر فيه تشبيه الشيء بالشيء

قال الشاعر :

بدا البرق من نحو الحجاز فشاقتي وكل حجازي له البرق شائق (١)
 سرى مثل نبضي العرق والليل دونه وأعلام أبلَى كلها والأسائق (٢)
 وقال آخر :

أرقْتُ لبرق آخر الليل يلمع سرى دائباً حيناً يهْبُ ويهجع
 سرى كاحتسائ الطير والليل ضارب بأرواقه والصُّبحُ قد كاد يسطع (٣)

حدثني إبراهيم بن السُّنْدِي (٤) عن أبيه قال : دخل شابٌّ من بني هاشم
 على المنصور ، فسأله عن وفاة أبيه فقال : مَرِضَ أبى رضى الله عنه يوم كذا ،
 ومات رضى الله عنه يوم كذا ، وترك رضى الله عنه من المال كذا ، ومن الولد
 كذا . فانتهره الرِّبيع (٥) وقال : بين يَدَيَّ أمير المؤمنين تُوالي بالدُّعاء

(١) ل : « سرى البرق »

(٢) أبلَى ، بالضم والقصر : جبال بين مكة والمدينة . والأسائق : جمع من جموع السلق ،
 بالتحريك ، وهو القاع المطمئن المستوى لا شجر فيه .

(٣) فى اللسان (قذى) بيت يشبه هذا ، منسوب إلى حميد بن ثور . وهو :

خفى كافتذاء الطير والليل واضع بأرواقه والصبح قد كاد يلمع

وفى حواشى هـ : « كافتذاء » وفيها أيضاً : « أى كانتزاع القذى من عيونها ، فى السرعة » .

(٤) سبقت ترجمته فى (١ : ٣٦٧) .

(٥) هو أبو الفضل الربيع بن يونس بن محمد بن أبى فروة كيسان ، حاجب المنصور . وكان ابن
 عياش المنتوف يظعن فى نسب الربيع طعناً قبيحاً ويقول للربيع : فيك شبه من المسيح ! يخدعه بذلك ،
 فكان يكرمه لذلك ، حتى أخبر المنصور بما قال له ، فقال : إنه يقول : لا أب لك . فتنكر له بعد ذلك . وكان
 أبو فروة كيسان مولى للمحارث الحفار مولى عثمان بن عفان . ففى الربيع وجده يقول الحارث بن الديلمى :
 شهدت بإذن الله أن محمداً رسول من الرحمن غير مكذب =

لَأَبِيكَ ^(١) ؟ فقال الشَّابُّ : لا أَلُمُّكَ ؛ لأنك لم تعرف حلاوة الآباء . قال : فما علمنا أنَّ المنصور ضحك في مجلسه ضحكا قطُّ فافترَّ عن نواجذِهِ إلا يومئذ . وحدثني إبراهيم بن السُّنْدِيُّ عن أبيه قال : دخل شابٌّ من بنى هاشم ^(٢) على المنصور ، فاستجلسه ذات يوم ودعا بَعْدَاءَهُ ، فقال للفتى : اذُنُهُ . قال الفتى : قد تغدَّيتُ يا أمير المؤمنين . فكفَّ عنه الربيع حتى ظننَّا ^(٣) أنه لم يَفْطِنْ لخطابه ، فلَمَّا نَهَضَ إلى الخروج أمهله ، فلَمَّا كان من وراء السُّرِّ دفع في قفاه ، فلما رأى ذلك الحُجَّابُ منه دفعوا في قفاه حتَّى أخرجوه من الدَّار ، فدخل رجالٌ من عُمومة الفتى فشكَّوا الربيعَ إلى المنصور ، فقال المنصور : إنَّ الربيع لا يُقَدِّم على مثل هذا إلا وقى يَدَيْهِ حُجَّةً ، فإن شئتُمْ أغضيتُمْ على ما فيها ، وإن شئتُمْ سألتُهُ وأنتم تسمعون . قالوا : فسَلُّهُ . فدعا الربيعَ وَقَصَّوا قِصَّتَهُ ، فقال الربيع : هذا الفتى كان يسلم من بعيد وينصرف ، فاستدناهُ أمير المؤمنين حتى سلم عليه من قريب ثم أمره بالجلوس ، ثم تبدَّل بين يديه وأكل ، ثم دعاه إلى طعامه ليأكل معه ^(٤) من مائدته ، فبلغ من جهله ^(٥) بفضيلة المرتبة التي صيَّره فيها أن قال ^(٦) حين دعاه إلى غَدَائِهِ : قد تغدَّيت ! فإذا ليس عنده لمن تَغْدَى مع أمير المؤمنين إلا سدُّ نَحْلَةِ الجوع ، ومثل هذا لا يَقُومُهُ القَوْلُ دون الفعل . وحدثنا إبراهيم بن السُّنْدِيُّ عن أبيه قال : والله إني لواقفٌ على رأس

٦٨

= وأن ولا كيسان للحارث الذي ولى زمنا حفر القبور بيثرب

وقد انتقل الربيع من حجابة المنصور إلى الوزارة له ، ثم حجب المهدي . وهو الذي بايع المهدي وخلع عيسى بن موسى . وابنه الفضل حجب هارون ومحمداً المخلوع . وابنه العباس بن الفضل حجب الأمين . ومات في أول ١٧٠ . تاريخ بغداد ٤٥٢١ .

٢٠

(١) في حواشي هـ : « قال هذا الربيع لأنه أعجمي سبي صغيراً ونشأ مع المسلمين » .

(٢) في المحاسن والمساوي لليبقي (١ : ١٢٣) أنه محمد بن عيسى بن علي .

(٣) ل : « ظننت » .

(٤) ل : « إلى طعامه معه » .

٢٥

(٥) ل : « فبلغ من جهله » .

(٦) ما عدل ، هـ : « إلى أن قال » .

الرَّشِيد ، وَالْفَضْلُ بْنُ الرَّبِيعِ وَقَفَ فِي الْجَانِبِ الْآخَرَ (١) وَالْحَسَنُ اللَّؤْلُؤِيُّ (٢) يَحْدُثُهُ وَيَسْأَلُهُ عَنْ أُمُورٍ ، وَكَانَ آخِرَ مَا سَأَلَهُ عَنْ بَيْعِ أُمَهَاتِ الْأَوْلَادِ ، فَلَوْلَا أَتَى ذَكَرْتُ أَنَّ سُلْطَانَ مَا وَرَاءَ السُّتْرِ لِلْحَاجِبِ ، وَسُلْطَانَ الدَّارِ لِصَاحِبِ الْحَرَسِ ، وَأَنَّ سُلْطَانِي إِنَّمَا هُوَ عَلَى مَنْ خَرَجَ مِنْ حُدُودِ الدَّارِ ، لَقَدْ كُنْتُ أَخَذْتُ بِضَبْعِهِ (٣) وَأَقَمْتُهُ ، فَلَمَّا صِرْنَا وَرَاءَ السُّتْرِ قُلْتُ لَهُ وَالْفَضْلُ يَسْمَعُ : أَمَّا وَاللَّهِ لَوْ كَانَ هَذَا مِنْكَ فِي مَسَايِرَةٍ أَوْ مَوْقِفٍ لَعَلِمْتُ أَنَّ لِلْخَلِيفَةِ رِجَالًا يَصُونُونَهَا عَنْ مَجْلِسِكَ .

وَحَدَّثَنِي إِبْرَاهِيمُ بْنُ السَّنْدِيِّ قَالَ : بَيْنَا الْحَسَنُ اللَّؤْلُؤِيُّ فِي بَعْضِ اللَّيَالِي بِالرَّقَّةِ يَحْدُثُ الْمَأْمُونُ وَالْمَأْمُونُ يَوْمَئِذٍ أَمِيرٌ ، إِذْ تَعَسَّ الْمَأْمُونُ ، فَقَالَ لَهُ اللَّؤْلُؤِيُّ : نَمَتْ أَيُّهَا الْأَمِيرُ ؟ فَفَتَحَ الْمَأْمُونُ عَيْنَيْهِ وَقَالَ : سَوَقٌ وَاللَّهِ ، تُحْذِ يَا غُلَامُ بِيَدِهِ .

قَالَ : وَكُنَّا يَوْمًا عِنْدَ زِيَادِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ مَنْصُورِ بْنِ زِيَادٍ ، وَقَدْ هَيَّأْنَا لِلْفَضْلِ ابْنَ مُحَمَّدٍ طَعَامًا ، وَمَعَنَا فِي الْمَجْلِسِ خَادِمٌ كَانَ لِأَيِّهِمْ (٤) ، فَجَاءَ رَسُولُ الْفَضْلِ إِلَى زِيَادٍ فَقَالَ : يَقُولُ لَكَ أَخُوكَ : قَدْ أَدْرَكَ طَعَامُنَا فَتَحَوَّلُوا . وَمَعَنَا فِي الْمَجْلِسِ إِبْرَاهِيمُ النَّظَّامُ ، وَأَحْمَدُ بْنُ يَوْسُفَ ، وَقُطْرُبُ النَّحْوِيِّ ، فِي رِجَالٍ مِنْ أَذْبَاءِ النَّاسِ وَعِلْمَائِهِمْ ، فَمَا مِنَّا أَحَدٌ فَطِنَ لَخَطَا الرَّسُولَ . فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ مَبْشُرُ الْخَادِمِ (٥) ، فَقَالَ : يَا ابْنَ اللَّحْنَاءِ ، تَقِفُ عَلَى رَأْسِ سَيِّدِكَ فَتَسْتَفْتِحُ الْكَلَامَ كَمَا تَسْتَفْتِحُهُ لِرَجُلٍ مِنْ غُرُضِ النَّاسِ (٦) . أَلَا تَقُولُ : يَا سَيِّدِي ، يَقُولُ لَكَ أَخُوكَ : تَرَى أَنَّ تَصْصِيرَ إِلَيْنَا بِإِخْوَانِكَ فَقَدْ تَهَيَّأَ أَمْرُنَا ؟

(١) مَا عَدَلَ : « وَقَفَ فِي الْجَانِبِ الْأَيْسَرِ » .

(٢) هُوَ أَبُو عَلِيٍّ الْحَسَنُ بْنُ زِيَادِ اللَّؤْلُؤِيِّ ، مَوْلَى الْأَنْصَارِ ، وَأَحَدُ أَصْحَابِ أُنَى حَنِيفَةِ وَالرَّوَاةِ عَنْهُ . كُوفِي نَزَلَ بَغْدَادَ ، وَوَلَّى الْقَضَاءَ بَعْدَ حَفْصِ بْنِ غِيَاثَ سَنَةَ ١٩٤ . وَيُرْوَى عَنْهُ أَنَّهُ كَانَ يَكْسُو مَمَالِيكَه كَمَا كَانَ يَكْسُو نَفْسَهُ . وَكَانَ يَضْعَفُ فِي حَدِيثِهِ . لِسَانُ الْمِيزَانِ (٢ : ٢٠٨) وَتَارِيخُ بَغْدَادَ ٣٨٢٧ .

(٣) الضَّيْعُ ، بِفَتْحِ الضَّادِ وَسُكُونِ الْبَاءِ : الْعَضْدُ ، أَوْ وَسْطُهُ .

(٤) مَا عَدَلَ : « وَكَانَ لَا يَهْتَمُّ » .

(٥) لَ : « مِيسِرُ الْخَادِمِ » .

(٦) مِنْ عَرَضِ النَّاسِ ، بِالضَّمِّ ، أَيْ أَوْسَاطِهِمْ وَجُمْهُورِهِمْ .

وابتعت خادماً كان قد خدم أهل الثروة واليسار وأشباه الملوك ، فمرَّ به خادم من معارفه ممن قد خدمَ الملوك فقال له : إن الأديب وإن لم يكن ملكاً فقد يجب على الخادم أن يخدمه خدمة الملوك ، فانظر أن تخدمه خدمةً تامة . قلت له : وما الخدمة التامة ؟ قال : الخدمة التامة أن تقوم في دارك لبعض الأمر وبينك وبين النعل ^(١) مَمْشَى خَمْسٍ حُطْطَى فلا يدَعُك أن تَمْشَى إليها ، ولكن يأخذها ويُدْنِيها منك . ومن كان يضع النعل اليسرى قُدَّامَ الرجل اليمنى فلا ينبغي لمثل هذا أن يدخل على دار ملك ولا أديب . ومن الخدمة التامة أن يكون إذا رأى مُتَكاً يحتاج إلى مَحْدَةٍ ألا ينتظر أمرَكَ . ويتعاهد لِفَقَةِ الدَّوَاةِ قبل أن تأمره أن يصبَّ فيه ماءً أو سواداً ، وينفُضَ عنها الغُبَارَ قَبْلَ أن يَأْتِيكَ بها . وإن رأى بين يديك قرطاساً على طِيَّهِ قطع رأسَه ووضَعَه بين يديكَ على كَسْرِهِ . وأشباه ذلك .

* * *

قال : ولَمَّا كَلَّمَ عُرْوَةَ بن مسعودٍ الثقفي ^(٢) ، رسولَ الله ﷺ ، كان في ذلك رَيمًا مَسَّ لَحْيَةَ النَّبِيِّ ﷺ ، فقال له المغيرةُ بن شعبة ^(٣) نَحْ يَدُكَ عن لَحْيَةِ رسول الله عليه السلام قبل ألا ترجع إليك يَدُكَ . فقال عروة : يا غُدْرُ ^(٤) هل غَسَلْتُ رَأْسَكَ من غُدْرَتِكَ إِلَّا بِالْأَمْسِ ^(٥) ؟

(١) ل : « نعلك » .

(٢) هو عروة بن مسعود بن معتب بن مالك بن كعب بن عمرو بن سعد بن عوف ابن ثقيف الثقفي . وهو عم والد المغيرة بن شعبة . وفيه نزل قول الله : « على رجل من القريتين عظيم » . قدم على الرسول سنة تسع . وقتله رجل من ثقيف . الإصابة ٥٥١٨ .

(٣) سبقت ترجمته في (١ : ٣٢٧) .

(٤) يا غدر ، أى يا كثير الغدر ، يقال للذكر غدر ، وللأنثى غدار كقطام ، وهما مختصان بالنداء في الغالب .

(٥) غسلت ، كذا ضبطت على الصواب بضم التاء في اللسان (غلوا) . وفيه : « وهل غسلت غدرتك إلا بالأمس » . وقد فسر ابن هشام هذا في السيرة ٧٤٤ جوتجن بقوله : « أراد عروة بقوله هذا أن =

قال : ونادى رجالاً من وفد بني تميم ^(١) النبي ﷺ باسمه من وراء
الحجرات ، فأنزل الله تبارك وتعالى في ذلك : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ
الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ . وقال الله جلّ ذكره : ﴿ لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ
الرُّسُولِ يُنَبِّئُكُمْ كَدُّعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضاً ﴾ .

وقال ابن هرمة أو غيره ^(٢) :

لله دُرٌّ سَمِيدٌ فَجَعَتْ بِهِ يَوْمَ الْبِقِيعِ حَوَادِثُ الْآيَامِ ^(٣)
هشٌّ إذا نزل الوفودُ ببابه سهلُ الحجابِ مؤدَّبُ الخُدَّامِ
فإذا رأيتَ صديقه وشقيقه لم تدر أئيهما أخو الأرحامِ ^(٤)

* * *

قال أبو الحسن : بينا هشامٌ يسير ومعه أعرأىٌ إذ انتهى إلى ميل عليه
كتاب ، فقال للأعرأى : انظر أى ميل هذا ؟ فنظر ثم رجع إليه ، فقال : عليه
مُخَجَّنٌ وَحَلَقَةٌ ، وثلاثة كأطباء الكلبة ، ورأسٌ كأنه رأس قطاة . فعرفه هشامٌ
بصورة الهجاء ولم يعرفه الأعرأى ، وكان عليه « حَمْسَةٌ » .

= المغيرة بن شعبة قبل إسلامه قتل ثلاثة عشر رجلاً من بني مالك ، من ثقيف ، فتهايج الحيان من ثقيف ،
بنو مالك رهط المقتولين ، والأحلاف رهط المغيرة ، فودى عروة المقتولين ثلاث عشرة دية ، وأصلح
ذلك الأمر .

(١) كان قدوم وفد تميم إلى الرسول الكريم سنة تسع ، وكانت تلك السنة تسمى سنة الوفود .
وكان رأس وفد تميم عطارد بن حاجب بن زرارة ، وفي الوفد من أشرف تميم الأقرع بن حابس ،
والزبرقان بن بدر ، وعمرو بن الأهتم ، والختات بن يزيد . فلما دخلوا المسجد نادوا رسول الله من وراء
حجراته : أن أخرج إلينا يا محمد .

(٢) تروى الأبيات التالية لمحمد بن بشير الخارجي ، انظر حماسة أوى تمام (١ : ٣٣٤) في باب
المرائى ؛ وقد أنشد البيهقي هذه الأبيات في المحاسن (١ : ١٢٤) بدون نسبة .

(٣) البقيع : ويقال له بقيع الغرقد ، هو مقبرة أهل المدينة ، وهى داخل المدينة .

(٤) هـ : « شقيقة وصديقة » .

نوادير الأعراب

استشهدوا أعرابياً على رجل وامرأة ، فقال : رأيته قد تَقَمَّصَهَا ، يحفُزُها بمؤخَّره ، ويجذبها بمقدِّمه ، وخَفِيَ عَلَى المسلك .

وقال آخر : رأيته قد تَبَطَّنَهَا ، ورأيتُ خَلْخَالَ شَائِلًا ^(١) ، وسمعت نَفْسًا عالياً ، ولا علم لى بشيء بَعْدُ .

* * *

وقال أعرابيٌّ : رأيت هذا قد تناولَ حَجراً فالتَفَّ بهذا ، وحجَرَ النَّاسَ بينهما ، وإذا هذا يستدِمِّي .

* * *

وقال بعضهم : الشيب نذير الآخرة .

وقال قيس بن عاصم : الشيب خطام المنية .

وقال آخر : الشيب توأم الموت .

وقال الحكيم : شيب الشَّعر موتُ الشَّعر ، وموت الشَّعر عِلَّة موت البَشَر .

وقال المعتبر بن سليمان : الشيب أوَّل مراحل الموت .

وقال السَّهمي : الشيب تمهيد الحِمَام .

وقال العتَّابي : الشيب تاريخ الكتاب ^(٢) .

وقال النَّمري : الشيب عنوان الكِبَر .

وقال عدى بن زيد العبادي :

وابيضاضُ السَّواد من نُذُرِ المَوْتِ وهل مثله لحَيٍّ نذيرُ ^(٣)

٢٠ (١) ما عدل : « خلخالها شائلا » . والشائل : المرتفع .

(٢) أى كتاريخ الكتاب ، إنما يكون فى آخره .

(٣) ما عدل : « من نذر الشر » . وأشير فى حواشى هـ إلى رواية « الموت » .

وقال الآخر :

أصبح الشَّيبُ في المفارق شاعا واكتسَى الرَّأسُ من بياضِ قِنَاعَا (١)

ثمَّ وَلَّى الشَّبَابُ إِلَّا قَلِيلاً ثم يَأْبَى القَلِيلُ إِلَّا نَزَاعَا (٢)

قال : وقال رجلٌ لأشعب (٣) : ما شكرتُ معروفى عندك . قال : لأنَّ

معروفك جاء من عند غير مُحتَسِبٍ فوقع إلى غير شاكر .

وخَفَّفَ أشعبُ الصلاةَ مرَّةً فقال له بعضُ أهلِ المسجد : خَفَّفْتَ

صلاتك جدًّا . قال : لأنه لم يخالطها رياء .

(١) البيتان في الحيوان (٣ : ١١١) .

(٢) وكذا في الحيوان . وفي ل : « وتولى الشباب » .

(٣) هو أشعب بن جبير ، الذى يضرب به المثل في الطمع . نشأ أشعب بالمدينة ، وتولت تربيته عائشة بنت عثمان بن عفان . وفي ذلك يقول : نشأت أنا وأبو الزناد في حجر عائشة بنت عثمان ، فلم يزل يعلو وأسفل حتى بلغنا هذه المنزلة . انظر أخباره وطرائفه في الأغاني (١٧ : ٨٣ - ١٠٥) .

كلام بعض المتكلمين من الخطباء

- الحمد لله كما هو أهله ، والسلام على أنبيائه المقربين الطيبين . أخى ،
لا تَغْتَرَنَّ بطول السلامة مع تضييع الشُّكر ، ولا تُعْمِلَنَّ نعمة الله في معصيته ،
فإنَّ أقلَّ ما يجب لِمُهدِئِهَا ألاَّ تجعلَهَا ذريعةً في مخالفته . واعلم أنَّ النِّعمَ تَوَافِرُ ، ولَقَلَّما
أَقْشَعَتْ (١) نافرةً فرجَعَتْ في نصابِها ، فاستدعِ شاردَهَا بالتَّوْبَةِ ، واستدِمِ الرَّاهِنَ
منها بِكَرَمِ الجِوَارِ ، واستفتِحْ بابَ المَزِيدِ بِحُسْنِ التَّوَكُّلِ ، ولا تحسَبْ أنَّ سُبُوغَ
سِتْرِ نِعَمِ اللَّهِ عَلَيْكَ غَيْرُ مُتَقَلِّصٍ عَمَّا قَرِيبٌ إِذَا لم تُرْجُ اللَّهَ وَقَاراً (٢) وإني لأُحْشَى
أَنْ يَأْتِيَنَّكَ أَمْرُ اللَّهِ بَغْتَةً ، أَوْ الْإِمْلَاءُ (٣) فهو أَوْباً مَعْبَةً (٤) ، وأُثْبِتْ في الحُجَّةِ ،
وَلَانَّ لا تعمل ولا تعلم (٥) خير من أن تعلم ولا تعمل . إِنَّ الجَاهِلَ لم يُؤْتِ من
سُوءِ نِيَّةٍ ولا استخفافِ بُرُوبِيَّةٍ ، وليس كَمَنْ قَهَرْتَهُ الحُجَّةُ وأَعْرَبَ له الحَقُّ
مَفْصِيحاً عَنْ نَفْسِهِ ، فَاتَّزَّ الغَفْلَةُ ، والخَسِيسَ مِنَ الشَّهْوَةِ ، على اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ،
فَأَسَمَحَتْ نَفْسُهُ عَنِ الْجَنَّةِ (٦) ، وَأَسْلَمَهَا لِأَيِّدِ الْعُقُوبَةِ (٧) . فاستشِرْ عَقْلَكَ ،
وَرَاجِعْ نَفْسَكَ ، وادرسِ نِعَمَ اللَّهِ عِنْدَكَ ، وتذكَّرْ إِحْسَانَهُ إِلَيْكَ ؛ فَإِنَّهُ مَجْلَبَةٌ
لِلْحَيَاءِ ، وَمَرَدَعَةٌ لِلشَّهْوَةِ ، وَمَشْحَذَةٌ عَلَى الطَّاعَةِ ؛ فَقَدْ أَظْلَمَ الْبَلَاءُ أَوْ كَانَ قَدْ ،

(١) أقشعت : أفلعت وانكشفت .

(٢) اقتباس من قول الله تعالى : « ما لكم لا ترجون لله وقاراً » ، أى لا تخافون الله عظمة . ل :

« إن لم ترج » .

(٣) الإملاء : الإمهال والتأخير . هـ : « أو فالإملاء » .

(٤) المغبة : العاقبة . أوباً : أوعم . ما عدل ، هـ : « أولى » ، تحريف .

(٥) ل « فلأن تعمل ولا تعلم » .

(٦) أى انقادت إلى غير ما يدخلها الجنة .

(٧) الآبد : الخالد المقيم .

فكفكف عنك غَرْبَ شؤبويه^(١)، وجوائعَ سَطَوته، بسرعة النزوع، وطول التضرُّع .
 ثلاث هي أَسْرَعُ في العقل من النار في يبيس العَرْفَج : إهمال الفكرة، وطول التَّمَنَّى،
 والاستغراب في الضَّحِك . إنَّ الله لم يخلق النارَ عَبَثاً، ولا الجنةَ هَمَلاً، ولا الإنسانَ سُدىً .
 فاعترف رَقَّ العُبوديَّة، وعَجَزَ البَشَرِيَّة، فكلُّ زائدٍ ناقصٌ، وكلُّ قرينٍ مفارقٌ قرينه، وكلُّ
 غنيٍّ محتاجٌ، وإنَّ عَصَفَتْ به الخِيَلَاءُ وأَبْطَرَه العُجْب، وَصَالَ على الأقران ؛ فإنه مُذَالٌ
 مدبِّرٌ، ومقهوَرٌ مُيسَّرٌ . إنَّ جاعَ سَخِطَ المِخْنَة، وإنَّ شَبَعَ بَطَرَ النُّعْمَة . تُرضيه اللَّمْحَة
 فيستشري مَرَحاً، وتُغْضِبه الكلمةُ فيستطير شِقَقاً^(٢)، حتى تنفسخ لذلك مُنْتَه^(٣)،
 وتنقُضَ مَرِيرَتُهُ^(٤)، وتضطرب فريصَتُهُ^(٥)، وتنتشر عليه حُجَّتُهُ . وَلَلْعَجْبُ من لبِيبِ توبِقه
 الحِياطة، وَيَسْلَمُ مع الإضاعة، ويؤتَى من الثَّقة، ولا يشعرُ بالعاقبة . إنَّ أَهْمَلَ عَمَى، وإنَّ
 عَلِمَ نَسَى . كيف لم يَتَّخِذِ الحَقُّ مَعْقِلاً يُنْجِيهِ، والتَّوَكُّلُ ذائداً يَحْمِيهِ . أَعَمَى عن الدَّلالة^(٦)،
 وَعَن وُضوحِ الحِجَّة، أم آثَرُ العاجِلِ الحَسيسِ، على الآجِلِ النَّفيسِ ؟ وكيف توجَدَ هذه
 الصِّفَّة مع صِحَّةِ العُقْدَة^(٧)، واعتدالِ الفِطْرة ؟ وكيف يُشِيرُ رائدُ العقل، بإيثار القليل
 الفاني على الكثير الباقي . وما أَظُنُّ الذي أَقْعَدَكَ عن تناولِ الحِظِّ، مع قُرْب

(١) الغرب : الحد . وشؤبوب كل شيء : دفعته وحده .

(٢) الشَّقُّ : جمع شقة بالكسر، وهي القطعة . وفي اللسان : « ومنه حديث عائشة رضي الله عنها : فطارت شقة منها في السماء وشقة في الأرض . هو مبالغة في الغضب والغليظ » .

(٣) المنة ، بالضم : القوة .

(٤) تنقُضُ : تنحل وتنكس . والمريرة : هي من الحبال ما لطف وطال واشتد فتله ، والمراد بالمريرة هنا : الشكيمة والعزة .

(٥) الفريضة : لحمية بين الحنبل والكنف ، ترعد عند الفزع . ٢٠

(٦) ما عدال ، هـ : « عن الدلائل » .

(٧) العقدة بالضم : العقيدة والرأى . وفي الحديث : « أن رجلاً كان يبايع وفي عقدته ضعف » ، أى في رأيه ونظره في مصالح نفسه .

مَعْنَاهُ ، حتى صار لا يَشْنِيكَ زَجْرُ الوَعِيدِ ، ولا يكْدَحُ في عَزَمَاتِكَ قُوَّةُ
الْجَنَّةِ ^(١) ، حتى ثَقُلْتَ على سَمْعِكَ الموعظة ، وَبَتَّ عن قلبك العبرة ^(٢) إلا طُولُ
مَجَاوِرَةِ التَّقْصِيرِ ، واعتيادُ الراحة ، والأُنْسِ بالهُوَيْنِ ، وإِثَارُ الأَخْفِ ، وإِلْفُ قَرِينِ
السَّوِّءِ . فاذكر الموتَ وأدِمِ الفِكْرَةَ فيه ؛ فَإِنَّ مَنْ لم يعتبر بما يرى لم يَعتبر بما لا يرى .

- وإن كان ما يوجد بالعيان من مواقع العبرة لا يكشف لك عن قبيح ما أنت
عليه ، وَهُجْنَةٌ ما أصبحت فيه ، من إثارة باطلك على حقِّ الله ، واختيار الوهن
على القوة ، والتفريط على الحزم ، والإسفاف إلى الدون ^(٣) ، واصطناع العار ،
والتعرض للمقت ، وبسط لسانِ العائب - فمستنبطات الغيب ^(٤) أخرى
بالعجز عن تحريكك ، وَثَقْلُكَ عن سُوءِ العادة التي آثَرَتْهَا على رَبِّكَ . فاستحي
لِلْبُكَ ، واستبق ما أَفْضَلَ الْخِذْلَانُ من قُوَّتِكَ ، قبل أن يستولِيَ عليك
الطبع ، ويشتد بك العجز ^(٥) . أو ما علمت أَنَّ المعصية تُثْمِرُ المَذَلَّةَ ، وَثَقْلَ
غَرَبِ اللِّسَانِ ، مع السَّلَاطَةِ . بل ما علمت أَنَّ المستشعر بِذُلِّ الخطيئة ، المخرج
نفسه من كَنَفِ الْعِصْمَةِ ، المتحلِّي بدنس الفاحشة ، نَظْفُ الثَّنَاءِ ^(٦) ، زَمُرُ
المروءة ^(٧) ، قَصِيُّ المَجْلِسِ ، لا يُشَاوِرُ وهو ذو بَزَلَاءٍ ^(٨) ، ولا يُصَدَّرُ وهو جميل
الرَّوَاءِ ^(٩) ؛ يُسَالِمُ مَنْ كان يسطو عليه ، وَيَضْرَعُ لِمَنْ كان يرغب إليه . يَجْذُلُ

٧٣

(١) يكْدَحُ : يؤثر . ما عدا ل : « يقْدَحُ » وهما بمعنى .

(٢) نبت عنه : زابله وتجاقت عنه . ما عدا ل ، هـ : « نبت » ولعل هذه « نأت » .

(٣) أَسْفُ إلى الدون : نزل إليه . ما عدا ل ، هـ : « والإسفاف على الدون » ، تحريف جره توهم

السياق المزاحجة إلى هنا .

(٤) مستنبطات الغيب : مستخرجاته وما يظهر منه .

(٥) هذا ما في ل . وفي هـ : « عليه الطبع ويشتد به العجز » ، وسائر النسخ : « عليه الطبع

ويشتد عليه العجز » .

(٦) النظف : الملطخ المتهم . والثناء : ما تصف به الإنسان من مدح أو ذم . وخص بعضهم به المدح .

(٧) زمر المروءة : قليلها .

(٨) البزلاء : الرأي الجيد ، والعقل .

(٩) يصدر : يجعل في الصدر والمقدم . والرواء ، بالضم : المنظر ، ومادته (رأى) .

بحاله المَبْغِضُ الشَّانِي^(١) ، وَيُثَلَّبُ بقربه القريب الداني^(٢) ، غامض الشَّخْص^(٣) ضئيل الصوت ، نَزَّرُ الكلام متلجلج الحُجَّة ، يتوقَّع الإسكات عند كل كلمة^(٤) ، وهو يرى فضلَ مَزِيَّتِهِ وصريحَ بُهِّهِ ، وحسنَ فَضِيلَتِهِ ، ولكنَّ قِطْعَهُ سوء ما جَنَى على نفسه . ولو لم تَطَّلِعْ عليه عيون الخليفة لهجست العقولُ بإذهانه^(٥) . وكيف يمتنع من سقوط القَدَر^(٦) وظنُّ المتفَرُّس ، مَنْ عَرِيَ عن حِلْيَةِ التقوى ، وسُلِبَ طابَعُ الهُدَى . ولو لم يَتَعَشَّه ثوبُ سريره ، وقبيحُ ما احتجن إليه من مخالفته ربَّه^(٧) ، لأضرعته الحُجَّة^(٨) ، ولفسحَه وهُنُ الخطيئة ، ولقطعه العِلْمُ بقبيح ما قارف^(٩) ، عن اقتدارِ ذوى الطَّهارة في الكلام ، وإدلالِ أهل البراءة في الندي^(١٠) . هذه حالُ الخاطيء في عاجل الدنيا ؛ فإذا كان يومُ الجزاء الأكبر فهو عانٍ لا يُفَكُّ^(١١) ، وأسيرٌ لا يُفَادَى ، وعاريَّة لا تُودَى . فاحذرْ عادةَ العجز وإلف الفكاهة^(١٢) ، وحبَّ الكِفاية ، وقلةِ الاكتراث للخطيئة ، والتأسُّف على الفائت منها ، ضعفَ التَّدَمُّ في أعقابها .

أخى ، أنعى إليك القاسى^(١٣) ، فإنه ميّت وإن كان متحرِّكا ، وأغمى وإن

(١) يجذل : يشتد سروره ، وذلك شمانية به .

(٢) يثلب : يعاب ويتقص .

(٣) ق ل : « الشقص » ، صوابه من سائر النسخ .

(٤) الإسكات : السكوت . قال أوس بن حجر .

لنا طريقة ثم إسكاته كما طرقت بنفاس بكر

(٥) الإذهان : الغش والمصانعة . ما عدل ، هـ : « بأذهانه » .

(٦) ما عدل : « العذر » .

(٧) احتجن الشيء إليه : ضمه وأمسكه . ما عدل : « من مخالفة ربه » .

(٨) أضرعته : أخضعته وأذلته .

(٩) قارف الذنب : قاربه . ل فقط : « قارب » .

(١٠) الندى والنادى : مجلس القوم .

(١١) العانى : الأسير ، سمي بذلك لخضوعه .

(١٢) الفكاهة ، بالفتح مصدر ، وبالضم الاسم ، وهى المزاح وطيب النفس .

(١٣) ما عدل ، هـ : « العانى » .

كان رائيًا . واحذر القَسْوَةَ فَإِنَّهَا رَأْسُ الْخَطَايَا ، وأَمَارَةُ الطَّبَعِ ^(١) . وهى الشَّوْهَاءُ العَاقِرُ ، والدَاهِيَةُ الْعُقَامُ . وأَرَاكَ تَرْتَكِضُ فِي حَبَائِلِهَا ^(٢) ، وَتَسْتَقْبِسُ مِنْ شَرِّهَا . وَلَا بَأْسَ أَنْ يَعْظَ الْمُقَصِّرُ مَا لَمْ يَكُنْ هَازِلًا . وَلَنْ يَهْلِكَ أَمْرُكَ عَرَفَ قَدْرَهُ . وَرَبٌّ حَامِلٌ عِلْمٍ إِلَى مَنْ هُوَ أَعْلَمُ مِنْهُ . عَلَّمَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ مَا فِيهِ نَجَاتُنَا ، وَأَعَانَنَا وَإِيَّاكُمْ عَلَى تَأْدِيَةِ مَا كَلَّفَنَا . وَالسَّلَامُ .

* * *

قال : وَقُلْتُ لِحُبَابٍ ^(٣) : إِنَّكَ لَتَكْذِبُ فِي الْحَدِيثِ . قَالَ : وَمَا عَلَيْكَ إِذَا كَانَ الَّذِي أَرِيدُ فِيهِ أَحْسَنَ مِنْهُ . فَوَاللَّهِ مَا يَنْفَعُكَ صِدْقُهُ وَلَا يَضُرُّكَ كَذِبُهُ . وَمَا يَدُورُ الْأَمْرُ إِلَّا عَلَى لَفْظٍ جَيِّدٍ وَمَعْنَى حَسَنٍ . وَلَكِنَّكَ وَاللَّهِ لَوْ أَرَدْتَ ذَلِكَ لَتَلَجَّجْتَ لِسَانَكَ ، وَلَذَهَبَ كَلَامُكَ .

٧٤

وقال أبو الحسن : سَمِعَ أَعْرَابِيٌّ مُؤَذِّنًا يَقُولُ : « أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولَ اللَّهِ » . قَالَ : يَفْعَلُ مَاذَا ؟

قال : وَكَانَ يُقَالُ ^(٤) : أَوَّلُ الْعِلْمِ الصِّمْتُ ، وَالثَّانِي الْإِسْتِمَاعُ ، وَالثَّالِثُ الْحِفْظُ ^(٥) ، وَالرَّابِعُ الْعَمَلُ بِهِ ، وَالْخَامِسُ نَشْرُهُ .

أبو الحسن قال : قَرَأَ رَجُلٌ فِي زَمَنِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَحِمَهُ اللَّهُ : ﴿ فَإِنْ زَلَلْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمْ الْبَيِّنَاتُ فاعلموا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ ^(٦) : فَقَالَ أَعْرَابِيٌّ : لَا يَكُونُ .

قال : وَدَخَلَ عَلَى الْمَهْدِيِّ صَالِحُ بْنُ عَبْدِ الْجَلِيلِ ، فَسَأَلَهُ أَنْ يُأْذِنَ لَهُ فِي

(١) الطبع ، بالتحريك : تَلَطَّحَ الْقَلْبُ بِالْأَدْنَسِ .

(٢) رَكُضُ الطَّائِرِ وَارْتَكُضُ : اضْطَرَبَ . مَاعِدَال : « تَرَكُضُ » .

(٣) هُوَ حُبَابُ بْنُ جَبَلَةَ الدَّقَاقِ ، مَتَّهِمٌ بِالْكَذِبِ ، وَهُوَ مِنْ رَوَى عَنْ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ .

تَوَفَّى سَنَةَ ٢٢٨ . لِسَانُ الْمِيزَانِ (٢ : ١٦٤) وَتَارِيخُ بَغْدَادِ ٤٣٨٢ .

(٤) سَبَقَ الْخَبَرُ فِي ص ١٩٨ .

(٥) ل : « التَّحْفِظُ » .

(٦) الْآيَةُ ٢٠٩ مِنْ سُورَةِ الْبَقَرَةِ . وَالتَّلَاوَةُ : « فاعلموا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ » .

الكلام ، فقال : تكلم . فقال : إِنَّا لَمَّا سَهَّلْ عَلَيْنَا مَا تَوَعَّرَ عَلَى غَيْرِنَا مِنَ الوصول إليك قمنا مقام الأداء عنهم وعن رسول الله ﷺ ، بإظهار ما في أعناقنا من فريضة الأمر والنهي ، عند انقطاع عُذْر الكتمان في التَّقِيَّة ، ولا سِيَّما حين اتَّسَمَتْ بمِيسَم التواضع ، وَوَعَدَتْ الله وَحَمَلَتْ كِتَابَهُ إِثَارَ الْحَقِّ عَلَى مَاسَوَاه . فَجَمَعْنَا وَإِيَّاكَ مَشْهَدًا مِنْ مَشَاهِدِ التَّحْقِيقِ ، لِيَتِمَّ مُؤَدِّبُنَا عَلَى مَوْعِدِ الْأَدَاءِ عَنْهُمْ ، وَقَابَلْنَا عَلَى مَوْعِدِ الْقَبُولِ ، أَوْ يُرَدُّنَا تَحْقِيقُ اللهِ إِيَّانَا فِي اخْتِلَافِ السِّرِّ وَالْعِلَانِيَةِ ، وَبِحُلِيِّنَا تَحْلِيَةِ الْكَاذِبِينَ ^(١) ؛ فَقَدْ كَانَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَقُولُونَ : مَنْ حَجَبَ اللهُ عَنْهُ الْعِلْمَ عَذَّبَهُ عَلَى الْجَهْلِ ، وَأَشَدُّ ^(٢) مِنْهُ عَذَابًا مَنْ أَقْبَلَ عَلَيْهِ الْعِلْمَ وَأَدْبَرَ عَنْهُ . وَمَنْ أَهْدَى اللهُ إِلَيْهِ عِلْمًا فَلَمْ يَعْمَلْ بِهِ فَقَدْ رَغِبَ عَنْ هَدْيَةِ اللهِ وَقَصَّرَ بِهَا . فَاقْبَلْ مَا أَهْدَى اللهُ إِلَيْكَ عَلَى أَلْسِنَتِنَا ^(٣) قَبُولَ تَحْقِيقٍ وَعَمَلٍ ، لَا قَبُولًا فِيهِ سُمْعَةً وَرِيَاءً ^(٤) ؛ فَإِنَّهُ لَا يُعْدِمُكَ مَنَّا إِعْلَامٌ بِمَا تَجْهَلُ ^(٥) ، أَوْ مُوَاطَاةٌ عَلَى مَا تَعْلَمُ ، أَوْ تَذْكِيرٌ لَكَ مِنْ غَفْلَةٍ . فَقَدْ وَطَّنَ اللهُ جِلَّ وَعَزَّ ، نَبِيَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى نَزْوِهَا تَعَزِيَةً عَمَّا فَاتَ ، وَتَحْصِينًا مِنَ التَّمَادِي ، وَدَلَالَةً عَلَى الْمَخْرَجِ ، فَقَالَ : ﴿ وَإِنَّمَا يَنْزَعُكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ^(٦) 》 . فَأُطْلِعَ اللهُ عَلَى قَلْبِكَ بِمَا يُتَوَرَّعُ بِهِ الْقُلُوبُ ، مِنْ إِثَارِ الْحَقِّ وَمُنَابَذَةِ الْأَهْوَاءِ ؛ فَإِنَّكَ إِنْ لَمْ تَفْعَلْ ذَلِكَ يُرْثَرُكَ وَأَثَرُ اللهِ عَلَيْكَ فِيهِ . وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ .

(١) ل : « حلية الكاذبين » ، وسائر النسخ ما عدا ه : « بحلية » ، وأثبت ما في ه . والتحلية :

الوصف .

(٢) ه : « وأسوأ » .

(٣) ما عدا ل : « من ألسنتنا » .

(٤) السمعة ، بالضم : ما سمع به رياء ليسمع . يقال : فعل ذلك رياء وسمعة ، أى ليراه الناس

ويسمعوا به .

(٥) يقال أعدمه الشيء ، إذا لم يجده . ما عدا ل : « لا يخلفك منا إعلام لما تجهل » .

(٦) الآية ٣٦ من سورة فصلت . والنزع : الإغراء والوسوسة . وفي سورة الأعراف ٢٠٠ :

« وإما ينزعك من الشيطان نزع فاستعذ بالله إنه سميع عليم » .

قال : ودخل رجلٌ على معاوية ، وقد سقطت أسنانه ، فقال : يا أمير المؤمنين ، إنَّ الأعضاء يرثُ بعضها بعضاً . فالحمد لله ^(١) الذى جعلك وارثها ولم يجعلها وارثك .

* * *

- وحدَّثنا إسماعيلُ بنُ عُلَيَّةٍ قال : حدَّثنا زياد بن أُمي حسان ، أنَّه شهد عُمَرَ ابنَ عبد العزيز رحمه الله حين دفن ابنه عبد الملك ، فلما سُوِّيَ عليه قبره بالأرض ، وجعلوا على قبره خشبتين من زيتون ، إحداهما عند رأسه ، والأخرى عند رجله ، ثم جعل قبره بينه وبين القبلة ، واستوى قائماً وأحاط به الناس ، قال :

- رحمك الله يا بُنَيَّ ، فلقد كنتُ برّاً بأبيك ، ومازلتُ مُدَّ وهبك الله لى بك مسروراً . ولا والله ما كنتُ قطُّ أشدَّ بك سروراً ، ولا أَرْجَى لحظي من الله فيك ، متى مُدَّ وضعتك فى هذا الموضع الذى صَيَّرَكَ الله إليه . فغفر الله ذنبك ، وجَزَاكَ بأحسنِ عَمَلِكَ ^(٢) ، وتجاوزَ عن سيئتك ^(٣) ورحم الله كلَّ شافعٍ يشفع لك بخيرٍ من شاهدٍ أو غائب . رَضِينَا بقضاء الله ، وسَلَّمْنَا لأمره . فالحمدُ لله ربَّ العالمين . ثم انصرف .

١٥

* * *

وحدَّثنى محمد بن عُبَيد الله بن عمرو ^(٤) قال: أخبرنى طارق بن المبارك عن أبيه

(١) ل : « والحمد لله » .

(٢) ما عدل ل : « وجازاك بأحسن عملك » .

(٣) ما عدل ل : « عن سيئاتك » .

(٤) ما عدل ل : « بن عمر » . وفى الأغاني (٤ : ٩٤) : « محمد بن عبد الله بن عمرو » . ٢٠

قال : قال لي عمرو بن معاوية بن عمرو بن عتبة ^(١) : جاءت هذه الدولة وأنا حديث السن ، كثير العيال ، منتشر الأموال ، فكنت لا أكون في قبيلة إلا شهراً أمري ، فلما رأيت ذلك عزمْتُ على أن أفدي حُرْمِي بنفسي ، قال المبارك : فأرسل إلي ^(٢) : أن وافني عند باب الأمير سليمان ^(٣) بن عبد الملك . قال : فأتيته فإذا عليه طيلسان أبيض مطبق ^(٤) ، وسراويل وشي مسدولة . قال : فقلت : سبحان الله ، ما تصنع الحدائة بأهلها ^(٥) ، إن هذا ليس لباس هذا اليوم . قال : لا والله ، ولكن ليس عندي ثوب إلا أشهر مما ترى ^(٦) . قال : فأعطيته طيلساني وأخذت طيلسانه ، ولويت سراويله إلى ركبتيه . قال : فدخل ثم خرج إلى مسروراً . قال : قلت : حدثنا ما جرى بينك وبين الأمير . قال : دخلت عليه ولم يرني قبل ذلك ، فقلت : أصلح الله الأمير ، لفظتني البلاد إليك ^(٧) ، ودلني فضلك

(١) في الأغاني : « جاءني رسول عمرو بن معاوية بن عمرو بن عتبة ، فقال لي : يقول لك عمرو » .
 (٢) بدل هاتين الكلمتين في الأغاني : « وأنا صائر إلى باب الأمير سليمان بن علي ، فصر إلى » ، مع حذف الجملة التي بعدها .
 (٣) ل : « سليمان » فقط .
 (٤) الطيلسان والطيلس : ضرب من الأكسية ، فارسي معرب . وقيدته في التكملة بأنه أسود ، واستدل بقول المزار :

فرفعت رأسي للخيال فما أرى غير المطى وظلمة كالطيلس

وقد فسره في المعيار بأنه « ثوب يلبس على الكتف » ، أو « ثوب يحيط بالبدن ينسج للبس ، خال عن التفصيل والخيطة » . وأما أدى شير ففسره بأنه « كساء مدور أخضر لا أسفل له ، لحمته أو سده من صوف ، يلبسه الخواص من العلماء والمشايخ . وهو من لباس العجم » . قلت : هو في الفارسية : « تالسان » أو « تالشان » بكسر اللام فيهما . وقد فسره استينجاس ٢٦٧ أنه غطاء للرأس يحيط به ويتدلى منه طرف إلى أسفل . وقد ذكر أيضا في ٨٢٤ « طيلسان » مشيرا إلى أنه مأخوذ من العربية ، وذكر من بين معانيه « العباءة » أو « الرداء » أو « غطاء للكتف » : Tippet . فكان اللفظ أخذ من الفارسية ثم عاد إليها بمعنى آخر .

(٥) أي حدائة السن .

(٦) ما عدال ، هـ : « أشهى » تحريف .

(٧) في الأصول : « لفظني البلاء إليك » ، والوجه ما أثبت من الأغاني .

عليك ، فأما قبلتني غانماً ، وإما رددتني سالماً . قال : وَمَنْ أَنْتَ أَعْرَفَكَ ^(١) .
 قال : فانتسبت له ، فقال : اقعد فتكلّم غانماً سالماً . ثمّ أقبل على فقال :
 حاجتك يا ابن أخي ^(٢) قال : قلت : إن الحُرّم اللاتي أنت أقرب الناس إليهنّ
 معنا ، وأولى الناس بهنّ بعدنا ، قد خفنّ بخوفنا ، ومنّ خاف خيف عليه . قال :
 فوالله ما أجابني إلا بدموعه على خديّ . قال : يا ابن أخي ، يُحقّن والله
 دُمك ^(٣) ، وتُحفظ حرّمك ، ويُوفّر عليك مالُك ، ولو أمكنتني ذلك في جميع
 قومك لفعلت . قال : فقلت : أكون مُتوارياً أو ظاهراً ؟ قال : كن متوارياً
 كظاهر ^(٤) .

فكنت والله أكتبُ إليه كما يكتب الرجل إلى أبيه وعمّه . قال : فلما فرغ
 من الحديث رددتُ إليه طيلسانه ، فقال : مهلاً ، إنّ ثيابنا إذا فارقتنا لم تُرجع
 إلينا .

★ ★ ★

(١) في الأغاني : « ما أعرفك » .

(٢) ل : « يا ابن أخي » في هذا الموضع وتاليه .

(٣) في الأغاني وما عدل : « يحقن الله دمك » .

(٤) زاد بعده في الأغاني : « وآمنا كخائف ، ولتأنتى رقاعك » .

ومن أحاديث النوكي

حديث أبي سعيد الرفاعي ^(١) : سُئِلَ عن الدُّنْيَا والدَّائِسَةِ ^(٢) ، فقال : أَمَّا الدُّنْيَا فهذه الذي أنتم فيها ، وأما الدَّائِسَةُ فهي دارٌ أخرى بائنة من هذه الدَّارِ ، لم يَسْمَعْ أهلُها بهذه الدَّارِ ولا بشيءٍ من أمرها ، وكذلك نحنُ لم نَسْمَعْ بشيءٍ من أمرها ^(٣) ، إلاَّ أَنَّهُ قد صَحَّ عندنا أَن بيوتهم من قِثَاء ، وسقوفهم من قِثَاء ، وأنعامهم من قِثَاء ، وخيلهم من قِثَاء ، وهم في أنفسهم من قِثَاء ، وقِثَاؤهم أيضاً من قِثَاء .

قالوا له : يا أبا سعيد ، زعمتَ أَنَّ أهلَ تلك الدَّارِ لم يَسْمَعُوا بهذه الدَّارِ ولا بشيءٍ من أمرها ، وكذلك نحنُ لهم ، وأراك تُخبرنا عنهم بأخبارٍ كثيرة . قال : فمن ثَمَّ أنا أعجبُ زيادةً .

قالوا : ذَمَّ رجلٌ عند الأحنف الكَمَاءَ بالسَّمن ، فقال الأحنف : « رَبُّ مَلُومٌ لاذئِبٌ له ^(٤) » .

٧٧ عبد الله بن مسلم ، عن شُبَّةِ بن عِقَالٍ ^(٥) ، أَنَّ رجلاً قال في مجلس عُبيد الله بن زياد : ما أَطْيَبُ الأشياءِ ؟ فقال رجلٌ : ماشيءٌ أَطْيَبُ من تَمْرَةِ نَرْسِيانٍ ^(٦) كَأَنَّها من آذانِ النَّوْكِى ^(٧) عَلَيَّهَا بُزْبُودَةٌ .

(١) ما عدل : « حدثت عن أبي سعيد الرفاعي أَنه » .

(٢) كلمة « الدائسة » لا أصل لها . وإنما تندر سائلُهُ بهذه اللفظة ليستخرج منه ما يضحك .

(٣) من « وكذلك » إلى هنا ساقط مما عدل ، هـ .

(٤) في الحيوان (١ : ٢٤) : « رب مذموم » .

(٥) هو شبة بن عقال الهاشمي ، من مجاشع رهط الفرزدق ، وكان شبة شاعراً وخطيباً . سبقت

ترجمته في (١ : ١٢٧) . وما عدل : « شبة بن عقال » تحريف .

(٦) النرسيان . بكسر النون : ضرب من التمر يكون أجوده . وأهل العراق يضربون الزبد

بالنرسيان مثلاً لما يستطاب . ما عدل ، هـ : « نرسيان » ، تحريف . ويقال تمر نرسيان ، بالإضافة .

وابن قتيبة يقول تمر نرسيان بالتونين ، يجعلها صفة أو بدلا .

(٧) أى مفرطة في الصغر . قال فليمون الحكيم في كتاب الفراسة ٢٩ : « أعلم أن =

وقال أوس بن جابر ^(١) لابن عامر ^(٢) :

ظَلَّتْ عُقَابُ التُّوكِ تَحْفَقُ فَوْقَهُ رِيحُ طَفَاطِفُهُ قَدِيمُ الْمَلْعَبِ ^(٣)

قَدْ ظَلَّ يُوعِدُنِي وَعَيْنُ وَزِيرِهِ خَضْرَاءُ خَاسِفَةٌ كَعَيْنِ الْعَقْرِبِ ^(٤)

يعنى بوزيره عبد الله بن عمير الليثي ^(٥) ، وكان أخاه لأُمّه ، أُمَّهُمَا دَجَاجَةٌ بنت أسماء السُّلَمِيَّةُ .

وقال ابن مَنَازِر ^(٦) ، فى خالد بن عبد الله بن طليق الحُزَاعِيَّ ^(٧) ، وكان المهديُّ استقضاه وعَزَلَ عُبيدَ الله بن الحسن العنبريَّ ^(٨) :

= إفراط صغر الأذنين من آيات الحق وسوء الفهم وقلة العلم ، وأنه قلما يعدم صغر الأذنين الغدر وكثرة الشر . وأن عظم الأذنين من أعلام الحرص وصغر الهمة والدناءة . وأن أحسن الأذان أذنا وخلقة المرتفعة غير العظيمة ولا الصغيرة ، فإن رأيتهما كذلك فاعلم أن هناك فطنة وعقلا وعلما ، وأن صاحبها خليق للشدّة والصرامة .

(١) ما عدل ، هـ : « أوس بن جابر » .

(٢) هو عبد الله بن عامر بن كريز بن ربيعة ، المترجم فى (١ : ٣١٧) . وُلِدَ على عهد الرسول . وأمه دجاجة بنت أسماء بن الصلت السلميّة . وكانت عند عمير بن قتادة الليثي يوم الفتح خمس نسوة ، فقال له الرسول : فارق إحداهن . ففارق دجاجة فتزوجها عامر ، فولدت له عبد الله . الإصابة ٦١٨٥ .

(٣) النوك ، بالضم والفتح : الحق . والعُقَاب ، ها هنا : الراية . عنى أنه مشهور بالحق . والطفافط : جمع طفطفة بكسر الطاءين ، وهى مارق من الجلد من طرف الكيد . وكل لحم مضطرب طفطفة .

(٤) عنى بخضرة عينيه شدة عداوته . والعرب تجعل زرقة العين وخضرتها كذلك ، مثلا للعداوة ؛ وذلك لأن أعداء العرب الروم ، وكانوا زرق العيون . وفى اللسان : « الزرقة خضرة فى سواد العين » . خاسفة : غائرة . ما عدل : « خاشعة » ، تحريف .

(٥) هو عبد الله بن عمير بن قتادة الليثي . ذكره ابن حجر فى الإصابة ٦٦١٧ ، والصفدى فى نكت الهميان ١٨٤ وقال : « وهو صحابى يعدّ فى أهل المدينة . وكان أعمى يوم قومه بنى خطمة . وجاهد مع رسول الله ﷺ وهو أعمى » .

(٦) هو محمد بن مناذر ، المترجم فى (١ : ١٨) . وقد نقل القاضى الجرجاني فى الواسطة ١٤٩ ضبط الاسم بفتح الميم ، ففيها : « قال الأصمعي : ابن مناذر جمع منذر . قال القاضى : وهو أعرف به لأنه بصرى » .

(٧) هو خالد بن طليق ، الذى مضت ترجمته فى ص ٥٨ من هذا الجزء .

(٨) ترجم فى (١ : ١٢٠) .

أَتَى دَهْرَنَا وَالِدَهُرُ لَيْسَ بِمُعْتَبَرٍ
بَعَزَلُ عُبَيْدِ اللَّهِ عَنَّا فَيَا لَهُ
بَحِيرَانَ عَنْ قَصْدِ الطَّرِيقِ ، تَرُدُّهُ
أَذْكَاءَ مَنْ رَيْبِ الزَّمَانِ وَصَرَفِهِ
وَقَالَ أَيْضاً :

قُلْ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِي
إِنْ كُنْتَ لِلسَّخَطَةِ عَاقِبَتَنَا
أَصَمُّ أَعْمَى عَنْ سَبِيلِ الْهُدَى
يَا عَجَباً مِنْ خَالِدٍ كَيْفَ لَا
وَقَالَ :

خَالِدٌ يَحْكُمُ فِي النَّاسِ
يَا أَبَا الْهَيْثَمِ مَا كُنْتُ
أَيُّ قَاضٍ أَنْتَ لِلظُّلْمِ
لَا وَلَا أَنْتَ لِمَا حُمِّ
وَقَالَ :

يَقْطَعُ كَفَّ الْقَاذِفِ الْمُفْتَرِي
وَيَجْلِدُ اللَّصَّ ثَمَانِينَ

(١) يقال أعتبه ، أى أراضاه ؛ كأنه أزال عتبه . والأوابد : الدواهي .

(٢) قصد السبيل : استقامته . ترده ، أى عن الاستقامة . ما عدل : « تصدّه » .

(٣) هذه الأبيات والتي قبلها في الشعر والشعراء ٨٤٦ . وفي الأغاني (١٧ : ٢٤) :

أصبح الحاكم بالنا س من آل طليق
جالسا يحكم في النا س يحكم الجائليق

والجائليق ، بفتح الاء : رئيس من رؤساء النصارى يكون تحته المطران ، ثم الأسقف ، ثم القسيس ، ثم الشماس .

(٤) هذا البيت لم يروه أبو الفرج .

(٥) في الأغاني وما عدل : « ولا كنت لما » .

سَقِيًّا وَرَعِيًّا لَكَ مِنْ حَاكِمٍ يُحْيِي لَنَا السُّنَّةَ وَالِدِينَا
وقال زُهْرَةُ الْأَهْوَازِيِّ :

يَا قَوْمٍ مَنْ دَلَّ عَلَى عَالِمٍ يَعْلَمُ مَا حَدُّ حِرِّ سَارِقٍ
وقال آخر :

وَإِنِّي لَمَضَاءٌ عَلَى الْهَوْلِ وَاحِدًا وَلَوْ ظَلَّ يَنْهَانِي أَخِيفُشُ شَاخِجُ ^(١)
تُشَبَّهُ لِلنَّوْكَى أُمُورٌ كَثِيرَةٌ وَفِيهَا لِأَكْيَاسِ الرِّجَالِ مَخَارِجُ
وقال آخر :

وَلَا يَعْرِفُونَ الشَّرَّ حَتَّى يَصِيبَهُمْ وَلَا يَعْرِفُونَ الْأَمْرَ إِلَّا تَدَبُّرًا ^(٢)
وقال آخر :

إِذَا ظَنَعُوا عَنْ دَارِ ضِيمٍ تَعَادَلُوا عَلَيْهَا وَرُدُّوا وَقَدْ هُمْ يَسْتَقِيلُهَا
وقال النابغة :

وَلَا يَحْسِبُونَ الْخَيْرَ لَا شَرَّ بَعْدَهُ وَلَا يَحْسِبُونَ الشَّرَّ ضَرِيَّةَ لَا زِبِ ^(٣)
والعرب تقول : « أَخْرَى اللَّهُ الرَّأْيَ الدَّبْرِيَّ ^(٤) » .

وقالوا : وَجَّهَ الْحِجَاجَ إِلَى مَطْهَرٍ بَنَ عَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ ، عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ سُلَيْمٍ
الْكَلْبِيِّ ، فَلَمَّا كَانَ بِحُلُوفَانِ أَتْبَعَهُ الْحِجَاجُ مَدَدًا ، وَعَجَّلَ عَلَيْهِ بِالْكِتَابِ مَعَ تُحَيِّتِ
الْعَلَطِ ^(٥) - وَإِنَّمَا قِيلَ لَهُ ذَلِكَ لِكَثْرَةِ غَلَطِهِ - فَمَرَّ تُحَيِّتٌ بِالْمَدَدِ وَهُمْ

(١) في حواشي هـ عن نسخة : « أَخِينِس » .

(٢) البيت لجرير في ديوانه ٢٤٦ واللسان (دبر) برواية :

فَلَا تَقْنُونَ الشَّرَّ حَتَّى يَصِيبَكُمْ وَلَا تَعْرِفُونَ الْأَمْرَ إِلَّا تَدَبُّرًا

يقال عرف الأمر تدبرا ، أى بآخرة ، بعد فوات وقته .

(٣) ديوان النابغة ٩ . وصفهم بالاعتدال ، فإذا أصابهم خير لم يثقوا بدوامه فيبطروا ، وإذا أصابهم

شر لم يرهقهم وأيقنوا أنه لا يدوم عليهم .

(٤) الرأى الدبرى : الذى يستنح أخيرا بعد فوات الأمر ، وهو بفتح الدال والباء .

(٥) ما عدل : « تحيت » بالخاء المعجمة ، في هذا الموضع وتاليه .

يُعَرِّضُونَ بِخَانِقِينَ ^(١) فلما قدم على عبد الرحمن قال له : أين تركت مَدَدَنَا ؟
 قال : تركتهم يُخَنِّقُونَ بعارضيين . قال : أو يُعَرِّضُونَ بخانقين ؟ قال : نَعَمْ ، اللَّهُمَّ
 لَا تُخَانِقْ فِي بَارِكِينَ !

ولما ذهب يجلس ضَرَطَ ، وكان عبد الرحمن أراد أن يقول له : أَلَا تُعَدِّي ؟
 فقال له : أَلَا تُضَرِّطُ . قال : قد فعلتُ أصلحك الله . قال : ما هذا أردتُ .
 قال : صدقت ولكن الأمير غَلِطَ كما غَلِطْنَا . فقال : أنا غَلِطْتُ من فمى ، وغَلِطَ
 هو من استه .

★ ★ ★

(١) خانقين ، بكسر النون والقاف : بلدة من نواحي السواد في طريق همدان من بغداد .

باب

- من البَلَّة الذي يعترى من قِبَل العبادة وترك التعرُّض للتجارب ^(١) وهو كما قال أبو وائل : أسمعكم تقولون : الدَّائِق والقِيراط ، فأَيُّما ^(٢) أكثر ؟ قالوا : وكان عامرُ بن عبد الله بن الزُّبير ^(٣) في المسجد ، وكان قد أخذ عطاءه فقام إلى منزله ونَسِيَهُ ، فلَمَّا صار في منزله وذكرَهُ بعث رسولاَ ليأتيه به ، فقيل له : وأَيِّنَ تجدُ ذلكَ المال ؟ فقال : سبحان الله ، أو يأخذ أحدٌ ما ليس له .
- أبو الحسن قال : قال سَعِيدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الزُّبَيْرِيِّ ^(٤) ، قال : سُرِقَتْ نعلُ عامر بن عبد الله الزُّبَيْرِيِّ فلم يَتَّخِذْ نعلًا حتَّى مات ، وقال : أكره أن اتَّخِذَ نعلًا فلعلَّ رجلاً يسرقها فيأثم .
- وقالوا : إِنَّ الخلفاء والأئمَّةَ أَفْضَلُ من الرعيَّة ، وعامَّةُ الحُكَّام أَفْضَلُ من المحكوم عليهم ولهم ؛ لأنَّهم أَفْقَه في الدِّين وأَقْوَمُ بالحقوق ، وأَرَدُ على المسلمين ^(٥) ، وعَلِمَهم بهذا أَفْضَلُ من عبادة العُباد ؛ لأنَّ نفعَ ذلك لا يعدو قِمَمَ رءوسهم ، ونفع هؤلاء يَحْصُصُ ويَعْمَ .
- والعبادة لا تُدَلِّه ولا تورثُ البَلَّةَ إِلَّا لِمَنْ آثَرَ الوحدة ، وتركَ معاملَةَ

(١) ما عدل : ، هـ : « باب » فقط .

(٢) كذا وردت في جميع النسخ بزيادة ما وتقدير المضاف إليه .

(٣) هو عامر بن عبد الله بن الزبير بن العوام الأسدي ، أحد ثقات الحديث ، من التابعين ، وكان عابداً فاضلاً ، وله أحاديث يسيرة . توفي سنة ١٢١ . تهذيب التهذيب وصفة الصفوة (٢ : ٨٤) . وسياق الخبر مرة أخرى في (٣ : ١٥٦) .

(٤) هو أبو شيبة سعيد بن عبد الرحمن بن عبد الله الزبيرى الكوفى ، قاضى الرى . روى عن مجاهد ، وابن جبير ، والنخعى ، وعنه : الثورى ، وعبد الواحد بن زياد . توفي سنة ١٥٦ . تهذيب التهذيب .

(٥) أرد : أكثر رداً ، أى منفعة . ل : « أرد عن المسلمين » ، من الرد ، بمعنى الدفع .

النَّاسَ ، وَمُجَالَسَةَ أَهْلِ الْمَعْرِفَةِ . فَمِنْ هُنَالِكَ صَارُوا بُلْهَاءً ^(١) ، حَتَّى صَارَ لَا يَجِيءُ مِنْ أَعْبَدِهِمْ حَاكِمٌ وَلَا إِمَامٌ .

وَمَا أَحْسَنَ مَا قَالَ أَيُّوبُ السَّخْتِيَانِي ^(٢) ، حَيْثُ يَقُولُ : « فِي أَصْحَابِي مَنْ أَرْجُو دَعْوَتَهُ وَلَا أَقْبِلُ شَهَادَتَهُ » . فَإِذَا لَمْ يُجْزَ فِي الشَّهَادَةِ كَانَ مِنْ أَنْ يَكُونَ حَاكِمًا أَوْ بَعْدُ .

وقال الشاعر :

وَعَاجِزُ الرَّأْيِ مِضْيَاعٌ لِفُرْصَتِهِ حَتَّى إِذَا فَاتَ أَمْرٌ عَاتَبَ الْقَدَرَا ^(٣)
وَمِنْ غَيْرِ هَذَا الْبَابِ قَوْلُهُ :

إِذَا مَا الشَّيْخُ عُوتِبَ زَادَ شَرًّا وَيُعْتَبَ بَعْدَ صَوْتِهِ الْوَلِيدُ ^(٤)
وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : « مِنْ أَفْضَلِ الْعِبَادَةِ الصَّمْتُ وَانْتَظَارُ الْفَرَجِ ^(٥) » . وَقَالَ الشَّاعِرُ :

إِذَا تَضَائِقُ أَمْرٍ فَانْتَظِرْ فَرَجًا فَأُضْيِقُ الْأَمْرَ أَدْنَاهُ مِنَ الْفَرَجِ ^(٦)
وقال الفرزدق :

أَتَى وَسَعْدًا كَالْحَوَارِ وَأُمَّهُ إِذَا وَطِئَتْهُ لَمْ يَضِرَّهُ اعْتِمَادُهَا ^(٧)
وقال أعرابي :

تُبَصِّرُنِي بِالْعَيْشِ عِرسِي كَأَنَّمَا تُبَصِّرُنِي الْأَمْرَ الَّذِي أَنَا جَاهِلُهُ
يَعِيشُ الْفَتَى بِالْفَقْرِ يَوْمًا وَبِالْغِنَى وَكُلُّ كَأَنَّ لَمْ يَلْقَ حِينَ يَزَائِلُهُ

(١) البله : جمع أبله . ما عدل ، هـ : « بلهاء » تحريف .

(٢) هو أيوب بن أبي تميمه السختياني ، المترجم في (١ : ١٩٢) .

(٣) أنشده ابن قتيبة في عيون الأخبار (١ : ٣٤ / ٢ : ١٤١) .

(٤) يعتب : يرضى ؛ أعتبه : أرضاه . والصبوة : الميل إلى الجهل واللهو .

(٥) سبق في ص ١٦٥ من هذا الجزء ، كما سيأتي (٣ : ٢٦٠) .

(٦) أنشده ابن قتيبة في عيون الأخبار (١ : ٢٨٧) .

(٧) اعتمادها ، أي اتكاؤها عليه . والبيت أثبتته جامع ديوان الفرزدق ص ٢١٦ نقلاً عن الجاحظ .

وقال آخر :

شهدتُ وبيتَ الله أنك بارد ال
وقال آخر (١) :

الله يعلم يا مغيرة أنسى
وأخذتها أخذَ المقصبِ شائه
وقال آخر :

شهدتُ وبيتَ الله أنك بارد الشا
وأنتَ مشبوحُ الذراعين خلجمُ
وقال آخر :

فهلأ من وزانٍ أو حصين
حميتُم فرجَ حاصنة كعاب (٦)

(١) هو العجاج ، كما في اللسان (فتح) . وكانت زوجة الدهناء بنت مسحل قد رفعته إلى المغيرة بن شعبة فقالت له : أصلحك الله ، إني منه بجمع - أى لم يفتضئى - فقال العجاج هذا الشعر ، فأجابه بقولها :

والله لا تمسكني بشم
إلا بزعزاع يسلى همى
ولا بتقيل ولا بضم
تسقط منه فتخى فى كمي
وبما قاله هو أيضا ، ماأنشده في اللسان (هكل) .

أظنت الدهنا وظن مسحل
عن كسلاق الحصان يكسل
أن الأمير بالقضاء يعجل
عن السفاد وهو طرف هيكل
(٢) الهيكل : الفرس الطويل الضخم .

(٣) المقصب : القصاب ، وهو يأخذ الشاة بقصبها ، أى بساقها . والبيتان أنشدتهما الجاحظ في الحيوان (٣ : ٥٦) .

(٤) أنشد الجاحظ هذين البيتين في الحيوان (٣ : ٥٦) وآخر البيت الأول عنده : « وأن الخصر منك رقيق » ، وآخر البيت الثاني : « إذ تخلو بهن رقيق » . وذلك بعد أن روى قبلهما بيتين نسباً في تزيين الأسواق ٤٩ إلى قيس لبنى ، وهما :

شهدت وبيت الله أنك غادة
وأنت لا تجزيننى بمودة
رداح وأن الوجه منك عتيق
ولا أنا للهجران منك مطيق
وقال بعدهما : « فأجابه » وأنشد البيتين الآخرين .

(٥) المشبوح : العريض . والخلجم : الجسيم العظيم .

(٦) ما عدل ، هـ : « من وزار » .

وَأَقْسِمُ أَنَّهُ قَدْ حَلَّ مِنْهَا حَلَّ السَّيْفِ مِنْ قَعْرِ الْقِرَابِ
وقال آخر :

أَتَرْجُو أَنْ تَسُودَ وَلَنْ تُعْتَى وكيف يسود ذو الدَّعة البخیل
وقال الهذلي (١) :

وإنَّ سيادةَ الأَقوامِ فاعلم لها صَعْدَاءَ مَطْلَعُهَا طَوِيلُ (٢)
وقال جريرُ بنُ الحَظَفَى :

تريدِينَ أَنْ أَرْضَى وَأَنْتِ بِخَيْلَةٍ ومن ذا الذي يُرَضِّي الأَخْلَاءَ بِالْبُخْلِ (٣)
وقال إِسْحَاقُ بْنُ حَسَّانَ بْنِ قُوْهِىَ (٤) :

وَدُونَ النَّدى فِي كُلِّ قَلْبٍ ثَنِيَّةٌ لها مَصْعَدٌ حَزَنٌ وَمِنْحَدَرٌ سَهْلُ (٥)
وَوَدَّ الْفَتَى فِي كُلِّ نَيْلٍ يُنِيلُهُ إِذَا مَا انْقَضَى لَوْ أَنَّ نَائِلَهُ جَزُلُ (٦)
وقال آخر (٧) :

عَزَمْتُ عَلَى إِقَامَةِ ذِي صَبَاحٍ لِأَمْرِ مَا يُسَوِّدُ مَنْ يُسَوِّدُ (٨)
وقال :

وَتَعْجَبُ أَنَّ حَاوَلْتُ مِنْكَ تَنْصُفًا وَأَعْجَبُ مِنْهُ مَا تَحَاوَلُ مِنْ ظُلْمِي (٩)

٨١

- ١٥ (١) هو حبيب بن عبد الله الهذلي ، المعروف بالأعلم . انظر مخطوطة الشنقيطي من الهذليين ٦٠ - ٦١ وشرح السكري للهذليين ٦٣ - ٦٤ .
- (٢) روى في الحيوان (٢ : ٩٥) واللسان (صعد) : « وإن سيامة الأَقوام » . وفي عيون الأخبار (١ : ٢٢٦) واللسان (صعد) : « مطلعها طويل » كما هنا . وفي سائر الأصول والمراجع : « مطلبها » بالياء . وقد سبق البيت في (١ : ٢٧٥) مع سابقه قرينا له ، وسيأتي في (٣ : ٢١٨) .
- ٢٠ (٣) في ديوان جرير ٤٦٠ : « تريدِينَ أَنْ نَرْضَى » .
- (٤) سبقَتْ ترجمته في (١ / ١١٥) .
- (٥) مضى البيتان بدون نسبة في (١ : ٢٧٤) . وانظر الحيوان (٢ : ٩٥) والشعراء ٨٣٣ .
- (٦) أى إن طبيعة الفتيان تعاند طبيعة العامة .
- (٧) هو أنس بن مدركة الخثعمي ، كما في الحيوان (٣ : ٨١) والخزانة (١ : ٤٨٦) .
- ٢٥ (٨) من شواهد سيبويه (١ : ١١٦) . وهو شاهد على جواز جر الظروف غير المتمكنة في لغة خثعم . وقيل إن « ذو » فيه ، زائدة . وانظر ما سيأتي في (٣ : ٢١٨) .
- (٩) تنصفه : سأله إن ينصفه .

أبا حسن يكفيك ما فيك شامئاً لعرضك من شتم الرجال ومن شتمى^(١)
وقال الآخر :

كما قال الحمار لسيهم رام لقد جُمعت من شتى لأمر^(٢)
أراك حديدة في رأس قدح ومتن جلالة من ريش نسر^(٣)
وقال الآخر :

إذا ما مات مثل مات شيء يموت بموته بشر كثير
وأشعر منه عبدة بن الطبيب^(٤) ، حيث يقول في قيس بن عاصم^(٥) .
فما كان قيس هلكه هلك واحد ولكنّه بُنيان قوم تهدّما^(٦)
وقال امرؤ القيس في شبهه بهذا المعنى :

فلو أنّها نفس تموت سويّة ولكنّها نفس تُساقط أنفسا^(٧)
وقال الآخر :

وزهدني في صالح العيش أننى رأيت يدي في صالح العيش قلت
وقال مَعْنُ بن أوس :

(١) يقول له : لست محتاجاً إلى شتم ، فما فيك من عيب ظاهر ، يكفى شامتك مؤونة الشتم .

(٢) من شتى ، أى من أشياء شتى مختلفة .

(٣) القدح ، بالكسر : السهم قبل أن يجعل فيه النصل والريش . والجلالة ، بالضم : العظيمة ،
عنى بها ريشة النسر . والمتن : الظهر ، وهو الجانب القصير من الريش ، وهو أفضل ما يراش به السهم .

(٤) عبدة هذا بسكون الباء ، ترجم في (١ : ١٢٢) .

(٥) ترجم في (١ : ٢١٨) .

(٦) البيت من أبيات رواها أبو تمام في الحماسة (١ : ٣٢٨) وأبو الفرج في الأغاني (٩ : ٩٣) /

(١٢ : ١٤٨) .

(٧) البيت في ديوانه ١٤٢ برواية : « تموت جميعه » . و « تساقط » ينبغى أن تقرأ في رواية

الجاحظ بضم التاء وكسر القاف . ومعناه يموت بموتها بشر كثير . وذلك لتساوق الشواهد . وهى رواية
الوزير أنى بكر . ورواه الأصمعي : « تساقط » بحذف إحدى التاءين ، أى تتساقط . يقول : لو أنى أموت
بدفعة ، ولكن نفسى لما بها من المرض تقلع قليلا قليلا ، وتخرج شيئاً شيئاً . وليست هذه الرواية بمراة هنا .

ولقد بدا لي أن قلبك ذاهلٌ
كلُّ يجاملٌ وهو يُخفي بُغضه
وقال ركاض (٢) :

نُراي فترمي نحن منهنّ في الشوى
إذا ما لبسنا الحلّى والوشى أشرقَتْ
ولئن السبوبَ خِمرة قرشيّة
وقال آخر :

أعلل نفسي بما لا يكون
وقال آخر :

تولّت بهجة الدنيا
وخان الناسُ كلهمُ
رأيتُ معالمَ الخيرِ
فلا حسَبٌ ولا أدبٌ
فكلُّ جديدها خلُق
فما أدري بمن أثقُ
بِ سُدَّتْ دونها الطرُق
ولا دينٌ ولا خلُق

وقال أبو الأسود الدؤلي (٧) :

- (١) البيتان لم يرويا في ديوان معن بن أوس . وسعيد إنشادهما في (٣ : ٢٠٧) .
(٢) كلمة « ركاض » ساقطة من ل .
(٣) الشوى : الأطراف ، والبدان والرجلان ، وكل ما ليس مقتلا .
(٤) الوشى : ثياب موشية ذات ألوان . والوشى : خلط لون بلون . واللبة ، بالفتح : وسط الصدر والمنحر ، وهو موضع القلادة . والحلم ، بالكسر : الأناة والعقل .
(٥) السبوب : جمع سب ، بالكسر ، وهو خمار المرأة الذي تغطي به رأسها . ولأنت المرأة السب : أدارته وطوته . ما عدال ، هـ : « ولين السبوب » تحريف . والخمرة بكسر الحاء المعجمة : هيئة الاختار . وفي جميع النسخ ما عدا هـ : « حمرة » تحريف . اللوث : الإدارة والطي . ما عدال ، هـ : « في لونها » ، تحريف .
(٦) المائق : الشديد الحق والغباوة .
(٧) ذكر أبو الفرج في الأغاني (١١ : ١١٢) من سبب هذا الشعر ، أنه كان لأبي الأسود جار في ظهر داره ، له ياب إلى قبيلة أخرى ، وكان بين دار أبي الأسود وبين داره باب مفتوح يخرج منه كل واحد منهما إلى قبيلة صاحبه إذا أرادها ، وكان الرجل ابن عم أبي الأسود دينية : وكان شر ساسي الخلق ، فأراد =

لنا جيرة سئلوا المجازة بيننا
وَمِنْ خَيْرِ مَا أُلْصَقَتْ بِالذَّارِ حَائِطٌ
وَقَالَ آخَرُ :

عُقِمَتْ أُمَّ أَتْنَا بِكُمْ
وَإِذَا مَا النَّاسَ عَدُّوا شَرَفًا
وَقَالَ آخَرُ :

قَدْ بَلَوْنَاكَ بِحَمْدِ
فَإِذَا كُلُّ مَوَاعِبِ
وَقَالَ آخَرُ :

وَلَقَدْ هَزَزْتُكَ بِالْمَدِيدِ
أَنْتَ الرَّقِيعُ بْنُ الرَّقِيعِ
حَجَّ فَكُنْتُ ذَا نَفْسٍ لَكَيْعَةٍ
بِئِنَّ الرَّقِيعَ بْنَ الرَّقِيعَةِ

= سد ذلك الباب فقال له قومه : لا تضر بأبي الأسود وهو شيخ ، وليس عليك في هذا الباب ضرر ولا مؤنة . فأبى إلا سده ، ثم ندم على ذلك لأنه أضر به ، فكان إذا أراد سلوك الطريق التي كان يسلكها منه بعد عليه ، فعزم على فتحه ، فبلغ ذلك أبا الأسود فمنعه منه وقال :

بليت بصاحب إن أدن شبرا
وإن أمدد له في الوصل ذرعى
يزدنى في مباحدة ذراعا
وتأنى نفسه إلا امتناعا
فذلك ما استطعت وما استطاعا
ويناى

وقال فيه أيضا البيتين الذين رواهما الجاحظ . وفي ذلك يقول أيضا :

أعصيت أمر أولى النهى
أخطأت حين صرمتنى
وأطعت أمر ذوى الجهالة
والمرء يعجز لا المحالة
والعبد يقرع بالعصا
والحر تكفيه المقالة

(١) الجار يجمع على أجوار وجيرة وجيران ، ولا نظير له إلا قاع ، وأقواع وقيعان .

والمجازة : الموضع يجاز ، أى يسلك . والبيتان في (٣ : ٢٢٩) أيضا .

(٢) تزول : تزلزل وتسقط . والاصقع : جمع أصقع ، وهو من الطير ما كان على رأسه بياض . وفي

الأغانى : « سفح » جمع أسفع ، وهو الأسود .

(٣) يقال : هو في بال رخي ، أى في سعة وخصب وأمن : لا يكثرث لشيء .

(٤) البيتان في الحيوان (٧ : ١٥٣) وعيون الأخبار (٣ : ١٤٥) .

وقال :

لكل أناس سَلَمٌ يُرْتَقَى به وليس إلينا في السَّلاَمِ مَطْلَعُ (١)
 وغايَتنا القُصوى حِجازٌ لمن به وكلُّ حِجازٍ إن هبطناه بَلَقُعُ (٢)
 وَيَنفِرُ مِنّا كُلُّ وحشٍ وَيَتَمى إلى وَحْشِنا وَحْشُ البلادِ فَيَرْتُعُ (٣)
 وقال آخر (٤) :

لو جَرَتْ خَيْلٌ نُكوصاً لجَرَتْ خَيْلٌ ذُفافَه (٥)
 هِىَ لا خَيْلٌ رِجاءٍ لا ولا خَيْلٌ مَخافَه
 وقال الخُرَيْمِيُّ (٦) :

(١) ل : « السَّلام » ، وهما جمع سلم . وقد أنشد في اللسان قول ابن مقبل :

لا تحرز المرء أحجاء البلاد ولو يبنى له في السموات السَّلاَمِ

ثم قال : « احتاج فزاد الياء » . وزيادة الياء في مثله مطرد عند أهل الكوفة .

(٢) الحِجاز : الحاجر . يقول : إن أرضنا هذه حِجاز حافظ لمن هو في داخله ، فهو يستعصم به

فيأمن ، وأما أرض غيرنا فإنها مباحة مفتوحة الحِجاز ، ولا سيما إذا هبطناها .

(٣) يقول : نحن لكثرتنا ووفرة حصاننا ينفر منا الوحش ، على حين يأمن الوحش إلى بعض ما يلم

بأطرافنا من وحش ، فهو يرهبنا ولا يرهبه .

(٤) لعله مكثف أبو سلمى ، من ولد زهير بن أبى سلمى ، وكان يهجو ذفافة العبسى . الأغاني

(١٥ : ١٠٣) .

(٥) ذفافة ، هذا ، هو أبو العباس ذفافة بن عبد العزيز ، أحد رجال الدولة العباسية . وهو الذى

تبا سيفه حين طلب إليه الرشيد أن يضرب أعناق أحد أسرى الروم ، فقبل في ذلك :

أبقى ذفافة عاراً بعد ضربته عند الإمام لعبس آخر الأبد

الأغاني (١٨ : ٧٣) . وقد رثاه بعد موته أبو سلمى مكثف بقصيدة رائعة ، قالوا : إن أبا تمام سرق

أكثرها . ومن تلك القصيدة :

ألا أيها الناعى ذفافة والندى تعست وشلت من أناملك العشر

ومن شعر ذفافة يهجو الربيع بن عبد الله الحارثى وقد أهدى إليه طبق تمر :

بعثت بتمر فى طبق كأنما بعثت بياقوت توقد كالجمعر

فلو أن ما تهدى سنيا قبلته ولكنما أهديت مثلك فى القدر

كان الذى أهديت من بعد شقة إلينا من الملقى على ضفة الجسر

(٦) هو إسحاق بن حسان المترجم فى (١ : ١١ ، ١١٥) .

اخْلَعْ ثِيَابَكَ مِنْ أُمِّي دُلْفٍ
لا يُعْجِبَنَّكَ مِنْ أُمِّي دُلْفٍ
إِنِّي وَجَدْتُ أَخِي أَبَا دُلْفٍ
وَأَنْشُدُ ابْنَ الْأَعْرَابِي :

أَهْلَكْتَنِي بُفْلَانٍ ثِقَتِي
ليس يَسْتَوْجِبُ شُكْرًا رَجُلٌ
كُنْتُ كَالْهَادِي مِنَ الطَّيْرِ رَأَى
زَادَنِي قَرُبُ صَدِيقِي فَاقَةً
وَأَنْشُدُنَا (٣) :

إِذَا الْمَرْءُ أُولَاكَ الْهُوَآنَ فَأُولِهِ
فَإِنْ أَنْتَ لَمْ تَقْدِرْ عَلَى أَنْ تُهَيِّئَهُ
وَقَارِبْ إِذَا مَا لَمْ تُكُنْ بِكَ قُدْرَةً
وَقَالَ بَعْضُ ظُرَفَاءِ الْأَعْرَابِ :

٨٤

وَإِذَا خَشِيتَ مِنَ الْفُؤَادِ لَجَاجَةً
وَهَذَا مِنْ شَكْلِ قَوْلِهِ :
ذَكَرْتُكَ ذِكْرَةً فَاصْطَدْتُ ظَبِيًّا
وَكُنْتُ إِذَا ذَكَرْتُكَ لَا أُخَيِّبُ

١٥

(١) الفجفاجة : الكثير الكلام والفخر بما عنده . والمذكور في المعاجم « الفجفاج » وجعلوا الأنثى « فجفاجة » بالهاء ، فهذا قد جعل الهاء لتأكيد المبالغة . والصلف من الصلف وهو الغلو في الظرف والزيادة على المقدار ، مع تكبر . وقد عني المتكبر .

٢٠

(٢) الهادي : المتقدم ، أراد به أول سرب الطير .
(٣) الشعر لأوس بن حنينة ، رواه أبو تمام في الحماسة (١ : ٢٦٦) . وسيأتي هذا البيت مع قرين آخر في (٣ : ٦١) .

(٤) الأواصر : جمع أصرة ، وهي القرابة .

(٥) قادره ، أي قادر فيه .

٢٥

(٦) ما عدا ل : « لك قدرة » . وفي الحماسة : « لك حيلة » .

(٧) الرائب : اللين الخائر ، أو الممخوض .

وقال بعض المُحدِّثين :

ما أَشَبَّهَ الإِمْرَةَ بالوَصْلِ وَأَشَبَّهَ الهِجْرَانَ بالعَزْلِ (١)

وقال الخنساء :

لم تَرُهُ جَارَةً يَمْشِي بِسَاحَتِهَا لِرَبِيَّةٍ حِينَ يُخْلِي بَيْتَهُ الْجَارُ
مِثْلُ الرُّدَيْنِيِّ لَمْ تَذُنْ عِمَامَتَهُ كَأَنَّهُ تَحْتَ طَيِّ الْبُرْدِ لِأَسْوَارِ (٢)

وقال آخر :

نَادَيْتَ هَيْذَانَ وَالْأَبْوَابُ مُعَلَّقَةٌ وَمِثْلُ هَيْذَانَ سَنَى فَتَحَةَ الْبَابِ (٣)
كَالْهُنْدَوَانِيِّ لَمْ تُقَلِّلْ مَضَارِبَهُ وَجْهٌ جَمِيلٌ وَقَلْبٌ غَيْرُ وَجَابِ

وقال آخر :

أَرَى كُلَّ رِيحٍ سَوْفَ تَسْكُنُ مَرَّةً وَكُلَّ سَمَاءٍ ذَاتَ دَرٍّ سَتُقْلِعُ (٤)
وَلَسْتُ بِقَوَّالٍ إِذَا قَامَ حَالِبٌ : لَكَ الْوَيْلُ لَا تَجْهَدْ لَعْلَكَ تُرْضِعُ (٥)
وَلَكِنْ إِذَا جَادَتْ بِمَا دُونَ حَلِبِهَا جَهِدْنَا وَلَمْ نَمْدُقْ بِمَا نَتَّوَسِعُ (٦)

وقال آخر :

تَمَنَّى رِجَالٌ أَنْ أَمُوتَ وَغَايَتِي إِلَى أَجَلٍ لَوْ تَعْلَمُونَ قَرِيبَ (٧)

(١) أراد : وَأَشَبَّهَ العَزْلَ بالهَجْرَانِ ، فَقُلْتُ مِبَالَعَةً .

(٢) الرديني : الرمح ، منسوب إلى « ردينة » زعموا أنها وزوجها « سمهر » كان يقومان الرماح بخط هجر . والأسوار ، بضم الهمزة وكسرهما : واحد الأساورة ، وهم الفرسان المقاتلون من الفرس . وفي ديوان الخنساء ٤٤ : « لم تنفذ شبيبته » .

(٣) سبق البيتان في (١ : ٤١) . وفي العقد (٣ : ٣٩) أن علي بن أبي طالب كان يتمثل بهذين البيتين . والرواية فيه محرفة .

(٤) درة السحاب : صبه واندفاقه .

(٥) ترضع ، أى لعلك تحتاج إلى أن ترضع صغارها ، وافتتح التاء بمعنى تنال لبنها .

(٦) المذق : خلط اللبن بالماء ، وفعله من باب نصر .

(٧) ما عدا ل : « أقصى مداه قريب » .

وما رغبتى فى أرذل العمر بعدما ليست شبانى كله ومشيبي (١)

وأصبحت فى قوم كأن لست منهم وبأد قرونى منهم وضرونى (٢)

وأنشد :

رأيت الناس لما قل مالى وأكثرت الغرامة ودعوى (٣)

قلما أن غنيت وثاب وفرى إذا هم لا أبالك راجعوى (٤)

وقال الآخر :

وكنّا نستطب إذا مرضنا فصار سقامنا بيد الطبيب

فكيف نجيز غصتنا بشيء ونحن نعص بالماء الشريب (٥)

وقال عدى بن زيد :

لو بغير الماء حلقي شرق كنت كالعصان بالماء اعتصارى (٦)

وقال الثوث اليماني ، ويروى « الثوب » بالباء ، والثوث هو الصواب . وهو المعروف بتوث ، فكبره هنا (٧) :

(١) أرذل العمر : آخره ، فى حال الكبر والعجز . ما عدا ل : « فى آخر الدهر » .

(٢) القرون : جمع قرن ، بالفتح ، وهو مثلك فى السن ، تقول : هو على قرنى ، أى على سنى . وأما الأقران فجمع قرن ، بالكسر ، وهو الكف والنظر فى الشجاعة والحرب . والضروب : جمع ضرب ، بالفتح ، وهو الشبيه .

(٣) الغرامة ، بالفتح : الدين .

(٤) ثاب : رجع . والوفر : الغنى واليسار .

(٥) الغصة : الشرى بالطعام أو بالماء . والشريب : العذب . وانظر ٢٧١ .

(٦) الاعتصار : أن يغص بالطعام فيعتصر بالماء ، وهو أن يشربه قليلا قليلا . والبيت من أبيات

رواها أبو الفرج فى (٢ : ٢٤) ، أولها :

أبلغ النعمان عنى مألكا أننى قد طال حبسى وانتظارى

وانظر الحيوان (٥ : ١٣٨ : ٥٩٣) .

(٧) ل : « وقال اللوب اليماني » . وذكره فى الأغاني (٢٠ : ٧٩) بلفظ « نوب اليماني » بالنون

فى أوله والباء فى آخره . و « اليماني » نسبة إلى اليمامة . قال أبو الفرج : نوب لقب له ، واسمه عبد الملك

ابن عبد العزيز السلولى ، أحد الشعراء اليمانيين من طبقة يحيى بن طالب وبنى أوى حفصة وذويهم . ولم

يفد إلى خليفة ، ولا وجدت له مديحا فى الأكاير والرؤساء ، فأحمل ذلك ذكره . وكان شاعرا فصيحاً ،

نشأ باليمامة وتوفى بها . وانظر ما سياتى فى (٣ : ٢٥٩) .

٥

١٠

١٥

٢٠

٢٥

على أَىِّ بابٍ أطلبُ الإِذْنَ بعدما
وقال الآخر :

لا تُضَجِرَنَّ ولا تَدْخُلْكَ مَعْجَزَةٌ
وقال محمد بن يسير (٢) :

إِنَّ الْأُمُورَ إِذَا اسْتَدَّتْ مَسَالِكُهَا
لا تَيْأَسَنَّ وَإِنْ طَالَتْ مَطَالِبُهُ
أَخْلِقْ بِذِي الصَّبْرِ أَنْ يَحْطَى بِحَاجَتِهِ
لا يَمْنَعَنَّكَ يَأْسٌ مِنْ مُطَالِبَةٍ
وقال بعضُ ظُرَفَاءِ الْأَعْرَابِ :

وإِنَّ طَعَاماً ضَمَّ كَفَى وَكَفَّهَا
فَمِنْ أَجْلِهَا أَسْتَوْعِبُ الزَّادَ كُلَّهُ

وقال :

كَأَنِّي لَمَّا مَسْنَى السَّوْطَ مُقَرَّمٌ
من الْعُجْمِ صَعْبٌ أَنْ يَقَادَ تَقُورُ (٦)

٨٦

(١) المعجزة ، بفتح الميم : المعجز .

(٢) سبقت ترجمته في (١ : ٦٥) .

(٣) يقال سده يسده سدا ، فانسد واستد . وارتجج بالبناء للمفعول : استغلق . والأبيات من مقطوعة في الأغاني (١٢ : ١٣٢) ، أولها :

ماذا يكلِّفك الروحات والدلجا
البر طوراً وطوراً تركب اللججا
كم من فتى قصرت في الرزق خطوته
ألفيته بسهام الرزق قد فلجا
(٤) هذا البيت من ل فقط ، ولم يروه أبو الفرج أيضاً . وفي أساس البلاغة : « ونهجت الطريق : بيَّته . وانهجته : استبينته » .

(٥) الإهواء : التناول باليد . والمداركة : المتابعة .

(٦) المقوم : البعير المكرم المودع ، الذي لا يحمل عليه ولا يذلل . والعجم : جمع أعجم ، وهو ما لا يفصح من الإنسان والحيوان . قال :

يقول الخنا وأبيض العجم ناطقاً
إلى ربنا صوت الحمار يجدد

- فكم قد رأينا من لئيم موطأ
وذى كرم في القوم نهد مُشيع
وقال أحيحة بن الجلاح (٣):
استغني عن كل ذي قربي وذى رحم
والبس عدوك في رفيق وفي دعة
ولا تغررك أضغان مُزَملة
وقال أحيحة أيضاً:
استغن أو مت ولا يغرك ذو نشب
إني أكب على الزوراء أعمرها
يلوون ما عندهم من حق أقربهم
من ابن عم ولا عم ولا خال (٦)
إن الكريم على الإخوان ذو المال (٧)
ومن عشيرتهم والمال بالوالى (٨)

- (١) الموطأ: المذل. والوقور: الساكن الرزين.
(٢) النهد: الجسم القوى. والمشييع: الشجاع الذي لا يخذله قلبه، فكأنه يشيعه.
(٣) هو أحيحة بن الجلاح الأوسى، كان سيد الأوس في الجاهلية، وكانت سلمى أم عبد المطلب بن هاشم تحته، وكانت لا تتكح الرجال إلا وأمرها بيدها، فتركته لشيء كرهته منه فزوجها هاشم، فولدت له عبد المطلب. وكان أحيحة كثير المال شحيحاً عليه، يبيع بيع الربا بالمدينة حتى كاد يحيط بأموالهم، وكان له تسع وتسعون بئراً. وهو إلى ذلك شاعر رقيق الشعر. انظر الأغاني (١٣: ١١٤-١٢٢) والخزانة (٢: ٢٣-٢٤).
(٤) الأربة، بضم الهمة وكسرهما: الدهاء والبصر بالأمر، ومنه الأريب. ولبس الدهر: أن يجعل المرء نفسه وفقاً لزمانه وظروفه.
(٥) الأضغان: الأحقاد. والمزلة: المستورة. والدير: البعير تصفيه الدبرة، وهى بالتحريك: الفرحة. والأحلاس: جمع حلس، وهو بالكسر والتحريك: كل شيء ولّى ظهر البعير والدابة تحت الرجل والقتب والسرج. يقول: ربما نشأ الضرر من الأمور الخفية التي لا ينتبه إليها. وروى في حماسة البحرى ٩: «قد يركب الدير الدامي».
(٦) النشب: المال والعتار. والأبيات في الأغاني (١٣: ١١٤)، وثانها في حماسة البحرى ٣٤٤. وهى مع أخوات لها في معجم البلدان (٤: ٣١٢).
(٧) الزوراء: أرض كانت لأحيحة بن الجلاح، سميت ببر كانت فيها. عن ياقوت. البحرى: «ولن أزال على الزوراء»، وفي الأغاني والبلدان: «إني أقيم على الزوراء» وعند البحرى وياقوت: «إن الحبيب إلى الإخوان».
(٨) لوى الحق: مطل في أدائه. و«المال بالوالى» كذا وردت أيضاً في معجم البلدان. وفي الأغاني: «والحق للوالى».

وقال آخر :

سأبغيك مالاً بالمدينة إننى أرى عازب الأموال قلت فواضله (١)

وقال آخر :

ولا خير في وصل إذا لم يكن له على طول مرّ الحادثات بقاء

وقال العباس بن الأحنف :

لم يصنف حبّ لمعشوقين لم يدقاً وصلاً يُمرُّ على من ذاقه العسل (٢)

وقال بعض [سفهاء] الأعراب :

لا خير في الحبّ أبا السنور أو يلتقى أشعرها وأشعري

* وأطبق الخُصية فوق المبرّ *

وقال آخر :

وحظّك زورة في كلّ عام موافقة على ظهر الطريق (٣)

سلاماً خالياً من كلّ شيء يعود به الصديق على الصديق

وقال عطار بن قران (٤) :

(١) أبغاه مالاً : أعانه على طلبه . والعازب : الذى يرمى بعيداً عن أهله .

(٢) من ذاقه ، أى ذاقه ذلك الوصل . ولم يرد هذا البيت في ديوان العباس .

(٣) كذا وردت في الأصول ، بتقديم الفاء على القاف . وفي اللسان : « تقول وافقت فلاناً في

موضع كذا . أى صادفته » . وسيعاد إنشادهما في (٣ : ٢٠٧) .

(٤) ذكره المرزباني في معجمه ٣٠٠ وقال : « أحد بنى صدى بن مالك . هجا جريراً عند هجاء

جرير للمرار البرجمي ، فظلمت بنو صدى بن مالك إلى جرير أن يهبه لهم ، فقال جرير :

وهبت عطارداً لبني صدى ولولا غيره علك اللجاما

وحبس بنجران فقال :

لقد هزلت منى بنجران أن رأيت قيامي في الكليلين أم أبان

كأن لم تترني قبلي أسيراً مكيلاً ولا رجلاً يُرمى به الرجوان

كأنني جواد ضمه القيد بعد ما جرى سابقاً في حلبة ورهان

خليلي ليس الرأي في صدر واحد أشيرا على اليوم ما تريان

أأركب صعب الأمر إن ذلوله بنجران لا يرجي لحين أوآن =

ولا يَلْبِثُ الحبلُ الضَّعِيفُ إذا التوى وجاذبه الأعداءُ أن يتجذَّما (١)
وما يستوى السِّيفانِ : سيفٌ مؤنَّثٌ وسيفٌ إذا ما عَصَّ بالعَظْمِ صَمَمًا (٢)
وقال طُريح بن إسماعيل (٣) ، في الوليد بن يزيد بن عبد الملك :

سعيثُ ابتغاءُ الشُّكرِ فيما صنعتُ لى فقَصَّرْتُ مَغْلُوبًا وإني لَشَاكِرُ
لأنك تعطينى الجزيلَ بُدَاهَةً وأنتَ لَمَّا استكثرْتُ من ذاك حَاقِرُ (٤)
فأرجعُ مغبوطاً وترجعُ بالتى لها أَوَّلُ في المَكْرَمَاتِ وآخِرُ
وقد قلتُ شعراً فيك ، لكن تقولهُ مكارمُ مما تَبَيَّنِي وَمَقَاخِرُ
قواصِرُ عنها لم تُحِطْ بِصِفَاتِهَا يُرادُ بها ضَرْبٌ من الشَّعرِ آخِرُ
وقال آخِرُ ، مسلم بن الوليد (٥) :

لعلَّ له عُذْرًا وأنتَ تلومُ وكَمَ لائِمٍ قد لَامَ وهو مُلِيمُ
وأنشد أيضاً :

فكم من مُلِيمٍ لم يُصَبِّ بِمَلَامَةٍ ومَتَّبِعٍ بالذنبِ ليس له ذَنْبُ
وكم من محبِّ صَدٍّ من غيرِ عِلَّةٍ وإن لم يكن في وصلِ خُلَّتِه عَثْبُ

= وحسب أيضاً بحجر فقال :

يقودنى الأحسن الحداد مؤزرأ يمشى العرَضَتَّةُ مَخْتَالاً بتقييدى
إني وأحسَنُ في حجرٍ مُخْتَلَفًا حالٍ ، وما ناعم حالاً كمجهوداً

- (١) التجذم : التقطع . ب ، ح : « يتخذما » ، وهى صحيحة أيضاً بمعنى يتقطع .
(٢) المؤنث والأنيث : الذى ليس بقاطع . والمصمم من السيوف : الذى يرمى فى العظام .
(٣) هو طريح بن إسماعيل الثقفى ، نشأ فى دولة بنى أمية ، وجعل شعره فى الوليد بن يزيد ، وأدرك
دولة بنى العباس ، ومات فى أيام المهدي . وكان الوليد يكرمه ويقدمه لانتقاطه إليه ولخوولته من ثقيف .
الأغاني (٤ : ٧٤ - ٨٢) . والأبيات التالية فى الحماسة (٢ : ٣٦٤) ، وأولها فى حماسة البحرى ١٦ .
(٤) البداهة ، بضم الباء وفتحها : أول كل شئ وما يفجأ منه . وفى الحماسة : « بدية » .
(٥) كلمة « مسلم بن الوليد » من ل فقط .

كما قال الأحنف : « رَبِّ مَلُومٍ لَا ذَنْبَ لَهُ ^(١) » .

وقال ابن المقفع :

٨٨

فَلَا تُلِّمِ الْمَرْءَ فِي شَأْنِهِ قَرَبَ مَلُومٍ وَلَمْ يُذْنِبِ

وقال سعيّد بن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت الأنصاري ^(٢) :

وَإِنَّ امْرَأً يُمَسَّى وَيُصْبِحُ سَالِماً مِنْ النَّاسِ إِلَّا مَا جَنَى لِسَعِيدٍ ^(٣)

[آخر الجزء الثاني من تجزئة المصنف]

(١) انظر ما سبق في ٣٤٤ س ١٠ - ١١ .

(٢) وهذه النسبة أيضاً في الحيوان (٣ : ٥١) . وجاء في عيون الأخبار (٢ : ١٢) : « وقال

حسان : قلت شعراً لم أقل مثله » . وأنشد البيت .

(٣) إلا ما جنى ، أى إلا جزاء ما جنى . ل : « أمسى وأصبح سالماً » .

فهرس الأبواب

صفحة	
٥	صدر من القرآن والحديث
٣١	خطبة النبي ﷺ في الوداع
٤٥	كلام أئى بكر الصديق لعمر حين استخلفه عند موته
٤٦	رسالة عمر إلى أئى موسى الأشعري
٥٠	خطبة لعلى بن أئى طالب
٥٦	خطبة عبد الله بن مسعود
٥٧	« عتبة بن غزوان السلمى بعد فتح الأيلة
٥٩	« من خطب معاوية
٦١	« زياد البتراء
١١٦	باب من مزدوج الكلام
١٢٠	خطبة عمر بن عبد العزيز
١٢١	« أخرى (لأئى حمزة الخارجى الشارى)
١٢٢	« أئى حمزة الخارجى
١٢٦	« قطرى بن الفجاءة
١٢٩	« محمد بن سليمان يوم الجمعة
١٣٠	« عبيد الله بن زياد
١٣١	« معاوية
١٣٢	« قتيبة بن سلم
١٣٥	« الأحنف بن قيس
١٣٥	« جامع المحارى
١٣٧	وخطب الحجاج ، وخطبة له أيضاً

خطبة الحجّاج بعد دير الجماجم	١٣٨
« كلثوم بن عمرو	١٤١
« يزيد بن الوليد	١٤١
« يوسف بن عمر	١٤٣
كلام هلال بن وكيع، وزيد بن جبلة، والأحنف بن قيس، عند عمر	١٤٣
خطبة زياد	١٤٥
باب من اللغز في الجواب	١٤٧
ومما قالوا في التشديق وفي ذكر الأشداق	١٥١
باب في صفة الرائد للغيث وفي نعتة للأرض	١٥٣
باب أن يقول كل إنسان على قدر خلقه وطبعه	١٧٥
أبيات شعر تصلح للرواية والمذاكرة	١٨٦
باب اللحن	٢١٠
باب : ومن اللحنين البلغاء	٢٢٠
باب النوكي	٢٢٥
باب في العي	٢٣٤
وفي خطأ العلماء	٢٤٧
باب من الكلام المحذوف	٢٧٨
خطبة للحجّاج	٣٠٧
باب من الشعر فيه تشبيه الشيء بالشيء	٣٢٨
نوادير الأعراب	٣٣٣
كلام بعض المتكلمين من الخطباء	٣٣٥
ومن أحاديث النوكي	٣٤٤
باب من البله الذي يعتري من قبل العبادة وترك التعرض للتجارب	٣٤٩